

جامعة، بسكرة، الجزائر



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

مجلة دولية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة - بسكرة - الجزائر

العدد: 15

شعبان 1436 هـ / جوان 2015 م

I.S.S.N :2253-0347

رقم الإيداع القانوني: 2012-1695

أنجز بمطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة

ص.ب 145 ق.ر بسكرة 07000 الجزائر

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

جامعة بسكرة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد 15 : شعبان 1436 هـ / جوان 2015م

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم رئيسة التحرير الدكتورة عبيدة صبطي إلى :

ص.ب 145 ق.ر. بسكرة 07000 الجزائر

الهاتف/ الفاكس : 0021333501260

البريد الإلكتروني : revue.fshs@univ-biskra.dz

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

جامعة بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قواعد النشر:

- تنشر مجلة "علوم الإنسان والمجتمع" الأبحاث والدراسات العلمية والفكرية في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية وفقا للشروط التالية:
- تقدم المقالات مطبوعة على الورق في نسختين وفي حدود 15 صفحة بصفحات المجلة، مصحوبة بقرص مضغوط وفق برنامج « Microsoft Word » بالنسقين العادي و RTF.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال، اسم الباحث ورتبته العلمية المؤسسة التابع لها(قسم، كلية وجامعة)، الهاتف والفاكس، العنوان الإلكتروني وملخصين للموضوع في حدود مأتي كلمة أو ثمانية سطور أحدهما بلغة المقال والثاني بإحدى اللغتين الأخرين على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية .
- تكتب المادة العلمية العربية بخط من نوع Simlified Arabic مقاسه 12 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي Simplified Arabic 14 Gras، العناوين الفرعية Simplified Arabic

Times New Roman 12، أما الفرنسية أو الانكليزية فتقدم بخط من نوع Times New Roman مقاسه 12.

➤ هوامش الصفحة تكون كما يلي: أعلى 02، أسفل 02، يمين 02، يسار 02، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25، حجم الورقة مخصص (5,1623x).

➤ تضبط الجداول والأشكال مرقمة ومعنونة وفقا لهوامش الصفحة الآتفة الذكر، و يستحسن أن تعد بالطريقة الآلية أي بالبرامج المخصصة لها.

➤ يرقم التهميش والإحالات بطريقة آلية « Note de fin » على أن تعرض في نهاية المقال بالترتيب التالي: المؤلف: عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، البلد، السنة، الطبعة والصفحة.

➤ المقالات المرسله إلى المجلة لا ترجع إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

➤ المقالات المنشورة في هذه المجلة لا تعبر إلا عن آراء أصحابها.

➤ يحق هيئة تحريرالمجلة إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.

➤ كل مقال لا تتوفر فيه هذه الشروط لا ينشر مهما كانت قيمته العلمية.

➤ يرسل المقال في قرص مرن مرفقا بنسختين مطبوعتين إلى عنوان الجامعة و البريد الإلكتروني على:

revue.fshs@univ-biskra.dz

المادة التي تنشرها المجلة تعبر عن آراء أصحابها

مجلة علوم الإنسان والمجتمع

مجلة تعنى بالدراسات الاجتماعية والنفسية و الاعلامية والتاريخية
باللغة العربية واللغات الأجنبية

الرئيس الشرفي للمجلة

الأستاذ الدكتور: بلقاسم سلاطنية، مدير جامعة بسكرة

مدير المجلة

الأستاذ الدكتور: عبد الرحمان برفوق: عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

رئيسة التحرير

الدكتورة: عبيدة صبطي

هيئة التحرير

أ.د عبد العالي دبله

أ.د علي آجقو

أ.د نور الدين زمام

إعداد وإخراج

د. عبيدة صبطي

الهيئة العلمية

أ.د / علي آجقو، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د/ سلاطنية بلقاسم، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د/ عبد العالي ديلة، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د / زمام نور الدين، جامعة بسكرة، الجزائر
أ.د/ الطاهر إبراهيمي، جامعة بسكرة ، الجزائر	أ.د / نصر الدين جابر، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د / عبد العزيز علي الخزاعي، جامعة الأردن	أ.د / حسان الجيلاني، جامعة بسكرة ، الجزائر
أ.د / عبد الرزاق الدليمي، جامعة البترا، الأردن، عمان	أ.د / ديدبي لوساوت، جامعة باريس 8 ، فرنسا
أ.د/ فريد الماسوي، جامعة باريس 8، فرنسا	أ.د / محمد المري محمد اسماعيل خليل، جامعة الزفازيق، مصر
أ.د / علي فوادرية، جامعة سكيكدة ، الجزائر	أ.د / دحو فغور، جامعة وهران ، الجزائر
أ.د / الحاييس عبد الوهاب جودة، جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان	أ.د / ميلود سفاري، جامعة سطيف ، الجزائر
أ.د/ أشرف صالح محمد سيد، جامعة ابن رشد، هولندا	أ.د / مراد بوطيبة ، جامعة أم البواقي
أ.د/ رشيد حمدوش، جامعة الجزائر 2	أ.د/ عبد الحميد جفال، جامعة عنابة ، الجزائر
أ.د / معن خليل العمر، جامعة سيدني، استراليا	أ.د/ الهاشمي مقراني، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر
د / صالح محمد حميد، جامعة الصنعاء، اليمن.	أ.د / ابراهيم بلعادي، جامعة قالمة ، الجزائر
د/ سعيد العبدولي، جامعة قرطاج، تونس	أ.د/ نور الدين تاويرت، جامعة بسكرة ، الجزائر
د/عفراء ابراهيم خليل إسماعيل العبيدي، جامعة بغداد، العراق.	د/ فكري لطيف متولي، جامعة الشقراء، المملكة العربية السعودية.

المحتويات

11	الافتتاحية	
الدراسات الاجتماعية		
15	دور اللغة في تحقيق فعالية الاتصال الإداري أ.د/ رشيد زوزو، الباحثة، زينب بوحنيك، جامعة بسكرة، الجزائر	01
31	تكنولوجيا المعلومات و دورها في تعزيز رأس المال البشري باعتباره موردا استراتيجيا لتحقيق الميزة التنافسية د/ منية غريب، جامعة الطارف، الجزائر .	02
53	والرشتاين و النسق العالمي: محاولة لتفسير وفهم حركة الواقع الاجتماعي في البلدان النامية . د/ مالك شعباني، جامعة بسكرة، الجزائر.	03
79	فعالية الاتصال الإداري في المؤسسة الصناعية د/ عيسى قبوقب، الأستاذة: وردة برويس، جامعة بسكرة، الجزائر	04
99	البناء الأسري والتغيرات الاجتماعية الحديثة أ/ فتيحة تمريسي، جامعة بسكرة، الجزائر	05
111	الشورى بين الالتزام الإداري و اليقين الإيماني أ/ زكية عقري، جامعة باتنة، الجزائر.	06

131	معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة بسكرة الباحثة : آمال عبادو، جامعة ورقلة، الجزائر.	07
الدراسات النفسية الاجتماعية		
165	الجماعات الطلابية وكيفية تأسيسها في الوسط الجامعي دراسة ميدانية على طلبة جامعة الجزائر 2 أ/ عادل قايد ، جامعة الجزائر 2.	08
الدراسات النفسية و التربوية		
187	إتجاهات طلبة الثانوية العامة في فلسطين والجزائر نحو الرياضيات في ضوء بعض المتغيرات دراسة مقارنة د/ إبراهيم إبراهيم أبو عقيل، أ/ صباح عايش، جامعة الخليل، فلسطين، جامعة وهران، الجزائر.	09
215	العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي (دراسة ميدانية لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة أم البواقي) د/ سامية ابريغم، جامعة أم البواقي، الجزائر	10
الدراسات الإعلامية		
243	الإعلام الجديد والتحولت الديمقراطية د/ سليمان محمد عمر منصور، جامعة لزاوية ليبيا	11

263	عوائق الاتصال الإلكتروني عبر النت بين الادارة واعضاء هيئة التدريس الجامعي د / بوجمعة كوسة، جامعة جيجل، الجزائر	12
291	الاعلام الجديد قراءة في تطور المفهوم والوظيفة د/ شمس ضيات خلفلاوي، جامعة عنابة، الجزائر.	13
الدراسات التاريخية		
323	أسلوب السياسة الاستعمارية الدموي في احتلال الغرب الجزائري مجزرة أولاد سيدي منصور بتيارت 1864م أنموذجا د/ كمال صحراوي، جامعة تيارت، الجزائر	14
339	تقييم التراث الحضري التاريخي كآلية لتحقيق التنمية المستدامة بمدينة تبسة أ/ علي حجلة، أ.د / محمد الهادي لعروق، جامعة تبسة ، جامعة قسنطينة الجزائر.	15
377	الحركة الاستيطانية في الجزائر وفلسطين بين 1917- 1962 مقاربة تاريخية للظاهرة واثرها على هوية الشعبين أ/ حمودي ابرير، جامعة بسكرة، الجزائر	16
399	دور الاخوان الرحمانيين في المقاومة بمنطقة الزيبان أ/ الامير بوغدادة ، جامعة بسكرة، الجزائر	17
الدراسات باللغة الأجنبية		
03	L'education de la fille dans la famille Algerienne	18

	traditionnelle . Dr .Rajia BEN ALI, Université de Batna , Algérie .	
33	Influence du discours : parole légitimée, engagée et persuasive. Analyse des discours de la concorde civile du Président Abdelaziz Bouteflika Ouahiba BENBAKKAR, Université Alger 2 .	19

الافتتاحية

لكل بداية نهاية، وها نحن على مشارف نهاية السنة الجامعية 2014/2015، لإسدال الستار على آخر عدد لمجلة علوم الإنسان والمجتمع، والتي تميزت بمجلة جديدة مقارنة بالسنوات الماضية حيث تضمنت خمس أعداد. أملين أن نكون قد وفقنا في اختيار هذه الباقية من الأبحاث العلمية.

ونغتنم هذه الفرصة لإعلام الباحثين الكرام بأنه قد تم إجراء إعادة هيكلة على هيئة تحرير المجلة بحيث تم تعيين الدكتورة عبيدة صبطي على رأس هيئة التحرير ليتولى البروفيسور عبد الرحمان برقوق مهمة مدير المجلة.

وتغتنم رئيسة التحرير فرصة صدور العدد الخامس عشر لتجدد الدعوة للباحثين في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية بنشر أبحاثهم باللغات الأجنبية، لأننا نريدها أن تكون فضاء يلتقى فيه الباحثون من داخل الجزائر وخارجها. ولتكون أداة للتواصل الفكري والعلمي بين الباحثين أينما كانوا ووجدوا.

ونحن على أبواب شهر الطاعة والمغفرة والرضوان شهر رمضان الكريم يطيب لنا أن نبارك للأمة الإسلامية جمعاء حلول هذا الشهر العظيم، داعين الباري سبحانه أن يوفق الجميع لصيامه وقيامه وأداء حقه وأن يعيده على الأمة الإسلامية باليمن والبركة.

رئيسة التحرير

الدكتورة: عبيدة صبطي

الدراسات الاجتماعية

دور اللغة في تحقيق فعالية الاتصال الإداري

الأستاذ لدكتور: رشيد زوزو، جامعة بسكرة ، الجزائر

الباحثة، زينب بوحنيك، جامعة بسكرة ، الجزائر

الملخص:

تعتبر الفعالية ضرورة ملحة لكل العمليات الإدارية، خاصةً إذا أردنا تحقيق الأهداف المختلفة للتنظيم، القريبة والبعيدة، لكن هناك بعض العمليات التي تحتاج إلى فعالية أكثر داخل التنظيم، لأن التنظيم يعتمد عليها اعتمادًا كبيرًا، منها عملية الاتصال الإداري، التي تعتبر عملية محورية تقوم على تبادل المعلومات والبيانات، والتوجيه، لإجراء بقية العمليات الإدارية. ونظرًا لأهمية الاتصالات الإدارية فإن دراستها باتت لا تقل أهمية، عن دراسة التنظيم ككل، خاصةً ما تعلق بوسائلها كاللغة المستخدمة وطرق توظيفها، ومن ثم جاءت هذه الدراسة هادفة إلى معرفة دور اللغة في تحقيق فعالية الاتصال الإداري.

Abstract:

Event is an urgent necessity for all administrative processes, especially if we are to achieve the objectives of the regulation, but there are some operation that you need to more effectively within the organization, because the organization depends heavily, the administrative contact, which is a central process based on the exchange of information and data, and guidance for the rest of the administrative processes.

Given the importance of administrative communication, the study is not less important than the study of the organization as a whole, particularly as concerned the means as the language used and the methods employed, and then came the study to determine the role of language in communication administrative effectiveness.

إن الاتصال عملية اجتماعية ظهرت مع ظهور العنصر البشري، و لازمته طيلة حياته، وانتظمت هذه العملية وتطورت مع تطور العنصر البشري. ففي بداية الحياة الاجتماعية اعتمد الإنسان على البساطة في طرق العيش فكانت العملية الاتصالية تتميز بخصائص هذه المجتمعات، ولما سعى الإنسان إلى زيادة التعقيد على حياته تلبية لرغباته وظروفه المحيطة ولما اعتقد أن الحياة أصبحت تستلزم ذلك، انشأ تنظيمات اجتماعية لتنظيم الحياة ولتسهيل عملية الاتصال بين جميع أفراد مجتمعه، عملاً على بناء جسور في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية، رغبة في عيش حياة رغيدة، أضفى هذا الوضع تأثيراً على العملية الاتصالية فأصبحت تتميز بالتنظيم كذلك، كما أصبحت هذه التنظيمات تستخدم أسساً ومعايير يتفق عليها أفراد المجتمع.

كما تسهل عملية الاتصال بطرق مفهومة وواضحة تعتمد على استخدام لغة واضحة ومفهومة إضافة إلى وسائل تكنولوجية تقليدية وحديثة للإسراع ولتنفيذ الأعمال والقرارات، والمعلوم أن اللغة هي أداة للتواصل الاجتماعي لا يقتصر دورها على إيصال المعلومة فقط بل يتعدى ذلك، كما تستفيد اللغة من حركات الجسم وتعابير الوجه لإضفاء معاني أكثر دقة على المفردات المستخدمة، وعند الحديث عن المجتمع يمكن الحديث عن الاتصال الاجتماعي، أما عند الحديث عن التنظيم فيكون الحديث عن الاتصال التنظيمي أو الإداري، فلكل مجال أسسه ومعايره، والدراسة التالية تحاول إلقاء الضوء على دور اللغة في تحقيق فعالية الاتصال الإداري من وجهة نظر إثنو ميثودولوجية .

لذلك يمكن طرح السؤال التالي:

ما هو دور اللغة في العملية الاتصالية داخل التنظيم الإداري؟

أولاً: المفاهيم الأساسية

1. اللغة:

هي " وسيلة نقل الفكر والعلم والإحساس من فرد إلى آخر في مختلف العصور وهي نظام من نظم المجتمع الإنساني وظاهرة من ظواهره الخاضعة لما تخضع له هذه الظواهر من عوامل التطور والجمود والرقى والانحطاط والحياة والموت، وهي ظاهرة غير مادية شأنها شأن العرف والعادات⁽¹⁾. ولا تقتصر اللغة على مجرد أنها وسيلة بل إضافة إلى ذلك فهي تصدر في شكل أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم كما أنها تختلف من مجتمع إلى آخر.

2. الاتصال الإداري:

هي عملية يتم عن طريقها إيصال معلومات من أي نوع من أي عضو في الهيكل التنظيمي إلى عضو آخر بقصد إحداث تغيير⁽²⁾.

وتتضمن عملية الاتصال الإداري مجموعة من الأفكار كما يلي:

- أ. أن هناك أطراف لعملية الاتصال أو طرفين على الأقل يريد أحدهما (المرسل) أن يشارك الآخر (المستقبل) في فكرة معينة.
- ب. أن يتم ذلك عن طريق أسلوب معين أو فعل معين سواء كان الفعل لفظي أو غير لفظي، وسواء كان شفاهة أو كتابة.
- ت. أن لهذا الفعل (الاتصال) هدف لا يتم الاتصال بدون تحقيقه وهو إيجاد حالة مشتركة من المعرفة³ كما يضاف إلى ذلك أن تكون العملية الاتصالية داخل التنظيم أو خارجه أي أن تكون متعلقة بأهدافه، كما يأخذ الاتصال الإداري طرقاً متعددة باستخدام أحد أدوات الاتصال إن تطلب الأمر ذلك.

3. فعالية الاتصال:

يدور مفهوم فعالية أو فاعلية الاتصال حول مدى نجاح عملية الاتصال الإداري بكافة أجزائها (بدء بالمرسل مروراً بالرسالة و قناة الاتصال و انتهاء بالمستقبل) في تحقيق أهدافها وكما هو معلوم أن هدف الاتصال هو ضمان توصيل محتوى الرسالة الذي يدور في ذهن المرسل إلى المستقبل، ليس هذا فحسب بل واستجابة المستقبل لمحتوى ومضمون الرسالة⁽⁴⁾.

تتضمن الإدارة باستمرار عمليات متعددة فهي "عملية توجيه وقيادة للجهود البشرية بالإضافة إلى التخطيط والتنسيق واتخاذ القرارات والرقابة"⁽⁵⁾.

ثانياً: أهمية اللغة

هي أهم أدوات التشكيل الثقافي، بل أحد عوامل تشكيل الأمم، إن لم نقل أهمها، ذلك أنها وعاء الفكر وأداة التعبير والتواصل والتفاهم بين الناس، توثق صلاتهم، وتقوي روابطهم، وتبني ثقافتهم، وتشد وحدة اللحمة بينهم، وهي مستودع ذخائر الأمة ومخزونها للثقافة وتراثها، الذي يجسر بين حاضرها وماضيها، ويصل حاضرها بمستقبلها، ويحدد سمات شخصيتها وملامح هويتها ... إنها الوطن الثقافي الذي يصنع الوجدان، ويحرك التفكير، ويترجم الأحاسيس، ويغير السلوك، ويسهل تبادل المعارف وتلقي العلوم... وهي المسبار الحقيقي لإدراك أغوار الشخصية وميولها واتجاهاتها، وتحديد أهدافها، فكثيراً ما يقال " تكلم حتى أراك " كما أن كيفية اختيار الألفاظ وأدوات التوصيل والتواصل يؤثر في بناء الملكة العقلية والقدرة التفكيرية، حتى يقال للحكيم "لسانه وراء عقله"⁽⁶⁾.

فاللغة هي احد عناصر الاتصال ولكن وجود اللغة وحدها لا يعني بالضرورة حدوث اتصال، نحن - حتماً - لا نستطيع الاتصال لفظياً إلا بواسطة اللغة ومستخدم اللغة يثبت فشله إذا لم يتمكن من إيصال المعاني فلكي نقول ' نعم ' يمكننا هز رؤوسنا دون أن نتحدث أو أن نلفظ الكلمة أو أن نكتبها، ومن الممكن كذلك أن نقول كلمة ' نعم ' في بلد لا يتحدث العربية فلا يحدث أي نوع من

الاتصال. فاللغة عبارة عن رموز نستخدمها لتتمكن من إيصال أفكارنا ومشاعرنا للآخرين. والاتصال يعني تبادل المعاني فنحن نستخدم اللغة لنصنع الكلام، لنبلور شخصياتنا ولتبادل آراءنا وأفكارنا مع الآخرين والكلام هو ما نفعله كل يوم أما الاتصال فهو العملية التي نشارك بها الآخرين لنعطي معنى لكل شيء، و الهدف من هذه العملية هو ربط اللغة بالحديث لإنتاج اتصال فعال لنقل المعنى المراد⁽⁷⁾.

ثالثاً: أهمية الاتصال الإداري

وتستمد العمليات الإدارية قوتها من عملية مهمة ألا وهي الاتصال الإداري، فنظام الاتصال مهم في كل منظمة تسعى لتحقيق أهدافها فهو ضروري في كافة المستويات، لنقل وتبادل الأفكار والمعلومات المتصلة بأهداف المنظمة وتحقيق الكفاءة والفعالية وتكمن أهميته في كونه أداة مؤثرة في السلوك العمالي والأداء بصفة عامة.

فالالاتصال عملية مستمرة متكاملة آنية و متغيرة، غير قابلة للتراجع أو التفادي، له أبعاده المتعددة كما يكون قصدي وغير قصدي⁽⁸⁾، لذلك فهو يعتبر مهم يستلزم الدقة والتفكير والتأكد من وصول المعلومة كما ينبغي.

كما تلعب عملية الاتصالات دوراً حيوياً في رفع الكفاءة الإنتاجية للمشروعات من خلال تأثيرها على اتجاهات وسلوك الأفراد من جهة، و دفعهم للعمل وتقبلهم لأهداف وسياسة الإدارة من جهة أخرى، كما أنها تساهم في تدعيم العلاقات الإنسانية بين أعضاء التنظيم عن طريق توصيل المعلومات بين فرد وآخر⁽⁹⁾.

إن العامل الأساسي الذي يجعل الاتصالات الإدارية تختلف عن أنواع الاتصالات الأخرى هو أن نجاح أو فشل الاتصالات الإدارية يؤثر عن إنتاجية المنظمة فهي تمكن من تحديد الأهداف الواجب تنفيذها، تعريف المشاكل وسبل علاجها، تقييم الأداء وإنتاجية العمل، التنسيق بين المهام والوحدات، تحديد

معايير ومؤشرات الأداء، إصدار الأوامر والتعليمات، توجيه العاملين، التأثير والتحفيز وقيادة الموظفين، إجراء المقابلات... الخ⁽¹⁰⁾.

رابعا: وظائف اللغة في العملية الاتصالية الإدارية

تعتبر الرسالة المنبه الذي ينقله المصدر إلى المستقبل، تتضمن المعاني من أفكار وآراء تتعلق بموضوعات معينة يتم التعبير عنها رمزيا سواء باللغة المنطوقة أو غير المنطوقة، وتتوقف فاعلية الاتصال على الفهم المشترك للموضوع واللغة التي يقدم بها.⁽¹¹⁾

لذلك تؤدي اللغة وظائف عديدة في عملية الاتصال الإداري فهي التي تكسبه الفعالية أو تحد من عملية الاتصال ككل وذلك لأنها تؤثر في محتوى الرسالة والمعلوم أن العملية الاتصالية قائمة على فهم الرسالة، فاللغة المستخدمة في الاتصال بين المرسل والمستقبل قد تكون مصدر فشل في عملية الاتصال الإداري، فهي وسيلة الاتصالات الرئيسية فعن طريقها يتم التعبير وتنقل الأفكار وتناقش القضايا، ويتم تبادل الآراء إلا أن الكلمات المستخدمة قد تكون لها معاني مختلفة أو تكون الصياغة معقدة فلا يفهم المرسل إليه ما يعنيه المرسل، وذلك حينما يلجأ إلى استخدام بعض الكلمات أو العبارات أو المصطلحات المتخصصة التي لا يفهمها المرسل إليه .

ويرى زيد منير عبوي⁽¹²⁾ أن للغة وظائف هامة في فعالية الاتصال كما قد تكون عائقا مثل استخدام المصطلحات الخاصة بمهنة أو حرفة ما أو تخصص معين أو الاختصارات والرموز، أو نطق الكلمات نطق غير سليم، أو استخدام لهجة غير معروفة، فكل هذه النواحي يمكن أن تؤدي إلى سوء الفهم ومن أهم هذه المعوقات ما يلي:

- 1- اختلاف الإدراك لكل شخص.
- 2- اختلاف العادات و التقاليد بين المرسل و المستقبل.
- 3- درجة الثقة في المرسل و الخبرات السابقة عنه.

4- ازدحام الرسائل.

5- اختلاف المستوى الثقافي.

6- الكثير من الألفاظ تحمل أكثر من معنى.

ويخطئ الكاتب أو الإداري إذا ظن أن ما يقدمه من كلمات مكتوبة أو منطوقة سوف يفهمها القارئ أو المستمع بالطريقة التي يفهمها هو ... وأفضل وسيلة للوصول إلى من يرغب في مخاطبتهم باللغة التي يفهمونها أكثر من غيرهم... ومن هنا كانت صعوبة التفاهم بين شخصين يتكلمان لغتين مختلفتين... يقول الزعيم الهندي "نهرود" إذا أردت أن تقنع شعبا عليك أن تخاطبه ليس فقط بلغة لسانه ولكن بلغة عقله وفكره⁽¹³⁾ وهو أمر يتعلق بالاتصال الإداري المتعلق بالإدارة العليا والتنفيذية فغالبا ما يكون التنفيذيون ذوي مستويات دراسية دنيا قد لا يفهمون لغة الإدارة فلا يمكنهم تنفيذ الأوامر ما يؤدي إلى تأخير الأعمال أو عدم تنفيذها. لذلك فان عوائق الاتصال تكون متعلقة إما بحجب المعنى أو سوء الفهم أو لبعض الاختلافات بين المرسل والمستقبل.

خامسا: مبادئ الاتصال الفعال

للاتصال الفعال مجموعة من المبادئ يجب مراعاتها من طرف الإدارة المسؤولة أو الجهة المسؤولة عن عملية الاتصال يمكن تلخيصها فيما يلي⁽¹⁴⁾ :

1. الوضوح:

من حيث الألفاظ المستعملة والمصطلحات والتعبيرات اللغوية وأن تكون مختصرة ومباشرة مع وضوح الخط، ووضوحها لكل المستويات إذا كانت موجهة لمستويات مختلفة، بحيث لا تحتل الرسالة إلا مضمونا واحدا أو تأويلا واحدا هو التأويل الذي يرمي إليه صاحب الرسالة وإلا حدث خلل في تطبيق مضمونها.

2. كفاية المعلومات:

أي تغني المرسل إليه عن أي استزادة في المعلومات أو إعادة الرسالة.

3. سرعة الانتقال:

أو على الأقل وصولها في الوقت المناسب وبالوسيلة المناسبة وإلى الجهة المناسبة.

4. نطاق الاتصال:

أن يكون مصدر الرسالة هو المصدر الحقيقي لها حتى تضمن الاستجابة أو التنفيذ، فالرسالة التي تتضمن أوامر محددة يفترض أن تكون واردة من الرئيس أو من الإدارة العليا وليس من أي موظف بسيط.

5. التكامل والوحدة والتنسيق:

أي أن تحقق عملية الاتصال جملة من الأهداف باعتبار الاتصال وسيلة لتحقيق أهداف المؤسسة أو التنظيم وتدعيمها بطريقة فعالة من خلال تحقيق التكامل والانسجام.

6. المشاركة والتشاور:

أي المشاركة والتشاور بين مختلف الأقسام المكونة للتنظيم لتحقيق الهدف الأساس.

ويرى عبد الباري ذرة ومحفوظ جودة في كتابهما⁽¹⁵⁾ أن هناك وسائل وخصائص تجعل الاتصال فعالا ويجب على المدير الذي يريد أن يجري اتصالا أن يتبعها أولا أن ينمي مهاراته اللغوية وأن يتخذ الوسائل والطرق اللازمة لذلك والتي منها:

- ✓ التخطيط الجيد لأي عملية اتصال.
- ✓ توضيح الأفكار التي يريد أن ينقلها.
- ✓ توضيح وبلورة الهدف الذي من أجله يريد أن يقوم باتصال ما.

- ✓ الاهتمام بالعوامل الإنسانية والمادية عند القيام بأي اتصال.
- ✓ توضيح الافتراضات التي يبني المرسل عليها أفكاره و توضيح معاني الكلمات والمفاهيم بدقة.
- ✓ تقليل عدد الخطوات التي تمر بها الرسالة من المرسل إلى المستقبل.
- ✓ الإيجاز والبساطة في التعبير.

سادسا: الاثنوميثودولوجيا وتحليل لغة الاتصال والتنظيمات الاجتماعية

1. مفهوم الاثنوميثودولوجيا:

هي كلمة مكونة من ثلث مقاطع هي كلمة (Ethno) وتعني الناس وكلمة (Méthode) وهي الطريقة أو المنهج و(Logos) وتعني دراسة وتعني الكلمة ككل دراسة منهج الناس⁽¹⁶⁾.

هي مصطلح وضعه عالم الاجتماع الأمريكي "هارولد جارفينكل" (Garfinkel) وهو اتجاه في دراسة الجماعات، اقتراب سوسولوجي يختلف عن الاقتراب السوسولوجي المعروف في علم الاجتماع، تركز في دراسة الجماعة بالاعتماد على المعاني التي يضيفها الأفراد على أفعالهم ومواقفهم في الحياة اليومية بهدف الكشف عن السلوك الاجتماعي من خلال اللغة ودلالة التعبير والمنهج المستخدمة من طرفهم في وصف وتفسير حياتهم الواقعية⁽¹⁷⁾.

كما ظهرت تأثرا بالنظرية الظاهرانية سنة 1967 حيث كان لفكر "شوتز" (Schutz) 1899 - 1959 الذي وضع قواعد نظرية التفاعل تأثير على "جارفينكل" (Garfinkel) وهكذا يمكن القول أن الفلسفة الفينومينولوجية والوجودية مهدت لظهور هذا الاتجاه إذ كشفت عن فشل المعرفة النظرية القائمة في إعطاء الإنسان فهما كافيا لنفسه وللمؤسسات الاجتماعية من حوله⁽¹⁸⁾.

وترى الاثنوميثودولوجيا أن الجماعة الاجتماعية تتكون من مجموعة رشيدة عقلانية لها تصوراتها وأهدافها الخاصة، والدراسة السوسولوجية الحقة هي تلك التي تسعى إلى فهم حياة الجماعة من خلال الحياة اليومية للجماعة من

الداخل وما يعتمل في نفوسهم ويعبرون عنه بلغتهم اليومية، وترفض الاثنوميثودولوجيا المناهج والطرق المستخدمة في البحث السوسولوجي كالاستمارة والاستبيان والمقابلة والإحصاء وما شابه ذلك، وتوصي بتبني الطرق المستخدمة من طرف الناس والأفراد العاديين (أعضاء الجماعة) في تفسير وتبرير مواقفهم ونظمهم ووصف أفعالهم⁽¹⁹⁾.

2. الاثنوميثودولوجيا ودراسة الجماعات واللغة:

ترى الاثنوميثودولوجيا أن أهداف الفاعلين الاجتماعيين هي المحور، وتدرس كيف ينشا الكلام والتنظيم الاجتماعي من التفاعل الاجتماعي والذي يعتبر العملية التي يقوم الفاعلون من خلالها بتحديد أهدافهم والسعي وراءها وتحقيقها، وهكذا يدرس هذا الميدان المناهج التي عن طريقها يصل الفاعلون إلى فهم وإنتاج أبنية التفاعل الاجتماعي ولا تعد المعايير الاجتماعية التي تعبر عنها الكلمات انعكاسا لنظام اجتماعي أخلاقي محدد بقدر ما هي إنجازات مستمرة في عملية صياغة الأشخاص الفاعلين للتعريفات المرغوب فيها للنظام الاجتماعي، وتظهر دراسة " weider " للغة السجون أن الشفرة التي كان يستخدمها المسجونون كانت طريقة للإقناع والتبرير، وليست انعكاسا لطريقة حياة منظمة⁽²⁰⁾.

ويرى "جارفينكل" (Garfinkel) أن المنهج الأساسي الذي يستخدمه الفاعلون الاجتماعيون لابتداع المعنى هو الاستنتاج الفطري كما يذهب إلى أن الاتصال والاستنتاج المشترك بين الأشخاص يمكن أن يؤدي إلى تفسيرات مشتركة للخبرات أي أن الناس يتوصلون إلى فهم مشترك للأشياء، ومن ثم فإن جماعات الناس من أعضاء هيئة المحلفين إلى المعلمين يطورون أساليبهم الخاصة بهم في التفكير والسلوك، وهذا ما يجب أن يتناوله علماء الاجتماع بالدراسة ويؤكد "جارفينكل" (Garfinkel) على أن النظام الاجتماعي يتأسس ويعاد تأسيسه من خلال قيام الفاعلين بالاستنتاج والاتصال، وليس هذا النظام محصلة معايير مفروضة من الخارج، واستنبط مجموعة من المواقف الطبيعية التي لا تتحقق فيها

التوقعات العادية للمشاركين، ومع ذلك فإنهم يستمرون في المحاولة للخروج بمعنى لما يحدث، وتعد وجهة نظر" جارفينكل" في النظام على انه عملية تفاوضية وليس شيئاً مفروضاً من الخارج بمثابة إسهام حقيقي في علم الاجتماع وهو ما كان له تأثير ضخم على التحليل التنظيمي والمؤسسي⁽²¹⁾.

إن الاتجاه الاثنوميثودولوجي يدعو إلى الدراسة الوصفية البحتة لوقائع الفكر والمعرفة على نحو ما نجاها وفي صميم وعينا دون الأخذ بأية نظرية أو أفكار مسبقة ويعتبر الواقع اليومي أو الحياة اليومية هو الأساس الذي يجب أن تركز عليه أبحاثنا ودراساتنا فهي تتخذ من الواقع اليومي وقصدية الوعي واللغة والتفاعل اليومي بين الأفراد وكيفية بناء المعرفة الاجتماعية موضوعاً رئيساً لها⁽²²⁾.

3. نموذج للتحليل الاثنوميثودولوجي:

يمكن إعطاء مثال عن إسقاط النظرية الاثنوميثودولوجية داخل التنظيم بالتنظيمات غير الرسمية داخل التنظيم الرسمي، فالجماعة غير الرسمية أو التنظيم غير الرسمي عبارة عن تنظيم ينشأ داخل التنظيم الرسمي بيدع في إنشاء قوانينه الخاصة ولغته الخاصة وكل ذلك نتيجة لتواجد العمال في مكان واحد ومباشرة أعمال مشابهة إلى حد ما فتقوم بينهم علاقات شخصية وتفاعلات اجتماعية تؤدي إلى ظهور نوع من القيم والمعايير غير المكتوبة والتي يلتزم بها أفراد التنظيم يتبعها ظهور قيادات غير رسمية، تعمل هذه الجماعة بنموذج يشبه التنظيم الرسمي، ويأتي هذا التنظيم تلبية لرغبة أفرادها وحاجتهم إليه لإشباع مجموعة من الحاجات منها الرغبة في تكوين صداقات، وتوفير الأمن والحماية من مصادر التهديد الخارجي (الإدارة)⁽²³⁾.

إضافة إلى ذلك فهي تهدف بذلك إلى تكوين ممثل لدى الإدارة للمطالبة بحقوقها لتحقيق مكاسبها وتعمل هذه المجموعة على العمل بقوانينها الخاصة بها

كتحديد حصة مقيدة لكمية العمل أو الإنتاج، كما تسهل من عملية الاتصال من خلال قنوات الاتصال غير الرسمية⁽²⁴⁾.

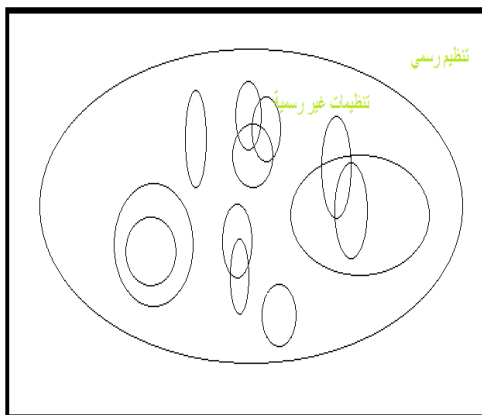
ويعتمد التنظيم غير الرسمي على لغة خاصة ككلمة الواشي، وأدوات تأثير عقابية خاصة منها السخرية والاستهزاء بالأفراد الذين لا يعملون بالقوانين المفروضة ويمكن تصنيف ذلك كما يلي:

جدول يوضح الاختلافات في الخصائص التي تميز التنظيم الرسمي عن غير الرسمي لتسهيل عملية التحليل الاثنوميثودولوجي للتنظيم غير الرسمي باعتباره تنظيمًا له وجوده في أي نوع من أنواع التنظيمات الرسمية كما له تأثيره من خلال ضغطه على الإدارة لتحقيق مطالبه.

الخصائص	التنظيم الرسمي	التنظيم غير الرسمي
طريقة التشكيل	رسمية	غير رسمية
توزيع الأفراد	حسب الهيكل التنظيمي	من مختلف المستويات
طريقة العمل	حسب القانون الداخلي للمؤسسة	قانون خاص (تحديد كمية الإنتاج، ساعات العمل، وقت العمل...)
نوع الاتصال	رسمي (أفقي، عمودي، صاعد، نازل...)	شامل لجميع أفراد المجموعة
لغة الاتصال	لغة الإدارة	لغة مشتركة

معاقبة كل من يخالف قانون المجموعة	احترام	سلوك الموظفين تجاه بعضهم البعض
مواجهة الإدارة، إضراب، تستر على أفراد التنظيم غير الرسمي، غياب، دوران عمل، بث الإشاعات، رفض التغيير.	تنفيذ القرارات	سلوك الموظفين تجاه الإدارة
عقوبات خاصة لفظية (واشي، سخريّة، استهزاء...) طرد من المجموعة.	عقوبات حسب القانون الداخلي للإدارة كالخصم من الراتب	مخالفة القوانين
الانصياع للمطالب خوفا من ضياع المصالح باعتباره تنظيما يهدد الأهداف العامة.	التعامل بروح القانون	ردة فعل الإدارة

المصدر: من اعداد الباحثة



ويوضح الرسم عدد التنظيمات غير الرسمية التي يمكن ان تنشأ داخل التنظيم الرسمي وأن الفرد يمكنه أن ينتمي إلى أكثر من تنظيم غير رسمي داخل التنظيم الرسمي وكل

هذا يعود إلى نوع التنظيم الرسمي وحجمه.

رسم يوضح طريقة توزيع التنظيمات غير الرسمية داخل التنظيم الرسمي

المصدر: من إعداد الباحثة

يعتبر تشكل التنظيم غير الرسمي عملية مقصودة لها أهدافها وقوانينها الخاصة وقيمها ومعاييرها ولغتها الخاصة المفهومة من طرف جميع الأعضاء، مع العلم أن أفراد التنظيم غير الرسمي لهم مركزين احدهما رسمي والآخر غير رسمي.

الخاتمة:

إن هذه الدراسة النظرية كانت نموذج نظري ملخص عن دور اللغة في عملية الاتصال داخل التنظيم الرسمي وغير الرسمي، فأتضح انه هناك اختلاف واضح بين التنظيمين في عملية الاتصال ففي الاتصال الرسمي يمكن أن يكون هناك أفراد لا يمكن للمعلومة أن تصلهم أو أن عملية الاتصال لا تشملهم نظراً لعدة ظروف منها عدم قدرة الإدارة عن تحقيق ذلك أو للغة المستخدمة التي لا يمكن في بعض الأحيان أن يفهمها جميع أفراد التنظيم والعكس في التنظيم غير الرسمي الذي تعتبر فيه عملية الاتصال عملية مهمة يجب أن تشمل جميع أطراف المجموعة من خلال التنظيم المحكم لهذه المجموعة ولأهمية عملية الاتصال في تحقيق أهدافهم ولاستخدامهم للغة خاصة مفهومة مشتركة، وخلاصة القول هي أن للغة دور مهم في العملية الاتصالية.

❖ هوامش البحث:

- (1) مرادسي الجودي: العولمة والهوية الثقافية، إشراف فضيل دليو، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، قسنطينة، الجزائر، 2010، ص 229.
- (2) شعبان فرج: الاتصالات الإدارية، دار أسامة، عمان، الأردن، 2009، ص 137.
- (3) زيد منير عبوي: فن الإدارة بالاتصال، دار دجلة، عمان، الأردن، 2008، ص 41-42.
- (4) خالد محمد أبو الغنم، سالم فالح المعاينة: مدى توافر مهارتي الحديث والإنصات وأثرهما في فاعلية الاتصال الإداري لدى الرؤساء - من وجهة نظر المرؤوسين في مراكز الأجهزة الحكومية في محافظة مادبا - مؤتمر البحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، الأردن، المجلد الرابع والعشرون، العدد الخامس، 2009، ص 262.
- (5) هناء حافظ بدوي: إدارة وتنظيم المؤسسات الاجتماعية في الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الأزايطة، 2000، ص 15.
- (6) نور الدين بلبيبل: الارتقاء باللغة العربية في وسائل الإعلام، مخبر بحث علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ب س، ص 13.
- (7) شعبان فرج: مرجع سبق ذكره، ص 45.
- (8) شعبان فرج: مرجع سبق ذكره، ص 21-22.
- (9) طلعت إبراهيم لطفى: علم اجتماع التنظيم، دار غريب، القاهرة، مصر، 2007، ص 83.
- (10) شعبان فرج: مرجع سبق ذكره، ص 140.
- (11) عبد الرزاق محمد الدليمي: مدخل إلى وسائل الإعلام والاتصال، دار الثقافة، عمان، الأردن، 2011، ص 31.
- (12) زيد منير عبوي: مرجع سبق ذكره، ص 25.
- (13) يوسف مرزوق: فن الكتابة للإذاعة والتلفزيون، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009، ص 24.
- (14) ناصر قاسيمي: الاتصال في المؤسسة - دراسة نظرية وتطبيقية - ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ص 69.

- (15) عبد الباري ذرة، محفوظ جودة: الأساسيات في الإدارة المعاصرة - منحى نظامي - دار وائل، عمان، الأردن، 2011، 231.
- (16) عبد العالي دبله: مدخل إلى التحليل السوسولوجي، منشورات نخب المسالة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، (منشور رقم 2) جامعة محمد خيضر- بسكرة - دار الخلدونية، الجزائر، 2011، ص22.
- (17) عبد المجيد لبصير: موسوعة علم الاجتماع ومفاهيم السياسة والاقتصاد والثقافة العامة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010، 38.
- (18) عبد العالي دبله: مرجع سبق ذكره، ص22.
- (19) عبد المجيد لبصير: مرجع سبق ذكره، ص38.
- (20) شارلوت سيمور شميث: موسوعة علم الإنسان - المفاهيم والمصطلحات الانثربولوجية- ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، القاهرة، مصر، 2008، ص 48.
- (21) محمد خلف عبد الجواد: قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مراجعة محمد الجوهري، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، مصر، 2002، ص62.
- (22) عبد العالي دبله: مرجع سبق ذكره، ص21-22.
- (23) عبد الغفور يونس: نظريات التنظيم و الإدارة، المكتب الحديث، الإسكندرية، 1997، ص104.
- (24) أحمد شاكر عصفور: أصول التنظيم والأساليب، ط 5، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2005، ص 230.

تكنولوجيا المعلومات و دورها في تعزيز رأس المال البشري باعتباره موردا استراتيجيا
لتحقيق الميزة التنافسية

الدكتورة: منية غريب

جامعة الطارف، الجزائر

الملخص:

تتبنى أغلب المنظمات في وقتنا الحالى مبدأ الاهتمام بالبشر كأحد المؤثرات القوية التي تعطيها ميزة تنافسية، خاصةً مع دخول القرن الواحد والعشرين والذي يركز على اقتصاد المعرفة، ويعتبر أن إنتاجية رأس المال البشري هي المحك الرئيس للمحافظة على أي منظمة ناجحة في السوق وأساس أي اقتصاد ناجح في العالم. حيث أصبحت القوة الدافعة لتلك المنظمات هي الأفراد ذوي المعرفة، والذكاء، والمهارات التي تتلاءم مع متطلبات القرن الحالى. كل هذا يحتم ضرورة توافر معلومات كافية، صحيحة ودقيقة عن العنصر البشرى حتى يصبح من الممكن زيادة فاعليته وتطويره مما يكسب المنظمات ميزة تنافسية في السوق.

Abstract :

Most organizations adopt at the present time the principle of interest in human beings as one of the powerful effects that give them a competitive advantage, especially with the entry of the twenty-first century, Especially with the entry of the twenty-first century, which is based on the knowledge economy, and that the productivity of human capital is a key test for the province to any successful organization in the market and the basis of any successful economy in the world.

All this makes it imperative to have adequate, true and accurate information about the human element, so it becomes possible to increase his effectiveness and development, which earns organizations a competitive advantage in the marketplace.

مقدمة:

ازداد دور رأس المال البشري وازداد الاهتمام بهذا العنصر مقارنة برأس المال المادي في ظل اقتصاد المعرفة الذي نعيشه وقتنا الحالي والذي يتحقق النمو فيه بفضل التراكم الكبير في هذا العنصر وتسارع للتطور التكنولوجي.

من هنا تعد تكنولوجيا المعلومات من الأساليب المعاصرة والتي تهدف إلى توفير المعلومات للجهات المستفيدة منها بدقة عالية وبالوقت المناسب وذلك لأهميتها للمنظمات لاسيما لمنظمات الأعمال إذ أن التعقيد البيئي والمنافسة الحادة والتغير السريع في كل المجالات دفع هذه المنظمات للعمل على رفع مستوى كفاءة وفاعلية أدائها من اجل تحقيق أهدافها في المنافسة والبقاء.

و من خلال تزايد التأثير الملحوظ لتكنولوجيا المعلومات في تعزيز رأس المال البشري واتجاه المنظمات إلى تنمية رأس مالها البشري، ارتأينا التطرق في موضوعنا إلى أهمية تكنولوجيا المعلومات و دورها في تعزيز رأس المال البشري بغرض تحقيق ميزة تنافسية للمنظمة. و ذلك عبر التعرض للمحاور التالية:

المحور 1 : ماهية تكنولوجيا المعلومات.

المحور 2: الإطار النظري لرأس المال البشري كمورد استراتيجي للمنظمات الحديثة.

المحور 3: دور تكنولوجيا المعلومات في تعزيز رأس المال البشري.

المحور 4: تحقيق الميزة التنافسية من خلال رأس المال البشري.

المحور 1- ماهية تكنولوجيا المعلومات:

و سنتناول في هذا المحور مجموعة من التعريفات التي أعطيت لتكنولوجيا المعلومات، ثم التطرق لأهم خصائصها و مميزاتها و التي كانت أهم أسباب تطورها و انتشارها، ثم نتطرق في الأخير إلى أهم أقسام تكنولوجيا المعلومات و الأجهزة المستخدمة في هذا المجال.

1. مفهوم تكنولوجيا المعلومات:

تعتبر التكنولوجيا قديمة ومعاصرة، وأساس المستقبل لأنها عبارة عن مزيج من المعرفة والآلة، وفيها يتم تحويل الفكرة إلى آلة تساعد الإنسان في الحياة، ثم تتطور حاجات الإنسان مما يتطلب تطوير الآلة وتطوير الاستخدام.

كما سبق يمكن تعريف تكنولوجيا المعلومات بما يلي:

التعريف الأول: "تكنولوجيا المعلومات هي استعمال التكنولوجيا الحديثة للقيام بالتقاط و معالجة، و تخزين واسترجاع و إيصال المعلومات سواء في شكل معطيات رقمية، نص، صوت أو صورة"⁽¹⁾.

التعريف الثاني: هي كل ما استخدمه الإنسان في معالجة المعلومات من أدوات وأجهزة ومعدات.

وتشمل المعالجة والتسجيل والاستنتاج والربط والتنظيم والاسترجاع⁽²⁾.

التعريف الثالث: هي تطبيقات المعرفة العلمية والتقنية في معالجة المعلومات من حيث الإنتاج

والصياغة والاسترجاع بالطرق الآلية⁽³⁾.

التعريف الرابع: هي جميع أنواع التكنولوجيا المستخدمة تشغيل، نقل و تخزين المعلومات في شكل الكتروني، وتشمل تكنولوجيا الحاسبات الآلية و وسائل الاتصال و شبكات الربط وأجهزة الفاكس و غيرها من المعدات التي تستخدم بشدة في الاتصالات⁽⁴⁾.

من خلال التعريفات السابقة نستنتج عنصرين هامين هما:

أ- أن تكنولوجيا المعلومات هي فرع من فروع التكنولوجيا و التي تعنى بمعالجة المعلومات.

ب- التركيز على عمليات الاستقطاب، التخزين و المعالجة و عملية البث.

و منه يمكن القول أن تكنولوجيا المعلومات تولدت نتيجة التقارب بين تكنولوجيا المعلومات و تكنولوجيا الاتصال بغرض جمع، تخزين، معالجة و بث المعلومات في عدة أشكال.

2. خصائص تكنولوجيا المعلومات:

لقد تميزت تكنولوجيا المعلومات عن غيرها من التكنولوجيات الأخرى بمجموعة من الخصائص، تتمثل أهمها فيما يلي:

- تقليص الوقت: فالتكنولوجيا تسمح بتسهيل الأعمال و اختصار الوقت.
- تقليص المكان: و ذلك عبر اختصار المسافات و تقليص أماكن تخزين المعلومات.
- اقتسام المهام الفكرية مع الآلة: نتيجة حدوث التفاعل بين العامل و النظام.
- قلة التكلفة و السرعة التطور: و هي أحد أهم مميزات تكنولوجيا المعلومات.
- الذكاء الاصطناعي: أهم ما يميز تكنولوجيا المعلومات هو تطوير المعرفة و تقوية فرص تدريب المستخدمين من أجل الشمولية و التحكم في عملية الانتاج.
- تدريب شبكات الاتصال: تتوحد مجموعة التجهيزات المستندة على تكنولوجيا المعلومات من أجل تشكيل شبكات الاتصال، وهذا ما يزيد من تدفق المعلومات بين المستخدمين.

3. أقسام تكنولوجيا المعلومات:

يمكن تصنيف تكنولوجيا المعلومات في الأقسام الآتية:

- تقنيات تجهيز المعلومات واختزانها في أشكالها.
- تقنيات إنتاج أوعية المعلومات على اختلاف أشكالها.
- تقنيات الاتصالات وتراسل البيانات.
- تقنيات إنتاج المعطيات أو المعلومات نفسها.

كل الأقسام السابقة تعتمد في آدائها على مجموعة من الأجهزة سنتطرق لأهمها في العنصر الموالي⁽⁵⁾.

4. أجهزة تكنولوجيا المعلومات:

من أبرز أجهزة تكنولوجيا المعلومات لدينا ما يلي:

أ. الحاسبات الالكترونية أو ما يعرف بالتقنيات الرقمية:

وهي الأساس في تقنيات المعلومات المعاصرة، فهي تستخدم لأغراض إنتاج أوعية المعلومات في المجالات الآتية:

-إعداد النصوص للطباعة.

-النشر الالكتروني.

- CD – ROM. إنتاج الاسطوانات

-إنتاج الاسطوانات البصرية.

-أغراض التجهيز والتخزين والاسترجاع.

-دعم مقومات الاتصالات الالكترونية بعيدة المدى.

ب. شبكة الإنترنت العالمية:

حيث أنها شبكة معلومات تتكون من عدد هائل الحواسيب مختلفة الأنواع والأحجام والمنتشرة في العالم، بدءاً من الحواسيب الشخصية وإنتهاءً بالحواسيب العملاقة، ويتم الربط بينها من خلال بروتوكول التحكم بالإرسال و بروتوكول الإنترنت مما ينتج عنه قاعدة بيانات ضخمة لخدمة المستخدم.

وتتبع لشبكة الإنترنت الخدمات الآتية:

- خدمة البريد الإلكتروني: وهي الخدمة التي تشرف على إرسال واستقبال الرسائل من حاسب إلى آخر داخل شبكة الإنترنت، وبعد التأكد من وصول البريد إلى العنوان السليم، وتعد هذه الخدمة من أول الخدمات التي تم تطويرها على شبكة الإنترنت، كما تعد من أهم الخدمات المرتبطة بالاتصال الشخصي، وأبرز العمليات على العمليات حيث يشترك عشرات الملايين من الأشخاص في هذه الخدمة ويتبادلون البريد مع بعضهم إذا كان لأي شخص عنوان بريدي معين على الشبكة.
- خدمة بروتوكول نقل الملفات: وهذه الخدمة تسمح بنقل الملفات من حاسب إلى آخر بحيث تكون في حاسوب بعيد إلى الحاسب الشخصي للمستخدم.
- خدمة تلمن و تسمح بالدخول إلى حاسوب موصول بالشبكة من خلال حاسب وكلمة مرور، من أجل التعامل مع البيانات والمعلومات المخزنة فيه والاستفادة منها، ومن أبرز مقدم هذه الخدمة كل من الهيئات التجارية والجامعات والمكتبات ومراكز البحث العلمي.

المحور 2- الإطار النظري لرأس المال البشري كمورد استراتيجي للمنظمات الحديثة

1. مفهوم رأس المال البشري وأهميته الاقتصادية:

ابتداءً نشير إلى وجود عدد من المفاهيم لرأس المال البشري والتي تطرق إليها الاقتصاديون، فقد عرفه فانسترالين (Vanstraline) بأنه: "حاصل جمع خبرة المعرفة مع إنتاجية الفرد مضافا إليهما الابتكار الفردي والذكاء الشعوري"، أما الاقتصادي ألبر (Albert) فقد عرف رأس المال البشري بأنه: "المعرفة والمهارات والقدرات والطاقات المملوكة من قبل الأفراد، أما العنزي فقد عرفه بأنه: "يتمثل بجميع الموارد البشرية ذات الإمكانيات المتميزة على شغل الوظائف، ولديها القدرة على الإبداع والابتكار والتفوق، وتشتمل على معرفة قدرة العاملين المتطورة وخبرتهم المتراكمة في التجارب الحياتية والعملية، ومهاراتهم التقنية والفنية"⁽⁶⁾.

وهناك عدد آخر من المفاهيم والتعريفات لرأس المال البشري نكتفي بما ورد أعلاه، وفي ضوء هذه التعاريف والمفاهيم يمكن صياغة تعريف شامل لرأس المال البشري بأنه: (مجموع الأفراد العاملين الذين يمتلكون معارف ومهارات وخبرات وقدرات نادرة وذات قيمة عالية، ولديها الإمكانية والقابلية لتحقيق زيادة في ثروتها المادية والاقتصادية).

أما من حيث الأهمية الاقتصادية لرأس المال البشري فهو يشكل حجر الزاوية في المجتمعات المتقدمة، فهو الركيزة الأساس التي يبنى عليها تطور المجتمع ككل، فوجود رأس المال البشري الذي يمكن استثماره يعد أهم متغيرات التطور الاقتصادي في المجتمع بشكل عام، كما يمثل رأس المال البشري موردا استراتيجيا في العملية الإنتاجية فهو المورد الذي يصعب نسخه أو تقليده كالمهارات والموهبة والخبرة والحافز، وهذا الوصف يمكن أن تتفق عليه الآراء، إذ من السهل في هذا العصر أن تقوم المؤسسات بنسخ وتقليد برامج العمل والآلات والتقنية المستخدمة في الإنتاج في أي مؤسسة أو بلد باستثناء العنصر البشري الذي هو العنصر الوحيد غير القابل للنسخ والتقليد، فهو مورد الإبداع والتجديد الاستراتيجي.

2. رأس المال البشري مقابل رأس المال المادي:

يتناول مفهوم رأس المال البشري القوى العاملة من وجهة نظر الناتج الخدي للفرد أو للمجتمع نتيجة الاستثمار في العلم والتدريب وما شابهه، أي أن رأس المال البشري يرتبط بالربحية.

والعلاقة بين رأس المال البشري ورأس المال المادي تعتمد على الخصائص والمميزات التي يتصف بها كل منهم، إضافة إلى الطبيعة المختلفة التي يتمتع بها كلاهما، ويمكن أن نميز بينهما على وفق ذلك بالنقاط الآتية:

أ- العمر الإنتاجي: يعد العمر الإنتاجي لرأس المال البشري أطول منه في رأس المال المادي، فالإنسان بعد إكمال تعليمه وتدريبه يمكن أن يستمر في ممارسة النشاط الاقتصادي لسنوات طويلة، تفوق تلك السنوات التي يمكن أن تستخدم فيها الآلة، وهذا معناه أن تكلفة الاستثمار البشري وان كانت في المنظور القصير أكبر من تكلفة رأس المال المادي، إلا أن الحال ينعكس في المنظور البعيد نظراً لطول العمل الإنتاجي لرأس المال البشري، بحيث تتوزع تكلفته على سنوات عديدة وهذا ما يؤكد ضرورة اخذ العمر الإنتاجي للاستثمار البشري بالاعتبار عند تقدير تكاليفه.

ب- ومن وحيث مدة العائد: حيث يلاحظ أن المدة اللازمة للاستثمار البشري أطول منها للاستثمار المادي، إذ أن أي استثمار لا يظهر نتائجه إلا بعد مرور مدة زمنية تسمى بمدة التفريخ، إذ تطرح في نهاية هذه المدة السلعة الجديدة في الأسواق (رأس المال المادي)، أو يدخل الخريجون والعمالة المؤهلة في سوق العمل (رأس المال البشري)، وقد تطول هذه المدة أو تقصر بحسب نوع الاستثمار، ولا شك أن خلق عاملاً متعلماً أو متدرباً يستغرق وقتاً أطول من خلق وإيجاد سلعة جديدة في الغالب.

ج- المخاطرة: إن رأس المال البشري أكثر تعرضاً للمخاطرة من رأس المال المادي، وهذا يعود إلى إمكانية تصرف صاحب رأس المال المادي لما يملك بالبيع على وفق ظروف السوق، في حين أنه ليس بإمكان صاحب رأس المال البشري فعل

ذلك.

د - إن الاستثمار في رأس المال المادي يحتاج إلى آلات ومعدات لكي يستخدمها في عملية الإنتاج، والأمر ينطبق على الاستثمار في رأس المال البشري، فهو يحتاج إلى افراد يتولون عملية تعليم الجيل الجديد من الأفراد وتدريبهم وهذا يتطلب وجود جيل سابق متعلم، والأمر يبدو أصعب بالنسبة إلى رأس المال البشري؛ لأنه بالإمكان عند الاستثمار في رأس المال المادي استيراد الآلات والمعدات، ولكن من الصعوبة بمكان استيراد المعلمين والمدرسين والمدرسين القائمين على التعليم لتأهيل الأفراد الجدد.

هـ- إن رأس المال البشري أقل عرضة لظاهرة التقادم الفني بالمقارنة مع رأس المال المادي، فالتقادم الفني يخلق باستمرار مهارات وخبرات جديدة لم تكن متاحة من قبل، إذ من الممكن أن يكون الفرد الجديد في تعليمه وتدريبه أكثر كفاءة من الفرد الذي تلقى تعليمه وتدريبه في أوقات سابقة، إذ إن هذا الفرد يكتسب من ممارسته للعمل خبرة تعوضه ولو جزئياً عن المهارات المفقودة، كما ويكون أكثر استيعاباً للمهارات الجديدة ، إضافة إلى أن التعليم الحديث لا يلغي التعليم القديم بل يضيف إليه ما تم اكتشافه، لذا فإن وحدات رأس المال البشري القديمة لا تتعرض للتقادم بالسرعة نفسها التي يتعرض لها رأس المال المادي، لكن من حيث الديمومة نجد أن رأس المال المادي أطول عمراً من مالكيه أحياناً، في حين يُفقد رأس المال البشري متى ما فقد الفرد حياته.

وبعد استعراض صفات ومميزات كل من رأس المال البشري ورأس المال المادي ينبغي إيضاح ضرورة إيجاد نوع من التوازن بينهما، ولا سيما ان التطور والتوسع في مسارات النمو الاقتصادي سواء للبلاد المتقدمة أم النامية قد أثبتت حاجتها إلى كليهما في آن واحد في عملية التنمية الاقتصادية، إذ يوجد ارتباط واضح بين هذين الأساسين؛ لأنهما يشكلان وحدة متكاملة لدفع وتيرة التنمية إلى الأمام، وهنا ينبغي إيجاد علاقة متوازنة بينهما، فبالنسبة للبلاد المتقدمة يلاحظ وجود هذه العلاقة المتوازنة بينهما بسبب التطور التاريخي لقوى الإنتاج والمرور

بمراحل التطور، إذ أنها تمكنت من خلق كوادر مناسبة من حيث المهارة والمعرفة والتأهيل.

أما البلاد النامية فهي تعاني مشكلة عدم التوازن بين رأس المال المادي ورأس المال البشري، إذ نلاحظ عدم توفر الكوادر الفنية المؤهلة وعدم المرور بمراحل التطور التي مرت بها البلاد المتقدمة، لذا برزت أهمية الاستثمار في رأس المال البشري بطرقه المعروفة، مع ضرورة ربطها بمتطلبات عملية التنمية الاقتصادية لأن النقص في الأعمال المؤهلة وعلى كافة المستويات يقف عقبة أمام تحقيق وتيرة نمو عالية، لذا فإن قضية الاستثمار في رأس المال البشري صارت من أهم القضايا، لكونها تعد العملية الضرورية لتحريك وصقل الكفاءات البشرية، كما وان الاستثمار هذا سيعجل في ردم الهوة بين رأس المال المادي والبشري وتحقيق نوعاً من التوازن بينهما في هذه البلاد، وعلى هذا الأساس يصير الاستثمار في رأس المال البشري ضرورة تتطلب جهوداً كبيرة يجب أن تتبناها الأنظمة السياسية القائمة في هذه البلاد.

المحور 3- دور تكنولوجيا المعلومات في تعزيز رأس المال البشري:

لقد أصبحت التنمية البشرية و عملية تطوير وتعزيز رأس المال البشري تحظى بأهمية كبيرة في وقتنا الحالي خاصة مع زيادة المنافسة الشرسة التي يعرفها قطاع الأعمال، لذا فإنه من بين أهم السبل لأي تنظيم للنجاح و البقاء هو العمل على تطوير كفاءاته البشرية المتاحة و الكامنة.

و في هذا المجال ساهمت تكنولوجيا المعلومات مساهمة فعالة، حتى أصبحت تدرج ضمن المؤشرات الفاعلة في عملية تطوير رأس المال البشري و الارتقاء به إلى أعلى المستويات.

و في هذا الإطار تعد عملية التدريب من بين أهم السبل لرفع و تنمية قدرات الأفراد و تعزيز رأس المال البشري للمنظمات، حيث ساهمت تكنولوجيا المعلومات في هذا المجال مساهمة عظيمة.

من هنا سنقوم بالتطرق في ما يلي للآثار الإيجابية التي أحدثتها تكنولوجيا المعلومات في هذا المجال، وهذا من خلال مراحل ثلاث هي:

1. مرحلة التخطيط و الإعداد للعملية التدريبية:

حيث ساهمت نظم المعلومات الحديثة في تفعيل و ترشيد عملية التخطيط للعملية التدريبية، و ذلك بتوفيرها لمعلومات حديثة و في الوقت الحقيقي للمشرفين على هذه العملية و ذلك فيما يخص⁽⁷⁾:

أ- قياس الاحتياجات:

و ذلك بتوفير معلومات عن:

- ✓ الأهداف والتوجيهات و السياسات المتبعة، و تحليل عناصر القوة و مواطن الضعف.
- ✓ معرفة عناصر التحليل الإستراتيجي بصورة يمكن من خلالها تحديد عناصر القوة ومواجهة مواطن الضعف عن طريق التدريب بما يستجيب للتوجهات الحديثة.
- ✓ تحديد أهم التغيرات الخارجية، و معرفة الفرص و المخاطر التي قد تواجه المنظمات، بما يسمح بتحديد الاحتياجات الجديدة للمنظمة.
- ✓ تتبع إجراءات العمليات المختلفة، و تحديد نقاط الانسداد و مسبباتها.

ب- التخطيط:

و تؤدي هنا كذلك تكنولوجيا المعلومات دورا حيويا و ذلك من خلال:

- تتيح شبكة الإنترنت للمديرين و المسؤولين عن عملية التدريب معرفة برامج و خطط العمل لكافات الإدارات، و بهذا يمكن وضع خطط واقعية لتنفيذ هذه البرامج.
- تتيح بعض البرامج وضع خطط مسبقة للعملية التدريبية أو المساعدة في ذلك، مثل البرامج الإحصائية و بعض الأنظمة الخبيرة.

- تتيح إمكانات الوسيط الذكي القدرة على التخطيط الديناميكي للبرامج التدريبية بصورة مناسبة مع الواقع الحقيقي.

ج- تحديد أسلوب و متطلبات التنفيذ:

حيث تتيح الانترنت إمكانية التعرف على البرامج التدريبية المتاحة على مستوى العالم، و خطط تنفيذ هذه البرامج و أساليب تنفيذها و تكلفتها، بحيث يتمكن المسئول من تحديد الأسلوب الأمثل للتنفيذ، و متطلبات تنفيذ هذه البرامج.

د- إعداد المحتوى:

إن إعداد محتوى العملية التدريبية يعد أمر غاية في الأهمية، لذا ينبغي وضع البرامج التدريبية و موادها التعليمية بعناية شديدة بحيث تناسب الهدف من العملية، و كذلك مستوى الأفراد المكونين، و قد ساعدت تكنولوجيا المعلومات على ذلك من خلال:

✓ إثراء و إعداد المحتوى، و ذلك بالاستفادة من النماذج المتاحة على الشبكة فهناك الآن العديد من البرامج المعلوماتية التي تسمح بإثراء العملية التدريبية.

✓ إن الغرض من تصميم هذه البرامج هو توفير محتوى علمي أكاديمي يعمل على تنمية قدرات الأفراد العاملين القيادية و عملية اتخاذ القرار... الخ.

✓ كما تتيح شبكات المعلومات كل المحتويات السابقة، و فكر المنظمة المكتسب خلال فترة عمل الشبكة، و كذا فكر عناصر الخبرة و مؤهلاتهم بما يحقق سرعة بناء المحتوى.

2. مرحلة تنفيذ العملية التدريبية:

ساعدت تكنولوجيا المعلومات بطريقة فعالة في تنفيذ البرامج التدريبية، حيث أتاحت طرق تختلف تماما عن الطرق التقليدية، حيث أوجدت هذه الأخيرة

أنماط جديدة و سهلة في ممارسة العملية التدريبية في كافة مراحلها و ذلك وفق ما يلي:

أ- التدريب عن بعد:التدريب عن بعد طريقة اكتساب المعرفة من خلال الآخرين، فالتدريب عن البعد ليس له حدود معينة أو وسيلة واحدة، فأى حصة تلفزيونية أو شريط فيديو أو برنامج معلوماتي يمكن أن يعد برنامج تدريب عن بعد⁽⁸⁾.

إن الدور المهم للتدريب عن بعد هو تسهيل و تبسيط العملية التدريبية، فالיום و عن طريق الشبكة أصبح بمقدور أي شخص تطوير كفاءاته بمختلف أنواعها، دون الحاجة إلى التواجد المكاني، حيث توجد على الشبكة تنظيمات افتراضية تعمل على مد الأفراد المشتركين فيها بالمحاضرات و الدروس القيمة حول المجال المطلوب، كما يمكن تعميم هذه البرامج التدريبية داخل التنظيم عن طريق الشبكة الداخلية حتى يستفيد منها عدد كبير من الأفراد، كما أن من أهم مميزات التدريب عن بعد بالاعتماد على الشبكة الداخلية هو طابعه التفاعلي الذي يعادل في تأثيره الواقع الحقيقي.

ب- التدريب المنزلي:حيث سمحت تكنولوجيا المعلومات من خلال استخدام الوسائط المتعددة إمكانية تنمية المهارات بالاعتماد على النفس و دون الحاجة للاتصال بالشبكة المعلوماتية.

ج- التدريب المستمر: لقد جعلت تكنولوجيا المعلومات من العملية التدريبية هوية، يستطيع أي فرد ممارستها دون انقطاع طول فترة حياته، و هو أمر مطلوب خاصة مع ما يتميز به وقتنا الحالي من سرعة تحولات و تغيرات في طرق و أنماط العمل.

د- التدريب أثناء العمل: النمط المعروف سابقا هو انقطاع العامل عن عمله و توجيهه لمتابعة برنامجه التدريبي، لكن مع تكنولوجيا المعلومات أصبح من الممكن القيام بالعملية التدريبية أثناء وقت العمل و دون انقطاع.

هـ- التدريب وفق المستوى: حيث تتيح تكنولوجيا المعلومات إمكانية تقديم برامج تدريبية بأكثر من مستوى من الأيسر إلى المتقدم، وذلك تبعاً لطبيعة و قدرات المتلقي.

3. مرحلة التقييم:

لقد ساهمت تكنولوجيا المعلومات في إثراء و تسريع مرحلة تقييم العملية التدريبية حيث يمكن أن نلمس ذلك بشكل جلي من خلال النقاط الثلاث الموالية:

✓ تتيح تكنولوجيا المعلومات إمكانية التقييم المستمر لكفاءة العملية التدريبية من خلال التفاعل بين المستخدم و البرنامج التدريبي بصورة كاملة يمكن من خلالها تحديد نقاط القوة والضعف.

✓ تتيح برامج التدريب الذكية إمكانية تتبع المتدرب في جميع حالات التدريب، حيث يقوم البرنامج الذكي بتجميع و توفير جميع المعلومات أثناء العملية التدريبية و ليس فقط أثناء مرحلة التقييم.

✓ تتيح شبكات العمل الداخلية أو الإنترنت استخدام أساليب تدفق العمل، الأمر الذي يسمح بقياس تدفق العمل قبل العملية التدريبية و بعدها و ذلك لمعرفة القيمة الفعلية للعملية و ليس النظرية فقط.

المحور 4- تحقيق الميزة التنافسية من خلال رأس المال البشري

يمكن لمنظمات الأعمال تحقيق الميزة التنافسية من خلال الاستغلال الأفضل للإمكانيات والموارد الفنية والمادية والمالية والتنظيمية المتاحة أي المتعلقة بالجانب المادي ، بالإضافة إلى القدرات والكفاءات والمعرفة وغيرها من الإمكانيات المتعلقة بالجانب البشري التي تتمتع بها المنظمة، والتي تمكنها من تصميم وتطبيق استراتيجياتها التنافسية.

1. مفهوم الميزة التنافسية:

هناك عدة تعريفات تناولت مفهوم الميزة التنافسية نذكر من بينها:

■ التعريف الأول: " هي قدرة المنظمة على صياغة وتطبيق الاستراتيجيات التي تجعلها في مركز أفضل بالنسبة للمنظمات الأخرى العاملة في نفس النشاط⁽⁹⁾ .

يشير التعريف الأول إلى أن الميزة التنافسية تنحصر في قدرة المنظمة على صياغة وتطبيق الاستراتيجيات التي تمكنها من الحصول على مركز تنافسي أفضل مقارنة بمنافسيها المباشرين.

■ التعريف الثاني: "تعرف الميزة التنافسية على أنها الميزة أو عنصر تفوق للمنظمة يتم تحقيقها في حالة إتباعها لإستراتيجية معينة للتنافس"⁽¹⁰⁾ .

يركز التعريف الثاني على مصدر من مصادر الميزة التنافسية والمتمثلة في إستراتيجية التنافس التي تتبعها المنظمة.

و من هنا يمكن القول أن الميزة التنافسية هي المجال التي تتمتع فيه المنظمة بقدرة أعلى من منافسيها في استغلال الفرص الخارجية أو الحد من أثر التهديدات، وتنبع الميزة التنافسية من قدرة المنظمة على استغلال مواردها المادية أو البشرية أو الفكرية، فقد تتعلق بالجودة أو بالتكنولوجيا أو القدرة على تخفيض التكلفة أو الكفاءة التسويقية.

2. الأنواع الرئيسية للمزايا التنافسية:

هناك ثلاث أنواع رئيسية للمزايا التنافسية، ميزة التكلفة الأقل، ميزة تميز المنتج، ميزة اختصار الوقت. وستطرق إلى كل ميزة على حدى فيما يلي:

■ ميزة التكلفة الأقل: نقصد بها قدرة المنظمة على تصميم، تصنيع وتسويق منتجات بأقل تكلفة ممكنة مقارنة مع منافسيها مما يمكنها من تحقيق أرباح كبيرة، فالتكلفة المنخفضة تهيئ فرص البيع بأسعار تنافسية.

■ ميزة تميز المنتجات (الجودة): هو أن تتمكن المنظمة من تقديم منتجات أو خدمات متميزة وفريدة من نوعها تلقى رضا المستهلك (جودة

عالية، خدمات ما بعد البيع..) لذلك يصبح من الضروري على المنظمة فهم وتحليل مصادر التميز من خلال أنشطة حلقة القيمة واستغلال الكفاءات والمهارات والتقنيات التكنولوجية العالية وانتهاج طرق توسع فعالة وسياسات ترويجية للأسعار تمكننا من زيادة الحصة السوقية للمنظمة⁽¹¹⁾.

▪ ميزة اختصار الوقت: هي تحقيق ميزة تنافسية على أساس تخفيض عنصر الزمن لصالح الزبون وذلك من خلال عدة عناصر أهمها:

- ✓ تخفيض زمن تقديم المنتجات الجديدة إلى الأسواق.
- ✓ تخفيض زمن دورة التصنيع المنتجات وبالتالي تخفيض كل من تكاليف التخزين وتكاليف الإنتاج.
- ✓ تخفيض مدة تسليم الطلبات للزبون.
- ✓ تخفيض زمن التحويل أو تغير العمليات الإنتاجية (مرونة التصنيع).
- ✓ الالتزام بمجداول زمنية محددة في التعامل مع الزبائن.

3. مصادر الميزة التنافسية:

يمكن القول بأنه هناك مصدرية اثنين للميزة التنافسية، هما المهارات و الموارد المتميزة، هذه المصادر تستخدم لتحقيق التميز في المنتجات و تخفيض التكلفة، و سواء تعلق الأمر بالمهارات أو الموارد، فإن أهم المصادر الميزة التنافسية تتلخص فيما يلي⁽¹²⁾:

▪ التكنولوجيا : أكدت التجارب الحديثة أن التكنولوجيا عامل قوي من عوامل تغيير القدرات التنافسية للمؤسسة، لأنها تشمل كل التطبيقات العملية للنظريات العلمية و الخبرات المكتسبة لتطوير عمليات الإنتاج، و هذا ما جعل منها مصدرا متجددا للميزة التنافسية.

■ المعرفة: إن المؤسسات الناجحة هي التي تهتم بالتجميع المنظم للمعرفة من المصادر المختلفة، وتحللها وتفسرها لاستنتاج مختلف المؤثرات التي تستخدم في توجيه وإثراء العمليات الإنتاجية، وتحقيق التحسن في الأداء والارتقاء إلى المستويات أعلى من الإنجاز، لتحقيق في الأخير التميز على المنافسين.

و من هنا أصبحت المعرفة مصدرا أساسيا من مصادر الميزة التنافسية، وهي تتمثل فيما يطلق عليه الآن رأس المال الفكري، الذي يشمل مختلف المنتجات الفكر الإنساني من تقنيات، نظريات، مفاهيم وغيرها من الأشكال.

■ الجودة: وهي تشير إلى قدرة المنتج أو الخدمة على تلبية حاجات العميل، لهذا فإن ضمان بقاء.

المؤسسة في السوق، مرتبط بتنوع منتجاتها وخدماتها بطرق تجعل العملاء أكثر تطلعا إليها.

■ الموارد البشرية: تعتبر الموارد البشرية المصدر الحقيقي لتكوين الميزة التنافسية للمؤسسة و تعزيزها لأن تحقيق التميز في أداء المؤسسة لن يستند على مجرد امتلاكها الموارد الطبيعية أو المالية أو التكنولوجية فحسب، بل يستند في المقام الأول على توفير نوعيات خاصة من الموارد البشرية التي تمتلك القدرة على تعظيم الاستفادة من تلك الموارد.

لهذا نجد أن الأفراد هم العنصر التنظيمي الوحيد القادر على استيعاب المفاهيم و الأفكار لجديدة التي تساعد على استغلال الميراث، و مواجهة التحديات التي تفرضها الظروف التنافسية.

■ الموارد المالية: تعتبر الموارد المالية مهمة جدا بالنسبة للمؤسسة، حيث تمكنها من تعميق أنشطتها و توسيعها على نطاق أكبر، و ذلك من خلال الاعتماد على استثمارات فعالة تعمل على تحقيق الأهداف المالية و التنافسية للمؤسسة.

4- رأس المال البشري كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية:

تتجلى أهمية إعادة الاعتبار لرأس المال الفكري في كونه أصبح دعامة تطور لمنظمات الأعمال و نماءها و نجاحها، فكلما زادت معدلات المعرفة لدى الموظفين زادت قدراتهم العقلية و الإبداعية، و هو ما يشكل ميزة تنافسية، بعد ما تبين تفوق العنصر غير الملموس لقيمة التكنولوجيا المتقدمة على القيم الحقيقية للموجودات الحسية كالأبنية و المعدات، فالموجودات الحسية لشركة مثل مايكروسوفت جزء صغير جدا من تمويل السوق الخاص بها، و الفرق هو في رأسمالها الفكري⁽¹³⁾.

إن اعتماد مدخل إدارة رأس المال الفكري لبناء و تحقيق الميزة التنافسية للمنظمة و الحفاظ عليها، يقتضي التعامل مع ثلاث معطيات أساسية و هي: تطبيق إستراتيجية المنظمة، التعامل مع التغيير بإيجابية و بناء التوحد الاستراتيجي للمنظمة.

أ- دور إدارة رأس المال الفكري في إعداد و تطبيق إستراتيجية المنظمة:

ترتبط الإستراتيجية بوضع رسالة المنظمة و أهدافها الأساسية في إطار الظروف البيئية و إمكانيات تلك المنظمة، و تتعامل الإستراتيجية مع المستقبل و توفر للمنظمة الإجابة عن عدد من التساؤلات من أهمها:

- ما هي الفرص المتاحة للمنظمة في الوقت الحالي و مستقبلا؟
- ما هي التهديدات التي تواجهها المنظمة من المنافسين، المنظمات القانونية، التغيير التكنولوجي، التغيير في تفضيل العملاء؟
- ما هي نقاط قوة الإمكانيات الداخلية و كيف يمكن استغلالها في تنمية الميزة التنافسية؟
- ما هي نقاط الضعف و كيف يمكن التغلب عليها؟

و الشيء المؤكد أن المنظمة التي تملك رؤية إستراتيجية واضحة، تستطيع أن تحقق ميزة تنافسية على غيرها من المنظمات التي تفتقر إلى مثل هذه الرؤية.

ب- إدارة رأس المال الفكري والقدرة على إدارة التغيير :

تحم البيئة (الخارجية والداخلية معا) ضرورة قيام المنظمة بتدعيم قدرتها على إدارة التغيير بالإيجابية، و يمكن أن يتحقق لها ذلك من خلال تحديد الأهمية النسبية للابتكارات لديها، أو لحساب قيمة الأصول الفكرية للمنظمة، فالمنظمات التي تحرص على زيادة قابليتها للتكيف مع الضغوط والمتغيرات البيئية يجب أن تدرك تمام الإدراك اختلاف قيمة الأصول الفكرية، فبعض الأصول تحتاج لتنميتها والاستثمار فيها، وبعضها يحتاج لوقف الاستثمار فيه، أما البعض الأخرى فقد لا يكون ذو قيمة على الإطلاق.

ج- إدارة رأس المال الفكري وبناء التوحد الاستراتيجي للمنظمة:

يشير مفهوم التوحد الاستراتيجي إلى درجة مشاركة أفراد المنظمة سواء كانوا داخل المنظمة (العاملين) أو خارجها (العملاء، أصحاب الأسهم.... وغيرهم) في مجموعة القيم والافتراضات الأساسية المتعلقة بتلك المنظمة. و يعد خلق الالتزام لدى العاملين نحو خدمة العملاء أحد المهام الأساسية لإدارة رأس المال الفكري، وذلك من خلال الاهتمام برأس مال العلاقات الذي يعكس العلاقات التي تربط المنظمة بعملائها.

الخاتمة :

إن تنمية رأس المال البشري تهيمن عليها في وقتنا الحالي تأثيرات تكنولوجيا المعلومات. والأمر منوط بالمنظمات الآن لكي تخلق البيئة الممكنة لتنمية إمكاناتها البشرية من أجل العمالة ونوعية العمل باستعمال أدوات ومهارات تكنولوجيا المعلومات.

حيث أنه و مع تزايد دور تكنولوجيا المعلومات في عملية الإنتاج، حتى في القطاعات التقليدية، فإن عدم التمكن من تنمية مقدرات الموارد البشرية التكنولوجية سيكون من التحديات التي تواجه منظمات الاعمال الحديثة.

لذلك يتعين على أصحاب المصلحة في مجال تنمية رأس المال البشري أن يدركوا أن تكنولوجيا المعلومات هي دعامة النمو الحقيقية لاستحداث الثروة الوطنية والعمالة ذات الجودة. وعلى صعيد آخر هنالك، ضرورة لترشيد سبل تنمية الموارد البشرية عبر تزويدها بمجموعات من المهارات تبعاً لمعايير قياسية تراعي الاتجاهات الدولية ومطالب السوق الداخلية والعالمية.

ولا يمكن تحقيق ذلك ما لم توضع خطة استراتيجية لتنمية رأس المال البشري ترمي إلى زيادة توفر القوى العاملة الماهرة والمحترفة في مجال تكنولوجيا المعلومات، خاصة مع تزايد الطلب على الأفراد المحترفين من أصحاب المهارة في هذا الميدان.

❖ هوامش البحث

- (1) Roger carter, **Information technologie**, MADE simple books, with out place, London, 1991, P 08.
- (2) شوقي سالم، صناعة المعلومات، دراسة لمظاهر تكنولوجيا المعلومات المتطورة وآثارها على المنطقة العربية، الكويت، شركة المكتبات الكويتية، 1990، ص 08.
- (3) حشمت قاسم، مدخل لدراسة المكتبات وعلم المعلومات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1990، ص 59.
- (4) جميلة بدريسي، تكنولوجيا المعلومات و أثرها على الشغل، معهد العلوم الاقتصادية، الجزائر، 1994، ص 5.
- (5) شريف كامل شاهين، مصادر المعلومات الالكترونية في المكتبات ومراكز المعلومات، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2000، ص 15.
- (6) سعد علي حمود العنزي، فلسفة تحليل كلفة رأس المال البشري واستثماره، كلية الإدارة والاقتصاد، منشورات جامعة بغداد، العراق، 2006، ص 1.
- (7) رأفت رضوان، عالم التجارة الإلكترونية، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 1990، ص ص 351، 352.
- (8) Jean Lochard, **Distance éducation**, Paris, France, 1995, P15.
- (9) مصطفى محمود أبو بكر، الموارد البشرية مدخل لتحقيق الميزة التنافسية، الدار الجامعية، مصر، 2006، ص 13.
- (10) نبيل مرسى خليل، الميزة التنافسية في مجال الأعمال، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 39.
- (11) المرجع السابق، ص 37.

(12) عبد السلام أبو قحف، كيف تسيطر على الأسواق؟ تعلم من التجربة اليابانية، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص 246.

(13) سامي جمال، سبل اندماج الجزائر في اقتصاد المعرفة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد الثامن، 2005، ص ص 105-118.

والرشتاين و النسق العالمي: محاولة لتفسير وفهم حركة

الواقع الاجتماعي في البلدان النامية

الدكتور : مالك شعباني

جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

إعتبر "والرشتاين" أن النسق العالمي هو وحدة التحليل الأساسية، وأن كل شيء في التشكيلات الاجتماعية الطرفية يتحدد من خلاله، كما أنه إعتبر أن عملية التنمية لا تتم في البلدان التابعة (المحيط)، إلا إذا ما انفصلت بالكامل عن النسق العالمي، هذا الأخير الذي يفرض تقسيم معين للعمل هو في صالح الدول الرأسمالية الغربية، والذي بموجبه تنهب خيرات العالم الثالث بأبخس الأثمان، وتفرض عليها نموذج رأسمالي غربي، وبالمقابل تستورد هذه البلدان سلعها الخام في شكل مواد مصنعة بأثمان خيالية.

Abstract:

Labeled "Wallerstein" that pattern Universal is the unit of analysis core, and everything in social formations peripheral determined which, as it was considered that the development process is not in the countries of the (ocean), unless separated completely from the Layout World, the latter which imposes a certain division of labor is in favor of Western capitalist countries, under which plundered the date of the third world at the cheapest prices, and impose a Western capitalist model, by contrast, these countries imported goods in the form of raw materials manufactured at fancy prices.

لقد حاول منظروا التبعية أمثال : فرانك دوسانتوس، كاردوزو، والرشتاين، سمير أمين وغيرهم، بعد ستينيات القرن الماضي، إيجاد تفسيرات وتحليلات مناسبة لخروج بلدان العام الثالث أو ما يطلق عليهم تسمية: "الدول النامية" من دائرة التخلف والتبعية التي يتخبط فيها شعوب هذه البلدان التي تعيش: الفقر والبطالة والتهميش والحرمان -بأتم معانيه- والأمية والأمراض (جسمية كانت أو اجتماعية) والصراعات الداخلية والنهب الممنهج لثرواتها وخيراتها من طرف الدول الكبرى، هذه الأخيرة التي لم تكتف بالاستعمار السياسي لهذه الدول بالأمس، بل أضافت إليه اليوم، أنواع أخرى من الاستعمار: الاقتصادي والثقافي والتربوي...ناهيك عن إذكاء نار الفتنة والغلاغل، وتغذية الصراعات المذهبية والإثنية وغيرها، داخل الشعوب المغلوبة على أمرها في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

كل هذه الأوضاع المساوية دفعت الرعيل الأول من منظري التبعية إلى أطروحات ومفاهيم جديدة- لفهم وتفسير ظاهرة تخلف وتبعية الدول النامية- مثل: (فك الارتباط مع الدول الرأسمالية، التبادل غير المتكافئ، المركز، الأطراف، التخوم، الهامش، فك الارتباط، التطور اللامتكافئ، التراكم، الكومبرادور، الميتروبول، الاعتماد، التبادل، النسق العالمي، النظام العالمي)، وذلك عليها تجد حلولاً وإجابات كافية شافية لتخلف، وتبعية بلدان العالم الثالث لدول المركز، ولكن الحقيقة المرة أن هذه التنظيرات والأطروحات ذهبت أدراج الرياح، و تكسرت على صخرة واقع العالم الثالث المرير، وبقيت دار لقمان على حالها، فلا دول العالم الثالث تقدمت، وخرجت من ظلام التبعية والتخلف، ولا التنظيرات والأطروحات أفادت لافتقارها للواقعية أحيانا، وصعوبة تطبيقها أحيانا أخرى...

ولكن حتى لا نظلم الرعيل الأول من منظري التبعية، ومن اقتفى أثرهم إلى يومنا هذا نقول: أنه كانت هناك محاولات جادة منهم للخروج من التخلف

والتبعية، ورغم أن محاولاتهم فشلت، إلا أنه يكفيهم شرفاً أنهم حاولوا، وكانوا في الطليعة، فمسافة الألف ميل تبدأ بخطوة.

إن طريق التنمية الحقيقي لا يكون املاءات من الخارج، ولا فرض من الداخل، ولكنه ينبع من داخل الأفراد والمجتمعات أنفسهم، فلدافعية الانجاز لدى الفرد-على حد تعبير "ماكس فيبر"- أهمية كبيرة لإحداث التغييرات المختلفة، و بأقل الأثمان.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التنمية شيء يتطلع إليه الجميع، وكمفهوم قد برز بصورة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية، حيث لم يستعمل هذا المفهوم (التنمية) منذ ظهوره في عصر الاقتصاد البريطاني البارز "آدم سميث" في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وحتى الحرب العالمية الثانية، إلا على سبيل الاستثناء، فالمصطلحان الذين استخدما للدلالة على حدوث التطور المشار إليه في المجتمع كانا: "التقدم المادي أو التقدم الاقتصادي"، وحتى عندما ثارت مسألة تطوير بعض اقتصاديات أوروبا الشرقية في القرن التاسع عشر كانت الاصطلاحات المستخدمة هي: التحديث أو التصنيع⁽¹⁾.

وما يمكن أن يلاحظ كذلك أن مفهوم التنمية بمعناه الحالي قد برز وترعرع في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية -كما سبقت الإشارة إليه- حيث أن العالم قد عرف مستجدات اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية أفرزتها ظروف مابعد الحرب، وظهور الدول الجديدة اثر انتشار حركة التحرر من الهيمنة الاستعمارية الغربية التي عرفتها دول الجنوب، وانتشار عمليات التصنيع في دول الشرق (الاتحاد السوفيتي، اليابان)، مما جعل قضية التنمية عالمية تسعى إليها كل الشعوب الشرقية والغربية، الجنوبية والشمالية...⁽²⁾.

إن الهدف العام للتنمية هو الوصول بالمجتمع إلى أقصى درجة ممكنة من الرفاهية الاجتماعية، فالتنمية ليست غاية في ذاتها، بل هي وسيلة للوصول إلى مجتمع الرفاهية⁽³⁾.

وقد برز مفهوم التنمية بداية في علم الاقتصاد، ثم انتقل إلى علم السياسة، ولاحقا تطور ليرتبط بالعديد من الحقول المعرفية ومنها: علم الاجتماع ضمن هذا السياق حاول الكثير من الباحثين والمنظرين في علم الاجتماع و التنمية - تفسير ظاهرة التنمية والتخلف خاصة ببلدان العالم الثالث مبرزين أهم الشروط الواجب توفرها من أجل إحداث الإقلاع الحضاري -الاستفادة من الأنساق النظرية المختلفة في حل العديد من مشكلات مجتمعاتهم، ورغم استمرارية النظرية الماركسية والبنائية الوظيفية في السيطرة على النظرية الاجتماعية إلا انه يلاحظ ظهور الكثير من التيارات النقدية و البدائل السوسيولوجية التي بدأت تعيد النظر في القضايا الكلاسيكية، مما يسمح لباحثي البلدان النامية بوضع بناء نظري جديد يتماشى وواقع هذه البلدان المتغير باستمرار.

وضمن هذا الإطار تعتبر نظرية التبعية استجابة ملحة لفهم حركة الواقع الاجتماعي في البلدان النامية، فهي إضافة ماركسية جديدة لدراسة التأثيرات الناجمة عن التوسع الرأسمالي وتحولاته، وكذلك التشوهات البنيوية⁽⁴⁾.

فلقد ظهرت نظرية التبعية في الستينات من القرن العشرين لتدحض نظرية التنمية الغربية وتقدم أساسا حديثا لتفسير ظاهرة التخلف في العالم التابع، يقوم على قضية أساسية مفادها أن علاقة التبعية و الاستغلال التي تعرض لها العالم التابع من جانب الدول الرأسمالية المتقدمة لم يؤد إلى أي شكل من أشكال التنمية، وإنما أدت إلى مزيد من التخلف في هذه البلدان التابعة، يقابله مزيد من التنمية و الرفاهية في البلدان الرأسمالية المتقدمة، وهذا أمر منطقي طالما أن الفائض المنتج في البلدان التابعة أيا كان شكل إنتاجه ينقل باستمرار إلى مركز العالم الرأسمالي المتقدم .

وقد انبنت الكثير من النظريات التي طرحت في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين حول فكرة أن الرأسمالية تثمر بالضرورة عن خلافات تتراكم بشكل متزايد بين المناطق المتقدمة والمتخلفة، وان عملية التنمية في البلدان التابعة (المحيط) تكون ممكنة فقط إذا ما انفصلت بالكامل عن النسق العالمي⁽⁵⁾ .

من هنا أحاول مناقشة العمل الذي قام به " إيمانويل والرشتاين " -أحد مفكري التبعية البارزين في أمريكا اللاتينية والعالم الثالث -وذلك وفق الخطة التالية :

أولاً- نظرية التبعية .

ثانياً- نظرية النسق العالمي.

ثالثاً- مفهوم:الرأسمالية، النسق العالمي عند " والرشتاين " .

رابعاً- أقسام النسق الرأسمالي العالمي حسب " والرشتاين " .

خامساً- أهم الانتقادات الموجهة ل: " والرشتاين " ، ومدرسة التبعية ككل .

أولاً- نظرية التبعية :

أ- مفهوم التبعية :

يعرف "دوسانتوس" التبعية بأنها: " وضع تمتلك فيه مجموعة معينة من البلدان اقتصاداً مكيفاً بواسطة تطور توسع اقتصاد آخر بحيث يخضع له الاقتصاد الأول" . ويمكن أن ننظر إلى التبعية على أنها: " بمثابة التركيبة الجامعة للعلاقات الاقتصادية السياسية التي تربط دول (المركز) الرأسمالية (الولايات المتحدة، اليابان، وأوروبا الغربية) بدول العالم التابع في المحيط، بحيث أن الخطوات والبناء في الأولى تقرر بشكل حاسم الخطوات والبناء في الثانية بطريقة تلحق الضرر إلى حد ما بالتقدم الاقتصادي لمجتمعات العالم التابع"⁽⁶⁾ .

كما يمكن تعريف التبعية على أنها : " موقف مشروط بمقتضاه يعتمد نمو اقتصاد معين , على نمو وتطور اقتصاد آخر "⁽⁷⁾ .

ب- أهم المفاهيم المتداولة في مدرسة التبعية:

تداول مدرسة التبعية مجموعة من المفاهيم من أهمها: ⁽⁸⁾

المركز، الأطراف، التخوم، الهامش، فك الارتباط، التطور اللامتكافئ، التراكم، الكومبرادور، الميتربول، الاعتماد، التبادل، النسق العالمي، النظام العالمي.

ج- بدايات نظرية التبعية:

لقد بدأ مفهوم التبعية بالتبلور منذ أواسط ستينيات القرن الماضي لدى بعض مفكري أمريكا اللاتينية وفي مقدمتهم : فرانك، دوسانتوس، كاردوزو، وغيرهم، وما لبثت أفكار هؤلاء أن انتشرت وتطورت على يد مفكرين آخرين في بلدان العالم الثالث الأخرى ومن بلدان أوروبا الغربية، وصارت هذه الأفكار تمارس تأثيرا كبيرا على دراسات التنمية والتخلف خلال عقدي السبعينات والثمانينات القرن الماضي تحت اسم مدرسة التبعية ويعد المفكر العربي: سمير أمين أحد أبرز منظري هذه المدرسة .

ولقد تشكلت من خلال كتابات بعض الأكاديميين والمهتمين باقتصاديات التنمية في بلدان أمريكا اللاتينية، هذه الأخيرة التي تعرف فشلا اقتصاديا مستمرا. حيث تبلورت حاجة نظرية وعملية لدحض وتجاوز نظرية التحديث، وذلك لما كانت تسعى إليه من إعادة إنتاج التجربة الرأسمالية الغربية على أرض الدول النامية أو المتخلفة.

حيث برهنت التجربة التاريخية في أمريكا اللاتينية أولا ثم في بقية البلدان النامية أن التنمية عن طريق التحديث لم تفشل فقط، وإنما أدت إلى تكريس تبعية هذه البلدان لنظيرتها الرأسمالية المتقدمة، وإعادة هذه التبعية باستمرار. (وبهذا يكون هؤلاء المنظرين قد " رفضوا أفكار نظرية التحديث القائلة أن ضعف التنمية يمكن أن يعزى لعجز في قيم التحديث الملائمة وأن التعرض لأثر الدول الصناعية المتقدمة هو الشيء الوحيد ذو الفائدة الكبيرة للعالم الثالث، وادعوا بدلا من ذلك على أن الفقر الجماعي والدائم في بلدان أمريكا اللاتينية كان سببه التعرض للتأثيرات الاقتصادية والسياسية للبلدان المتقدمة.

ولقد رفضوا رفضاً تاماً النظرة القائلة بأن تأثير المجتمع المتقدم هو تأثير تقدمي، سواء بشكل فرضية الانتشار لدى نظرية التحديث أو بشكل فرضية الامبريالية لدى الماركسية الكلاسيكية. إن نمو المراكز الصناعية المتقدمة في العالم يعني التخلف المتزامن لتلك البلدان التي يستغل الغرب فائضها الاقتصادي، ولذلك ينبغي أن لا ينظر إلى المجتمعات الفقيرة بكونها "غير ناضجة" أو "متخلفة" من حيث تنميتها الاقتصادية، فلو أُتيح لها الوقت فإن النمو سيحدث فيها. لكنها مادامت خاضعة للامبريالية الاقتصادية الغربية فإن فقرها سيستمر " وعموماً فقد جاءت نظرية التبعية كمحاولة نظرية لتجاوز النقص الذي عرفته التيارات النظرية التي تناولت قضية تنمية الدول النامية، ولتجاوز هذه الحالة على المستوى الواقعي الذي تعرفه التنمية. لكن، لا يمكن اعتبار نظرية التبعية بمثابة البديل الأنجح لتحقيق التنمية .

ففي هذا الصدد كان البرازيلي "فرناندو هنريك كاردوسو" قد حذر في بداية السبعينيات " من القرن الماضي" في مقالته المطولة: (" استهلاك نظرية التبعية في الولايات المتحدة الأمريكية " من سوء استخدام أفكار مدرسة التبعية، واعتبارها بمثابة جواب وافي وشامل للأسئلة والمشكلات التي تثار بصدد تفسير نشأت وتطور التخلف في أمريكا اللاتينية خاصة، والدول النامية عموماً) ⁽⁹⁾ .

لقد ظهرت نظرية التبعية لتقدم أساساً جديداً لتفسير ظاهرة التخلف في العالم التابع، فترى أن علاقة التبعية قد حالت دون تحقيق أي معدل للتنمية، بل على العكس من ذلك أدت إلى زيادة معدلات تقدم الدول الرأسمالية الغربية، وتكريس التخلف في البلدان المتخلفة.

لقد حاولت نظرية التبعية النظر إلى العملية التاريخية الكلية لتطور المجتمعات الإنسانية بما في ذلك العوامل الداخلية، الخارجية، والعلاقة التأثيرية بينهما، ولقد ثار جدل حاد بين العلماء الاجتماعيين حول هذا المفهوم وأبعاده، وقد مالت التحليلات الحديثة إلى عدم إلقاء عبء التخلف على الدول الاستعمارية أو الرأسمالية وحدها، ولكن هنالك عوامل داخلية ينبغي التنبيه لها

،هذا فضلا على أن التوسع و النمو الرأسمالي لم يؤدي إلى إحداث نمو في البلدان المتخلفة على نحو ما كان يعتقد : "لينين" و الماركسيون الكلاسيكيون⁽¹⁰⁾ .

إن الإجماع حاصل على أن مدرسة التبعية قد استخدمت أفكارها من رافدين أساسيين: أولها: رافد قومي، والذي انبثق من أروقة اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية والتابعة للأمم المتحدة . وثانيهما : رافد ماركسي، حيث تستمد مدرسة التبعية الكثير من أفكارها من تقاليد التحليل الماركسي، وإنما كانت هناك كثير من الاختلافات في الكثير من القضايا عن الماركسية التقليدية، لذلك تعرف بالماركسية المحدثة، ومن ثم فقد ساد داخل مدرسة التبعية معياران للتمييز بين تياراتها، المعيار الأول: وهو أسلوب الاستكشاف، والذي على أساسه يمكن التمييز بين تقاليد بنوية وتقاليد تاريخية. أما المعيار الثاني فيرتبط بالحقل الاجتماعي لتولد وشيوع الأفكار، ويمكن بصورة عامة التمييز بين الكتاب الأوروبيين والأمريكيين من ناحية، وبين كتاب العالم الثالث وخاصة أمريكا اللاتينية من ناحية أخرى⁽¹¹⁾ .

د-القضايا الأساسية لنظرية التبعية:

لم تقتصر جهود العلماء المهتمين بمسألة التبعية على دراسة التشوهات الداخلية، ولكنهم أسهموا في توضيح الآثار المترتبة عن انتشار الرأسمالية الغربية⁽¹²⁾ .

إن القضية الأساسية التي تنهض عليها هذه النظرية هي التحليل الكلي لعملية تطور المجتمع، وتقديم رؤية نظرية - تاريخية تبرز خصوصية المجتمعات التابعة، وخصوصية التطور الذي مرت به، و هنا نجد أن هذه النظرية تتخذ من فكرة النسق العالمي نقطة بداية تحاول بعدها الكشف عن موقع الدول المتخلفة داخله، كما تهتم بالبناء الاجتماعي باعتباره بناء متخلفا تابعا، ومحكوما بنمط معين لتقسيم العمل الدولي، ويبدوا أن ذلك هو ما دفع أنصار هذه النظرية إلى تحليل

المرتبات الاجتماعية للتنمية الرأسمالية، والتوسع الامبريالي والطرق التي من خلالها تتشكل الأبنية الاستغلالية الجديدة التي تعوق النمو الاقتصادي.

وفي ضوء ما سبق، يمكن القول إن الإسهام الذي قدمه الرعيل الأول لنظرية التبعية، يتمحور حول قضية أساسية مفادها أن التخلف الاقتصادي لبلدان العالم الثالث يرتبط بعملية التوسع والنهب الاستعماري والهيمنة الامبريالية المعاصرة، إذ أن دراسة الواقع التاريخي الحي للتكوينات الاجتماعية الاقتصادية الماثلة أمام أعيننا اليوم تتطلب الأخذ بعين الاعتبار أن هذا التخلف ليس متصلا في طبيعة المؤسسات اللارأسمالية، وهكذا تقوم هذه النظرة التي يتبناها معظم كتاب التبعية، على أن القوى الخارجية تشكل العوامل الحاسمة المسببة للتخلف والمحددة للأبنية المحلية والإقليمية، وهم بذلك يميلون إلى اتخاذ نظرة أحادية الاتجاه انطلاقا من إيمانهم بأن التخلف نتيجة منطقية لتطور الرأسمالية الغربية⁽¹³⁾.

ومن ناحية أخرى يؤكد بعض علماء التبعية، الذين يبحثون في شؤون المجتمعات المتخلفة، على أهمية القوى المحلية في إنتاج التخلف، مع ميلهم للانطلاق من الفكرة الشائعة في أدبيات التبعية، والمتعلقة بتفسير التغيرات في التنظيم، وأنشطة السكان المحليين في ضوء استجابتهم للتغير المحفز -خارجيا - ولقد جسد هؤلاء العلماء هذا الموقف عندما درسوا استمرار وفعالية الأساليب التقليدية، غير الرأسمالية للتنظيم.

وبرغم الفوائد التي حققها هذا التصور إلا أنهما لا يزالان يثيران تساؤلات عديدة لم يقدم لها إجابات مرضية، خاصة ما تعلق منها بتفاعل القوى المحلية و الوطنية، والطرق التي من خلالها تساهم الجماعات المحلية و العمليات في تعديل أنماط التنمية الجهوية و الوطنية .

وبرغم تنوع وتعدد إسهامات علماء هذه النظرية، إلا أن "نورمان لنج" يعتقد أنه من اليسير التمييز بين اتجاهين نظريين يمثلان مراحل مختلفة في الحوار الدائر حول التبعية.

الأول : هو التبعية البنيوية وعلاقات المركز الهامش، يمثل هذا الاتجاه حركة فكرية متنوعة تضم إسهامات متنوعة في دراسة التخلف والتبعية، والمثال الكلاسيكي الذي يعبر على هذا الاتجاه هو: أعمال فرانك، كاردوزو، لكلاو، والرشتاين، سمير أمين وغيرهم .

ويقوم هذا الاتجاه على تحديد خصائص أوضاع التشكيلات الاجتماعية الطرفية، وتحليل أسباب، ونتائج الاستعمار الداخلي في العالم الثالث.

والثاني: هو تحليل أساليب الإنتاج⁽¹⁴⁾ .

ثانيا: نظرية النسق العالمي :

هذا النمط من النظريات يمتد جذوره إلى الماركسية , فهو عبارة عن تطور لنظرية التبعية، إلا انه يختلف عنها فيما تلقيه من اهتمام للخواص التاريخية لمناطق مختلفة من العالم، ولا تعمم بنفس الطريقة فهي ترى أن مشاكل العالم الثالث نتيجة لعلاقات تاريخية كان فيها الاستغلال بين الدول المتقدمة والمجتمعات النامية أو المتخلفة، وترى أن المنظور قد تغير كلية، فترى التنمية لا ينظر إليها على أنها مشكلة تواجهها مجتمعات منفصلة، فلا يوجد مجتمع لا يتأثر كلية بالتنمية العالمية الاقتصادية الاجتماعية، وبالرغم من أن هذا الرأي ليس جديدا.

فانه قد أعيد كتابته بوضوح في مؤلفات إيمانويل والرشتاين (Immanuel wallerstein) في كتابه "النسق العالمي الحديث، الرأسمالية الزراعية وأصول الاقتصاد الأوربي في القرن السادس عشر"، يقول "الرشتاين" (لقد تحليت عن الأخذ بفكرة سيطرة الدولة أو ذلك المفهوم الغامض (concept Vaguer) المجتمع القومي كوحدة للتحليل، وقررت أن كليهما نسق اجتماعي، ولكن المرء يمكنه التحدث عن التغير الاجتماعي في الأنساق الاجتماعية، وان النسق الوحيد في هذا المخطط هو النسق العالمي⁽¹⁵⁾ .

ونظريات النسق العالمي (والرشتاين لم يكن وحده، بل كان هناك سمير أمين، وفرانك في كتاباته الأخيرة) يمدون بلغة نظرية تجمع بين نظريات الصراع

الاجتماعي مع الاقتصاد، ومع الحقائق الاقتصادية و التاريخية على نطاق عالمي، وهي تحلل مشاكل بعينها للتنمية و التخلف من خلال مصطلحات تاريخية واجتماعية واقتصادية⁽¹⁶⁾.

ثالثا: مفهوم الرأسمالية، النسق العالمي عند والرشتاين :

أ. مفهوم الرأسمالية: وحسبه انه لا يمكن تحليل الرأسمالية إلا فقط على النطاق العالمي ويعرف الرأسمالية على أنها: نسق من التبادل الاحتكاري الذي يعمل على تحويل الفائض من المناطق التابعة إلى المراكز الرأسمالية، وهذا النسق هو الذي يحكم توزيع القوة السياسية وأشكال التنظيم الخاص، للإنتاج والبناءات الطبقيّة في المناطق المختلفة، بقي هكذا دون أن يتغير من الناحية الأساسية منذ القرن السادس عشر⁽¹⁷⁾.

ب- مفهوم النسق العالمي :

في كتابه "النسق العالمي الحديث :الرأسمالية الزراعية وأصول الاقتصاد الأوروبي في القرن 16" الصادر بنيويورك سنة 1974، ينطلق إيمانويل والرشتاين من فكرة أساسية مفادها أن أي نظام اجتماعي هو وحدة... وذلك بجمعه بين الأبعاد الخارجية والداخلية للتخلف، معتبرا أن النظام العالمي (النسق الدولي) هو وحدة التحليل الأساسية في تفسير التبعية، وليس المجتمع القومي كما يعتقد بعض منظري التبعية، ففي رأيه أن التنمية ليست مشكلة تواجهها مجتمعات منفصلة، حيث لا يوجد مجتمع لا يتأثر كلية بالتنمية العالمية الاقتصادية والاجتماعية، ولهذا يعتبر "الرشتاين" من ممثلي نظرية النسق العالمي.

إذ يقول "لقد تخلّيت عن الأخذ بفكرة سيطرة الدولة أو ذاك المفهوم الغامض-المجتمع القومي كوحدة للتحليل- وقررت أن كليهما ليس نسقا اجتماعيا، ولكن المرء يمكنه التحدث عن التغير الاجتماعي في الأنساق الاجتماعية، وأن النسق الوحيد في هذا المخطط هو النسق العالمي⁽¹⁸⁾.

كما يؤكد "والرشتاين" على أن أي نسق اجتماعي لا بد أن ينظر إليه على انه وحدة كاملة و شمولية فالدولة الأمة في العالم الحديث، ليست هي الأنساق المغلقة ولا يمكن أن تكون موضع التحليل كما لو كانت كذلك، وهو يقول "... نحن نأخذ السمة المحددة للنسق الاجتماعي على انه الشيء الذي يحوي داخله تقسيم العمل، بحيث أن القطاعات و المناطق فيه تعتمد على التبادل الاقتصادي مع الآخرين لتوفير حاجات المنطقة و استيفائها بشكل سلس و متواصل".

لقد كانت الأنواع الوحيدة الموجودة من النسق الاجتماعي هي الأنساق المصغرة (اقتصادية محلية مغلقة)، (والإمبراطوريات العالمية، وتعرف بقيام سلطة مركزية باستخراج الجزية)، والاقتصاديات العالمية و ترتبط بالتبادل في السوق، ولا يعني النسق العالمي بالضرورة انه يغطي الكون بأكمله، وتعريفه هو انه بمثابة وحدة ذات تقسيم وحيد للعمل، و انساق ثقافية متعددة.

إذن فالاقتصاد العالمي هو نسق عالمي يخلو من سلطة مركزية فردية. والنسق العالمي الحديث هو نسق رأسمالي، حيث انه عبارة عن اقتصاد عالمي، ويساوي (والرشتاين) بين الاثنين: الرأسمالية و الاقتصاد العالمي (أي تقسيم وحيد للعمل، ولكن بنظم حكم متعددة) ما هما إلا وجهان لعملة واحدة، فأبي منهما لا يتسبب في الآخر، وكل ما نفعله هو فقط مجرد تعريف نفس الظاهرة غير المنقسمة بصفات مختلفة⁽¹⁹⁾.

ويذهب والرشتاين إلى أن النظام (النسق) العالمي يمثل وحدة التحليل، وان كل شيء في التشكيلات الاجتماعية الطرفية يتحدد من خلاله، ولقد دعاه هذا الموقف إلى إلقاء عبء التبعية بأكمله على توسع النظام الرأسمالي، الذي صاحبه زوال المجتمع الإقطاعي وخلق في المستعمرات نمطا من العمل القسري⁽²⁰⁾.

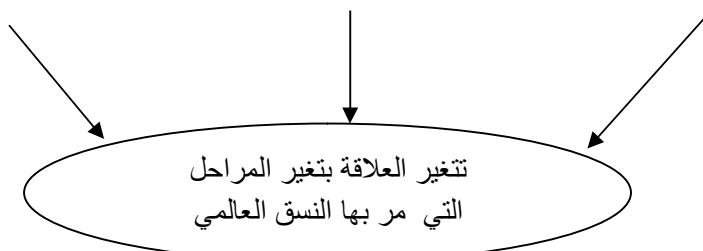
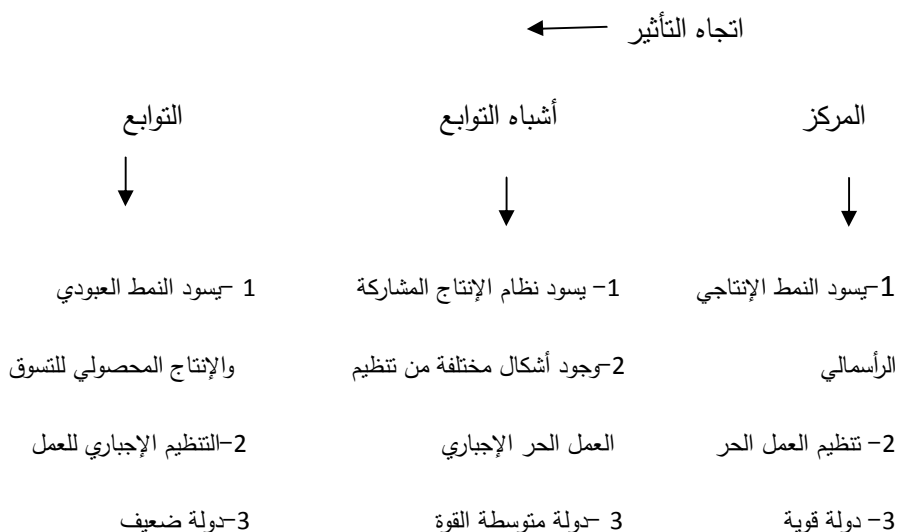
حيث يؤكد " والرشتاين" إن نشوء النظام الرأسمالي العالمي وتوسعه في العالم بصورة متزايدة قد خلقا شرطا خانقا لتطور العالم الثالث، وهو شرط لم يكن

موجودا في حالة البلاد المتقدمة، فعلى حين أن هذا النظام أتاح فرص النمو أمام الزراعة و الصناعة الأوروبية، فقد حرم بلاد المحيط من هذه الفرص⁽²¹⁾.

رابعا- أقسام النسق الرأسمالي العالمي حسب والرشتاين

لو امعنا النظر في المحاولات التصنيفية التي درست النظام العالمي، لوجدنا أن (والرشتاين) من أظهر الذين تبنوا التصنيفات المستندة إلى متغير القوة ، وطبقا لهذا المتغير أقام تفرقة بين ثلاثة أنواع من التشكيلات الاجتماعية التي يمكن وضعها على متصل يعبر عن درجة قوة الدولة التي تؤدي إلى تحويل الفائض من الأطراف (انظر الشكل الموالي)⁽²²⁾.

شكل(1) مكونات النظام العالمي :



المصدر: (اسماعيل قيرة: 2000, 43-44).

ويكمن الاختلاف الأساسي بين هذه الدول (الأطراف، شبه الأطراف، المركز) - كما ذكرنا آنفا- في القوة التي يتمتع بها جهاز الدولة في المناطق المختلفة، وهذا بدوره يؤدي إلى تحويل الفائض من الأطراف ونقله إلى المركز، وتعتبر قوة الدولة الميكانيزم المركزي حيث أن الفاعلين في السوق يحاولون تجنب العمل العادي للسوق حينما كان ذلك لا يضاعف من أرباحهم، وذلك بالتحول إلى الدولة الأمة لتغيير شروط التجارة⁽²³⁾.

إن التقسيم الخاص بالمركز / الأطراف، من ناحية الأصل على الأقل، قد تم تفسيره بنوع من الحتمية التكنولوجية، فأوروبا الغربية تخصصت في التصنيع وتربية الحيوان، وهذين النشاطين يقتضيان مهارات عالية نسبيا، وأفضل من يقومون على تحقيقها هم العمال ذوي الأجور الحرة العالية نسبيا، وكما أن البناء الاجتماعي الناتج يشكل أساسا لدول قوية نسبيا، قادرة على استخدام الأسواق لمصلحتهم، وهذه هي دول (المركز)، أما بالنسبة لأمريكا اللاتينية (تعدنين)، وأوروبا الشرقية الواقعة على بحر البلطيق (الحبوب)، قد تخصصت في أنشطة لا تتطلب سوى مهارات بسيطة نسبيا، ومن ثم فقد اختارت الرأسمالية (عن طريق تدخل الدولة) أشكال من العمل الإجباري .

كما ظهرت اختلافات في المصالح بين المؤسسات التي تعمل في التصنيع، و تلك التي تعمل في تصدير المنتجات الأولية، نتيجة لذلك صارت الدول المحلية ضعيفة، وسرعان ما قام المركز بإخضاعها، وقهرها، وبذلك أصبحت في (الأطراف) .

وبمجرد أن أصبح تقسيم المركز والأطراف في حيز الوجود، استطاعت دول المركز- بما لها من قدرة على معالجة الجوانب العملية للنسق ككل، و استخدامه ليناسب حاجاتها (دون حدود) - على الحفاظ على هذا التقسيم، فهذه الدول تعمل عمدا على إضعاف دول الأطراف أو إزالتها عن طريق الغزو،

كما تعمل على تغير نظام عمل الأسواق عن طريق فرض قيود احتكارية، وتقوم بحماية صناعاتها الخاصة، في الوقت الذي تمنع فيه هذه الحماية عن دول الأطراف ... وهكذا⁽²⁴⁾.

أما بالنسبة للدول (أشباه الأطراف) فهي نوع من الدول أو المناطق الجغرافية التي تسود فيها (ارستقراطية العمل)، وبدون هذا النوع من الدول لكان سكان النسق العالمي قد أصبح مستقطبا ومعرضا للثورة، بينما هذه الحلقة الوسطى تعمل على صهر العداوات، واعتقد انه من الصعب قبول هذه الحجة، وتساءل: هل يعتبر خلق دول (أشباه الأطراف) أمرا متعمدا؟ .

إن الحالات الخاصة التي يستشهد بها (الرشتاين): ايطاليا في القرن السادس عشر، وروسيا فيما بعد (الاتحاد السوفيتي)، لا يبدو أنها قد خلقت بشكل متعمد على يد دول المركز، مع العلم بأن المركز هو بالضرورة منقسم إلى دول وطنية مميزة، فمن هو الذي يتولى الإشراف على مصالح النسق ككل؟، وعلى أية حال فإن فكرة وجود دول (أشباه الأطراف) هي فكرة مثمرة، فنحن لو دققنا بشكل ما، إلى جانب حلقات الصلة بين المركز / الأطراف (وهي ليست بالحلقات الوسطية في سلسلة كما هو الحال عند فرانك) سنجد أن دول أشباه الأطراف تشكل موقعا من اجل التغيير، ففي إمكان دول المركز الجديدة أن تبرز من دول (أشباه الأطراف)، كما أنها تعتبر غاية لدول المركز المنحدرة و عند "فرانك" من الصعب معرفة كيفية إمكان حدوث أي تغيير في التنظيم الهرمي، بحيث أن كل حالة تكون في حاجة إلى التفسير على أساس غرض خاص، عند هذه المرحلة قد يتساءل المرء أيضا : فماذا حدث بالنسبة لعلاقات الإنتاج، وللطبقات بالمفهوم الماركسي العادي؟⁽²⁵⁾.

استنادا إلى تحليل "الرشتاين" لمكونات النظام العالمي، نجد أنه يقر حقيقة مفادها: "أن الأنماط الإنتاجية السائدة خارج مركز النظام العالمي-حتى إذا كانت غير رأسمالية-إلا أن خضوعها لنظام السوق بعد أن تكاملت داخل النظام العالمي يجعلها أنماط رأسمالية"⁽²⁶⁾.

ويبدو أن " والرشتاين " يعتبر أي شخص يقوم بالإنتاج من اجل الربح في السوق هو شخص رأسمالي، فهو يدل على أن قدرة العمل هي في الحقيقة عبارة عن سلعة، ولكن العمل المأجور هو فقط مجرد واحد من الأنماط التي يتم فيها استخدام العمالة، ويتم تعويضها في سوق العمل، وتعتبر العبودية أو الإنتاج القهري للمحاصيل النقدية، والزراعة وحياسة الأرض، ماهي جميعا إلا أنماط بديلة، وبهذا يكون مفهوم "ماركس" عن الرأسمالية من حيث وجود علاقة بين العمل الحر ورأس المال قد تم إخفائه تماما⁽²⁷⁾ .

ومن ناحية أخرى يشير " والرشتاين " إلى فكرة الشرائح المتباينة، وارتباط تغير البناء الطبقي داخل التشكيلات الاجتماعية و الاقتصادية الطرفية مع التغير الديناميكي للنسق العالمي، وبهذا الخصوص يلقي " والرشتاين " بعض الضوء على الدولة والتحول الاجتماعي في بلدان العالم الثالث، مبينا في نفس الوقت الاستغلال الذي تعرضت له، والنهب المستمر لثرواتها⁽²⁸⁾ .

وفي رأي " والرشتاين " فان تحليل الطبقة يرقى إلى مصاف التحليل الخاص بمصالح (الجماعات النقيية) داخل دول معينة، وهو الأمر الذي له تبريره الشرعي على شرط أن تنظر إلى الوضع البنائي، والمصالح في الاقتصاد العالمي فيما يخص هذه الجماعات، وفي نفس الوقت فان الطبقات لا تتمتع بواقع دائم، وليس لها صفات أساسية أكثر مما (للأمم العرقية).

ولقد كانت النقطة المركزية، في مناقشات " والرشتاين " هي أن أنماط ضبط العمل (الأجر، العمالة، العبودية...) عبارة عن نتائج ثانوية لتوظيف نسق عالمي تم تحديده بوجود الروابط في السوق، والموقف في المركز هو أن الاختيار يقع على العمل ذو الأجر من جانب (الطبقة الحاكمة بدعم من الدولة)، بينما في الأطراف يتم استخدام انساق أكثر قهرا.

كما قام " والرشتاين " بالتمييز بين النظام العالمي و الإمبراطوريات العالمية، فالنظام العالمي يقوم على تقسيم العمل الاقتصادي، بينما تقوم الإمبراطورية

العالمية على أساس من السيطرة لجمع الخراج، ويعني ظهور النظام العالمي التحلل التدريجي للامبراطوريات، وتحولها الى اطراف او اشباه اطراف ودخولها كجزء من الاقتصاد العالمي الرأسمالي⁽²⁹⁾.

خامسا: أهم الانتقادات الموجهة لورشتاين، ومدرسة التبعية ككل :

رغم أهمية هذه القضايا وغيرها من النقاط الهامة التي تضمنتها آراء"الورشتاين" ومدرسة التبعية ككل باعتبارها تتخذ من فكرة النسق العالمي نقطة بداية تحاول بعدها الكشف عن موقع الدول المتخلفة داخله، كما تهتم بالبناء الاجتماعي باعتباره بناء متخلفا تابعا، و محكوم بنمط معين لتقسيم العمل الدولي، إلا أنها تنطوي على تأكيد مبالغ فيه لدور الرأسمالية و التوسع الرأسمالي في تشكيل الأبنية الاجتماعية لمجتمعات العالم الثالث وإرجاع هذه البنية ذات الخبرات التاريخية المتباينة إلى عملية التجارة و التبادل على مستوى عالمي يخلق العديد من الصعوبات في فهم الديناميات الداخلية للمجتمع التابع⁽³⁰⁾:

1. الإصرار على مفهوم النسق العالمي على انه وحدة التحليل الأساسية، ورفض الأنساق الصغرى كوحدات للتحليل، يبعدها عن الاقتراب من الحقيقة المحلية، ويصرف نظرنا عن المشكلات الحقيقية، والتناقضات التي ينطوي عليها البناء الاجتماعي المحلي.

2. الاهتمام المبالغ فيه بالعلاقات الاقتصادية مع إهمال العلاقات الاجتماعية الثقافية.

3. المفاهيم عامة و مجردة.

4. عدم إبراز الاختلافات الكمية بين التشكيلات الرأسمالية الطرفية.

إن منظري التبعية يقعون في خطأ الجمود عند مقولات الماضي، والتخلي عن الواقعية لو استمروا في تبشير فك الارتباط المبالغ فيه مع العالم الرأسمالي، في وقت يعيد فيه العالم الاشتراكي نفسه التفكير بنظامه ويقوم بإطلاق تحولات عميقة

وكاسحة في تطبيقاته، ولذلك فإن مدى فك الارتباط الذي تصح المناادة به ينبغي أن يوضع في إطار إستراتيجية عريضة تتمحور حول الاعتماد على النفس، ويتطلب ذلك القدر من فك الارتباط اشتراطات سياسية واجتماعية وثقافية، إلى جانب الاشتراطات الاقتصادية والتقنية وتتمحور المسألة في ضبط مقدار الارتباط وتدريبه، لا في قطعه أو فكه بشكل اعتباطي كاسح.

ولعل مثل هذه النظرة التي تبدو واقعية تمثل الخيار الأفضل بين الهرولة للاندماج في النظام العالمي و الانكفاءات على الذات والعزلة. انه ليس من المستغرب على الدول المتخلفة أن يكون شعورها بالخوف من الدول المتقدمة أو المراكز ناتجا من الإرث التاريخي في التعامل معها، حيث كان العديد من الدول المتخلفة نهبا لها، ولكن الانكفاء و العزلة يجب ألا يكون نتاج ذلك الشعور، بل يجب أن يكون الدأب المتواصل لحشد الموارد مهما كانت محدودة والاستفادة منها استفادة مثلى في الارتقاء بالأداء على كافة الصعد و الأبعاد، ومن أبرزها الصعيد الاقتصادي.

فذلك يعطي للدول المتخلفة قوة نسبية في تجاوز الحيف وتحقيق مغنم التنمية الفعلية من خلال استقلال الإرادة السياسية و الإرادة الاقتصادية، ولكن في إطار تعامل مع الدول المتقدمة و المراكز ينأى بها عن الحيف، ويجعل كونها مرتعا للنهب و الاستلاب، أمرا في ذاكرة الماضي أمام مستقبل تتعامل فيه بجدارة وكفاءة و اقتدار مع الدول المتقدمة أو المراكز⁽³¹⁾.

كما وجهت لنظرية التبعية انتقادات أخرى - إضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه - ولعل من أهمها مايلي⁽³²⁾:

1. يعتبر الكثير من النقاد بأن نظرية التبعية هي نظرية جامدة، ليس بمعنى أنها تعيق إمكانيات تحقيق التنمية الديناميكية، بل لأنها تعتبر التبعية وكأنها أمر مسلم به، وأن شكلها فقط هو الذي يتغير، كما أنها تستبعد إمكانية أن تكون التبعية ظاهرة تدهور .

2. أن نموذج المركز- الأطراف الذي يقوم على أساسه البناء النظري برمته (وما يتضمنه من افتراضات) يبقى بدرجة كبيرة دون أن يفحص .

3. يرى "سانجايا لال" (Sanjaya Ilal) أن التبعية قد تم تعريفها بطريقة دائرية فدول العالم التابع فقيرة لأنها تابعة ، وهي دولة تابعة لأنها فقيرة، كما أن خصائص التبعية كما حددها الباحثون ،توجد في الدول غير التابعة، وان العوامل التي يعتقد الباحثون أنها تؤدي إلى التخلف لا توجد في كل المجتمعات التابعة، وهي توجد أيضا في بعض المجتمعات غير التابعة، ولقد ترتب على هذا أن أسبغت على البلدان التابعة خصائص ليست خصائص عامة توجد في كل منها، وفي نفس الوقت أهملت خصائص أخرى ربما يكون أهمها جميعا عملية التحرر من التبعية وآثار الاستعمار .

4. إن توسع اقتصاديات دول الأطراف نتيجة قوة الدفع الشديد والصادر من دول المركز لا يمكن أن تكون عملية أوتوماتيكية ولا متطابقة في جميع الدول، ذلك أن قدرة الاستجابة سوف تختلف، وهذا الاختلاف سوف يعطي صورة للدور الذي تقوم به "الاختيارات" السياسية في تقرير التنمية الفعلية .وفي واقع الأمر فان النفوذ و التأثير الأجنبي و القوى الاجتماعية الوطنية قد تكمل بعضها البعض في تقرير قدرة الاستجابة وقد يكون أيضا، انه كلما كانت التجربة السابقة للتغلغل الاستعماري اكبر، كلما زادت القدرة اللاحقة بالاستجابة للمطالب الجديدة القادمة من السوق العالمي .

5. إن توصيف التبعية بأنها حالة مشروطة هو توصيف خالي من المعنى، حيث أن جميع مراحل التنمية في أي مجتمع في العهد الحديث بمناطق جغرافية بأشكال عديدة (والشرطية تعمل في كلا الاتجاهين) . ويمكن أن تكون هذه الصياغة ذات معنى فقط إذا ما كانت تحدد خاصية الميكانيزم أو التأثيرات الخاصة بحالة الشرط، أو كلاهما. وبغير هذا، فان التعريف

- يصير إما بمجرد لغو، أو انه يقول ببساطة أن بعض الاقتصاديات لها تأثير على الاقتصاديات الأخرى أكثر قوة مما لهذه الاقتصاديات عليها.
6. إن أصحاب مدرسة التبعية يساوون عموما الاستعمار بالسوق العالمي، وهم بهذا يستبعدون بالتحديد إمكانية حدوث تقدم رأسمالي غير تابع في دول الأطراف وهذا يجعل من المستحيل التمييز بين المراحل التاريخية للعلاقات بين بلدان العالم التابع و الدول الرأسمالية المتقدمة.
7. يبدو أن مدرسة التبعية تذكر إلى حد ما أهمية الاستقلال السياسي في تنشيط وحفز الرأسمالية الوطنية في العالم التابع، لكن أي بحث جدي للدول المتخلفة منذ استقلالها يظهر أن هذه الدول حققت مكاسب هامة في إطار مضمون أدت فيه المشاعر الوطنية إلى الاضطرار للمسير في التنمية الاقتصادية.
8. تفترض مدرسة التبعية أن التنمية مساوية للتصنيع، وهو نفس الطرح الذي تؤمن به نظرية التحديث.
9. تولي عناية كبيرة للمتغيرات الاقتصادية، وتميل إلى اعتبار المتغيرات الاجتماعية الأخرى من سياسية وثقافية مجرد متغيرات تابعة، وهذا لا يصدق دائما، فقد يحدث أن تكون البنى السياسية تتمتع بقدر كبير من الاستقلالية النسبية في مواجهة الهياكل الاقتصادية و غيرها، وبالتالي تكون قادرة على التأثير فيها، كما ينطبق هذا على المجال الثقافي.
10. تركز بصورة اكبر على العوامل الخارجية في عملية التخلف.
- وفضلا عما سبق، لا زالت نظرية التبعية ذا المنحى التوفيقي، تعاني من نقص شديد في تقديم الاقتراحات العملية لإنهاء واقع التبعية والتخلف، ولقد أوضح بعض النقاد أن هذه النظرية المتكونة من تيارات عديدة، قد وقعت في انزلاق النظريات الكبرى التي تقدم تعميمات واسعة النطاق، وهذا ما يؤكد أحمد

زايد "حينما أشار إلى أن نظرية التبعية رغم أنها حاولت بحق تجاوز التطبيق الميكانيكي للماركسية.

فإنها قد أفرزت نظرية أو رؤية ميكانيكية من نوع آخر، فقد انتهت إلى قانون عام يتم إثباته بأي شكل من الأشكال، ويطبق على كل المجتمعات في كل أنحاء العالم، بل وعلى المجتمعات و الوحدات الصغيرة داخل المجتمعات الكبيرة... ولقد دعا هذا الموقف عددا من الباحثين إلى تبني فكرة الخصوصية التاريخية (**Historical Specificity**) كاتجاه نظري ومنهجي يحاول استيعاب الواقع بكل تضاريسه وتعرجاته في ضوء رؤية واقعية - تاريخية تأخذ في اعتبارها كل المكونات البنائية في المجتمع⁽³³⁾.

إضافة إلى ماسبق ذكره، فإنه يمكننا القول: أن طريق التنمية الحقيقي، وطريق الإقلاع الاقتصادي الحقيقي وصناعة التاريخ، ماهو في الواقع إلا طريق "الاستثمار الاجتماعي"، لأن صناعة التاريخ لا بد أن تنطلق بالوسائل الخاصة والذاتية، وهو الواجب المنوط بكل مجتمع أن يصنع تاريخه بوسائله الخاصة، وبأيديه ذاتها، والتاريخ في أي مستوى من الحضارة يتم المجازة إنما يمثل (هذا) النشاط المشترك للأشياء والأشخاص والأفكار المتاحة في ذلك الحين، أي في الوقت نفسه الذي يواكب عملية الانجاز "مالك بن نبي).

ويؤكد "مالك بن نبي" في هذا الصدد بان عملية "الاستثمار الاجتماعي" تقوم على مسلمتين أساسيتين هما⁽³⁴⁾:

1. يجب القوت لكل فم، وبعبارة أخرى لُقمة العيش حق لكل فم "الاستهلاك".

2. يجب العمل لكل ساعد، وبعبارة أخرى "العمل واجب على كل ساعد" (الإنتاج).

الخاتمة :

بعد هذا العرض الموجز لأفكار " والر شتاين " حول النسق العالمي، ورغم الانتقادات الموجهة له، إلا أنه قدم إسهاما بارزا بإصراره على ما يمثله التخلف من أهمية وضرورة تحليله من منطلق التطور الخاص بأحد الأنساق العالمية، ذلك أن " والر شتاين " اعتبر أن النسق العالمي هو وحدة التحليل الأساسية، وأن كل شيء في التشكيلات الاجتماعية الطرفية يتحدد من خلاله .

كما أنه اعتبر أن عملية التنمية لا تتم في البلدان التابعة (المحيط) ، إلا إذا انفصلت بالكامل عن النسق العالمي، هذا الأخير الذي يفرض تقسيم معين للعمل هو في صالح الدول الرأسمالية الغربية، والذي بموجبه تنهب خيرات العالم الثالث بأجنس الأثمان، وتفرض عليها نموذج رأسمالي غربي، وبالمقابل تستورد هذه البلدان سلعها الخام في شكل مواد مصنعة بأثمان خيالية.

وتجدر الإشارة في الأخير، أن أذكر نقاط تشابه واختلاف " والر شتاين " عن الماركسيين التقليديين فيما يلي :

■ أن هنالك أوجه تشابه شكلية بينه وبين النظريات الكلاسيكية عن الاستعمار(*) .

■ أن " والر شتاين " يرى أن هنالك نسقا ثابتا أساسا خاصا بإعادة التوزيع، ودائم بصفة مستمرة لعدة قرون، في الوقت الذي يرى فيه الماركسيون الكلاسيكيون وجود عملية من التنمية تقوم بتحويل العالم.

❖ هوامش البحث:

- (1) نصر عارف: مفهوم التنمية، أستاذ بكلية العلوم السياسية، جامعة القاهرة، موقع إسلام اونلاين، 2000.
- (2) عبد الرحمان برقوق و صونيا العيادي : التنمية السياسية - النشأة والمفهوم، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، دورية دولية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد 05، مارس 2013، ص 97.
- (3) نور الدين زمام ونجاة يحياوي: الوقف والتنمية الاجتماعية، علاقة تلازمية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، دورية دولية محكمة تصدرها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد 01، مارس 2012، ص 112 .
- (4) إسماعيل قيرة: ماذا سيفعل منظرو التبعية قبل منتصف الليل ؟ ، مجموعة من المحاضرات ألقيت على طلبة السنة الأولى ماجستير، علم اجتماع، جامعة قسنطينة، 2000، ص 36 .
- (5) عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري: علم الاجتماع والتنمية، دراسات وقضايا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص ص 97-99 .
- (6) المرجع السابق، ص ص 49-50.
- (7) اندرو ويبستر: مدخل إلى علم اجتماع التنمية، ترجمة وتعليق: عبد الهادي محمد والي و السيد عبد الحليم الزيات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ص 24.
- (8) علي غربي : علم الاجتماع و الثنائيات النظرية (التقليدية - المحدثه) ، نخب علم اجتماع الاتصال للبحث و الترجمة، جامعة قسنطينة، 2007، ص 158.
- (9) المرجع السابق، ص ص 156 - 157.
- (10) اندرو ويبستر:مرجع سبق ذكره، ص 22.
- (11) علي غربي: مرجع سبق ذكره، ص ص 157-158.

- (12) إسماعيل قيرة وعلي غربي: في سوسيولوجية التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص 23.
- (13) إسماعيل قيرة : مرجع سبق ذكره، ص 38.
- (14) إسماعيل قيرة : مرجع سبق ذكره، ص ص 38-39.
- (15) طوني بارنت: علم الاجتماع والتنمية، ترجمة: سهير عبد العزيز و محمد يوسف، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص ص 44-45.
- (16) المرجع السابق، ص 45.
- (17) عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري: مرجع سبق ذكره، ص 99.
- (18) علي غربي: مرجع سبق ذكره، ص 165.
- (19) عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري: مرجع سبق ذكره، ص 106.
- (20) إسماعيل قيرة: مرجع سبق ذكره، ص 43.
- (21) عادل حسين وآخرون: التنمية العربية الواقع الراهن والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، أكتوبر 1985، ص 138.
- (22) إسماعيل قيرة: مرجع سبق ذكره، ص ص 43-44 .
- (23) عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري: مرجع سبق ذكره، ص 107.
- (24) عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري: مرجع سبق ذكره، ص 107-108.
- (25) عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري: مرجع سبق ذكره، ص 108.
- (26) إسماعيل قيرة : مرجع سبق ذكره، ص 44 .
- (27) عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري: مرجع سبق ذكره، ص 109.
- (28) إسماعيل قيرة : مرجع سبق ذكره، ص 44.

- (29) عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري: مرجع سبق ذكره، ص 109 .
- (30) إسماعيل قيرة: مرجع سبق ذكره، ص 48 .
- (31) أسامة عبد الرحمان : تنمية التخلف وإدارة التنمية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، يونيو 1997، ص ص 33-34 .
- (32) علي غربي: مرجع سبق ذكره، ص ص 172-174 .
- (33) أحمد زايد: البناء السياسي في الريف المصري، تحليل لجماعات الصفوة القديمة و الجديدة، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص ص 212-217.
- (34) موسى لحرش : إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية قسنطينية، 2006، ص 203.
- (*) : يرى "مالك بن نبي" بان لظاهرة الاستعمار-أو الاستدمار بتعبير المفكر الجزائري "مولود قاسم نيت بلقاسم" مظهرين اثنين :
- المظهر الأول: هو "الغزو الاستعماري" ، ويتميز بتأثيره المباشر على الفرد أو المجتمع من الخارج، بحيث يجعل منه كائنا منتقص القيمة، ومغلوبا على أمره.
 - المظهر الثاني: هو "القابلية للاستعمار، فيعد في نظر مالك بن نبي" أهم - من حيث الاهتمام بالدراسة- من الأول (الغزو الاستعماري)، وأخطر، لأنه ينبعث أصلا من داخل الفرد الذي يصبح في هذه الحالة يقبل على نفسه تلك الصبغة (الاستعمار)، ويسير في تلك الحدود، أو الأطر التي رسمها له المستعمر، وحدد له فيها حركاته، وأفكاره، و بصفة عامة طريقة حياته. (نقلا عن: موسى لحرش: إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، ديوان المطبوعات الجامعية المطبعة الجهوية قسنطينية، 2006، ص ص 99-103).

فعالية الاتصال الإداري في المؤسسة الصناعية

الدكتور : عيسى قبقوب، جامعة بسكرة، الجزائر

الأستاذة: وردة برويس، جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة فعالية الاتصال الإداري في المؤسسة الصناعية باعتبار أن الاتصالات الإدارية نظام يتعلق بالمؤسسات، وبدون وجود هذه الأنظمة الخاصة بالاتصالات تفقد المؤسسات القدرة على العمل وإنجازاته، حيث أن أنظمة الاتصالات الإدارية تزود الممارسين بالإجراءات، والخطوات، والنماذج، والإرشادات الخاصة بممارسة الأنواع المختلفة للاتصالات مثل: (التقارير، والرسائل، والمذكرات، والاجتماعات).

Abstract:

This article aims to study the effectiveness of the administrative contact in Industrial Corporation as the system of communication in regard to the institutions, and without the existence of these regulations relating to communications the institutions lose its ability to work and achievements. The administrative communication systems provide practitioners with steps, forms, and instructions for the exercise of the different types Communications such as: (reports, letters, memos, meetings).

أصبح يطلق على العصر الحالي الكثير من المسميات منها عصر الاتصال، وأصبح العالم الآن يعيش ثورة حقيقية في مجال الاتصالات مهدت لها الثورة التكنولوجية، ويمثل الاتصال لب العلاقات الاجتماعية، فبقدر نجاح الفرد في الاتصال مع الآخرين بقدر نجاحه في الحياة، حيث ينعكس ذلك على صحته النفسية والاجتماعية.

ولا تخلو أي مؤسسة صناعية من تلك العملية التي يتفاعل من خلالها الأفراد والجماعات، تفاعلات تحكمها أشكال وأساليب معينة، ذلك أن الاتصال يعبر عن أبرز الجوانب البنائية في التنظيم، كما أنه يرتبط بوظائف التنظيم وأهدافه ارتباطا وثيقا، فهو عملية يتم عن طريقها إحداث التفاعل بين الأفراد.

وتكمن أهمية الاتصال في المؤسسة الصناعية من خلال الدور الذي تلعبه في ممارسة كافة العمليات الإدارية كاتخاذ القرار والتنظيم والتنسيق والتوجيه في ظل وجود نظام سليم للاتصال، إلى جانب ذلك نجد ان تنمية الموارد البشرية بما يعود بالفائدة على الفرد و المؤسسة، من خلال برامج تدريبية معينة تحتاج إلى اتصال جيد فعال تتوفر فيه جملة المبادئ من بينها التحديد المسبق للأهداف وحسن الإرسال للمعلومات وفهمها.

وتناولنا في هذا المقال الاتصال الإداري كنظام تستخدمه المؤسسات، بداية بتقديم تعريفات حول أهم المفاهيم في هذا المقال البحثي، وأهمية الاتصال وعناصر العملية الاتصالية ثم التطرق إلى أنواع ونماذج الاتصال الإداري، بالإضافة إلى التطرق إلى أهم وسائل الاتصال ونظرياته في الفكر الإداري وأهم مميزات الاتصال الفعال.

1- تحديد بعض المفاهيم:

أ- مفهوم الفعالية: نجد من بين إسهامات الغرب في تحديدهم لمفهوم الفعالية مايلي:

يعرفها ايتزيوني **Aazione**: بأنها قدرة المنظمة على تحقيق أهدافها وتعتمد هذه القدرة والمعايير المستخدمة في قياسها على النموذج المستخدم لمتغيرات مستقلة أخرى، مثل بناء السلطة وأنماط الاتصال وأساليب الإشراف والروح المعنوية والإنتاجية. يلاحظ على هذا التعريف ربطه بين الفعالية (بلوغ الأهداف) والعوامل ذات الطبيعة البشرية ومنها: نوعية السلطة والإشراف، والاتصال الجيد، كل هذه العوامل على درجة عالية من الأهمية في إنماء الروح المعنوية لدى العمال مما يحفزهم على بذل الجهد لتحقيق أهداف المؤسسة.

ومن بين إسهامات العرب في تعريفهم للفعالية نجد ناصر دادي عدون يرى بأن فعالية المؤسسة كنظام، يمكن أن تعرف باستعدادها للبقاء، للتكيف، للاحتفاظ بنفسها ولنموها، باستقلالية عن الوظائف الخاصة التي تؤديها، وهذا التصور قد تدعم من طرف العديد من الذين درسوا المنظمة⁽¹⁾.

مفهوم الاتصال: توجد إسهامات عديدة من العلماء الغربيين لتعريف الاتصال نجد هناك Hnnak يعرفه: بأنه العملية التي يتفاعل بواسطتها الأفراد، بهدف التكامل بينهم والتكامل بين الفرد ونفسه⁽²⁾.

ونجد من بين إسهامات العرب في تعريفهم للاتصال إياد شاكرا البكري: بأنه ببساطة نقل المعلومات والأفكار والاتجاهات من طرف إلى آخر من خلال عملية ديناميكية مستمرة ليس لها بداية أو نهاية⁽³⁾.

ويشير هذا التعريف إلى أن الاتصال عملية تفاعل بين طرفين، حيث يصبح المرسل مستقبلا والمستقبل مرسلا وهكذا.

ج- **مفهوم الاتصال الإداري**: يرى الدكتور محمود سلمان العميان، بأن الاتصال وظيفة إدارية تتصل بطبيعة العمل الإداري من تخطيط وتنظيم وتنسيق وتوجيه ورقابة، ويعني الاتصال تبادل الأفكار والآراء والمعاني بقصد إحداث تصرفات معينة ، ومعنى ذلك أن العمل الإداري يتطلب فهما لطبيعة العمل وعلاقته الوظيفية ومجال السلطة المستخدمة، وطبيعة المسؤوليات والاختصاصات وكل هذا

يقتضي تبادل المعلومات، بغرض إيجاد فهم مشترك لطبيعة الأعمال والمهام، يضاف إلى ذلك أن الاتصال هو الذي يحدد الترابط التنظيمي أي يحدد تماسك العناصر التنظيمية عن طريق إيجاد الفهم المشترك لطبيعة الأهداف الواجب تأديتها⁽⁴⁾.

وعليه فإن الاتصال الإداري في المؤسسة الصناعية هو عملية اجتماعية خالصة، تهدف إلى نقل وتبادل المعلومات والأفكار والآراء والاتجاهات بين طرفين أو أكثر داخل المؤسسة الصناعية من أجل إيجاد فهم مشترك بين المرسل والمستقبل من خلال وسائل اتصال متنوعة ومناسبة لمتطلبات العمل.

مفهوم المؤسسة الصناعية: نظر ماكس فيبر Max wiber إلى المؤسسة الصناعية على أنها تركيب بيروقراطي وظيفي يحتوي على مجموعة من القواعد والإجراءات التي تحدد شكل المؤسسة في كل مكتب وفي كل منظمة ، بالإضافة إلى وجود هيكل تركيب معين يحدد العلاقات وتدفقات السلطة وحدود كل قسم، حيث يتم تركيب البيروقراطية في سلم أوتوقراطي يضمن الوقاية بالقواعد الوظيفية. وعليه يخلص هذا التعريف وفقا لفيبر في التنظيم، يركز على البناء البيروقراطي الذي تخضع له المنظمات لتحديد المسؤوليات⁽⁵⁾.

2. أهمية الاتصال وعناصر العملية الاتصالية:

أهمية الاتصال: تمثل عملية الاتصال الرباط الذي يربط مختلف الأجهزة الفرعية، داخل أي تنظيم من جهة ، وبين هذه الأجهزة والتنظيم الكلي من جهة أخرى، وتكمن أهمية الاتصال في نقل وتبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات بهدف التأثير في سلوكهم، وتوجيههم الوجهة المطلوبة⁽⁶⁾.

أ- وحول أهمية الاتصال في الإدارة يقول الفاعوري: تعتبر الاتصالات بشكل عام على درجة عالية من الأهمية في المؤسسة، وقد أشارت الأبحاث إلى أن الاتصالات تمثل ما يقرب من 75٪ من نشاط المؤسسات: ولذلك فهي تعد بمثابة الدم الدافق عبر الشرايين الحياتية للمؤسسة، ويمكن إيجاز أهمية الاتصال لإدارة المؤسسة فيما يلي:

■ يتم من خلال الاتصال نقل المعلومات والإحصاءات والمفاهيم عبر القنوات المختلفة، مما يسهم بشكل في اتخاذ القرارات الإدارية وتحقيق نجاح المؤسسة ونموها وتطورها.

■ تساهم الاتصالات في إحكام المتابعة والسيطرة على الأعمال التي يمارسها أعضاء المؤسسة من خلال التقارير التي تنتقل باستمرار بين الأفراد عبر المستويات الإدارية.

■ الاتصالات هي المفتاح المؤدي للإدارة، فتتسق الجهود يعد أساسا للنظام التعاوني حيث يتم على أساس هذا التنسيق تحقيق أهداف المؤسسة بشكل فعال.

■ يتم من خلال عملية الاتصال، اطلاع الرئيس على نشاط مرؤوسيه كما يستطيع التعرف أيضا على مدى تقبلهم لأرائه وأفكاره وأعماله لنشاطات المدير في مجال توجيه فعاليات المرؤوسين⁽⁷⁾.

يوفر الاتصال مع التكنولوجيا فرصة للاتصال بين الموظفين سواء كانوا في مكان عمل واحد أو كانوا في مواقع متفرقة على سطح الأرض. و مما ذكر نستنتج مدى أهمية الاتصال الإداري في المؤسسة الصناعية فعن طريقه يتم تنفيذ الأعمال بصورة جيدة حيث يتم اختصار الوقت وبالتالي تحقيق الأهداف بكفاءة عالية.

أ- عناصر العملية الاتصالية: سنتناول مكونات العملية الاتصالية كما يلي:

➤ المرسل: وهو مصدر الرسالة أو النقطة التي تبدأ عندها عملية الاتصال عادة، وقد يكون هذا المصدر هو الإنسان أو الآلة أو المطبوعات أو غير ذلك⁽⁸⁾.

➤ الرسالة: وهي مجموعة من الأفكار والمفاهيم والمهارات أو المبادئ أو القيم والاتجاهات التي يرغب المرسل في توجيهها لمن هم في حاجة إليها من الأفراد أو الجماعات لاشتراكهم فيها⁽⁹⁾.

- تحديد وسيلة الاتصال: هي ما تؤدي به الرسالة أو القناة التي تحمل الرموز التي تحتويها الرسالة من المرسل إلى المستقبل⁽¹⁰⁾.
- مستلم الرسالة: قد يكون فردا أو جماعة أو أي مركز آخر للاستلام، وتوجد عوامل تؤثر على فهم الرسالة من قبل المستلم، حيث يجب أن يكون هذا الأخير على درجة من الثقافة والتعليم فيما يختص مع نوع الوسيلة الاتصالية لكي يكون قادرا على التعامل مع المعلومات المنقولة بكفاءة⁽¹¹⁾.
- تحليل الرموز وفهمها (فك رموز الرسالة): عندما تصل الرسالة إلى المستقبل فإنه يبدأ بفك رموزها بمعنى إعادتها إلى شكلها الأساسي، ويشتمل ذلك على العديد من العمليات الفرعية مثل: فهم الألفاظ المسموعة أو المقروءة، وشرح تعبيرات الوجه⁽¹²⁾.
- التغذية العكسية: تعتبر التغذية العكسية جزءا لا يتجزأ من عملية الاتصال ليعلم المرسل نتائج العمل الذي قام به⁽¹³⁾.
- الضوضاء: تؤثر على عملية الاتصال في المؤسسة عوامل متعددة تؤدي إلى صعوبة وعدم وضوح في عملية الاتصال، وهذه المؤثرات قد تحدث إما من المرسل أو من خلال عملية الإرسال أو عند استلام الرسالة⁽¹⁴⁾.

3. أنواع الاتصال الإداري ونماذجه:

- أ. أنواع الاتصال الإداري: تختلف أنواع الاتصال وفقا للمعايير المحددة للتصنيف، ويمكن تصنيف أنواع الاتصال الإداري وفقا للمعايير التالية:
- أنواع الاتصال وفقا للغة المستخدمة: يمكن تقسيم الاتصال حسب اللغة إلى⁽¹⁵⁾
- اتصال لفظي: وهو الذي يستخدم فيه اللفظ أو الكلمة كوسيلة لنقل الرسالة من المصدر إلى المستقبل، وينقسم إلى نوعين:

▪ اتصال شفهي: وفي هذا النوع من الاتصال يصل اللفظ منطوق إلى المستقبل، ومن أمثلة هذا النوع: المحاضرات والندوات والمناقشات والمناظرات والمقابلات والخطب، يتميز الاتصال الشفهي بقدرته على توفير الوقت كما أنه يسمح بالمواجهة ويخلق نوعاً من الصداقة بين طرفي الاتصال.

▪ اتصال كتابي: يعمل على نقل المعلومة المطلوبة إلى عدد كبير من الأفراد بالإضافة إلى أنه يمكن الرجوع إليه وقت الحاجة كما يسمح بتوصيل جميع المعلومات المراد إيصالها سواء كانت أوامر أو إحصاءات أم بيانات.

▪ اتصال غير لفظي: ويشمل كل أنواع الاتصال التي تعتمد على اللغة الغير اللفظية وتتمثل في الإشارات والحركات التي يستخدمها الإنسان لنقل تعبيرات الوجه والحركات والإشارات، وكذلك تتمثل في الصور والموسيقى والمجسمات.

➤ أنواع الاتصال وفقاً للاتجاه: هناك اتجاهان للاتصال:

▪ الاتصال من طرف واحد: يكون تدفق المعلومات والتوجيهات فيه بصورة عامة من المسؤول للعاملين دون مناقشة، أي من أعلى إلى أسفل، ومن ثم يجد الفرد العامل نفسه منعزل لا يعرف رأي الإدارة بمستوى أدائه وإنتاجه، فيشعر بعدم الاستقرار وهذا نمط كانت الإدارة تمارسه كأداة لتحقيق الاتصال ووسيلة تضمن نقل الأوامر والتوجيهات والمعلومات من المسؤولين إلى العاملين⁽¹⁶⁾.

▪ الاتصال في اتجاهين: تتدفق المعلومات فيه من الإدارة للعاملين ومن العاملين إلى الإدارة من خلال التواصل المزدوج، حيث يضمن هذا الأسلوب اكتشاف المشكلات قبل حدوثها، ويكشف مدى فهم وتجاوب العاملين للرسالة التوجيهية التي اشتركوا في مناقشتها.

➤ أنواع الاتصال وفقاً لطبيعة مصدر الرسالة: تنقسم إلى ما يلي:

- الاتصال الرسمي: يتم من خلال خطوط السلطة ونطاق الإشراف وتأخذ المعلومات التي يتم تداولها شكل الأوامر والتعليمات والاستشارات التي تصدر من الإدارة العليا إلى المستويات الدنيا، سواء من أعلى إلى أسفل إلى أعلى أو في شكل أفقي⁽¹⁷⁾.
- الاتصال غير الرسمي: تعتبر الاتصالات الغير الرسمية أسرع من أنماط الاتصال الرسمية وتتم خارج التنظيم الرسمي من خلال الجماعات الغير الرسمية، وتهدف إلى إشباع حاجات الأفراد والجماعات⁽¹⁸⁾.
- أنواع الاتصال وفقا للنطاق: وتنقسم إلى اتصالات خارجية و اتصالات داخلية:
- الاتصالات الخارجية: الاتصال هنا لا يقتصر فقط على العلاقات بين المسؤولين والعاملين داخل المؤسسة، ولكنه يمتد أيضا إلى من يتعاملون مع المؤسسة الإدارية من جمهور المتفاعلين⁽¹⁹⁾.
- الاتصالات الداخلية: يقصد بها الاتصالات داخل المؤسسة لتحقيق أهدافها ومنها إقامة الروح المعنوية العالية للعاملين داخل المؤسسة⁽²⁰⁾.
- نماذج الاتصال: من بين الإسهامات العلمية لتصميم نموذج الاتصال مايلي:
- نموذج لاسويل Laswil: قدم لاسويل منظورا عاما للاتصال تجاوز حدود العلوم السياسية، فقال: "إن عملية الاتصال يمكن توضيحها بالعبارة اليسيرة التالية: من يقول ماذا ولمن وبأي وسيلة وبأي تأثير". وبالنسبة للقناة فقد قدم لاسويل تعريفا لها بحيث شملت الوسائل الجماهيرية بالإضافة إلى الحديث اللفظي بوصفه جزءا من عملية الاتصال وقدمت طريقته أيضا منظورا أعم لهدف أو تأثير الاتصال، فالاتصال عنده يمكن أن يحقق الإعلام أو التسلية والإشارة والإقناع⁽²¹⁾.

نموذج شانون وويفر claude Elwood Shannon – werren weaver :

لقد تمكن شانون خلال عمله في فك الشفرات السرية من صياغة فرضياته حول النظرية الرياضية للمعلومات. واقترح شانون بنية نظام عام للاتصالات، إذ كتب مشيراً إلى أن مشكلة الاتصال بالنسبة له تكمن في إعادة إنتاج رسالة ما بطريقة دقيقة تقريبية من نقطة ما مختارة إلى نقطة أخرى ففي هذه البنية الخطية حيث تحدد الأقطاب مصدر نهاية تتركز على المكونات التالية: المصدر: الذي يقوم ببث الرسالة إلى إشارات قابلة للإرسال يقوم الهاتف بتحويل الصوت إلى ذبذبات كهربائية، والقناة هي الوسيلة المستخدمة في نقل الإشارات (الكابل الهاتفي)، ومفسر الشيفرة أو المتلقي الذي يقوم بإعادة بناء الرسالة بالاعتماد على الإشارات، وأخيراً الوجهة: وهي الشخص أو الشيء الذي تنتقل إليه الرسالة⁽²²⁾.

وفي توضيح لفكرتهما، أدخل شانون وويفر مصطلح ضوضاء الذي كان يرمز لأي تشويش يتداخل مع إرسال الإشارة من مصدرها إلى هدفها كالتشويش، وطورا أيضا فكرة قناة التصحيح، واعتبراها وسيلة للتغلب على المشكلات التي يخلقها الصوت ويقوم بتشغيل قناة التصحيح مراقب يقارن بين الإشارة الأساسية التي أرسلت بتلك التي تم استلامها، وعندما تختلف الإشارتان ترسل إشارات إضافية لتصحيح الخطأ⁽²³⁾.

➤ نموذج بيرلو: وضع بيرلو في هذا النموذج لعناصر العملية الاتصالية عوامل ضابطة فالمهارات المواقف، المعرفة، الثقافة والنظم الاجتماعية للمصدر ذكرت على أنها مهمة لفهم طريقة عملية الاتصال كما أن المحتوى والمعالجة والرمز مهمة للرسالة، وقد اهتم النموذج بالحواس الخمس بصفاتها قنوات رئيسية للمعلومات وأن العوامل نفسها تؤثر على المستقبلين كمصادر. ولقد ركز بيرلو في شرحه للنموذج على أن الاتصال عملية متسلسلة والمعاني موجودة في الناس وليس في الكلمات، أي تفسير الرسالة بشكل رئيسي يعتمد على المرسل والمستقبل، وما تعنيه الكلمات لهما أكثر منهم اعتمادها على عناصر الرسالة⁽²⁴⁾.

4. وسائل ونظريات الاتصال ومميزات الاتصال الفعال:

أ- وسائل الاتصال: يمكن إجمال هذه الوسائل كما يلي:

– الوسائل الاتصالية المكتوبة : تتخذ أشكال متنوعة منها :

- التقارير: تعتبر من الوسائل الأساسية في العمل الإداري حيث تعمل على تنسيق الأعمال الخاصة بالأفراد العاملين داخل المؤسسة، كما تشرف على السير الحسن لهذه العمليات، فالتقارير عماد لأي مؤسسة وكفاءتها مرهونة بمدى دقة صياغتها وتبويبها .
- التلكس: من مميزاته أنه مكتوب ومسجل، فهو لهذه الناحية أفضل من التلفون لأنه يشكل وثيقة قابلة للحفظ، وهو مضمون الوصول إلى المستقبل، ولذلك فهو أفضل من البرقية التي يمكن أن تضيع، وأسرع من كليهما في الاتصالات الخارجية⁽²⁵⁾.
- لوحة الإعلانات: تفيد في بث ونشر الإعلانات الرسمية للمؤسسة ولإخبار العاملين بالأمور العاجلة والهامة، وبالتغيرات التي تحدث في قواعد وأنظمة العمل، وتعتبر جريدة الحائط أحد التنوعات من لوحة الإعلانات وهي تمثل وجهة نظر المؤسسة بصورة دورية (شهريا مثلا)، أو قد تمثل وجهة نظر وتعليق العاملين ونقابتهم أو صناديق الزمالة حول الموضوعات التي تهم علاقة العاملين بالمؤسسة.
- المجلة: تستخدم المجلة أو جريدة المؤسسة كوسيلة لإخبار العاملين عن الأنشطة التي تجري داخلها سواء كانت تمس العاملين أو الشركة، أو كانت أخبار رسمية أو رياضية أو ترفيهية وتعتبر المجلة وسيلة جيدة لاشتراك العاملين في أنشطة المؤسسة، من خلال المقالات والأخبار وتوجيه الأسئلة وكتابة التعليقات وغيرها⁽²⁶⁾.

وسائل الاتصال الشفوية : من أمثلة الاتصالات الشفوية مايلي:

■ الهاتف: يعتبر من أهم وسائل الاتصال الشفوية، حيث يتميز بالسرعة في نقل المعلومات وتوفير وقت كبير، ويرى Roman Jakobson بأن الاحتكاك يعد وظيفة أساسية للاتصال وأنها تظهر من خلال مثال ضعيف - ألو هل تسمعي - تشكيلة من خلالها نراقب على الهاتف الوظيفة الجيدة للخط (Daniel Bounoux, 1998:22)، في كل مرة يؤكد الشخص على العلاقة الحرة لمحتوى الرسالة. وبواسطة الهاتف يستطيع المدير أن يقوم بالعديد من أعماله عن طريق الاتصالات السريعة بمختلف الأطراف ونتيجة للتطور الذي شهده جهاز الهاتف أصبح يرتبط بمراكز الحسابات الآلية والحصول على المعلومات المخزنة فيها، لاستخدامها في مختلف أغراض التخطيط واتخاذ القرارات⁽²⁷⁾.

■ الاجتماعات: تعتبر من الوسائل اللفظية وتعتمد على المناقشات، يتم انعقادها بصورة دورية أو في حالات استثنائية إذا استدعى الأمر لذلك، وما يميزها عن المحاضرات والندوات أن العبء الأكبر من حيث العدد والدراسة والمناقشة يقع على عاتق الأعضاء.

■ المقابلات الجماعية: تكون في شكل هيئة اجتماعات، كما قد تعقد في صورة ندوات أو مؤتمرات، وتساعد المقابلات الجماعية على إتمام الاتصال الجماعي وما يتبعه من الفوائد الناتجة عن تبادل الآراء والعمق في الدراسة، كذلك الإحاطة الكاملة بجوانب الموضوعات وتعمل المقابلات الجماعية على فتح المجال أمام العمال للإدلاء بآرائهم وكل الأفكار الجديدة القابلة للتنفيذ، باعتبار مصدرها هم القائمون على عملية التنفيذ⁽²⁸⁾.

■ المقابلات الشخصية: وهي وسيلة اتصال تحدث وجها لوجه يتم فيها تبادل الأفكار ومناقشتها للوصول إلى نتيجة إيجابية، ومن هنا كانت أهم وسائل الاتصال فعالية وأقواها أثرا وأقدرها على إقناع الآخرين بوجهة نظرنا، أو اقتناعنا بوجهة نظرهم⁽²⁹⁾.

▪ الاتصال المصور: تولي المؤسسات لهذا النوع من الاتصال أهمية بالغة، يتضح ذلك من خلال استعماله في مختلف ميادين أعمالها، والذي يتم عن طريق استخدام الصور أو الرسوم لنقل فحوى ومضمون الاتصال، ويتحقق هذا الأسلوب بوسائل مختلفة من أهمها: التلفزيون والسينما والصور التي يتم نشرها في الصحف والمجلات والإعلانات⁽³⁰⁾.

▪ الاتصال الإلكتروني: وهو الذي يتم عن طريق الانترنت والاجتماعات عن بعد، وتعتبر شبكة الانترنت أحد أفضل طرق تداول المعلومات في العالم ومن أهم الأسباب في الوصول إلى طريق المعلومات السريع وهي شبكة اتصالات عالمية تربط بين الآلاف من شبكات الكمبيوتر إما عن طريق خطوط الهاتف أو عن طريق الأقمار الصناعية⁽³¹⁾.

من خلال عرض وسائل الاتصال المختلفة يتضح مدى أهمية كل وسيلة على حدى في نقل أي معلومة، سواء أكانت مكتوبة أو شفوية أو مصورة أو غيرها.

ب - نظريات الاتصال في الفكر الإداري: هناك مجموعة من النظريات التي ساهمت في تطور علم السلوك التنظيمي منها: النظرية التقليدية وهي تضم مدرسة الإدارة العلمية، ومدرسة العملية الإدارية والمدرسة البيروقراطية، ثم جاءت النظرية الحديثة والتي تضم العديد من المدارس والدراسات الحديثة .

➤ النظريات التقليدية: ومن أهمها مدرسة الإدارة العلمية، ومدرسة العملية الإدارية والمدرسة البيروقراطية.

✚ مدرسة الإدارة العلمية: استهدفت حركة الإدارة العلمية تكوين توجه علمي توظف دراساته وبحوثه لغرض الاستفادة من الطاقات البشرية بشكل أكثر فاعلية وقدرة على تطوير الإنتاجية، والحد قدر المستطاع من المشكلات التي أدت إلى تخفيض إنتاجية العمل الصناعي عموماً، وذلك من خلال التركيز على مبدأ التخصص في العمل وتدريب الأفراد العاملين واعتماد الحوافز المادية في تشجيع الأداء الإنتاجي⁽³²⁾.

ونتيجة لتلك الدراسات والتجارب توصلت حركة الإدارة العلمية والتي تقترن بالكاتب الأمريكي فريدريك ونسلو تايلور **Frederik winslon Taylor** بشكل أساسي إلى أربعة مبادئ وهي: إحلال الأسلوب العلمي في أداء كل عنصر من عناصر العمل الذي يؤديه العامل محل الحدس والتخمين، بالإضافة إلى اختيار العاملين وتدريبهم وفق أسس علمية.


كما تنادي إلى تعاون الإدارة والعاملين لتحقيق أهداف العمل وفق الأسلوب العلمي و تقسيم العمل وتوزيع المسؤوليات بالتساوي بين الإدارة والعمال بحيث تتولى الإدارة مسؤولية التخطيط والإشراف ويعهد للعاملين مسؤولية التنفيذ⁽³³⁾.

✚ مدرسة العلاقات الإنسانية: ترى هاته المدرسة بأن المؤسسة أو المصنع ليست مجرد مجموعة من الأفراد الذين يصنعون سلعا معينة أو يسوقونها، بل إنها إلى جانب ذلك مجموعة من العلاقات بين هؤلاء الأفراد ببعضهم البعض. والعلاقات الإنسانية بين العاملين تظهر واضحة في الاحترام المتبادل والثقة والتعاون. والحقيقة أن موضوع العلاقات الإنسانية بين العاملين بالرغم من أهميته فإنه لم يكن موضوعا أساسيا عند كثير من العلماء وذلك حتى وقت قريب. وقد اتضح بعد ذلك أن العلاقات الإنسانية لها أهمية كبرى في الإنتاج بحيث أنه إذا كانت هذه العلاقات ضعيفة فإن الإنتاج يقل بصورة كبيرة. كما أن هذه العلاقات لها دور كبير في إصابة العامل بالأمراض النفسية وقد تؤدي بالعامل إلى ترك عمله، والتقلب بين الوظائف، وذلك إذا كانت هذه العلاقات ضعيفة⁽³⁴⁾.

➤ النظريات الحديثة: نذكر من بينها: المقاربة الوظيفية- النظرية الموقفية ونظرية المعلومات.

✚ المقاربة الوظيفية: تعتبر المؤسسة ككل عضوي يقيم أداؤه من خلال الوظائف الظاهرة والكامنة التي تؤديها مختلف عناصره، كما يعتبر الهيكل التنظيمي للمؤسسة وعاء توزع بداخله أدوار الأفراد في مستويات ودوائر وحدود مختلفة، وهو مستقل في وجوده عن العمليات التي تسببت في

إنشائه وتغييره، فالاتصال يعتبر مادة ملموسة تنتقل أفقيا وعموديا (صعودا ونزولا) داخل هيكل المؤسسة، وأن للرسائل الاتصالية مواقع فضائية وزمنية مستقلة عن المرسل والمستقبل، وعلى العموم وبالنسبة للموظفين فالواقع موجود لذاته ويكفي تحليله من الخارج لفهم مضمون العمليات الاتصالية، ومن المواضيع الطليعة للتحليل الوظيفي في هذا المجال دراسة توزيع الأدوار، الرسائل، النماذج الاتصالية المؤسسية العالمية، المعوقات وغيرها⁽³⁵⁾.

 نظرية النظم: وتعتبر من النظريات الحديثة وتوفر لعلماء الإدارة والممارسين إطارا متكاملا يبين مدى تأثير العوامل البيئية الداخلية والخارجية على المنظمة وكذلك تأثير المنظمة على هذه العوامل. وتحت هذا المفهوم، فإنه ينظر إلى المنظمة كنظام مفتوح يؤثر ويتأثر بعوامل البيئة الداخلية والخارجية⁽³⁶⁾.

كما قدمت مساهمات خاصة حول الاتصال وهي تنظر إلى منظمات الأعمال على اعتبار أنها نظام اجتماعي يضم أفرادا أو أهدافا أو اتجاهات نفسية ودوافع مشتركة بين الأفراد، فترى أن النظام الاجتماعي لن يستقيم دون وجود اتصالات تؤثر فيه بحيوية، وترى نظرية النظم:

* أن الاتصالات هي جزء من النظام الاجتماعي للعمل، تؤثر فيه وتتأثر به .
* أن الاتصالات هي الوسيلة لربط النظام الاجتماعي للعمل بالبيئة المحيطة به من منظمات أخرى، عملاء وموردين، ومساهمين وغيرها.

* يعتمد التوازن داخل النظام الاجتماعي للعمل على وجود نظام متكامل من الاتصالات الذي يربط أجزائه وأفراده.

* أنه باختلاف الظروف (مثل أطراف الاتصال، وموضوع الاتصال وغيرها)،
* يمكن أن يختلف نظام ووسائل الاتصال أي أن الوسيلة تختلف لكي تتناسب مع الظروف.

وهكذا فإن الاتصال يعتبر نظام متكامل للربط بين أجزاء النظام ككل.

نظرية المعلومات: تقدم نظرية المعلومات بعض المساهمات في نظرية الاتصالات فهي ترى أن الاتصالات عبارة عن مجموعة الأنشطة الخاصة باستقبال المعلومات، وترميزها وتخزينها وتحليلها واستعادتها وعرضها، وعلى هذا فان هناك اهتماما خاصا بتحويل المعلومات من شكلها الوصفي التقليدي (في شكل أحاديث أو تقارير أو غيرها) إلى رموز معينة مثل تلك النظم المستخدمة في المكتبات أو توثيق المستندات، وقد يصل الأمر إلى تحويل المعلومات إلى رموز تأخذ شكل الإشارات الكهربائية كما يحدث في الحاسبات الآلية حيث تسهل عملية استقبال وتسجيل وتخزين المعلومات، كما تهتم نظرية المعلومات بتحويل البيانات محل الاتصال من شكلها الوصفي إلى شكل رياضي أو إحصائي، مما يسهل معالجتها بصورة أسرع⁽³⁷⁾.

مميزات الاتصال الفعال: نحدد فيما يلي⁽³⁸⁾:

تقوية العلاقات- يساعد في بناء الثقة والتعاون- يساعد على إزالة اللبس وسوء الفهم ويقلل المشاكل والخلافات - يحقق التناسق في الأداء - تدعيم العلاقات مع المجتمع - تدعيم المركز التنافسي للمؤسسة - تحقيق الفاعلية لعمل الإدارة - التعرف على مشكلات ومعوقات العمل - تقليل الإشاعات في التنظيم - تفهم الفرد للعمل المكلف به - تدعيم مفهوم العلاقات الإنسانية.

كما أن البداية السليمة لعملية الاتصالات والتي تتعلق بالمعلومات وأصول تبادلها هي وضوح المعلومة التي يريد المسؤول الإداري توصيلها إلى العاملين، وعليه فإن خطوات الاتصال الفعال هي⁽³⁹⁾:

- إصدار التعليمات: وفي هذه الخطوة تنحصر التعليمات اللازمة لحسن سير العمل وصياغتها بشكل يمكن للمعنيين فهمه بسهولة ويسر.
- ضمان وصول التعليمات للجهات المعنية في الوقت المناسب: فلا بد من مراعاة اختيار الوسائل والقنوات المناسبة لنقل مختلف التعليمات.

التأكد من متابعة التنفيذ والتقويم: فلا بد من مراقبة المنفذين والتأكد من قيامهم بأعمالهم وفق التعليمات الموجهة إليهم وإذا كان هناك أي خلل في التنفيذ يتم تصحيحه وتقويمه (40).

الخاتمة:

بعد عرضنا لمجمل العناصر المتعلقة بالموضوع يتبين أنه كلما انتهجت المؤسسة نهج تدعيم العلاقات الاتصالية والإنسانية والاجتماعية بين العاملين بروح الفريق الواحد، وفتح قنوات الاتصال وخلق جو صحي وودي، بين العاملين والمديرين والمشرفين وتجنب جميع المعوقات التي قد تحول دون إتمام العملية الاتصالية بشكل فعال، فإن ذلك يؤدي إلى تجنب حدوث الكثير من الهفوات داخل المؤسسة الصناعية والتي من شأنها أن تؤثر سلبا على أداء العاملين ونشاطات المؤسسة، وتعزيز فرص تحقيق أهدافها.

❖ هوامش البحث:

- (1) دادي عدون ناصر: الاتصال ودوره في كفاءة المؤسسة الاقتصادية - دراسة نظرية وتطبيقية- ، دار المحمدية ، الجزائر، 2004، ص:92.
- (2) عبد الحميد البدري طارق: الأساليب القيادية والادارية في المؤسسات التعليمية، ط2، دار الفكر، عمان الأردن، 2005، ص: 146.
- (3) شاكر البكري إياد: تقنيات الاتصال بين زمنين، دار الشروق، عمان، الأردن، 2003، ص: 17.
- (4) سلمان العميان محمود: السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، ط3، دار وائل، عمان، الأردن ، 2005، ص: 237.
- (5) بن نوار صالح : مرجع سابق، ص: 34.
- (6) قاسم القريوتي محمد: السلوك التنظيمي - السلوك الإنساني الفردي والجماعي في المنظمات المختلفة - ، ط 4، دار الشروق، عمان، 2003، ص:200.
- (7) مصطفى العليان ربحي، محمد الطوباسي عدنان: الاتصال والعلاقات العامة، دار الصفا، عمان، 2005، ص ص: 35-38.
- (8) السيد عبید ماجدة: الوسائل التعليمية في التربية الخاصة، دار الصفاء، عمان، 2000، ص:30.
- (9) محمد أبو شنب جمال: نظريات الاتصال والإعلام - المفاهيم - المداخل النظرية - القضايا، 2006، ص:15.
- (10) دليو فضيل: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص: 23.
- (11) عبد الحميد البدري طارق :مرجع سبق ذكره، ص:147.

- (12) جرينبرج جيرالد براون - روبرت: إدارة السلوك في المنظمات، ترجمة: محمد رفاعي رفاعي، علي بسيوني إسماعيل، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 2004، ص: 348.
- (13) شحاته أمين عايد: التكنولوجيا التعليمية، كنوز المعرفة، الأردن، عمان، 2006، ص: 52.
- (14) لييب الطاهر، بيضون اليأس: الموسوعة العربية للمعرفة من أجل التنمية المستدامة البعد الاجتماعي، المجلد الثالث، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2007، ص: 241.
- (15) محمد منير حجاب: مرجع سبق ذكره، ص ص: 34-35.
- (16) أوهايبية فتحية، نواري أمال: الاتصال الجمعي - أشكاله - أجياله - وسائله - وتقنياته - أهدافه، مجلة العلوم الإنسانية، العدد: 9، مارس 2006، دار الهدى، عين مليلة، ص، ص: 290-291.
- (17) الصريفي محمد: الاتصالات الإدارية - سلسلة إصدارات التدريب الإداري، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، 2008، ص، ص: 126-128.
- (18) سلمان العميان محمود: مرجع سبق ذكره، ص: 250.
- (19) بن حمودة محمد: علم الإدارة المدرسية وتطبيقات في النظام التربوي الجزائري، دار العلوم، الجزائر، دس، ص: 224.
- (20) محمد منير حجاب: مرجع سبق ذكره، ص: 50.
- (21) الأغبري عبد الصمد: الإدارة المدرسية البعد التخطيطي والتنظيمي المعاصر، دار النهضة، بيروت، 2000، ص: 50.
- (22) أرمان و ماتلار ميشال: تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة: لعياضي نصر الدين، الصادق رابع، ط 3، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2004، ص: 70.
- (23) الاغبري عبد الصمد: مرجع سبق ذكره، ص: 53.

(24) حسين إسماعيل محمود: مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، الدار العالمية، شارع الملك فيصل ، 2003، ص:215.

(25) حجازي مصطفى: الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة، دار الطليعة، لبنان، 1982، ص ص:152-153.

(26) أحمد ماهر: كيف ترفع مهاراتك الإدارية في الإتصال، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص، ص:67-68.

(27) حجازي مصطفى :مرجع سبق ذكره، ص:156.

(28) رفعت عبد الوهاب محمد، شيحا إبراهيم عبد العزيز :أصول الإدارة العامة، دار المطبوعات الجامعية مصر، 1998، ص:274.

(29) الدويك تيسير وآخرون: أسس الإدارة التربوية و المدرسية، ط2، دار الفكر، عمان، 1998، ص:276.

(30) محمد رفعت عبد الوهاب، إبراهيم عبد العزيز شيحا: مرجع سبق ذكره، ص:274.

(31) منير حجاب محمد: الموسوعة الإعلامية، مجلد 1، دار الفجر، 2003 ص ص: 65-66.

(32) محمد حسن الشماع خليل: نظرية المنظمة، دار المسيرة، عمان، 2000، ص:44.

(33) حريم حسن :إدارة المنظمات منظور كلي، دار الحامد، عمان، الأردن، 2003، ص:21.

(34) كمال طارق: علم النفس المهني والصناعي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2007، ص:165.

(35) دليو فضيل :اتصال المؤسسة -اشهار -علاقات عامة مع الصحافة، ط3، دار الفجر، القاهرة ، 2003، ص، ص:15-16.

(36) درة عبد الباربي، جودة محفوظ: الأساسيات في الإدارة المعاصرة منحنى نظامي، دار وائل، الأردن، عمان، 2011، ص:84.

- (37) ماهر أحمد: مرجع سابق ، ص، ص: 37-38.
- (38) حسين حمودة رامي: مفاهيم حديثة في وظائف الادارة التربوية والتعليمية، دار أسامة، الأردن، عمان، دس، ص: 140.
- (39) هاشم حمدي رضا، مرجع سبق ذكره: ص ص 106-107.
- (40) محمد موسى فتحي: العلاقات الانسانية في المؤسسات الصناعية، دار زهران، عمان الأردن، 2009، ص ص: 183-184.

البناء الأسري والتغيرات الاجتماعية الحديثة

الأستاذة: فتيحة تمرسيت
جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

تؤكد العديد من الدراسات الاجتماعية أن هناك تباينًا في أنماط الأسر داخل المجتمع الواحد، فهناك العديد من العوامل الاجتماعية والثقافية تتداخل بشكل أو بآخر في تحديد شكل وحجم الأسرة ووظائفها، حيث أن القوى الاجتماعية داخل المجتمع تسهم بصورة مباشرة، وغير مباشرة في خلق أنماط أسرية جديدة، تتماشى وطبيعة المجتمع والبيئة الحضرية التي يشملها التغير الاجتماعي بمختلف أنواعه وتأثيراته.

Abstract:

Many of the social studies confirm that there is a disparity in household types within the same community, there are many social and cultural factors interfere one way or another in determining the shape and size of the family and its functions, as the social forces within the community contribute directly and indirectly to the creation of new family patterns, in line with the nature of society and the urban environment covered by the different forms of social change and its effects.

يعد التغير ظاهرة من ظواهر المجتمع الإنساني، صاحبها منذ نشأة البشرية الى يومنا هذا، والتغير الاجتماعي سمة من سمات المجتمع، وسنة من سنن الكون، حيث مس جميع مظاهر الحياة الإنسانية ولم يعد مقتصرًا على دولة دون أخرى، وإنما شمل معظم الدول والبلدان، وخاصة تلك التي تأثرت بعمليات التحضر والتصنيع.

وقد أثارَت ظاهرة التغير الاجتماعي الكثير من الجدل والنقاش عند علماء الاجتماع، حيث كانت النظريات السوسيولوجية الأولى تخلط بين مفاهيم (التغير، التطور، النمو، التقدم)، وقد ظهر معنى التغير الاجتماعي بشكله المعاصر كنتيجة للصعوبات التي واجهت نظريات التقدم بمفهومها الفلسفي ونظريات التطور بشكلها المتقدم البيولوجي⁽¹⁾.

ويمكن تحديد مفهوم التغير الاجتماعي وسماته من خلال ثلاثة أبعاد:

- البعد الأول: هو ان التغير الاجتماعي مرتبط بالزمن اي محدود زمنيًا.
- البعد الثاني: هو ان التغير الاجتماعي دائم، اي يمكن ملاحظته في حالة مستمرة.
- البعد الثالث: ان التغير هو ظاهرة اجتماعية⁽²⁾.

والتغير الذي يحدث في المجتمعات لا يقف عند المظاهر المادية فحسب، بل يتعدى ذلك الى القيم والمثل والعادات وطرق التفكير، كما يتضمن طرقًا مختلفة لتنظيم الحياة الاسرية والعلاقات الاجتماعية، وتغيير اتجاه الافراد وقيمهم وعاداتهم وسلوكهم.

1. التغير الاجتماعي:

يعد مفهوم التغير الاجتماعي حقيقة من حقائق المجتمع الإنساني، إذ لا يعقل وجود مجتمع ساكن تماما مهما كانت درجة بدائيته و تحلفه، حيث تظهر ملامح هذا التغيير بصورة أكثر في القيم والثقافة والمجتمع والأسرة، ولم يقتصر التغيير على النواحي الاجتماعية فقط وإنما تعداها بوضوح وسرعة إلى أساليب الإنتاج والعمل.

وتختلف خصائص التغيير الاجتماعي باختلاف المجتمعات، حيث يتأثر بالزمان والمكان وبكل ما يؤثر في الإنسان ونذكر من هذه الخصائص:

1. التغيير الاجتماعي ينبع من ذات الجماعة أو من فئة منها تشعر بشعورها.

2. التغيير الاجتماعي شامل لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية.

3. التغيير الاجتماعي واقعي، أي انه يعالج أمرا واقعا ومشكلة اجتماعية موجودة فعلا.

4. التغيير الاجتماعي ايجابي وهادف، شريطة أن ينطلق من تخطيط سليم لحياة الجماعة⁽³⁾.

ويمكننا القول بأن عملية التغير الاجتماعي مستمرة، ولهذا تحدث التغيرات والتحولات الاجتماعية والثقافية وفقا لمقتضيات معينة تفرضها بيئة المجتمع من ناحية والأوضاع الاجتماعية من ناحية، وتقابلها من الجهة الأخرى أي من الناحية الثقافية طبيعة العادات والأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع من ناحية أخرى.

وإذا حاولنا تحديد عمليات التغير الاجتماعي القائمة في كل مجتمع، نجد أن العديد منها تحدث في وقت واحد، فهنا يحدث التوافق وهناك يحدث الصراع، ومن ناحية أخرى نجد الثورة، كما نجد في جهة أخرى السكون والهدوء، وهناك من نجده يعود الى الماضي والحياة البسيطة، ويرفض التحديث..... الخ، ومن

خلال كل هذه التغيرات المتضاربة لا نستطيع أن نكشف الحركة الكلية للمجتمع باعتباره وحدة متكاملة⁽⁴⁾.

ونظرا لميل بعض جوانب الثقافة للتغير بصورة اكبر من الجوانب الاجتماعية الأخرى فقد ترتب على التغيرات الثقافية ظهور العديد من المشكلات المتعلقة بالتكيف الثقافي والذي مست العديد من نظم المجتمع ولعل أهم نظام فيه هو النظام الأسري السائد في مدننا العربية والذي يستند إلى جملة من المعايير والمثل والأعراف والتقاليد والتي بتغيرها تتغير أنماط هذا النظام الأسري ووظائفه الاجتماعية والثقافية وحتى الاقتصادية، وبخاصة مع ظهور الحضرية وانتشار التكنولوجيا العالمية.

إن اتجاهات التغير التي مست النظام الأسري في العالم المعاصر دفعت بالأسرة الحديثة نحو نمط الأسرة النواة، والذي يتكون من الوالدين وأبناهما الغير متزوجين، وقد أدى ظهور هذا الشكل الاسري إلى انهيار نمط الأسرة الممتدة، حيث أشار " وليم جود " إلى عدد من التغيرات الهامة التي حدثت في أنماط الأسرة في جميع أنحاء العالم، وبخاصة في مدننا العربية التي تدين بالقيم والعادات والدين و الأعراف، وتتضمن هذه التغيرات زيادة الحرية في الاختيار للزواج، كما أصبحت الأسرة الحديثة أكثر استقلالا من الناحية الاقتصادية، وارتفاع سن الزواج وتناقص فارق السن بين الزوجين، وانخفاض معدل الزواج بين الأقارب، وتزايد نسبة النساء العاملات... الخ، وهذه التغيرات في أنماط الأسرة من حيث البناء أو الوظائف ترتبط بدون شك بالنمو السريع للمجتمع في مجالات أخرى عديدة مثل التصنيع والحضرية والتحديث⁽⁵⁾.

ويرجع " اجبرن " التغيرات التي حدثت في الأسرة الى عوامل خارجية رئيسية ، وعوامل داخلية ثانوية، حيث أرجع هذه التغيرات الى متغيرات مادية تمثلت في التكنولوجيا، فالصناعة قد أوجدت تغييرا في مكانة عمل المرأة التقليدي، ولم يعد المنزل هو مكان عمل المرأة الوحيد وذلك بسبب الثورة التكنولوجية وما صاحبها من ثورة حضرية نجم عنها فقدان الأسرة للكثير من وظائفها. ولا يتوقف

هذا التأثير على وظائف وبناء الأسرة وإنما يتعداه ليترك أثارا على الوحدات البنائية للأسرة⁽⁶⁾.

وقد أدت التغيرات الاجتماعية الى زيادة الحاجة الى الأسرة لمباشرة وظائفها، حيث أن التغيرات الداخلية للأسرة عملت على زيادة مسؤوليات الأسرة من جهة ومن ناحية أخرى ضعف كفاءتها وضعفها في انجاز ذلك⁽⁷⁾.

وعموما فقد صاحب هذا التغير في بناء الأسرة ووظائفها ظهور أنماط جديدة من الأسر، وسوف نستعرض أهمية التغيرات التي أصابت الأسرة وأدت إلى وجود تغيرات أساسية في أنماطها ووظائفها.

2. عوامل التغير في أنماط الأسرة:

أ. العامل الاقتصادي:

يقصد بالعوامل الاقتصادية، شكل الإنتاج والتوزيع والاستهلاك ونظام الملكية السائدة في المجتمع والتصنيع، وتلعب تلك العوامل دورا هاما في احداث ظاهرة التغير الاجتماعي، فمثلا عندما يتغير نظام الملكية في مجتمع من المجتمعات، فان ذلك يصاحبه تأثيرات عميقة وواضحة في الأنساق الاجتماعية الأخرى داخل البناء الاجتماعي. ويحدث التصنيع على الواقع تغيرا هائلا، ليس فقط في الثروة والدخل القومي، وإنما أيضا في عقلية الإنسان وأفكاره ومبادئه.

هذا، وترتبط العوامل الاقتصادية بعوامل أخرى كالسكان والبيئة والتكنولوجيا، وقد يكون للعوامل الاقتصادية السبق في التعجيل بسرعة التغير، إلا أن ذلك ليس العامل الوحيد المسبب للتغير والمترتبة عليه، وهذا عكس ما نادت به الماركسية وهو أن طريقة الإنتاج في الحياة المادية تتحكم في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية⁽⁸⁾.

من خلال ذلك نستطيع أن نخلص من أن العامل الاقتصادي قد يكون ذا أهمية كبرى في التعجيل بالتغير الاجتماعي، ولكنه ليس بالعامل الحتمي، ذلك لأن باقي عوامل التغير الاجتماعي تتفاعل معه لتغير المجتمع، وخاصة إذا كان

لنظام القيم وثقافة المجتمع أهمية كبيرة من حيث درجة سيطرتها على التفاعل الاجتماعي، حيث أن التغير الاجتماعي الذي سيحدث في هذا المجتمع عليه أن يراعي قيم المجتمع وثقافته التي ستجدد أهمية باقي التغيرات.

ولقد كانت الأسرة في الماضي وحدة اقتصادية مكتفية ذاتيا، وذلك لأنها تقوم باستهلاك ما تنتجه وبالتالي لم تكن بحاجة للبنوك أو المصانع أو المتاجر، حيث كان أفراد الأسرة يستمدون مكانتهم الاجتماعية من مكانة أسرهم، في الوقت الذي كان اسم العائلة يحظى بأهمية وقيمة كبرى، كما كانت الأسرة أيضا مسئولة عن حماية أعضائها، فالأب لا يمنح لأسرته الحماية الجسمانية فقط وإنما يمنحهم أيضا الحماية الاقتصادية، وكذلك يفعل الأبناء لأبائهم عندما يتقدم بهم السن.

ولعل أهم متغير في ميدان الأسرة كان إقدام المرأة على دخول ميدان العمل بعد أن قلت مسؤوليتها في البيت نتيجة لانتقال الإنتاج إلى الصناعة النامية وانتقال تربية الأطفال إلى المدارس، حيث أدى التصنيع وانتشار السمات الحضرية في المدن إلى تغيرات واسعة داخل الأسرة العربية وبروز الكثير من المشاكل التي ترتبت على الأوضاع الجديدة، ولقد عملت الأسرة من خلال ميكانزمات خاصة بها إلى التكيف والتوازن مع المستجدات الجديدة حتى ولو أدى الأمر إلى تغيير بعض وظائفها وتقلصها⁽⁹⁾.

ولا شك أن الانتقال من الريف إلى المدينة نتيجة انتشار التصنيع من أهم العوامل التي أدت إلى تغيرات في الخصائص البنائية والوظيفية للأسرة، وتمثل هذا في حجم الأسرة والتغيرات الوظيفية والاقتصادية إلى جانب التغيرات الجذرية التي طرأت على أنماط التفاعل بين أفرادها وعلى مجموعة القيم التي تواجه هذا التفاعل.

ب. العامل التكنولوجي:

يعتبر العامل التكنولوجي من أهم العوامل المحركة لحركة التغيير، حيث ينظر الناس للتكنولوجيا من أجل إيجاد حلول لمشاكلهم اليومية وطلب الراحة

والرفاهية، كما تلعب الاختراعات التكنولوجية دورا كبيرا في إحداث التغيير الاجتماعي بسرعة كبيرة .

وقد كان لنمو المجتمعات الصناعية الأثر الكبير في زيادة ثروة المجتمع وارتفاع مستويات المعيشة به، كما زادت معدلات التنقل سواء كان مكانيا أو اجتماعيا، بالإضافة إلى أن الفرد أصبح يحصل على مكانته الاجتماعية بمجهوده الشخصي وليس بانتمائه إلى فئة أو طبقة معينة، كما تغيرت العديد من أشكال اللامساواة الاجتماعية وخاصة بين الجنسين وهذا من خلال مشاركة المرأة للرجل في ميدان العمل، كما اثر التصنيع أيضا في مكانة المسنين حيث فقدوا القوة والوضع المتميز الذي كان لهم في مجتمعات ما قبل التصنيع، وتحولت القوة إلى الشباب والفئة العاملة الذين أصبحت لهم قيمة كبيرة.

وقد أدى التصنيع والتحديث إلى اختفاء نسق الأسرة الممتدة الذي كان شائعا في جميع المجتمعات التقليدية، ولم تعد الأسرة وحدة انتاج، حيث أصبحت الأسرة الممتدة غير وظيفية نظرا لما يتطلبه المجتمع الحديث من تنقل مكاني واجتماعي بين أعضائه، وحلت محلها الأسرة النواة الصغيرة المكونة من الزوج والزوجة وأطفالهما الصغار، وانهارت إلى حد بعيد روابط القرابة التقليدية ، كما قد حلت التنظيمات الرسمية والمدارس محل العديد من وظائف الأسرة في التنشئة الاجتماعية، وامتد التعليم إلى جموع الجماهير وليس فقط إلى القلة المتميزة، لان القوى العاملة الصناعية تحتاج إلى عمل المهرة والمثقفين، وهكذا أصبحت الجامعات والكليات ومراكز البحوث تعمل من اجل خلق هذه المعرفة المتخصصة (10)

والأسرة الحضرية الجزائرية تخضع لنفس الظروف التي تخضع لها أي أسرة حضرية في العالم العربي، حيث كانت خاضعة لمختلف العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية وعلاقات القرابة، بينما اليوم أصبحت لا تتقيد كثيرا بهذه القيم، حيث إكتسبت مظهرا جديدا من مظاهر الحضرية نتيجة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها الجزائر، وتحولت إلى أسرة حضرية تتصف بصغر

حجمها وضعف سلطتها الأبوية وقلّة إعتبرات القيم والضبط الاجتماعي لدى أفرادها، فأصبحوا أكثر حرية وتصرفا خصوصا في حياتهم وقراراتهم الشخصية.

فالمجتمعات المعاصرة منفتحة على جميع الثقافات والحضارات، حيث تختار منها وتتبنى ما يناسبها من قيم وتشريعات وقوانين وتنظيمات وتقنيات وأفكار، في حين أن المجتمعات المغلقة أو المعزولة عن العالم لسبب أو لآخر غالبا ما تكون ذات أنظمة اجتماعية واقتصادية وثقافية متخلفة، لذلك فإن التكنولوجيا منشطة لعملية التغيير الاجتماعي.

ج. العامل الديمغرافي:

يقصد بالعامل الديمغرافي حجم السكان ومعدلات نموهم وهجرتهم وخصوبتهم وغير ذلك من العوامل الديمغرافية الأخرى، وتختلف معدلات الزيادة السكانية من بلد إلى آخر، فهي كبيرة في البلدان النامية مقارنة بالبلدان المتطورة، حيث تتفاوت هذه المعدلات بين سكان الريف والمدينة، وتعتبر التركيبات السكانية من أكبر مجالات التغيير في العصر الحديث، حيث أن التغيير السكاني ليس نتيجة ظرف معين وإنما هو حصيلة مجموعة من الظروف وقرارات التي اتخذها الأفراد لصالح أهدافهم الخاصة.

وترتبط عملية النمو السكاني بعملية التحضر والتصنيع، فقد تزايد سكان الكرة الأرضية بشكل سريع بعد الثورة الصناعية والتي صاحبها بالضرورة ثورة حضرية، ولا يرتبط هذا التزايد بالثورة الصناعية - أو الحضرية في حد ذاتها بل انه يرجع أيضا إلى التقدم في المستويات الصحية الأمر الذي أدى إلى التقليل من معدلات الوفيات، حيث أمكن التغلب على الكثير من الأمراض والأوبئة، بينما ضلت معدلات المواليد ثابتة وإن كانت مرتفعة في بلدان العالم النامي، وقد ساعد ذلك في حدوث طفرة سكانية على المستوى العالمي كان نصيب الدول النامية منها كبيرا⁽¹¹⁾.

ومن النتائج المترتبة على نمو السكان التركيز السكاني والكثافة الشديدة، مما قد يشكل مشاكل عديدة بالنسبة للكثير من المجتمعات، وهذا ما يحدث بالفعل في مجتمعاتنا في الوقت الحاضر، ولعل هذه الزيادة المطردة في السكان ترجع إلى نتائج الاكتشافات الطبية والعلمية الهائلة، مما أدى إلى انخفاض معدل الوفيات وارتفاع معدل المواليد⁽¹²⁾.

وتجدر الإشارة إلى دور الهجرة كمتغير ديموغرافي في التغيير الاجتماعي، فالحركات السكانية تحدث تغيرات هامة في المناطق التي ينزح منها السكان، والتي تؤدي إلى اختلالات سكانية تؤثر بدورها على أشكال النشاط الاقتصادي والاجتماعي، كما أن نزوح جماعات كبيرة من المهاجرين إلى مكان ما أو منطقة ما يؤدي إلى ظهور مشكلات لا حصر لها داخل المدينة.

وينظر البعض إلى النمو السكاني باعتباره وسيلة هامة في إحداث التغيير الاجتماعي، وذلك في ضوء النظرة التي تربط بين نمو السكان و توفر القوى العاملة المولدة للثروة، وفي هذه الحالة ينظر إلى العنصر البشري بوصفه عنصرا أساسيا من عناصر الإنتاج، وتتقابل وجهة النظر هذه مع وجهة النظر التي ترى في الانفجار السكاني نذير خطر و إن لم تنظر إلى النمو الهائل في السكان نظرة تشاؤمية طالما انه لا يصاحبه نمو في حجم الإنتاج أو في عناصر الغذاء اللازمة لهؤلاء السكان⁽¹³⁾.

وعموما فان معدلات النمو السكاني تتفاوت من مجتمع لآخر، ومن جماعة إلى أخرى، وهي تخضع بدورها لعدة عوامل مثل المستوى التعليمي و الدخل و المهنة و الدين... الخ.

1. آثار التغيير الاجتماعي على الأسرة:

يرى العديد من علماء الاجتماع أن التغيير الذي يتعرض له المجتمع كان له الأثر الواضح على بناء وظائف الأسرة الحضرية، ويمكن تلخيص أهم النتائج المتحصل عليها في الآتي⁽¹⁴⁾:

- إن التنقل الاجتماعي الذي أصبح من خصائص المجتمع الحديث يميل إلى إضعاف الروابط الأسرية و القرابية، فحركة الأفراد للسعي وراء العمل طلبا للمكانة الاجتماعية يؤدي إلى اتساع المسافة الاجتماعية بينهم وبين أقاربهم.
- هناك احتمال حدوث ظاهرة التفكك الأسري الذي يصحب انهيار الأنماط التقليدية وقيام النظم الجديدة، هذا التفكك الانتقائي لا يقتصر على الانفصال و الطلاق فقط ، وإنما يشمل أيضا انهيار النظام الأسري من خلال فقدان وظيفة الأسرة.
- إن الاختيار للزواج وعلاقات الآباء بالأبناء تتأثر بالفردية التي تقويها و تدعمها العصرية، حتى في المجتمعات التي يقوم نظامها الاجتماعي على إيديولوجية جماعية.
- عندما لا تصبح الأسرة وحدة إنتاجية اقتصادية، وخاصة في المناطق الحضرية فإن المركز الاجتماعي للنساء سوف يتدهور عمليا، ومع ذلك فإن احتمالات تشغيل النساء و الحرية المتزايدة يمكن أن تؤدي إلى فقدان المركز الاجتماعي.
- أدت التغيرات البنائية للأسرة إلى تغيرات في الأدوار داخل الأسرة الحضرية، وذلك نتيجة لظروف العمل الجديدة بالمقارنة بظروف العمل التي كانت سائدة في المجتمعات التقليدية، لهذا فقد الزوج كثيرا من سلطته في اتخاذ القرارات و دوره في تنظيم العلاقات داخل الأسرة وخاصة بعد أن تغير نظام التعليم و نوع المشاركة الأسرية واتجاهات الأسرة نحو الفردية أو الاستقلالية داخل المدينة.
- لقد صاحب تغير حجم الأسرة تغير في القيم المتعلقة بالإنجاب، حيث كان التقدم التكنولوجي والمستوى الاقتصادي للأسرة، وضيق المساكن وتنظيم النسل اثر مباشر في حجم الأسرة.

الخاتمة:

ونخلص من ذلك إلى أن بناء الأسرة متغير ووظائفها تجاه أفرادها و تجاه المجتمع الحضري قد تأثر بالعديد من العوامل المذكورة سابقا، والوعي بتصوير الشكل المرغوب لحجم الأسرة الحضرية ووظائفها، وعدد أفرادها وطبيعة العلاقات الداخلية، والضغوط الاقتصادية، كل ذلك له التأثير الفعال على تغير بناء الأسرة.

❖ هوامش البحث

- (1) سليمان علي الدليمي، محمد عبد المحسن: التغيير الاجتماعي والتحديث في المجتمع العربي الليبي، الطبعة الاولى، مؤسسة تالة للطباعة والنشر، طرابلس، 2001، ص 15.
- (2) jean pierre durand, **sociologie comtemporaine**, vigot, paris,1989,p287.
- (3) صلاح الدين شروخ: علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2004، ص ص 132، 131.
- (4) سناء الخولي: التغيير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003 ص 41
- (5) سناء الخولي: مرجع سبق ذكره، ص ص 209، 210.
- (6) ابراهيم بن مبارك الجوير: الاسرة والمجتمع، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، 2009، ص 32.
- (7) دلال ملحس استيتية: التغيير الاجتماعي والثقافي، الطبعة الثالثة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص، ص 54، 55.
- (8) محمد احمد بيومي، عفاف ناصر: علم الاجتماع العائلي، دراسة التغيرات في الأسرة العربية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008، ص ص، 213، 215.
- (9) سناء الخولي: مرجع سبق ذكره، ص 266.
- (10) دلال ملحس استيتية: مرجع سبق ذكره، ص 48
- (11) سناء الخولي: مرجع سبق ذكره، ص ص 223، 222.
- (12) عفاف عبد العليم ناصر، محمد احمد محمد بيومي: مرجع سابق ، ص 224.
- (13) عبد الرؤوف الضيع: مرجع سبق ذكره، ص 151.

الشورى بين الالتزام الإداري و اليقين الإيمانى

الأستاذة: زكية عقري

جامعة باتنة، الجزائر

الملخص:

إن مصادر التشريع الإسلامى الأساسية - متمثلةً فى القرآن الكريم والسنة النبوية - مليئةٌ بالمبادئ والقيم والأطر والأسس التى تحكم أى فكر إدارى متميز، لكن للأسف لم يتوقف أحد بشكل علمى لاستخراج هذه الكنوز، رغم تنوعها وشمولها، فالإدارة من العلوم الاجتماعية التى تتناول السلوك الإنسانى. وفى هذا المقال نحاول الوقوف على مبدأ عظيم من مبادئ الإدارة والتنظيم، وركن ركين من أركان القيادة الفعالة كما صورها القرآن الكريم، وهو مبدأ الشورى كمطلب وضرورة إدارية، وقيمة إيمانية حقيقية تنشأ مع الفرد والجماعة فى كل ممارساتهم الحياتية.

Abstract:

The fundamental sources of Islamic law - represented in the Koran and sunnah- are full of principles, values and concepts that govern all thoughts and administrative ideas, but unfortunately no one tried scientifically to extract these riches, despite their diversity.

In this article, we try to keep a key principle of management and organization and one of the important pillars of effective command as described by the Qur'an which is the principle of "Shura" as a requirement and an administrative necessity and also as an actual value of the faith that comes with the individual and the group in all their participles of life.

لقد أولى الإسلام اهتماما بالغاً لموضوع القيادة، حيث حرص حرصاً شديداً على تقييد هذه القيادة بما يجب أن تكون عليه من نمط وهو النمط التشاوري، باعتبار الأخذ بالشورى على كافة مستويات القيادة والأصعدة واجباً شرعياً، وليس مجرد تفضُّل من القادة على الأفراد، بل إنه أيضاً حق قد كفله الله عز وجل لهؤلاء الأفراد، وهذا ما تناوله القرآن الكريم بشكل مباشر وغير مباشر في العديد من آياته، حيث دعت النصوص إلى ضرورة الأخذ بالشورى وضرورة تفعيلها في كل مناحي الحياة.

و ما يهمنا من عرض هذا الموضوع هو تصحيح و تغيير بعض الأفكار و الآراء حول ما يشاهد في الواقع السياسي و الإداري للمسلمين و الذي يوضح بجلاء ضيق آفاق الديمقراطية و الشورى و في كثير من الأحيان انعدامها ليس فقط على المستوى القيادي لكن أيضاً بين أفراد المجتمع، و تكريس الممارسات الاستبدادية حتى يُخجل للناظر أنها من عمق و أصالة الثقافة الإسلامية.

أولاً: الشورى كمطلب إداري:

التشاور و المشاورة و المشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته من موضعه و استخرجته منه، و الشورى الأمر الذي يُتشار فيه⁽¹⁾.

الشورى تطبق ما تؤكد عليه نظريات الإدارة من ضرورة إشراك العامل في الرأي و صنع و اتخاذ القرار في كل ما يتعلق بشئون المنظمة التي ينتمي إليها الموظف و العامل. فالإدارة الشورية تدفع الفرد العامل في التنظيم إلى العمل و المشاركة في مسئولية المنظمة الإدارية كما تجعل القياديين في المنظمة يلتزمون بهذا النمط و الأسلوب من الإدارة، حيث أن المشاركة تتضمن المشاركة في الإدارة و بالتالي في عملية اتخاذ القرارات.

ويصور لنا دافيد إمري أن القيادة الديمقراطية تخلق الجو النفسي الذي يحفز العاملين على بذل أقصى جهدهم لتحقيق أعلى مستوى للإنتاج⁽²⁾ كما كشفت الدراسات التي قام بها ماكجريجور أن مؤتمرات حل المشاكل التي يقوم بها القادة تستهدف التشاور و تبادل الآراء حول المشكلات المعروضة، و تقديم الاقتراحات حول حلها⁽³⁾.

وقد بات نموذج الإدارة التشاركية حقيقة مفروضة على واقع المنظمات إذا أرادت الانتصار في المجالات المختلفة، وتتمثل القيادة التشاركية في إقامة العلاقات الإنسانية الطيبة بين القائد والعاملين معه واحتوائهم عاطفياً وتحسيسهم بأهميتهم وموقعهم من قلب القائد ورعايته، وبهذا يمنع من وجود أفراد يسبحون خارج فضاء المنظمة وإن وجد منهم فإن أسلوبه الحكيم هذا من شأنه أن يحتويهم ويرجعهم إلى الأجواء، إن مشاركة العاملين في اتخاذ القرارات الإدارية وبحث مشكلات العمل ومعالجتها و وضع الحلول الناجحة لها بروح جماعية متوحدة تعد من أبرز عوامل نجاح القيادة والتأثير على الأفراد وحفظ تماسك المنظمة وتحقيق أهدافها⁽⁴⁾.

كما أن الشورى تقدم وسيلة فعالة للتغلب على الصراعات التي تثور داخل المنظمات الإدارية بإشراك كافة العاملين فيها في اتخاذ القرار.

ثانياً: الشورى في الإسلام:

للشورى مكانة خاصة في الإسلام في كل شئون الحياة، وبلغ من اهتمام الإسلام بالشورى أن أصبحت ركناً من أركان الإدارة وكيف لا وقد استشار النبي ﷺ - وهو المعصوم - أصحابه وقال لأبي بكر وعمر لو اجتمعتما على رأي ما خالفتكما وورد عنه ﷺ أنه قال " من أراد أمراً فشاور فيه وقضى هدي لأرشد الأمور⁽⁵⁾، و عن الحسن "ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم"⁽⁶⁾.

وقد كان اهتمام النبي عليه السلام بالشورى مبني على التوجيه الإلهي حيث قال تعالى: (واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)، ومدح الله تعالى عباده

المؤمنين بأنهم (أمرهم شورى بينهم وما رزقناهم ينفقون)، والشورى تعني استطلاع الرأي في كل ما يهم الجماعة فالشورى فريضة من فرائض الإسلام و لا تقتصر على المجال السياسي وحسب، و النص أمرهم شورى بينهم نص مكّي، أي قبل قيام الدولة، فهو طابع أعم من طابع الدولة في حياة المسلمين فهو طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية وهي من ألزم صفات القيادة.

و سنبداً بتحليل هذه الآيات لنكتشف عمق و أصالة النمط القيادي التشاوري في الثقافة الإسلامية.

1. قال تعالى: (فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: 159).

يؤكد القرآن على مبدأ الشورى كأحد الأسس المهمة التي يجب أن يُبنى عليها أي تنظيم، فقد أمر الله تعالى الرسول كقائد للأمة أن يتشاور مع المؤمنين عندما قال: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)، حيث تبين الآية بوضوح مقومات القيادة الناجحة ونمطها في الإسلام، و لكي يتضح موضوع الشورى في الإسلام بشكل كبير، علينا أن نمضي مع الآية من أولها إلى آخرها حتى نتعرف على كافة المقومات المتكاملة لتكوين النمط القيادي الفعال كما يصوره القرآن.

فمقومات القيادة حسب الآية تتضح في اللين و البعد عن الفظاظة و غلظة القلب، العفو عنهم و الاستغفار لهم، الشورى و التوكل على الله بعد العزم على الأمر. وبالنظر إلى الظروف التي نزلت فيها هذه الآية (غزوة أحد) فإننا نرى إلى أي درجة يقرر القرآن أصالة مبدأ الشورى لكل قيادة مهما كانت الظروف المصاحبة لها، ومهما كانت النتائج المترتبة عليها.

لقد جاء هذا النص عقب وقوع نتائج للشورى تبدو في ظاهرها خطيرة مريرة، فقد كان من جرائها ظاهريا وقوع خلل في وحدة الصف المسلم، ولقد كان من حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة، أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف في أخرج الظروف، وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة، ولكن يأتي التوجيه الرباني إلى الرسول ﷺ يأمره أمراً حاسماً قاطعاً بالشورى، ذلك أن "الإسلام كان ينشئ أمة، ويربيها، ويعدها لقيادة البشرية، وكان الله يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمة وإعدادها للقيادة الرشيدة أن تُربى بالشورى، وأن تدرّب على حمل التبعة، وأن تحطّط لتعرف كيف تصحح خطأها، وكيف تحمل تبعات رأيها وتصرفها، فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ، والخسائر لا تهم إذا كانت الحصيلة هي إنشاء الأمة المدربة، المدركة، المقدرة للتبعة"⁽⁷⁾.

فكل ما سبق ليس إلا تمهيدا لتطبيق مبدأ الشورى ولإيجاد مناخ إيجابي لممارستها ممارسة فعلية حقيقية وليست شكلية. فلا يمكن أن يكون هناك شورى حقيقية في ظل الشدة، والقسوة، والفظاظة والغلظة. و عليه يمكن أن نخرج بالنتائج التالية:

▪ إن الشورى كما وضحت الآية ليست مبدأ مستقل بذاته، لكنها ترتبط بالقيادة واتخاذ القرارات، فكلما توفرت المقومات السابقة الذكر في القائد كلما آتت الشورى ثمارها و خرجت بقرارات سليمة.

"تعتبر الشورى مبدأ أصيلاً من مبادئ القيادة، لا يجب أن تتخلى عنها في أي وقت، ولا تحت أي ظرف، ولا بأي حجة من الحجج"⁽⁸⁾.

▪ يقرر هذا النص أن نظام الإسلام لا يقوم إلا على هذا المبدأ الأساسي وهو الشورى، و لا بد من مزاولته في أخطر الشئون، ومهما تكن النتائج، ومهما تكن الخسائر.

- إن حقيقة الشورى هي تقليب أوجه الرأي، واختيار اتجاه من الاتجاهات المعروضة، فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد انتهى دور الشورى، وجاء دور التنفيذ في عزم وحسم، وفي توكل على الله.
- أما عن كيفية وأسلوب أو شكل الشورى و الوسيلة التي تتحقق بها، فإن ذلك مما لم تتعرض له الآية، وتركته بهذه الصورة المرنة، إن هذا الأمر يختلف باختلاف أحوال الأمة الاجتماعية، في الزمان والمكان، فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير، وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها، وركزت الآية على ضرورة الالتزام بالمبدأ، وهذه المرونة هي أحد خصائص شريعتنا العظيمة، فالمهم هو الالتزام بتطبيق المبدأ بالكيفية السابق توضيحها، أما التفاصيل فإنها - بلا شك - سوف تختلف باختلاف الزمان والمكان، كما أنها سوف تختلف باختلاف المستوى الإداري ونطاقه.
- إن نظام الشورى يضع اللبنة الأساسية لحالة التوازن السياسي بين الحاكم والمحكوم وبالتالي يضمن تطبيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية.

فالشورى هي إحدى صور المشاركة و فتح المجال للكفاءات و تشجيع المبادرات الإيجابية للوصول إلى القرارات السليمة، حيث أنها الضمان القرآني حتى لا يتبع الرئيس هواه، علاوة على ما فيها من مغامات تعين الحاكم على أداء مهمته، لذلك كان رجاء موسى عليه السلام إلى الله، (وَأَجْعَلْ لِي وَّزِيرًا مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، أَشَدُّدِيهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكُهُ فِي َأَمْرِي) (طه، 29...32)⁽⁹⁾.

1. قال تعالى: (فَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(36) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (38) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39) (الشورى: 36...39)

لقد علّق سيد قطب على الآية بقوله: "مع أنها نزلت قبل قيام الدولة الإسلامية في المدينة، فإننا نجد فيها أنها من صفة هذه الجماعة المسلمة مما يوحي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاما سياسيا للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها يقوم عليها أمرها⁽¹⁰⁾. و الجماعة التي تنشأ على الشورى و تترى في ظلها تثور على كل أنواع الاستبداد و التفرد بالرأي.

و هذه الآية تقف عند حدود الوصف الذي يمدح - كما هو واضح - و لا تتجاوزه إلى الأمر بالتكليف...و الوقوف عند حد الوصف هو الأمر الذي يتناسب و ظروف المجتمع الإسلامي آنذاك⁽¹¹⁾.

فالشورى من أمور التشريع، في حين أن المجتمع الاسلامي في ذلك الوقت لم تكتمل فيه مقومات المجتمع، و لذلك ورد أمر التكليف في سورة آل عمران في الآية السابقة، أين أصبحت الشورى من القواعد التي يجب أن يمارس بها العمل في المجتمع المدني.

و الدارس للقرآن الكريم يجد مدرسته التربوية العظيمة القائمة على حرب الطغيان والاستكبار، وقد ذكر القرآن الكريم طغيان فرعون وسبب طغيانه، وأن الشعب الذي رضي بالظلم واستكان للطاغية جدير بأن يذوق أشد العذاب، قال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَكْثَرَ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَدْرُكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَتَقْبَلُونَ أَبناءَهُمْ وَسَتَحْبِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) (الأعراف: 127).

وقد صوّر القرآن الكريم طغيان الحاكم المستبد بفرعون ليجنّد الأمة ويوجهها كيف تقاوم الفراعنة والحكام المستبدين، وكيف تدافع عن شرفها وكرامتها، لأن فرعون كان أشد الطغاة طغياناً وأكبرهم غروراً

وأكثرهم استهانة بقومه. وسجل القرآن كلمته لقومه (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى)
(النازعات: 24).

ووراء طغيان الطاغية شعب جبان يزيّن للحاكم طغيانه خوفاً وطمعاً.
وهذا ما نبّه القرآن الكريم إليه بقوله: (فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)(الزخرف: 54)، فوصف الله تعالى قوم فرعون بهوان
الشخصية، وتفاهة العقل والخروج عن كل مكرمة، لأن الأمة التي ترك
الظالم وبطانته وأعدائه يعيشون في الأرض فساداً لا تستحق الحياة، ولا
يكون مصيرها إلا إلى الهلاك والزوال. وعليه يمكن أن نصل إلى النتائج
التالية:

- الشورى طابع متأصل في الجماعة يقوم عليه أمرها، ثم يتسرب إلى
الحكومة باعتبارها نتيجة طبيعية للجماعة.
- قرنت الآية بين الشورى و الصلاة و الإنفاق، مما يبين أنها قيمة من قيم
الإسلام الراسخة و دعامة من دعائم الإيمان و صفة لازمة و محمودة من
صفات الجماعة المسلمة.
- غرس هذه القيمة في نفوس الأفراد و تنشئتهم على ممارستها في كافة
مناحي الحياة كواجب متأصل و حق طبيعي و واجب فعلي مع الآخرين،
فيستخدمها كل صاحب مسئولية كنمط من أنماط التعامل القيادي و
الإداري.
- و بما أن التنظيمات و المصانع و الشركات و الحكومات هي إفراز طبيعي
للجماعة، فإن قيمة الشورى تتسرب ألياً إليها، على اعتبار أن الفرد ينقل
قيمه و خبراته إلى موقع عمله.
- و المجتمع الشوري العادل لا يمكن إلا أن يفرز رئيسا و مديرا و حاكما
عادلا، أما إن راودته نفسه على الاستبداد، فإنه لن يجد من يعينه أو يشجعه أو
يؤيده، "بل على العكس من ذلك سوف يجد مجتمعا واع بحقه في الشورى، ولن

يرضي أن يُسلب منه هذا الحق، ولا يقبل أن ينتظر الحاكم ليمنّ عليه به - إن شاء - أو ببعضه (12).

1. قال تعالى: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَا تُغْلَوْنَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ، قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ، قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذْنًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) (النمل، 29...35).

لقد سلك القرآن في توصيل المعاني إلى الناس مسالك متنوعة لبيان قيمة أسلوب التشاور وفعاليته، و من هذه الأساليب ما أخبر به من ممارسة عملية التشاور كانت قد سلكتها ملكة سبأ بلقيس" في قصتها مع سيدنا سليمان و قد أفاد العرض القرآني أن الملكة على الرغم من كونها صاحبة السلطان و النفوذ فإنها لم تتسرع في إصدار الأوامر و اتخاذ القرارات، بل جمعت الملأ من قومها و عرضت عليهم الموضوع و طلبت منهم أن يمدوها بآرائهم و نصائحهم و اقتراحاتهم، و قد أفادت المحاورة أن الشورى سياسة ثابتة للملكة و ليست مسلكا عرضيا أو أمرا انفعاليا اقتضاه أمر خطير أو موقف معين و يدل على ذلك قولها " و ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون" (13).

فالشورى هي إحدى صور المشاركة و فتح المجال للكفاءات و تشجيع المبادرات الإيجابية للوصول إلى القرارات السليمة.

2. قال تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ وَّلًا وَسُعْمًا إِلَّا نُسْعًا وَلَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِدَهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ

بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: 233).

إن الإسلام لا يدعو فقط إلى نمط قيادة تشاوري، وإنما يضع ضمان ومقومات ممارسته وتحقيقه على أفضل صورة وأكمل وجه، وذلك بتكريس المبدأ في جميع المستويات الاجتماعية، إذ يقول صاحب المنار إذا كان القرآن يرشدنا إلى المشاورة في أدنى أعمال تربية الأولاد و لا يبيح لأحد والديه الاستبداد بذلك دون الآخر فهل يبيح لرجل واحد أن يستبد في الأمة كلها، و أمر تربيته وإقامة العدل فيها أعسر و رحمة الأمراء و الملوك دون رحمة الوالدين بالولد و أنقص؟⁽¹⁴⁾.

فالأمر ليس مجرد اهتمام وتحييد من القرآن بالشورى، وإنما يبين أنها قيمة إيمانية، وحقيقية فعلية، تمثل أحد أشكال السلوك المفروض و أحد أشكال الاستجابة لله كما بينت الآية في سورة الشورى.

إذن فمبدأ الشورى و تبادل الرأي و المشاركة من جانب الأعضاء هو أحد المبادئ الإسلامية الخالدة لبناء العلاقات الاجتماعية على مستوى الجماعة أو مستوى التنظيم أو مستوى المجتمع المحلي أو العام، و ليست الشورى قاصرة على المستوى السياسي، لكنه يمتد ليطبق داخل كل الجماعات الاجتماعية، و ليست الجماعة الأسرية استثناء من هذه القاعدة، و قد جاء ذلك صريحاً في القرآن الكريم في مجال الحق في إبداء الرأي بشأن رضاع الأبناء و فظامهم، فليس من حق الرجل منفرداً أو المرأة منفردة حق الاستئثار باتخاذ القرار دون الرجوع للطرف الآخر⁽¹⁵⁾.

فمثل هذه التربية وتلك الممارسة للشورى في المجتمع المسلم بهذا المفهوم تجعل منها أمراً عادياً وليس استثناء، وتُشعر جميع أفراد المجتمع المسلم بأن كل منهم عليه واجب وهو أن يستشير، وله الحق وهو أن يستشار. وهذا يوضح إلى أي مدى يكون مبدأ الشورى -على الوجه الذي ذكرناه- من جملة أسباب صلاح الأرض، ففي الحديث "إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم

شورى بينكم فظهر الأرض/ خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نساءكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها.

" وإذا لم تكن على ذلك الوجه كان إفسادها للدين والدنيا أكثر من إصلاحها. ويؤيد ما قلنا ما أخرجه الخطيب عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: قلت يا رسول الله الأمر ينزل بنا بعدك لم ينزل فيه قرآن ولم يسمع منك فيه شيء قال: اجمعوا له العابد من أمي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوه برأي واحد. وينبغي أن يكون المستشار عاقلاً كما ينبغي أن يكون عابداً، فقد أخرج الخطيب أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً أسترشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا⁽¹⁶⁾.

إذن فالشورى بوصفها نظاماً مأموراً بإتباعه في كافة الظواهر الاجتماعية سواء كانت دينية أو أسرية، أو قضائية أو سياسية أو اقتصادية أو في كل القضايا المطروحة و المتوقعة، هي أسلوب يتصف بالعموم و الشمول و الثبات من حيث الصلاحية لكل مجتمع في أي زمان و مكان، فهي أصل من أصول النظام و مبدأ من مبادئ العدل، و ما الدعوة إلى تطبيقها في كل الظواهر الاجتماعية مهما تنوعت وظائفها إلا دليل على أن القواعد القرآنية صالحة في كل زمان و مكان، و هي مظهر من مظاهر الرقي و الاستمرار، بينما التفرد بالرأي و الاستبداد الفكري و انعدام التشاور بالإضافة إلى ما يؤدي إليه من انفصام في الجسد الحضاري هو من مؤشرات الانحطاط⁽¹⁷⁾.

و ننتهي من كل ما تقدم إلى تقرير النتائج التالية:

- أن مبدأ الشورى من المبادئ التي مدحها القرآن الكريم في مكة و أمر بالعمل بها و ممارستها في الحياة العامة في المدينة، و ذلك لتوفر و اكتمال مقومات المجتمع.
- أن الشورى تكون في الأمور التي لم يرد فيها نص واضح قطعي الدلالة و وارد مورد التكليف، لأن الأمر الذي يجيء من الخالق هو الأنسب و الأفضل.

- و بالتالي فإن التشريعات التي تصدر في هذه الأمور هي متغيرة بتغير الظروف و الأحوال.
- أن الشورى تكون لولاية الأمور-ليس الأمراء و السلاطين- وهم القادرون على استنباط الرأي و استخراجه حين يستشارون⁽¹⁸⁾.
- و قد ثبت عن الرسول أنه كان يشارو الصحابة من ذوي التجربة و الخبرة.
- أما عن أسلوب الشورى فهي متروكة للجماعة بما يوافق أسلوب حياتها و استعداداتها و تفوقها العلمي و الحضاري.
- إذن الشورى، في الفكر السياسي الإسلامي، هي فلسفة نظام الحكم .. والاجتماع .. والأسرة .. لأنها تعني إدارة أمر الاجتماع الإنساني، الخاص والعام.

ثالثاً: بين الشورى و الديمقراطية:

بقي أن نشير إلى الفرق بين الديمقراطية و الشورى و هل الديمقراطية هي الشكل الأنسب لممارسة هذا المبدأ في المؤسسات الحديثة؟

الديمقراطية هي نظام سياسي - اجتماعي - غربي النشأة.. عرفته الحضارة الغربية في حقبتها اليونانية.. وطورته نهضتها الحديثة والمعاصرة، وهو يقيم العلاقة بين أفراد المجتمع والدولة وفق مبدأ المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة، وذلك استناداً إلى المبدأ القائل بأن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشرعية.. فالسلطة في النظام الديمقراطي، هي للشعب، بواسطة الشعب، لتحقيق سيادة الشعب ومقاصده ومصالحه⁽¹⁹⁾.

إنّ واقع الديمقراطية "هو حكم الشعب، الذي يقابل حكم الله حتماً، و لقد كان حكم الشعب في الفلسفة الديمقراطية، هو مقابل حكم الله، هذا هو واقعها وهذا هو ما يؤكد السياق التاريخي والإجرائي لها حتى يومنا هذا"⁽²⁰⁾.

أما الشوري- فيما سبق توضيحه- تأتي بعد تحكيم شرع الله و لا يتم تنفيذ الشوري إلا بعد عرضها مرة أخرى على شرع الله، أما الديمقراطية فهي رأي الشعب والشعب قد يكون على شر عظيم مثل أقوام الأنبياء جميعا. كما أن الرأي في الشورى يؤخذ من الجهة المتعلق بها، كأصحاب الاختصاص والخبرات فيما هو مرتبط بالأمور العلمية والتقنية والفنية وفي الإدارة والتصميم، كما ثبت عن النبي ﷺ.

إن الجزئية التي تفترق فيها الشورى الإسلامية عن الديمقراطية الغربية تتمثل في الاختلاف حول السيادة في التشريع. فالديمقراطية تجعل "السيادة" في التشريع ابتداء للشعب والأمة.. إما صراحة .. وإما في صورة ما سماه بعض مفكريها "القانون الطبيعي"، الذي يمثل بنظرهم أصول الفطرة الإنسانية. "السيادة"، وكذلك "السلطة" في الديمقراطية هي للإنسان - الأمة والشعب.. أما في الشورى الإسلامية، فإن "السيادة" في التشريع ابتداء، هي لله، سبحانه وتعالى، تجسدت في "الشريعة" التي هي في حقيقتها وضع إلهي وليست إفرازا بشريا ولا طبعيا.

واستناداً إلى ما سبق، نجد أن الديمقراطية تتناقض مع جوهر الإسلام، الذي يحصر التشريع بالله تعالى، حيث يقول: "إن الحكم إلا لله". يرد التمايز بين الشورى والديمقراطية في المرجعية .. وفي الفلسفة .. وفي الحدود، وليس في الآليات، كما يرد التمايز في بعض المقاصد والغايات. فالشورى في الإسلام خاضعة للشريعة التي رسمت الحدود التي لا يجوز للشورى أن تتجاوزها فإذا صدر قرار من الأغلبية مخالفاً لمبادئ الشريعة فإنه سيكون باطلاً ديانة، والديمقراطية لا تعرف الحدود الثابتة، وحتى الحدود الثابتة التي كانت بالأمس خرقتها البرلمانات الأوروبية أخيراً.

و الفقه الاسلامي فصل بين السلطة التشريعية و السلطة التنفيذية، والواقع التاريخي للأمة الإسلامية يثبت أن الحكام لا يتدخلون في شؤون اجتهاد العلماء وشوراهم أو لا يستطيعون التدخل، لأن أمر الفقه والاجتهاد ليس من اختصاصهم، بينما نرى الحكام المستبدين اليوم يصدرون القوانين والمراسيم

ويطلبون من برلماناتهم التصديق عليها، و الدول الإسلامية وإن لم تمارس الشورى السياسية و لا حتى الإدارية و التنظيمية، لكنها لم تتجرأ على التشريع خارج نطاق الشريعة الإسلامية.

أما عن كيفية ممارسة الشورى، فهنا ننقل نصا للإمام الشيخ محمد عبده إذ يقول " و أهل كل بلد يعرفون من يوثق به عندهم، و يحترم رأيه فيهم... و يسهل على الرئيس أن يجمعهم للشورى إن شاء، و قد جرت الدول التي بنت سلطتها على أساس الشورى أن تعهد إلى الأمة بانتخاب من تثق بهم لوضع القوانين العامة... و لا يكون هذا الانتخاب شرعيا إلا إذا كان للأمة الاختيار التام في الانتخابات، بدون ضغط... و من تمام ذلك أن تعرف الأمة حقها في الانتخاب و الغرض منه، فإذا وقع انتخاب أحد بنفوذ كان باطلا شرعا"⁽²¹⁾.

و ليس من الضروري أن يجمع أهل الرأي على رأي واحد، وإنما الرأي ما انفقت عليه أكثرية المستشارين بعد تقلب وجوه الرأي و مناقشة المسألة المعروضة من كل وجوها في ضوء ما سبق أن عرضناه من مبادئ، على أن تكون الأقلية التي لم يؤخذ برأيها أول من يسارع إلى تنفيذ رأي الأكثرية دون تعصب للرأي، و أن يتم تنفيذه بإخلاص باعتباره الرأي الذي وجب اتباعه، و ليس للأقلية أن تناقش من جديد رأيا اجتاز دور المناقشة، أو تُشكك في رأي وُضع موضع التنفيذ.

و عليه فإن أهل الشورى يمكن أن يتحولوا إلى هيئة تشريعية بشرط أن يكونوا ممن يصلحون ثقافيا لإدارة شؤون حياة المجتمع، و قادرين على إصدار التشريعات المطلوبة و التي توافق التشريعات الإلهية و ذلك لتحقيق الصالح العام.

رابعا: الشورى ومؤسساتها وإجراءاتها في العصر الحديث:

ومن الاجتهادات المشروعة في أعمال أحكام الشورى تكوين مجلس الشورى، وصلاحياته، ووظائفه، و نظام عمله. فقد طلب رسول الله ﷺ من أهل بيعة العقبة الثانية أن يختاروا وكلاء عنهم فقال (أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا

يكونون على قومهم بمن فيهم)، فكان مجلس شورى لأنصار المدينة ثم لحق بهم المهاجرون.

أما صلاحيات مجلس الشورى فهي في عمومها الرقابة على شرعية (دستورية) النظم والقوانين والقرارات، علاوة على الرقابة على أداء الدولة وفق هذه المرجعيات⁽²²⁾.

ومن أطر الشورى الاستفتاء العام لاختيار الحاكم (الرئاسة) والبيعة له، علاوة على الدوائر والكليات الانتخابية لاختيار عضوية مجالس الشورى والقيادات العليا. ويحق أن يكون في عضوية مجالس الشورى كل وكيل عن الناس في إبداء الرأي، حيث أن أعضاء هذه المجالس محكومون في أنفسهم بالمرجعيات الشرعية من دستور وقانون خاصة إذا كان الدستور ينص على الحاكمية لله والسيادة للشعب يمارسها عبادة وطاعة لله.

أما الأطر المؤسسية التي تقتضي ممارسة الشورى فهي⁽²³⁾.

1- المجلس التشريعي الرقابي القومي مهما كان اسمه، ثم مجالس الولايات، وهذه هي الحال الأساسية للشورى في الشأن العام.

2- والمجالس التنفيذية من حيث التداول والنظر وتبادل الآراء يجب أن تكون محكومة بأدب الشورى ومنهجها.

3- مجالس الخبراء التي تجتمع - أو يجب أن يكون الشأن جمعها - للتداول حول أمر من أمور السياسات العامة صفته التخصص، ولكن آراء الخبراء وأهل الدراية فيه مختلفة، وهذه شورى علماء لا تلجأ إلى عدّ الأصوات، ولكنها تؤدي إلى التمهيد لتبني سياسة عامة في الدولة أو المجتمع.

4- المؤتمرات التي تُدعى لشؤون التخطيط والسياسة.

5- الجمعيات، سياسية كانت أو اجتماعية، أحزاباً أو مؤسسات للنفع العام، أو تجمعات مفتوحة للراغبين من أهل فن معين، أو همّ مشترك.

ومما سبق يتضح أنّ هناك أطراً للشورى على الدولة إنشاؤها، وإعمارها بالعضوية بشكل منتظم، وإلزامها بالتشاور وأن يلتزم أولو الأمر من بعد بنشرها.

والشورى تستوجب وضع القواعد المنظمة لممارستها، وكذلك تبرز الحاجة إلى الأطر المؤسسية والإجرائية، التي توأكب متغيرات العصر وتحافظ على مقتضيات الأصل، وهي مما يدخل في دائرة الاجتهادات المشروعة التي تتصل بتطوير الوسائل نحو بلوغ الغايات.

ولا بُدّ من عناية بها. لأنّ تنظيم شكل ممارسة الشورى يضمن لها الفاعلية، وغياب هذا التنظيم قد يحولها إما إلى شورى صورية لا حقيقة لها، وإما إلى فوضى في الرأي لا غناء لها.

والتنظيم المقصود للشورى يركز على أنّ الإقرار بحق الفرد في الشورى يجب أن يقابله الالتزام بواجب الفرد في الالتزام أولاً بممارستها في محلها، وأخيراً بما تسفر عنه من رأي إن كان مخالفاً لما هو عليه من رأي.

و الحقيقة أن الدرس المستخلص من ممارسة الشورى هو العمل برأي الأكثرية و أنّ تتحمّل نتائج تبعه العمل واتخاذ القرار ولحسم التردد بعد اتخاذ القرار.

ويجيب الأمر بالالتزام الشورى كمنهج مهما كانت النتائج .. والمراد تربية الأمة على الشورى.

الخاتمة:

إن جوهر الشورى في الإسلام هو أنه إطار يعنى بالبحث عن الحق و الحقيقة و الانصياع لهما، فالعامل المسلم كفرد مسلم منطلقه هو الحق و البحث عنه و الخضوع له و أداءه و الدعوة إليه، و لذلك فقد يبدأ من نقطة القلة و ينتهي إلى قناعة الكثرة أو إجماعهم، و نتائج نظام الشورى في النظام الإسلامي هو الفكر و القناعة و الفهم الجماعي الذي يعين و يدعم القائد أو الرئيس و يأخذ بيد المرؤوس في تحقيق أهداف التنظيم و صلاح أمره فيجعل الأفراد داخله يدا واحدة و نسيجاً قويا متماسكا.

إن الشورى مصطلح إسلامي يعتبر من اهتمامات الجماعة الإسلامية و في أي اتجاه يجري، حيث اتضح من الآيات السابقة أن الشورى يجب أن تكون نمطاً و طابعاً حقيقياً يصبغ سلوك كل أفراد المجتمع المسلم، و أنها يجب أن تطبق في منظمة يسودها - ليس مجرد علاقات إنسانية - وإنما علاقات تقوم على ما هو أقوى من مجرد روابط العمل الإنسانية، وهي روابط التلاقي القلبي و التعاطف الوجداني، و الرحمة و التراحم و الحب و التعاون المتبادل بين جميع أفرادها، كما أكدت عليه الآية (فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ أَنتَ لَهُمُ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: 159)، ما يجعل الشورى قيمة إيمانية بل عقيدة راسخة و ليس مجرد رأي أو فكرة أو مشاركة في اتخاذ قرار إداري أو سياسي.

❖ هومش البحث:

- (1) الأصفهاني الراغب، المفردات في غريب القرآن، مكتبة مصطفى نزار الباز، ج1، ص356.
- (2) نواف كنعان، القيادة الإدارية، مكتبة دار الثقافة للنشر و التوزيع، الأردن، 1999م، ص218.
- (3) المرجع السابق، ص221.
- (4) للإطلاع أكثر راجع: قيس محمد العبيدي، التنظيم، المفهوم و النظريات و المبادئ، الجامعة المفتوحة، الاسكندرية، 1997م، ص ص 197، 198.
- (5) الألوسي، روح المعاني، www.altafsir.com
- (6) الخوارزمي أبو القاسم الزخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، 1426هـ، 2006م، ص472.
- (7) الشورى في القرآن، forum.stop55.com
- (8) www.almohamady.Com
- (9) صلاح الفوال، التصوير القرآني للمجتمع، الأنساق و النظم الاجتماعية، ج1، دار الفكر العربي، بدون سنة، ص592.
- (10) سيد قطب، في ضلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط12، 1406هـ، 1986م، م5، ص3160.
- (11) محمد أحمد خلف الله، مفاهيم قرآنية، عالم المعرفة، 1990، ص74.
- (12) www.almohamady.Com
- (13) محمد التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، مرجع سبق ذكره، ص ص 411، 410

(14) رشيد رضا محمد، تفسير المنار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1427هـ، 2007م، ج2، ص287.

(15) نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، دار الشروق، ط2، 1988م، ص86.

(16) الألوسي، مرجع سابق.

(17) محمد التومي، مرجع سبق ذكره، ص417.

(18) محمد أحمد خلف الله، مرجع سبق ذكره، ص78.

(19) أنظر موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1981.

(20) حسن الحسن، عن الشورى والديمقراطية، www.tawhed.ws

(21) محمد أحمد خاف الله، مرجع سابق، ص89.

(22) أحمد علي الإمام، الشورى و المؤسسات التشريعية الحديثة، بحث مقدم للدورة السادسة عشرة للمجلس، اسطنبول، جمادى الآخرة 1427هـ، يوليو 2006م، ص4.

(23) المرجع السابق، ص9.

معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بجامعة بسكرة

الباحثة: آمال عبادو

جامعة ورقلة، الجزائر

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته لموضوع الدراسة، حيث قامت الباحثة بتعديل بعض البنود التي جاءت في الأداة التي قام بتصميمها العضاضي (2012)، وذلك بعد الاطلاع على الدراسات والتجارب السابقة التي اتبعتها بعض الجامعات الأجنبية والعربية لتطبيق معايير الجودة الشاملة لتقويم أداء جامعاتها، بالإضافة إلى الاطلاع على ما كُتب نظرياً حول الموضوع، وشملت الأداة (49) فقرة تمثل المعوقات التي تحد من تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي مقسمة إلى ست مجالات، معوقات تتعلق بـ: (الإدارة العليا، الجوانب التنظيمية، أعضاء هيئة التدريس، البحث العلمي، خدمة المجتمع، خدمة الطلبة).

Abstract:

This study aimed to identify the obstacles to the application of comprehensive quality management in Algerian higher education institutions. And to achieve the objectives of the study, the researcher used the descriptive analytical method, as it fits the subject of the study; the researcher has designed a questionnaire, after reviewing studies and previous experiments followed by some foreign and Arabic universities, for the application of total quality standards for evaluating the performance of their universities as well as to see what has been written theoretically about the subject. The tool included (49) paragraphs representing obstacles that limit the application of comprehensive quality management in higher education institutions, divided into six areas: (obstacles relating to Higher administration, organizational aspects, teaching board members, scientific research, society services and students services).

لقد أصبح إنشاء نظام لضمان جودة التعليم العالي في الجزائر ضرورة حتمية لمواجهة مختلف التحديات والتغيرات المستمرة التي تعرفها الجامعة الجزائرية، والتي يمكن لها أن تنعكس سلباً على مخرجات التعليم العالي متمثلة في اتساع نطاق العولمة، وتعاظم أعداد الطلبة المسجلين في التعليم العالي، وعدم الانسجام بين مخرجات العملية التعليمية ومتطلبات سوق العمل، ومحدودية التمويل، وانتشار مؤسسات التعليم العالي الخاصة، والتعليم الإلكتروني، والهجوم المرتبطة بنوعية وجودة التعليم، وعليه يتضح مدى أهمية إدارة الجودة الشاملة، ومدى أهمية تطبيقها في المجال التربوي، ولاسيما في مؤسسات التعليم العالي.

ومن هنا نستطيع أن نتفهم الانتقادات التي توجهها عدة هيئات دولية للتعليم العالي في الدول العربية باعتباره لا يرتقي إلى المستوى العالمي، حيث يرى تقرير المعرفة العربي للعام 2009 بعنوان "التعليم و تكوين راس المال المعرفي" أن هناك علامات استفهام كبيرة حول جودة راس المال البشري الذي تخرجه مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي، بالإضافة إلى أن مؤسسات التعليم العالي في الدول العربية تضخ الكثيرين من الخريجين الذين ليس لديهم فرص حقيقية للعمل، بينما تفتقر أسواق العمل الداخلية إلى خريجين في اختصاصات عديدة.

كما جاء في نفس التقرير أن هناك غياب لخطط محددة في الجامعات العربية لتوجيه الطلبة و مقارنة أعداد الملتحقين في مختلف الميادين من زاوية العلاقة مع أسواق العمل الداخلية و الخارجية.

وفي التصنيف العالمي الصادر في عام 2013 لأول 500 جامعة عالمية احتلت جامعة عربية فقط هي جامعة الملك سعود المرتبة 420 وفي التصنيف العالمي الصادر في نفس العام لأول 700 جامعة عالمية فإضافة إلى جامعة الملك سعود فقد احتلت جامعة الملك عبد العزيز المرتبة 625، أما فيما يخص الجامعات

الجزائرية فقد احتلت جامعة منتوري بقسنطينة المرتبة 19 عربيا والمرتبة 2168 على المستوى العالمي.

(Ranking Web of World Universities , January 2013)

وهكذا فإن منظومة التعليم العالي الجزائرية مدعوة في كل مرحلة من مراحل تطورها إلى التكيف باستمرار مع هذه التحولات العميقة و أن تكون قادرة على استيعاب نتائج التحولات الاجتماعية و الاقتصادية التي ميزت البلاد من جهة، و التحولات الإقليمية و الدولية الملاحظة من جهة أخرى، و هذا ما دأبت عليه وزارة التعليم العالي و البحث العلمي منذ العام 2002 و ذلك بتبنيها للنظام الجديد (LMD). إضافة إلى ما أبدته الحكومة الجزائرية من استعداد لتحسين أوضاع الجامعة الجزائرية و ضمان الاستمرارية في التطور من خلال الندوات و الملتقيات التي أشارت إلى ضرورة تبني مدخل إدارة الجودة الشاملة في قطاع التعليم العالي .

ويبقى التعليم العالي بالجزائر في حاجة لوقفة تقييمية موضوعية من أجل الوقوف على أهم المعوقات التي تقف أمام التطبيق الفعلي لأسس إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الجزائرية وتحديد أهمية هذه المعوقات من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، من أجل تداركها وهذا بالاعتماد على معايير متفق عليها تسمح لنا بمعرفة جودة التعليم في هذه الكليات.

1. إشكالية الدراسة:

لقد أصبحت قضية ضمان و توكيد الجودة في التعليم الجامعي هاجسا لكل المهتمين التربويين عربيا و عالميا، حيث يستدعي ضمان الاستفادة من البرامج التعليمية إيجاد أحدث النظم الإدارية التي تضمن تحقيق الجودة الشاملة في الأداء، وبالرغم من الجهد المبذول لتطوير مخرجات التعليم العالي، إلا أن هناك العديد من التساؤلات التي تطرح حول نوعية و أداء هذه المخرجات، لذا كان لزاما على المؤسسات الجامعية أن تبني أنظمة إدارية جديدة و أن تضع برامج تعليمية حديثة

لإعداد المتخصصين إعدادا مهنيا يتصف بالكفاية والاقتدار لتقديم أفضل خدمات مهنية في جميع المجالات إلى المجتمع المحلي والإقليمي.

وتعتبر التجربة الجزائرية في ضمان الجودة بالتعليم العالي حديثة النشأة إذ تمخضت الفكرة عن توصيات المؤتمر الوطني للتعليم العالي والبحث العلمي بتاريخ 19 و 20 ماي 2008 والندوة الدولية حول ضمان الجودة في التعليم العالي بتاريخ 01 و 02 جوان 2008 بالجزائر، وبصدور القرار الوزاري رقم 2010 المتضمن تأسيس لجنة وطنية لتنفيذ نظام / 05 / 167 المؤرخ في 31 الجودة في التعليم العالي والبحث العلمي، ومنه تعيين مسؤولين عن ضمان الجودة في التعليم العالي على مستوى مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي.

وحتى يتم التطبيق الفعلي للجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية لا بد من معرفة المعوقات التي تواجه تطبيقها .

وفي هذا الصدد يقول (Taylor and Bogdan, 1997) "لكي تساعد المؤسسات التعليمية على تحقيق نتائج مرضية لتحقيق الجودة الشاملة يجب وضع قاعدة عريضة من المعلومات و المؤشرات التي تمكن كافة الإدارات و متخذي القرار من الوقوف على مؤشرات القصور و القوة داخل المؤسسة التعليمية"⁽¹⁾.

في هذا المجال و تمهيدا لتوفير أفضل الشروط الكفيلة بإقامة نظام وطني فعال للتقويم و ضمان الجودة في قطاع التعليم العالي جاءت هذه الدراسة الميدانية لتسلط الضوء على مجموعة المعوقات التي يمكن أن تحول دون تطبيق مفاهيم إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالتطبيق على جامعة بسكرة.

من خلال هذا العرض لأبعاد المشكلة المطروحة، يمكن صياغتها في مجموعة من التساؤلات على النحو التالي:

1. ما المعوقات التي تحول دون تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية.

2. هل يختلف تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية من وجهة نظر عينة الباحثين وفقا للرتبة العلمية.

3. هل يختلف تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية من وجهة نظر عينة البحث وفقا لسنوات الخبرة.

2. فرضيات الدراسة:

1. توجد مجموعة من المعوقات تحول دون تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.

2. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي من وجهة نظر عينة البحث وفقا للرتبة العلمية.

3. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي من وجهة نظر عينة البحث وفقا لسنوات الخبرة.

3. أهداف الدراسة:

1. التعرف على المعوقات العامة التي تحول دون تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الجزائرية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.

2. التعرف على مدى اختلاف درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الجزائرية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس باختلاف الرتبة العلمية.

3. التعرف على مدى اختلاف درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الجزائرية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس باختلاف سنوات الخبرة.

4)- أهمية الدراسة:

1. إن أهمية البحث تنبع من أهمية الموضوع الذي نتناوله وحدثته وهو إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي , لأنها تمثل فلسفة إدارية وتنظيمية معاصرة لا بد من العمل الجاد للثقيف بمفهومها وأهميتها ومبادئها و الالتزام بتطبيق مضامينها ومجالاتها بهدف تطوير العملية التعليمية الجامعية للحصول على أفضل مخرجات تعليمية لمواكبة المتغيرات المتسارعة و تسهم في بناء المجتمع المعاصر وخدمته.
2. كما تبرز أهمية هذا البحث في أن الجامعات الجزائرية تسعى إلى تطبيق إدارة الجودة بسبب المنافسة التي ستواجه هذه الجامعات نتيجة متغيرات عدة منها انضمام الجزائر لمنظمة التجارة العالمية وتوجه القطاع الخاص للاستثمار في هذا المجال.
3. إن معرفة المعوقات التي تعوق تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التعليم العالي سيساهم في التشخيص العلمي لجوانب النقص في الجامعات الجزائرية، وبالتالي وضع الحلول المناسبة لاستكمال تلك الجوانب.

5. مصطلحات الدراسة:

1. المعوقات: هي جميع العوائق الإدارية، والمالية، والفنية، والاجتماعية، والشخصية التي تعوق المسؤول عن تحقيق برامجه الإدارية التي تساعد في تحسين عملية التعليم و التعلم و تطويرها⁽²⁾.
2. إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي: هي عبارة عن أسلوب متكامل يطبق في جميع فروع ومستويات الجامعة ليوفر للأفراد وفرق العمل الفرصة لإرضاء الطلاب والمستفيدين من التعليم والبحث العلمي. أو فعالية تحقيق أفضل خدمات تعليمية وبجئية بأكفاً الأساليب وأقل تكلفة وأعلى جودة ممكنة⁽³⁾.

الطريقة و الإجراءات:

يتناول هذا الجزء وصفا لعينة الدراسة و الأداة المستخدمة لجمع المعلومات وطريقة بنائها والتحقق من صدقها وثباتها والمعالجات الإحصائية لبيانات البحث.

(1)- عينة البحث:

لقد تم اختيار عينة عشوائية من بين أعضاء هيئة التدريس بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة بسكرة. و قد تم توزيع 80 استبيانا و تم استرجاع 71 استبيانا، و فيما يلي جدول يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات البحث.

جدول رقم(1) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات البحث

المتغير	التكرار	النسبة
الرتبة العلمية	أستاذ مساعد	41
	أستاذ محاضر	30
سنوات الخبرة	أقل أو يساوي 6 سنوات	42
	أكثر من 6 سنوات	29

(2)- أداة الدراسة:

ولتحقيق أهداف الدراسة، قامت الباحثة بتعديل بعض البنود التي جاءت في الأداة التي قام بتصميمها العضاضي(2012) وذلك بعد الإطلاع على الدراسات والتجارب السابقة التي اتبعتها بعض الجامعات الأجنبية و العربية لتطبيق معايير الجودة الشاملة لتقويم أداء جامعاتها بالإضافة إلى الإطلاع على ما كتب نظريا حول الموضوع، وشملت الأداة (49) فقرة تمثل المعوقات التي تحد من تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي مقسمة إلى ست مجموعات معوقات تتعلق بـ: الإدارة العليا، الجوانب التنظيمية، أعضاء هيئة التدريس، البحث العلمي، خدمة المجتمع، خدمة الطلبة.

وتتم الإجابة عن طريق إبداء المفحوص درجة الموافقة على وجود تلك المعوقات و ذلك عن طريق وضع علامة في خانة الرقم الذي يعبر عن درجة الموافقة (من 1 إلى 5)، حيث: (1) غير موافق مطلقا، (2) غير موافق، (3) محايد، (4) موافق، (5) موافق بدرجة عالية.

(3)- الخصائص السيكمترية للأداة:

1- صدق المحكمين:

بعد انتهاء الباحثة من إعداد الاستبيان في صورته الأولية، تم عرضه على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة بسكرة وجامعة وهران، لإبداء رأيهم من حيث دقة العبارات، و مناسبتها لموضوع الدراسة ومدى انتمائها لمجالات الدراسة التي وردت فيها، وبناءً على ملاحظات المحكمين واقتراحاتهم؛ قامت الباحثة بتعديل بعض فقرات الاستبيان، وحذف العبارات غير الملائمة، وإضافة عبارات أخرى أكثر وضوحاً وملائمة.

2- الصدق الذاتي:

كما قامت الباحثة بحساب الصدق الذاتي للمقياس والذي يحدد بالجذر التربيعي لمعامل ثبات الأداة، أي $ص = \sqrt{\text{ثبات الأداة}}$ وعليه فإن الصدق الذاتي لهذه الأداة هو: $0.90 = \sqrt{0.81}$ ، وهو معامل صدق عال يمكننا من الثقة في الأداة والاعتماد عليها في هذه الدراسة.

ثبات المقياس:

كما قامت الباحثة بحساب ثبات مقياس معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي بالطرق التالية:

1- ثبات التجزئة النصفية:

تم حساب ثبات المقياس بطريقة التجزئة النصفية، وذلك بحساب معامل الارتباط بين درجات أفراد العينة الاستطلاعية على الفقرات الفردية، ودرجاتهم على

الفقرات الزوجية لكل بعد من أبعاد المقياس، ثم استخدمت معادلة سبيرمان براون التنبؤية لتعديل طول الأبعاد، وقد بلغت قيمة معامل الثبات بعد التعديل بتلك المعادلة:

جدول رقم (2): معاملات الثبات لأبعاد مقياس معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي باستخدام التجزئة النصفية:

الأبعاد	عدد الفقرات	معامل الارتباط	معامل الثبات بعد التعديل	مستوى الدلالة
الإدارة العليا	08	0.39	0.56	0.01
المجال التنظيمي	14	0.74	0.74	0.01
أعضاء هيئة التدريس	07	0.68	0.67	0.01
البحث العلمي	08	0.56	0.56	0.01
خدمة المجتمع	05	0.61	0.56	0.01
خدمة الطلبة	07	0.65	0.63	0.01

يتضح من الجدول السابق أن معاملات الثبات تراوحت بين (0.56 - 0.74)، وهي قيم دالة إحصائياً عند مستوى دلالة 0.01، الأمر الذي يدل على درجة جيدة من الثبات.

2. معادلة ألفا كرونباخ:

كما تم كذلك تقدير ثبات المقياس بحساب معامل ألفا كرونباخ لفقرات المقياس بأبعاده، والجدول التالي يبين ذلك:

جدول رقم (3): يبين معاملات الثبات لأبعاد مقياس معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي باستخدام معامل ألفا

الأبعاد	عدد الفقرات	قيمة ألفا	مستوى الدلالة
الإدارة العليا	08	0.66	0.01
المجال التنظيمي	14	0.82	0.01
أعضاء هيئة التدريس	07	0.78	0.01
البحث العلمي	08	0.74	0.01
خدمة المجتمع	05	0.66	0.01
خدمة الطلبة	07	0.77	0.01

يتضح من الجدول السابق أن قيم ألفا تراوحت بين (0.66 - 0.82)، وهي دالة عند مستوى دلالة 0.01، وتفي بمتطلبات تطبيق المقياس على أفراد العينة.

وبما سبق اتضح للباحثة أن مقياس معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي موضوع الدراسة يتسم بدرجة عالية من الصدق و الثبات؛ تعزز النتائج التي سيتم جمعها للحصول على النتائج النهائية للدراسة.

(4) المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة البحث تم إدخال البيانات في الحاسب الآلي، و تم استخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) ومعالجتها إحصائياً، حيث استخدمت المعالجات الإحصائية التالية:

1- للإجابة عن السؤال الأول تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات الاستبيان.

وللحكم على درجة التقدير لفقرات الاستبيان تم استخدام سلم ليكرت الخماسي وذلك من خلال:

يُيجاد طول المدى (4=1-5), ثم قسمة المدى على عدد الفئات (4/5=0.80) وبعد ذلك يضاف (0.80) إلى الحد الأدنى للمقياس فتصبح الفئة الأولى (1 - 1.80)، وهكذا بالنسبة لبقية الفئات.

وقد تم اعتماد درجات التقدير على النحو التالي:

جدول رقم(4):

المدى	درجة التقدير
1 - 1.80	منخفضة جدا
1.81 - 2.61	منخفضة
2.62 - 3.42	متوسطة
3.43 - 4.23	مرتفعة
4.24 - 5	مرتفعة جدا

2. للإجابة عن سؤالي البحث الثاني والثالث تم استخدام اختبار-ت (t- test) لمعرفة الفروق في تقدير أفراد مجتمع البحث لدرجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي وفقا لمتغير الرتبة العلمية و متغير سنوات الخبرة.

(5)- نتائج البحث:

فيما يلي عرض للنتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث:

1- النتائج المتعلقة بالتساؤل الأول:

* ما المعوقات التي تحول دون تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس؟
وللإجابة عن هذا السؤال فقد تم استخراج المتوسطات الحسابية و الانحرافات المعيارية لجميع فقرات مجالات البحث، كما هو مبين في الجداول التالية:
الجدول رقم (5) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجال الإدارة العليا

المرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المعوقات	الرقم	المجال
5	1.22	3.40	وجود غموض لدى بعض القيادات حول آليات تطبيق إدارة الجودة الشاملة.	1	الإدارة العليا
6	1.37	3.19	عدم توفير مقرات ملائمة لنشاط خلايا الجودة	2	
4	1.13	3.60	عدم وجود التزام لدى بعض القيادات الأكاديمية بتقديم الدعم	3	

			لضمان الجودة	
7	1.17	3.15	عدم قناعة بعض القيادات الأكاديمية بتطبيق إدارة الجودة الشاملة.	4
1	0.98	4.09	غموض معايير اختيار القيادات الأكاديمية.	5
4	1.44	3.60	وجود غموض حول دور الكليات في ضمان الجودة في الجامعة	6
2	1.04	3.98	غموض استراتيجيات و سياسات تطبيق إدارة الجودة الشاملة.	7
3	1.04	3.85	عدم وجود سياسة واضحة للتعامل مع ظاهرة مقاومة التغيير	8

يتبين من الجدول رقم (5) أن المتوسطات الحسابية للفقرات رقم (4)، (2)، (1) لتقدير أفراد عينة البحث لأهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة المتعلقة بمجال الإدارة العليا تقع ضمن مدى درجة موافقة متوسطة، أما بالنسبة لباقي

الفقرات رقم (3)، (6)، (8)، (7)، (5) فهي تقع ضمن مدى درجة موافقة مرتفعة.

كما يتضح من الجدول السابق أيضا أن الفقرة رقم (5) القائلة: "غموض معايير اختيار القيادات الأكاديمية" قد حصلت على المرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدر بـ 4.09 تليها في المرتبة الثانية الفقرة رقم (7) و التي تنص على: "غموض استراتيجيات و سياسات تطبيق إدارة الجودة الشاملة" بمتوسط حسابي مساو لـ 3.98، كما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (4) القائلة: "عدم قناعة بعض القيادات الأكاديمية بتطبيق إدارة الجودة الشاملة" بمتوسط حسابي قدر بـ 3.15.

الجدول رقم (6) يبين المتوسطات الحسابية و الانحرافات المعيارية للمجال التنظيمي

المرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المعوقات	الرقم	المجال
1	0.99	4.16	الافتقار إلى خطة تدريبية لتوعية العاملين بمفهوم ضمان الجودة.	1	الجانب التنظيمي
12	1.39	3.25	عدم وجود دعم للحيات الأكاديمية لأعضاء هيئة التدريس.	2	
13	1.44	3.23	طول إجراءات ترقية عضو هيئة التدريس.	3	
14	1.36	3.09	غياب الشفافية	4	

			والنزاهة عند التوظيف	
7	1.30	3.53	غلبة الطابع البيروقراطي على المناخ التنظيمي في الجامعة.	5
10	1.50	3.46	ضعف الحوافز المادية و المعنوية .	6
2	1.07	4.04	قلة مشاركة العاملين في اتخاذ القرارات.	7
9	1.26	3.47	ضعف قنوات الاتصال بين الأقسام والكليات وإدارة الجامعة.	8
8	1.26	3.52	عدم وجود تحفيز على العمل الجماعي.	9
11	1.38	3.40	قلة الخدمات الاجتماعية المقدمة لعضو هيئة التدريس.	10
3	1.05	4.00	عدم الحرص عند اختيار قيادات العمل على توفير معيار	11

			الكفاءة و الخبرة والإخلاص.		
4	0.85	3.91	محدودية برامج التنمية المهنية لعضو هيئة التدريس.	12	
6	1.04	3.85	الافتقار إلى معايير موضوعية لقياس الأداء.	13	
5	1.11	3.90	غياب المناخ التنظيمي المشجع على التميز في الأداء.	14	

يظهر الجدول رقم (6) أن المتوسطات الحسابية لتقدير أفراد عينة البحث لأهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة المتعلقة بالمجال التنظيمي تقع ضمن مدى درجة موافقة مرتفعة، باستثناء الفقرات رقم (2)، (3)، (4)، (10) فهي تقع ضمن مدى درجة موافقة متوسطة.

كما يتضح من الجدول السابق أيضا أن الفقرة رقم (1) القائلة: "الافتقار إلى خطة تدريبية لتوعية العاملين بمفهوم ضمان الجودة" قد حصلت على المرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدر بـ 4.16 تليها في المرتبة الثانية الفقرة رقم (7) والتي تنص على: "قلة مشاركة العاملين في اتخاذ القرارات" بمتوسط حسابي قدر بـ 4.04، كما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (4) القائلة: "غياب الشفافية والنزاهة عند التوظيف" بمتوسط حسابي مساو لـ 3.09.

الجدول رقم (7) يبين المتوسطات الحسابية و الانحرافات المعيارية لمجال أعضاء هيئة التدريس

المرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المعوقات	الرقم	المجال
3	1.09	3.80	عدم امتلاك بعض أعضاء هيئة التدريس للمهارات والخبرات اللازمة لتوصيل المعارف.	1	أعضاء هيئة التدريس
1	1.08	3.85	عدم الاعتماد في إيصال المعرفة على التقنيات الحديثة في التدريس .	2	
6	1.22	3.39	يتم تقييم الطلبة وفق معايير غير أكاديمية وغامضة من طرف بعض أعضاء هيئة التدريس.	3	
2	1.14	3.84	إهمال تنمية طرق التفكير النقدي العلمي لدى الطلبة	4	
4	0.97	3.70	الافتقار إلى آليات لتنمية	5	

			سلوكيات المعرفة لدى الطلاب	
5	1.20	3.59	عدم حرص بعض أعضاء هيئة التدريس على تزويد الطلبة بالمهارات اللازمة لسوق العمل.	6
7	1.42	3.36	إهمال تشجيع الطلاب على التطوير المعرفي الذاتي	7

يتبين من الجدول رقم (7) أن المتوسطات الحسابية لتقدير أفراد عينة البحث لأهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة المتعلقة بمجال أعضاء هيئة التدريس تقع ضمن مدى درجة موافقة مرتفعة، باستثناء الفقرات رقم (3) و(7) فهي تقع ضمن مدى درجة موافقة متوسطة.

كما يتضح من الجدول السابق أيضا أن الفقرة رقم (2) القائلة: "عدم الاعتماد في إيصال المعرفة على التقنيات الحديثة في التدريس" قد حصلت على المرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدر بـ 3.85 تليها في المرتبة الثانية الفقرة رقم (4) والتي تنص على: "إهمال تنمية طرق التفكير النقدي العلمي لدى الطلبة" بمتوسط حسابي قدر بـ 3.84، كما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (7) القائلة: "إهمال تشجيع الطلاب على التطوير المعرفي الذاتي" بمتوسط حسابي مساو لـ 3.36.

الجدول رقم (8) يبين المتوسطات الحسابية و الانحرافات المعيارية لجال البحث العلمي

المرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المعوقات	الرقم	المجال
4	1.44	3.80	زيادة العبء التدريسي على حساب البحث العلمي	1	البحث العلمي
2	1.13	3.97	قلة التعاون بين أعضاء هيئة التدريس لإجراء البحوث المشتركة.	2	
5	1.23	3.64	ضعف الدعم المالي المقدم للأبحاث العلمية	3	
6	1.33	3.57	قلة إصدارات المجلات العلمية المحكمة.	4	
1	1.18	3.98	قلة مشاركة أعضاء هيئة التدريس في الشراكة مع المراكز البحثية العالمية والمحلية	5	
3	1.18	3.81	غموض المعايير العلمية لتقييم الأبحاث	6	

8	1.28	3.22	ندرة الموارد البشرية المؤهلة العاملة في مراكز الأبحاث.	7
7	1.26	3.53	افتقار الجامعة إلى مراكز بأبحاث متخصصة	8

يظهر الجدول رقم (8) أن المتوسطات الحسابية لتقدير أفراد عينة البحث لأهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة المتعلقة بمجال البحث العلمي تقع ضمن مدى درجة موافقة مرتفعة، باستثناء الفقرة رقم (7) فهي تقع ضمن مدى درجة موافقة متوسطة.

كما يتضح من الجدول السابق أيضا أن الفقرة رقم (5) القائلة: "قلة مشاركة أعضاء هيئة التدريس في الشراكة مع المراكز البحثية العالمية والمحلية" قد حصلت على المرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدر بـ 3.98 تليها في المرتبة الثانية الفقرة رقم (2) والتي تنص على: "قلة التعاون بين أعضاء هيئة التدريس لإجراء البحوث المشتركة" بمتوسط حسابي قدر بـ 3.97، كما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (7) القائلة: "ندرة الموارد البشرية المؤهلة العاملة في مراكز الأبحاث" بمتوسط حسابي مساو لـ 3.22.

الجدول رقم (9) يبين المتوسطات الحسابية و الانحرافات المعيارية لمجال خدمة المجتمع

المرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المعوقات	الرقم	المجال
2	0.89	4.14	غياب استطلاعات الرأي الموجهة لجهات العمل لمعرفة رأي المسؤولين حول خريجي الجامعة	1	خدمة المجتمع
5	0.93	3.91	عدم وجود دراسات لاستطلاع رأي الخريجين القدامى في تأهيلهم الأكاديمي وتأثيره على تقدمهم في مساراتهم الوظيفية.	2	
1	0.73	4.25	ضعف الاتصال بمؤسسات التوظيف لمعرفة احتياجاتهم	3	
3	0.67	4.12	قلة المتخصصة للمؤسسات والمدنية. الاستشارات المقدمة والهيئات	4	

4	0.96	3.92	ضعف التنسيق مع مؤسسات التوظيف لتدريب وتأهيل الطلاب.	5
---	------	------	---	---

يوضح الجدول رقم (9) أن المتوسطات الحسابية لتقدير أفراد عينة البحث لأهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة المتعلقة بمجال خدمة المجتمع تقع ضمن مدى درجة موافقة مرتفعة, باستثناء الفقرة رقم (3) فهي تقع ضمن مدى درجة موافقة مرتفعة جدا.

كما يتضح من الجدول السابق أيضا أن الفقرة رقم (3) القائلة: "ضعف الاتصال بمؤسسات التوظيف لمعرفة احتياجاتهم" قد حصلت على المرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدر بـ 4.25 تليها في المرتبة الثانية الفقرة رقم (1) والتي تنص على: "عدم وجود دراسات لاستطلاع رأي الخريجين القدامى في تأهيلهم الأكاديمي وتأثيره على تقدمهم في مساراتهم الوظيفية" بمتوسط حسابي قدر بـ 4.14، كما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (2) القائلة: "ندرة الموارد البشرية المؤهلة العاملة في مراكز الأبحاث" بمتوسط حسابي مساو لـ 3.91.

الجدول رقم (10) يبين المتوسطات الحسابية و الانحرافات المعيارية لمجال خدمة الطلبة

المرتبة	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المعوقات	الرقم	المجال
5	1.38	3.26	عدم توفر المكتبات الالكترونية وقواعد البحث الالكتروني.	1	خدمة الطلبة
4	1.48	3.36	قلة المجالات و الدوريات	2	

			الحديثة و المتخصصة في المكتبة.	
7	1.32	2.56	عدم توفر شبكة انترنت.	3
6	1.39	2.70	قلة مختبرات الحاسوب.	4
3	1.19	3.49	عدم توفر أجهزة نسخ خاصة بالطلبة.	5
2	1.30	3.59	ضعف مستوى الخدمات المقدمة من قبل الكافتيريا.	6
1	1.10	4.01	عدم توفر مركز إرشادي لمساعدة الطلبة في تحديد أهدافهم المستقبلية.	7

يظهر الجدول رقم (10) أن المتوسطات الحسابية بالنسبة للفقرات رقم (5)، (6)، (7) لتقدير أفراد عينة البحث لأهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة المتعلقة بمجال خدمة الطلبة تقع ضمن مدى درجة موافقة مرتفعة، باستثناء الفقرات (1)، (2)، (4) فقد وقعت ضمن مدى درجة موافقة متوسطة، والفقرة رقم (3) ضمن درجة موافقة منخفضة.

كما يتضح من الجدول السابق أيضا أن الفقرة رقم (7) القائلة: "عدم توفر مركز إرشادي لمساعدة الطلبة في تحديد أهدافهم المستقبلية" قد حصلت على المرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدر بـ 4.01 تليها في المرتبة الثانية الفقرة رقم (6) والتي تنص على: "ضعف مستوى الخدمات المقدمة من قبل الكافتيريا" بمتوسط حسابي

قدر ب 3.59. كما جاءت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (3) القائلة: "عدم توفر شبكة انترنت" بمتوسط حسابي مساو لـ 2.56..

2- النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

* توجد فروق - ذات دلالة إحصائية- في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي لدى أعضاء هيئة التدريس وفقا للرتبة العلمية.

وللإجابة عن هذه الفرضية, تم حساب اختبار-ت (t- test) وفيما يلي جدول يوضح ذلك:

جدول رقم (11) يوضح دلالة الفرق في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة

الجودة الشاملة لدى أفراد عينة البحث وفقا للرتبة العلمية

الدلالة الإحصائية	دلالة ت	قيمة ت	درجة الحرية	أستاذ محاضر		أستاذ مساعد		المجالات
				ع	م	ع	م	
غير دالة	0.5	0.67	69	5.67	28.43	4.75	29.26	الإدارة العليا
غير دالة	0.62	0.49	69	9.00	50.30	8.10	51.31	المجال التنظيمي
غير دالة	0.73	0.33	69	5.95	25.30	5.32	25.75	أعضاء هيئة التدريس
غير دالة	0.42	0.80	69	7.12	28.90	4.94	30.04	البحث العلمي
غير دالة	0.73	0.34	69	3.00	20.23	2.64	20.46	خدمة المجتمع
غير دالة	0.55	0.59	69	6.33	22.50	5.86	23.36	خدمة الطلبة

يتضح من الجدول رقم (11) أن الفروق في متوسط تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة لأفراد عينة البحث وفقا لمتغير الرتبة العلمية ليست لها دلالة إحصائية، وهذا ما يؤكد أن الفروق ليست جوهرية، ومنه فقد تم رفض فرضية البحث وتم قبول الفرض الصفري، والذي ينص على أنه لا توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - لدى أعضاء هيئة التدريس في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وفقا للرتبة العلمية.

3- النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

* توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي لدى أعضاء هيئة التدريس وفقا لسنوات الخبرة.

وللإجابة عن هذه الفرضية تم حساب اختبار-ت (t- test) وفيما يلي جدول يوضح ذلك:

جدول رقم (12) يوضح دلالة الفرق في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة لدى أفراد عينة البحث وفقا لسنوات الخبرة

الدلالة الإحصائية	دلالة ت	قيمة ت	درجة الحرية	أكثر من 6 سنوات		أقل أو يساوي 6 سنوات		المجالات
				ع	م	ع	م	
غير دالة	0.27	1.10	69	5.47	28.10	4.80	29.47	الإدارة العليا
غير دالة	0.32	0.92	69	8.50	49.68	8.41	51.71	المجال التنظيمي
غير دالة	0.45	0.75	69	5.76	24.96	5.45	25.97	أعضاء هيئة

التدريس								
البحث العلمي	غير دالة	0.23	1.19	69	6.98	28.55	5.07	30.26
خدمة المجتمع	غير دالة	0.45	0.74	69	2.91	20.06	2.70	20.57
خدمة الطلبة	غير دالة	0.32	0.92	69	6.12	22.13	5.97	23.59

يتضح من الجدول رقم (12) أن الفروق في متوسط تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة لأفراد عينة البحث وفقا لمتغير سنوات الخبرة ليست لها دلالة إحصائية، و هذا ما يؤكد أن الفروق ليست جوهرية، ومنه فقد تم رفض فرضية البحث وتم قبول الفرض الصفري، والذي ينص على أنه لا توجد فروق - ذات دلالة إحصائية - بين أعضاء هيئة التدريس في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة وفقا لسنوات الخبرة.

(6) - مناقشة نتائج الدراسة:

فيما يلي مناقشة النتائج المتعلقة بالبحث، و سوف تتم مناقشة نتائج البحث وفقا للأسئلة التي حاولت الباحثة الإجابة عليها:

• مناقشة النتائج المتعلقة بالتساؤل الأول:

لقد كشفت النتائج المتعلقة بهذا السؤال على أن الفقرة القائلة: "ضعف الاتصال بمؤسسات التوظيف لمعرفة احتياجاتهم"، التابعة لمجموعة معوقات خدمة المجتمع، جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي مساو لـ 4.25.

كما حلت في المرتبة الثانية فقرة "الافتقار إلى خطة تدريبية لتوعية العاملين بمفهوم ضمان الجودة" التابعة لمعوقات المجال التنظيمي بمتوسط حسابي قدر بـ 4.16.

أما في المرتبة الثالثة فقد حلت الفقرة "غموض معايير اختيار القيادات الأكاديمية" التي تنتمي لمجال معوقات الإدارة العليا بمتوسط حسابي مساو لـ 4.09.

وفي المرتبة الرابعة جاءت فقرة "عدم توفر مركز إرشادي لمساعدة الطلبة في تحديد أهدافهم المستقبلية"، والتي تنتمي لمجال معوقات خدمة الطلبة بمتوسط حسابي مساو لـ 4.01.

وجاءت فقرة "قلة مشاركة أعضاء هيئة التدريس في الشراكة مع المراكز البحثية العالمية والمحلية" والتي تنتمي لمجال معوقات البحث العلمي، في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي قدر بـ 3.98.

وأخيرا حلت في المرتبة السادسة الفقرة القائلة "عدم الاعتماد في إيصال المعرفة على التقنيات الحديثة في التدريس" و تنتمي لمجال معوقات أعضاء هيئة التدريس بمتوسط حسابي مساو لـ 3.85.

وترى الباحثة أن هذه النتيجة جاءت منطقية إلى حد كبير حيث أن من أهم المشاكل التي تعاني منها الجامعات الجزائرية هو غياب التنسيق مع جهات العمل لمعرفة احتياجاتهم مما فاقم من مشاكل البطالة بين أوساط الخريجين وهذا ما أشار إليه تقرير المعرفة العربي للعام 2009 تحت عنوان "التعليم وتكوين رأس المال المعرفي" الصادر عن منظمة اليونسكو على أن "هناك غياب خطط محددة في الجامعات العربية لتوجيه الطلبة و مقارنة أعداد الملتحقين في مختلف الميادين من زاوية العلاقة مع أسواق العمل الداخلية والخارجية" و يضيف نفس التقرير بأنه "حصل في العديد من الدول العربية توسيع للجامعات و أنشئت فروع و جامعات جديدة في كثير من المدن و بدون ترتيب مستوعب للحاجات الفعلية في هذه البلدان, الأمر الذي ضاعف من إشكالات التعليم العالي فيها"⁽⁴⁾.

ويشير كل من مجيد والزيادات (2008) إلى أن من أهم خطوات تطبيق الجودة في مؤسسات التعليم الجامعي التوعية و نشر مفهوم الجودة الشاملة بصورة مستمرة و دائمة من خلال إجراء دورات تدريبية عن الجودة الشاملة⁽⁵⁾.

ويرى كل من الترتوري وجويحان (2009) أنه يجب على مؤسسات التعليم العالي والمتمثلة بالجامعات خصوصا، أن تعمل على التحقق من أن

حاجات المستفيدين تمت تليتها أو تجاوزها، و لتحقيق هذا الهدف يجب أن تقوم الجامعة بقياس رضى المستفيدين عن أداء خريجها، والفهم الكامل لحاجات المستفيدين على المستويين القريب والبعيد، وذلك من خلال استخدام التغذية الراجعة وتوظيف جميع المعلومات المتعلقة بحاجات المستفيدين وإدارتها⁽⁶⁾.

ويضيف كل من مجيد و الزيادات(2008) بأن من بين خطوات تطبيق الجودة استبيان لجهات العمل التي يتوجه لها الخريج لاستطلاع رأي المسؤولين حول خريج الجامعة بخصوص المعارف و المهارات التي تعلمها وأتقنها هؤلاء الخريجون , والتعرف على المهارات التي تحتاج إليها جهات العمل المختلفة لكي تزود الكلية طلابها بها مستقبلا⁽⁷⁾.

وتتفق نتائج هذا التساؤل مع دراسة حيث أظهرت الدراسة أن للتدريب أثرا ايجابيا على المحاضرين والطلبة في تطبيق الجودة في التعليم الجامعي. كما تتفق نتائج الدراسة جزئيا مع دراسة، والتي أظهرت نتائجها عدم توفر الكوادر المؤهلة في مجال إدارة الجودة⁽⁸⁾.

الخاتمة:

وبشكل عام يمكن أن نستخلص من نتائج هذا التساؤل أن هناك إجماع لدى أعضاء هيئة التدريس على وجود جميع المعوقات التي تواجه مؤسسات التعليم العالي عند تطبيق إدارة الجودة الشاملة فيها.

• مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

ان نتيجة اختبار صحة الفرضية الأولى و التي أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي لدى أعضاء هيئة التدريس تعزى لمتغير الرتبة العلمية تتسم حسب الباحثة بالواقعية حيث نجد أن أعضاء هيئة التدريس سواء أكانوا أساتذة مساعدين أو أساتذة محاضرين لديهم دراية كافية ووعي بمجموعة المعوقات التي تقف أمام التطبيق الفعلي لإدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي.

• مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

لقد أظهرت نتيجة اختبار صحة الفرضية الثانية عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي لدى أعضاء هيئة التدريس تعزى لمتغير سنوات الخبرة وهي نتيجة حسب الباحثة منطقية إلى حد كبير إذا ما أدركنا واقع الجامعات الجزائرية حيث يخضع جميع الأساتذة إلى نفس القوانين والأنظمة و يعانون من نفس المشاكل إن وجدت بغض النظر عن سنوات خبرتهم.

وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع دراسة مدوخ(2008) والتي توصلت نتائجها إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

كما جاءت نتائج الدراسة متوافقة مع ما توصل إليه العلاونة (2004) في دراسته حيث توصل إلى أنه لا يوجد اختلاف ذو دلالة إحصائية عند تطبيق مبادئ

إدارة الجودة الشاملة في الجامعة العربية الأمريكية من وجهة نظر أعضاء هيئتها التدريسية تبعا لعدد سنوات الخبرة.

وتتفق أيضا هذه النتائج مع دراسة العضاضي(2012) والتي أظهرت أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير درجة أهمية معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي تعزى لمتغير سنوات الخبرة.

❖ هوامش البحث:

- (1) سعيد بن علي العضاضي (2012): معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، المجلد الخامس، العدد 9 ص 70.
- (2) نصر الدين حمدي سعيد مدوخ(2008): معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة و سبل التغلب عليها، رسالة ماجستير منشورة في الإدارة التربوية في كلية التربية بالجامعة الإسلامية، غزة، ص 08.
- (3) فريد النجار(2000): إدارة الجامعات بالجودة الشاملة، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة ص 73.
- (4) تقرير المعرفة العربي للعام 2009، التعليم و تكوين راس المال المعرفي، الفصل الثالث، منظمة اليونسكو، ص 103.
- (5) سوسن شاكر مجيد، محمد عواد الزيادات (2008): الجودة والاعتماد الأكاديمي لمؤسسات التعليم العام والجامعي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ص 206.
- (6) محمد عوض الترتوري، أغادير عرفات، جويحان(2009): إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي و المكتبات و مراكز المعلومات، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، ص 79.
- (7) مجيد، الزيادات: مرجع سبق ذكره، ص 225.
- (8) نصر الدين حمدي سعيد مدوخ: مرجع سبق ذكره، ص 139.

الدراسات النفسية الاجتماعية

الجماعات الطلابية وكيفيات تأسيسها في الوسط الجامعي

دراسة ميدانية على طلبة جامعة الجزائر 2

الأستاذ: عادل قايد

جامعة الجزائر 2

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز أهم العوامل النفسية، والاجتماعية، والثقافية التي تدفع الطلبة إلى تأسيس جماعات طلابية في جامعة الجزائر 2. وقد أشرنا في الدراسة إلى دور الجهوية، اللهجة، التخصص الدراسي، المصلحة المشتركة، بالإضافة إلى عوامل أخرى يمكن أن توضح لنا كيفية تأسيس جماعات الطلبة في جامعة الجزائر 2. والنتائج التي توصل إليها الباحث تشير إلى الأهمية التي تكتسبها الجهوية في تأسيس الجماعات الطلابية.

Abstract:

This research aims to highlight the most important psychological factors, social, and cultural, which leads the students to the formation of student groups at the University of Algeria 2. We have referred in the study to the regional role, tone, academic specialization, the common interest, as well as other factors that could explain to us how to form groups of students at the University of Algeria 2. The findings of the researcher refers to the importance of regionalization in the formation of student groups.

مقدمة:

لكل جماعة معايير و قيمها التي يتحتم على الفرد المنتمي إليها احترامها، سواء ابتعد الفرد عن جماعته أو غادر إلى جماعة أخرى، فهو في كلتا الحالتين يفقد انتماءه الاجتماعي لجماعته من جانب و يواجه و برفض الجماعة الأخرى له من جانب آخر، لاختلاف عاداته و قيمه و نمط شخصيته و خبراته مما يسبب غربته من ناحية و عدم انتمائه لمجتمع من ناحية أخرى، فبإمكان الجماعة إعطاء نوع من التعاطف و التأكيد و الحماية من الأخطار و بالتالي فان حاجة الفرد للآخرين تكمن في مساعدته على حل مشاكله و إرضاء حاجاتها التي لا يستطيع حلها و إرضائها بمجهوده الخاص فيشعره بالأمن و يزيد من احترامه لنفسه.

تنتمي جماعات الطلبة إلى جماعات غير رسمية لها تنظيم غير رسمي و هو عبارة عن تلك العلاقات الشخصية و الاجتماعية المتنوعة التي تنشأ بين الأفراد بسبب تفاعلهم بصفة مستمرة و التقاءهم في نفس المكان لمدة زمنية معينة.

I- الإشكالية:

يبني الطالب علاقات مع طلاب آخرين في الجامعة في مجال اتصالي يجعله في حالة انتماء للجامعة و هي الأخرى تكون في حالة استيعاب له و لجماعته، فالانتماء الاجتماعي يعتبر حاجة أساسية لصحبة الآخرين فهو حسب إميل دوركايم: "الحالة التي يجد فيها الفرد نفسه معتمدا عاطفيا و اقتصاديا على الجماعة، فتمنحه مكانته و تتولى إشباع حاجاته".

و من أجل إشباع هذه الحاجات يلجأ الطالب إلى تشكيل الجماعة فهي حسب رالف بيلز: "هي عدد من الناس يتفاعلون مع بعضهم البعض في سلسلة من الاتصالات الشخصية، و يتلقى كل عضو فيها انطبعا أو إدراكا معيناً من الأعضاء الآخرين، يكون واضحا له بما يكفي لكي يستجيب لهم باعتباره شخصا فردياً".

و يختار الطالب أفراد الجماعة التي ينتمي إليها حسب حاجاته من أجل إشباعها إذ يمثل كل من الهوية و التخصص الدراسي و الجوار و اشتراكهم في نفس

المعانة من نقل و سكن جامعي والحرمان العاطفي و الاضطرابات العائلية و القدرة الشرائية والأخلاق والدين وقضاء بعض مصالحهم المادية و المعنوية عوامل تساهم في تشكيل جماعات الطلبة .

فمن خلال دراستنا أردنا البحث والتأكد من طبيعة العلاقات المتواجدة بين الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و عن كيفية تشكلها , فهل تتشكل على أساس الانتماء الاجتماعي؟
و للتأكد من الإشكالية طرحنا

II-الفرضية العامة:

➤ تتشكل جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية على أساس الانتماء الاجتماعي.

و منها اقترحنا أربعة فرضيات جزئية و هي كالآتي:

1. تتشكل جماعات الطلبة على أساس التقارب.
2. تتشكل جماعات الطلبة على أساس المعانة.
3. تتشكل جماعات الطلبة على أساس العقلية.
4. تتشكل جماعات الطلبة على أساس المصالح.

III- تحديد المصطلحات:

1. الجماعة:

يختلف الباحثون في مجال الدراسات النفسية الاجتماعية في تحديد مفهوم الجماعة باختلاف الأسس التي يقوم عليها وصف الجماعة أو تعريفها. فقد عرفها (mucchielli) على أنها: مجموعة الأفراد لا يكونون جماعة إلا حين تنسج علاقات بينهم أثناء وجودهم في وضعية وجه لوجه. "أما رالف بيلز: هي عدد من الناس يتفاعلون مع بعضهم البعض في سلسلة من الاتصالات الشخصية: و يتلقى كل

عضو فيها انطبعا و إدراكا معينا من الأعضاء الآخرين يكون واضحا له بما يكفى لكي يستجيب لهم باعتباره شخصا فرديا.

بينما عرفها هير (hair) على أنها: عدد من الأفراد يتم التفاعل بينهم وجها لوجه في مقابلة واحدة أو مقابلات متعددة بحيث يؤثر كل فرد في الأفراد الآخرين و يتأثر بهم⁽¹⁾.

2. الانتماء الاجتماعي:

ابتداء من الدراسات التي بدأها تشارلز هورتون كولي عن معنى الانتماء أصبحت هذه الحقيقة من الحقائق التي اهتم بها دراسات سيكولوجية و سوسولوجية عديدة .

بعض الدراسات أكدت أنها حالة من التوحد مع الجماعة، أي أنها حالة يستوعب من خلالها الفرد ما بداخله، بحيث يعتبر تهديد الجماعة تهديدا له. وهناك أيضا من يعرف الانتماء الاجتماعي بأنه مزيج غريب من العناصر الموضوعية و الذاتية في واقع تاريخي اجتماعي محدد، و قد يبلغ الانتماء درجة قصوى من الذاتية و الاختبار الروحي حتى يصعب تحديده.

أما إميل دوركايم² قد حدد الانتماء الاجتماعي بأنه "الحالة التي يجد فيها الفرد نفسه معتمدا عاطفيا و اقتصاديا على الجماعة بحيث نجد أن الجماعة هي التي تمنحه مكانته و تتولى إشباع حاجاته فإميل دوركايم يقدم لنا تشخيصا واقعا للانتماء الاثاري الذي قد يأتيه الفرد فداء للجماعة و التضحية من اجلها أو انه ينظر إلى ذاته باعتبار و أصبح عبئا على الجماعة ذلك لان الفرد يستمد في العادة وجوده من الجماعة⁽²⁾ .

3. جماعة الطلبة:

هي جماعة من الطلبة تتكون من شخصين على أقل تقدير تجمع بينهم علاقة تفاعل اجتماعي يتبادلون التأثير و التأثر فيما بينهم وبين بعضهم البعض.

IV-التعاريف الإجرائية:

1. التقارب:

يعتبر التقارب مفتاح العلاقات بين الطلبة إذ يرتبط الطالب بجماعات الطلبة، فيتعرف عليهم ويتعرفون عليه بفضل تقارب المكان الذي يضمهم، فيكون ارتباطا وثيقا بحكم التخصص الدراسي الذي يجمعهم أم بحكم الجيرة في السكن، كما يجتمع الطالب مع الآخرين لممارستهم لنفس الهواية أو لأنه ينتمي إلى نفس المنطقة التي يسكن فيها.

2. المعاناة:

هي الاختلال في الصحة من الجانب الاجتماعي المتمثلة في السكن الجامعي، النقل الجامعي، والعمل عند الطالب. كما يمكن أن تكون معاناته نفسية تتجسد في الخلافات العائلية و الحرمان العاطفي بالإضافة إلى المعاناة الاقتصادية المتمثلة في القدرة الشرائية.

3. العقلية:

هي كل ما يربط الطالب بجماعة الطلبة من أخلاق و تدين و نظرة مستقبلية و المشاركة في نفس الاهتمامات و الانشغالات بالإضافة إلى التوافق السلوكي بينهم.

4. المصالح المشتركة:

تعمل على تقارب الطلبة فيما بينهم، و بناء قاعدة لعلاقاتهم القائمة فنجدهم يتعاونون فيما بينهم و يتفاعلون و يؤثرون و يتأثرون من اجل تحقيق أهدافهم و مصالحهم.

V-أهمية الانتماء الاجتماعي:

إن للانتماء أهمية على المستوى الاجتماعي كونه العمود الفقري للجماعة و بدونها تفقد الجماعة تماسكها و تماسك الجماعة هو انجذاب الأعضاء لها

و الذي يتوقف على مدى تحمي الجماعة لحاجات أفرادها فطالما أن الجماعة تحقق حاجات الفرد فان بإمكانها إن تؤثر على أفكاره و سلوكه عن طريق تلك الفوائد التي يحصل عليها من جراء انتمائه لها و المتمثلة بالاتي⁽³⁾:

- تحقيق الرغبات الشخصية و الاجتماعية التي يعجز الفرد عادة على تحقيقها بمفرده.
- الشعور بالانتمائية إلى الجماعة تتقبله و يتقبلها يشعر بالأمن و الطمأنينة .
- اكتساب الفرد للميراث الثقافي الذي يمكنه من التفاعل الايجابي مع أفراد مجتمعه.
- تساعد الجماعة الفرد على ممارسة أنواع من النشاط يشغل فيه كفايته و يكتشف كفايات أخرى.

أما على الصعيد النفسي ظن فتبرز من خلال كثرة المتغيرات النفسية المرتبطة به و التي كشفت عنها نتائج العديد ن البحوث و الدراسات منها:

- العلاقة بين حاجة الفرد للانتماء و التشابه بين الأشخاص حيث توصلت أن للجماعة ميولات انتمائية نحو الشخص الذي يتفق أو ينسجم معه في اتجاهاته، و فيما يظهره من مفاهيم قيمة مشابهة لتلك القيم التي يحملونها بخصوص موضوع ما.
- الكشف عن السلوكيات التعبيرية المرتبطة بإرضاء الحاجة للانتماء حيث توصلت إلى أن كشف الذات هو واحد من هذه السلوكيات و أن الأشخاص ذوي الحاجات العالية للانتماء أكثر كشفا لذات من الأشخاص ذوي الحاجة المنخفضة.

أما فيما يخص تأثير الجنس على الحاجة للانتماء فقد أظهرت الدراسات إلى أن الإناث مقارنة بالذكور هم أكثر تحسسا لمشاعر الآخرين و أكثر إدراكا و

استعابا لحاجاتهم و رغباتهم. و ما إن يقابله على الضد تماما الاغتراب الذي هو الابتعاد النفسي للفرد عن ذاته و عن جماعته.

VI-العوامل التي تدفع الأفراد للانضمام إلى الجماعة:

- ✓ يتحد الأفراد أو يتم تكوينهم لجماعة لإنجاز أعمال محددة
- ✓ يتحد الأفراد لأن الاتصالات و العلاقات متماسكة تربطهم ببعض.
- ✓ ينظم الأفراد إلى الجماعة لأنها تحمي حقوقهم و امتيازاتهم لذا يلجأ الأفراد الذين هم في حاجة إلى الأمن و الحماية إلى الانضمام إلى الجماعة القوية ليحققوا كل ما هم في حاجة إليه.
- ✓ ينظم الأفراد لأن اتحادهم في الجماعة يشبع حاجاتهم للانتماء و التقدير.

➤ التعليم:

لاشك أن الفصول الدراسية و الأندية و جماعات الهوايات واللجان و الجمعيات تشكل وتنظم لغرس التعليم فالفرد ينظم لمثل هذه الجماعات لتعلم هوايته أو يكتب معلومات جديدة أو يزيد من معلوماته الأصلية.

التحرر من السلطة الأبوية:

قد ينظم الأفراد بهدف التحرر من السلطة الأبوية أو من يمثلها كالمدرسين في المدارس أو حتى يستطيعوا أن ينفسوا عن أنفسهم و يشبعوا رغباتهم و ميولهم في جو مملوء بالحرية.

➤ الانتماء الاجتماعي:

يشير الانتماء الاجتماعي إلى ضرورة احترام الفرد و قيام للجماعة التي ينتمي إليها سواء بقي معها أو غادرها إلى جماعة أخرى و التي بدورها ترفضها لاختلاف عاداته و قيمه و نمط شخصية و خبراته التي اكتسبها من الجماعة

الأخرى إذن هنا تكمن حاجة الفرد للآخرين في المساعدة على مواجهة صعوبات الحياة و إتباع حاجاته المتعددة التي لا يستطيع بمفرده بلوغها و هذه الحاجات تتمثل في اكتساب الفرد للميراث الثقافي الذي يمكنه من التفاعل الايجابي مع أفراد مجتمعه و مساعدته على القيام بمختلف النشاطات الاجتماعية⁽⁴⁾.

➤ المعاناة:

يتميز بين نوعين من المعانات معانات جسمية و أخرى نفسية فالأولى تعني اضطرابات بيوكيميائية و فيزيولوجية أما الثانية فهي مرتبطة بالاضطرابات الوجدانية و المعرفية⁽⁵⁾.

➤ العادات:

هي ظاهرة سوسيوولوجية معيار أو قاعدة للسلوك الجمعي تشير إلى أفعال الأفراد التي تعودوا عليها و سلوكياتهم نحو الشبه آلي بفضل التكرار المستمر.

➤ التقاليد:

عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا و الإتقان الجمعي و تستمد قوتها من المجتمع و ترتبط بالحكم المترابطة و ذكريات الماضي التي مر بها المجتمع بتناقلها الخلف عن السلف.

➤ المصالح:

إتباع الحاجات الذاتية لكلى الطرفين قد يكون دافعا لتأسيس هاته العلاقات بغض النظر ما إذا كانا مساهمين في عملية التفاعل الاجتماعي مهتمين بعضهما البعض فإن هناك مصالح و اهتمامات مشتركة تعمل على تقاربهما⁽⁶⁾.

VII- العوامل التي تؤدي إلى التنظيم غير الرسمي:

أ. القرب المكاني:

يعتبر من أهم العوامل في تشكيلها لأنه يساعد على التقاء الأفراد بصفة مستمرة، إذ أن الأشخاص الذين يلتقون في مكان واحد يتجهون إلى الاشتراك في تكوين جماعات بصورة تلقائية بحكم التقارب الفيزيقي بينهم نتيجة للتفاعل المستمر بينهم.

ب. التفاعل الاجتماعي:

يتعرض الفرد في حياته العادية خلال ممارسته لأنشطته اليومية مواقف يجد فيها نفسه طرفا في التعامل مع غيره سواء شاء ذلك أم آبي، وقد يتعامل الإنسان مع نفس الأفراد بصفة مستمرة كل يوم، و قد يتعامل مع وجوه عديدة يراها لأول مرة في أي يوم بحكم انتظامه في دراسته أو بحكم إنجازاته لمهامه في وظيفته سواء كان ذلك في أخذ الأندية، و قد تكون هذه المواقف التي يتعرض لها الفرد تقليدية بحتة لا جديد فيها حيث يكون التفاعل مع الآخرين روتينيا، كما يمكن أن تكون المواقف متطورة و متجددة حيث يكون التفاعل فيها نشطا و ايجابيا سيكولوجية العلاقات الاجتماعية⁽⁷⁾.

ج. تشابه الوظيفة:

إن تشابه الوظائف التي يقوم بها الأفراد و تماثلها يؤدي بهم إلى التشكل في جماعات غير رسمية، إذ يسعى كل الأفراد إلى تكوين علاقات مع جماعات الطلبة بحكم قيامهم بنفس الوظيفة فإنهم يقومون بتكوين علاقات فيما بينهم، فالأشخاص الذين يشتركون في أعمال متشابهة يميلون إلى الاشتراك في جماعات معينة.

د. التقارب:

يرتبط الفرد بالآخر و يتعرف بعضهم على البعض بفضل تقارب المكان الذي يضمهم فيكون ارتباطا وثيقا بحكم الزمالة في الدراسة أم في العمل أم بحكم الجيرة في السكن.

إذ يرتبط فرد ما بالآخر ارتباطا ثنائيا وثيقا لأنه يجلس بجواره في القسم أو لأنه يعمل معه في نفس القسم أو لأنه يسكن بجواره، و قد يصف كل منهما الآخر بأنه أحسن زميل له أو أفضل جار على الإطلاق بحكم العلاقة الثنائية التي ربطتها معا في صداقة حميمة.

و من بين الدراسات نجد دراسة فستنجر و آخرون 1950 أوضحت أن التقارب يعتبر مفتاح العلاقات الثنائية الوثيقة و الصداقات القوية الحميمة بين الأفراد حيث وجدوا أن معظم الطلاب الخرجين من إحدى الجامعات الأمريكية قد ارتبطوا بعلاقات ثنائية قوية مع زميلاتهم اللاتي كن اقرب إليهم بحكم جيرتهن السكنية في الشقق التي خصصت لهم جميعا عشوائيا في مجتمع سكني جديد و قد انتهت اغلب هذه العلاقات الثنائية بالزواج⁽⁸⁾.

الجانب التطبيقي:

I-تحليل الإجمالي للبيانات:

بعد دراستنا الميدانية التي طبقنا فيها المقابلة نصف موجهة و الملاحظة المباشرة للتحقيق من الفرضية العامة التي تنص على أن جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية تهيكل على أساس الانتماء الاجتماعي طبقنا مقياس ليكرت للاتجاهات و الحزمة الإحصائية spss -11-

إن النتائج المتحصل عليها تشير إلى أن الفرضية لم تتحقق بشكل عام إذ أن نسبة الإجابات الموجبة بلغت 46,7 و هي لم تصل حتى نصف العينة، و هذا ما يعبر على أن غريزة الانتماء الاجتماعي لها دور معتبر في تأسيس جماعات الطلبة و لكن هناك عوامل و أسس أخرى تتدخل في تشكيل هذه الجماعات.

جدول رقم (1): بين التكرارات والنسب المئوية لأفراد العينة الكلية وفقا لمتغيرات البحث ودرجات دليل المقابلة

ت: تكرارات، ن م: النسب المئوية

المصالح المشتركة		العقلية		المعانة		التقارب		المحاور
ن م	ت	ن م	ت	ن م	ت	ن م	ت	المتغيرات
%71.06	156	%97.02	212	%87.02	190	%93.01	203	موافق +
%79.04	173	%60.06	132	%86.02	188	%82.06	180	غير موافق -
15.06%	34	%29.08	65	%24.08	54	%26.01	57	نوعا ما +/-
%0	0	%20.00	46	%19.07	43	%16.03	29	المتنعين

ووفقا للجدول رقم (01) نجد أن نسبة الموافقين على أن جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية تهيكّل على أساس التقارب قدرت ب

93.01%، أما نسبة غير الموافقين فقد قدرت بـ 82.06% و الذين كانوا بين الموافقين وغير الموافقين (نوعا ما) فقد بلغت نسبتهم بـ 26.01% و فيما يخص الممتنعين عن الإجابة فنجد بان نسبتهم وصلت إلى 16.03% .

أما فيما يخص الموافقين على أن جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية تهيكل على أساس المعاناة فقد بلغت نسبتهم 87.02% وغير الموافقين وصلت نسبتهم إلى 86.02%، ونجد نسبة الذين أجابوا بنوع ما قدرت بـ 24.08%، و فيما يخص الممتنعين عن الإجابة حسب النتائج بلغت نسبتهم 19.07%.

و حسب الجدول نجد بان نسبة الموافقين على كون جماعات الطلبة تهيكل على أساس العقلية في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية هي 97.02% و نسبة غير الموافقين بلغت 60.06%، أما الذين أجابوا ب نوعا ما وصلت نسبتهم إلى 29.08%، كما وجدنا و حسب الجدول أن هناك من امتنع عن الإجابة و قد بلغت نسبتهم بـ 20.00%.

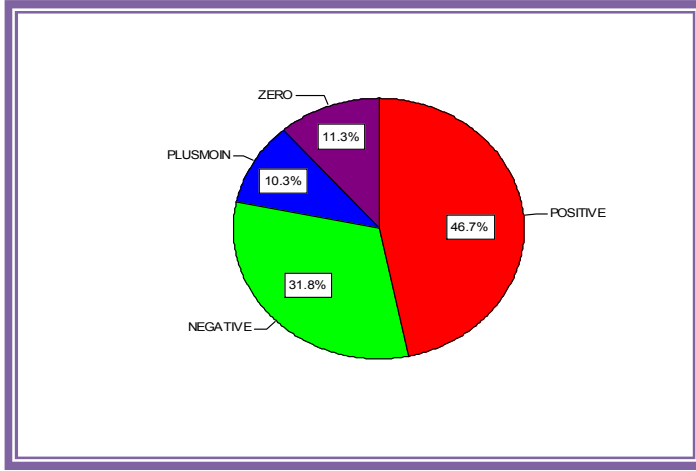
أما نسبة الذين وافقوا على أن جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية تهيكل على أساس المصالح المشتركة بلغت 71.06% و نسبة غير الموافقين وصلت إلى 79.04%

كما يبين الجدول أن هناك من كان بين الموافقة و الرفض و بلغت نسبتهم 15.06% و حسب الجدول فكل أفراد العينة أجابوا على هذا المحور فكانت نسبة الممتنعين 0% .

1. النتائج المتعلقة بفرضيات البحث:

لاختبار الفرضية العامة التي تنص على أن جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية تتأسس وفقا لغريزة الانتماء الاجتماعي، تم استخدام

النسب المئوية والأشكال البيانية وفقا لدليل المقابلة الذي تم بنائه في هذا البحث، فتوصلنا إلى النتائج التالية:



شكل (1) الرسم البياني يوضح توزيع أفراد العينة حسب درجاتهم:

كما هو موضح في الشكل (1) يتبين أن 46.7% من أفراد العينة أجابوا بنعم، و31.8% الذين أجابوا بعدم الموافقة، و 10.3% كانوا نوعا ما موافقين، و11.3% ممن لم يجيبوا. وبهذا لم تتحقق الفرضية العامة التي تنص على أن الجماعات تتأسس وفقا لغريزة الانتماء الاجتماعي.

وهذا قد يكون راجع لوجود عوامل أخرى تتأسس عليها الجماعات عدى غريزة الانتماء الاجتماعي. فتبين لنا حسب الرسم البياني رقم (1) أن 46.7% من جماعة الطلبة أجابوا بنعم وهذا ما يعادل على أن الانتماء الاجتماعي دور في تأسيس جماعات الطلبة وهذا ما بينه مصطفى زيدان بان " المرء في حاجة إلى أن يشعر بأنه فرد من مجموع تربطه بهم مصالح مشتركة تدفعه لان يأخذ و يعطي.. كما أنه في حاجة إلى أن يشعر انه يستطيع أن يمد غيره بالمساعدة والحماية "بالإضافة إلى إميل دوركايم الذي حدد الانتماء الاجتماعي بأنه الحالة التي يجد فيها الفرد نفسه معتمدا عاطفيا و اقتصاديا على الجماعة"

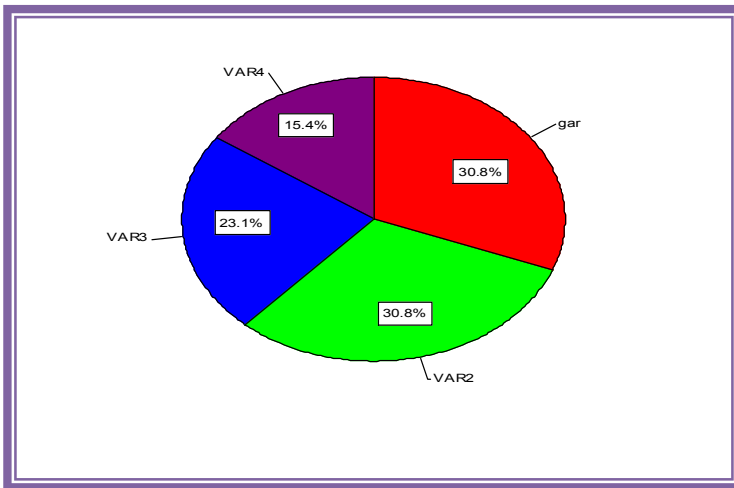
و رغم هذا إلى أن النتائج بينت 31.8% من الطلبة لم يوافقوا على أن الانتماء هو الذي يلعب دورا في هذه الجماعات كالقراءة و المصلحة الحالية فقط و هذا ما يدل على انعدام الانتماء الطبقي، المادي و الفكري إذ لاحظنا في الميدان أن هناك جماعات تتكون من طلبة في حالة مادية جيدة و طلبة في حالتهم المادية متوسطة. وهذا لا يمنع من وجود بعض الطلبة المترددين في الإجابة إذ بلغت نسبتهم 10.3%. بالإضافة إلى جماعة الطلبة الذين لم يجبوا و اكتفوا بالصمت أد بلغت نسبتهم 11.3%.

2. النتائج المتعلقة بالفرضيات الجزئية:

1.2 تحليل نتائج الفرضية الجزئية الأولى:

تأسس جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية على أساس

التقارب.



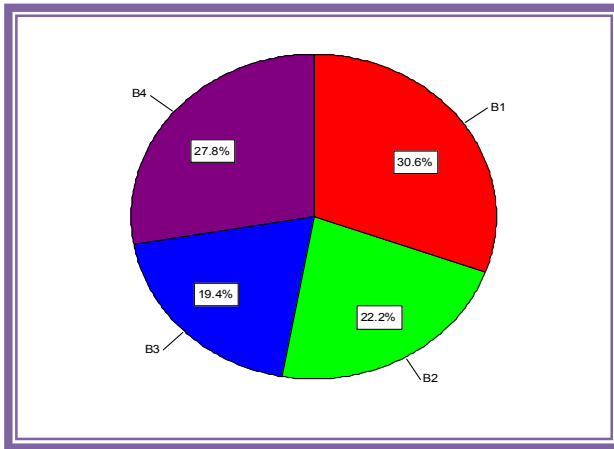
الشكل رقم(2) يبين النسب المئوية للعينات الكلية على متغير التقارب

يتضح لنا من خلال الشكل أن 30.8% من أفراد العينة موافقون على أن جماعات الطلبة تهيكل على أساس التقارب. و30.8% غير موافقين و23.1% لديهم ميل بيني و 15.4% امتنعوا عن الإجابة. وبهذا لم تتحقق الفرضية الجزئية الأولى وبالتالي لا تهيكل جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية على أساس التقارب.

إذ يتمثل في القرب بين الطلبة في مكان من حيث الحوار إذ لاحظنا بعض الأفراد لا يدرسون في الكلية جاؤوا لرؤية بعض أصدقائهم من الجيران أو لانتمائهم لنفس المنطقة الجهوية و تقاربهم عند اشتراكهم في نفس التخصص الدراسي الذي يدفع الطلبة لتعرف بينهم و ممارسة نفس الهواية و قدومهم من نفس المنطقة و التكلم بلهجة واحدة.

2.2 تحليل نتائج الفرضية الجزئية الثانية:

تأسس جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية على أساس المعاناة.

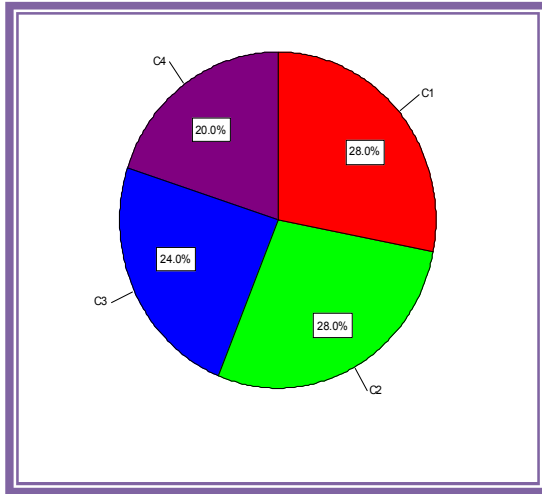


الشكل رقم (3) يبين النسب المئوية للعينة الكلية على متغير المعاناة

يتضح لنا أن نسبة الموافقين على أن جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تتأسس وفقا للمعاناة 30.6% و 22.2% لا يتفقون على هذا و 19.4% يميلون إلى الموافقة وعدم الموافقة و 27.8% امتنعوا عن الإجابة. فالمعاناة هي اشتراك الطلبة في معاناة الاجتماعية و المتمثلة في السكن الجامعي و النقل الجامعي و العمل و المعاناة النفسية التي تتجسس قي الخلافات العائلية لدى الطلبة و الحرمان العاطفي بالإضافة إلى المعاناة الاقتصادية المتمثلة في القدرة الشرائية. وبالتالي لم تتحقق الفرضية الجزئية الثانية.

3.2 تحليل نتائج الفرضية الجزئية الثالثة:

تتأسس جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية على أساس العقلية.



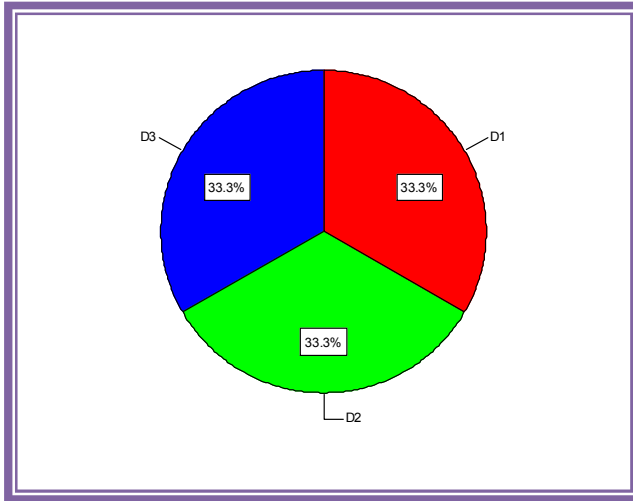
الشكل رقم (4) يبين النسب المئوية لأفراد العينة على متغير العقلية

يتضح لنا أن نسبة الموافقين من أفراد العينة بلغت 28.0% وعدم الموافقين على تأسيس الجماعات في الجامعة على أساس العقلية كذلك 28.0% أما الذين لديهم ميول بينية نسبتهم تراوحت 24.0% و الممتنعون عن الإجابة 20.0% وبهذا لم تتحقق الفرضية الجزئية الثالثة .

و مما سبق نجد أن العقلية هي التي تلعب دورا كبيرا في تكون هذه الجماعات فكل من الأخلاق التي تقوم على احترام الشخصية و الإيمان بقيمة الفرد و كرامته و التدين و النظرة المستقبلية نفسها عند الطلبة و اشتراكهم في نفس الانشغالات و الاهتمامات في القيام بنفس السلوكيات التي تتضمن كل من انفعالات الطالب وأفكاره و إدراكاته و نشاطاته المتصلة بها. أخذت نصيب الأسد من هذه الدراسة.

4.2 تحليل نتائج الفرضية الجزئية الرابعة:

تتأسس جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية على أساس المصالح.



الشكل البياني رقم (05) يبين نسبة أفراد العينة الكلية على محور المصالح

يتضح من خلال الشكل رقم (05) أن نسبة الطلبة الموافقون والغير الموافقون ومن لديهم ميل بيني بينهم هو 33.3%. و بهذا لم تتحقق الفرضية الجزئية الرابعة. و بما أن الجماعات بين الأفراد لا تتأسس من فراغ بل هناك عوامل تشكلها من بينها المصالح المشتركة التي تضم كل من المصالح المادية و المظاهر اللفظية و غير اللفظية.

من خلال دليل المقابلة الذي أجريناه و انطلاقا من الملاحظة في الميدان أمكن لنا استنتاج أن الكثير من الطلبة متفوقون حول أنفسهم و حول المناطق التي ينحدرون منها و هذا ما لمسناه في مختلف أرجاء الكلية أي وجود أماكن خاصة بطلبة منطقة معينة دون المنطقة الأخرى، غير أن هناك جماعة أخرى من الطلبة وجدناها تضم طلبة من مختلف المناطق و هذا ما يفسر تدخل عامل العقلية في تأسيس هاته الجماعات، أما بالنسبة للطبقية فلم نلمسها من خلال المقابلة التي أجريناه بحيث وجدنا جماعات تضم طلبة من مختلف فئات المجتمع و من مستويات معينة مختلفة.

الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية لا تتشكل على أساس الانتماء الاجتماعي بحيث توصلنا إلى نفي الفرضية العامة التي تنص على ما سبق ذكره وعليه نرفض الفرضيات الجزئية كما تبين لنا أن هناك عوامل أخرى تساهم في تأسيس جماعات الطلبة في كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية مثل المصالح الآنية و انعدام الطبقة الفكرية و المادية.

❖ هوامش البحث:

- (1) مجدي احمد عبد الله، السلوك الاجتماعي و دينامكيته، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005، ص 118.
- (2) معوض خليل ميكائيل، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2000، ص 4.
- (3) عادل صادق جبوري، الانتماء الاجتماعي و أهميته على المستوى النفسي و الاجتماعي، مصر، 1999، ص 135.
- (4) المرجع السابق، ص 136.
- (5) زين العابدين درويش، علم النفس الاجتماعي أسسه و تطبيقاته، دار الفكر العربي، جامعة القاهرة، مصر، 1999.
- (6) المرجع السابق.
- (7) ماهر محمد، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، مصر، 2003، ص 139.
- (8) المرجع السابق، ص 139.

الدراسات النفسية و التربوية

اتجاهات طلبة الثانوية العامة في فلسطين والجزائر نحو الرياضيات في ضوء بعض المتغيرات

دراسة مقارنة"

الدكتور: إبراهيم إبراهيم أبو عقيل، جامعة الخليل، فلسطين
الأستاذة: صباح عياش، جامعة وهران، الجزائر

الملخص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن اتجاهات طلبة الثانوية العامة في فلسطين والجزائر نحو الرياضيات في ضوء بعض المتغيرات، تألفت العينة من (290) طالباً وطالبة اختيروا بالطريقة العشوائية العنقودية، ولجمع البيانات استخدم استبيان تم التأكد من صدقه وثباته، وكشفت النتائج ان درجة اتجاهات الطلبة كانت متوسطة على جميع مجالات الاستبيان، وتبين ايضا ان الطلبة ليس لديهم الرغبة في اكتساب مفاهيم ومهارات رياضية جديدة، وانه لا يمكن تعلم الرياضيات ذاتياً، ومن جانب آخر تبين ان هناك اتجاهات ايجابية نحو الرياضيات عند الطالبات الاناث وطلبة الفرع العلمي، في حين لم تظهر فروق بين الاتجاهات الطلبة تعزى للدولة، وفي ضوء هذه النتائج قُدمت بعض التوصيات والمقترحات.

Abstract:

The aim of this study is to explore the high school students' attitudes towards math in Palestine and Algeria on the basis of some variables. The sample is consisted of 290 males and female students. The selected sampling method is random-stratified sampling. A reliable and valid questionnaire was distributed to collect data. Results show that the obtained students' attitudes scores are in general average. It is clear that students do not have a desire to acquire new math concepts and skills. In addition, it is clear that students cannot learn math independently. On the other side, results show that female students and students who study Science have positive attitudes towards math. Finally, there are no significant differences between the students on the basis of nationality, the study recommended some recommendations and suggestions.

تعتبر الرياضيات علماً تجريبياً من إبداع العقل البشري، ويهتم بطرائق الحل وأنماط التفكير، بل أن الرياضيات تعد تعبيراً عن العقل البشري الذي يعكس القدرة العملية والتأملية والتحليل وبسبب طبيعتها العقلية المطلقة فإنها تمتلك قيمة تنظيمية حقيقية تنمي وتطور قوى التفكير والاستدلال والبرهان والاستنتاج من الوقائع والمقدمات الى النتائج⁽¹⁾.

إن مهنة التعليم مهنة خير البشر وأفضل الخلق سيدنا محمد عليه السلام وإنها رسالة عظيمة وضعت بين يدي المعلم، حيث قال الغزالي: "من اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرأ عظيماً وخطراً جسيماً"⁽²⁾، ونظراً للتقدم العلمي المتطور والمتجدد وابتكار أنماط حديثة في التعليم، أصبح من أولويات التربية المعاصرة تعليم الطالب كيف يتعلم وكيف يفكر؟، ويكون المعلم منشط ومنظم وليس ملقناً في اغلب الأحيان، ويسهل عملية التعليم وينمي لديه اتجاهات ايجابية يدفعه إلى الإبداع والابتكار، بل يبحث عن أفضل وأسهل السبل وأيسرها وانظمها ليصل بطلبته إلى ذلك الإبداع والابتكار.

وهناك قيمة تربوية للرياضيات تتمثل فيما يلي: القيمة العملية (practical value) وهي ارتباط الرياضيات بالحياة العملية، واستخدامها بطريقة أو بأخرى في الحياة العملية، وتعد المعرفة بالعمليات الحسابية الأساسية والمهارة في استخدامها من المتطلبات الأساسية التي يشعر الإنسان بأهمية الرياضيات، فكل شخص يقوم باستخدام الرياضيات يوميا، اما القيمة التنظيمية (disciplinary value) والتي تبين أن الرياضيات طريقة لتنظيم وترسيخ وتنمية قدرات التفكير والاستنتاج والبرهان، وإن اكتساب المعلومات والمعرفة ليس هو الهدف الرئيس الذي من أجله يلتحق الفرد بالتعليم، بل تصبح هذه المعلومات والمعارف مفيدة عندما يكون الفرد قادراً على تطبيقها في مواقف جديدة، والقيمة الثقافية (cultural value) فلقد قيلانه: (تعد الرياضيات مرآة الحضارة والتحضر)، فالرياضيات ام العلوم، فقد أسهمت الرياضيات على نطاق واسع في تقدم وظائف ومهن معينة مثل

الزراعة والهندسة والطب... الخ، ويعكس تاريخ الرياضيات الحضارة لبلدان مختلفة مثل الحضارة المصرية القديمة وبناء الأهرامات، أما القيمة المهنية (vocational value) وهي تبين أن الرياضيات تُعد الطالب اعدادا مهنيا، لأن المعلومات والمعارف الرياضية مفيدة في تحقيق الكفاءة المهنية في العديد من المجالات المهنية، والقيمة الاجتماعية (social value) والتي تسهم في تكوين المعدلات الإحصائية الاجتماعية وتنفيذها، والقيمة الفكرية أو العقلية (intellectual value) ففيها أن الرياضيات تساعد على تنمية التفكير الاستدلالي والاستقراء والاستنباط والإبداع والتخيل والاكتشاف والبرهان والتحليل والتركيب، ويعد أسلوب حل المشكلات في الرياضيات مساعدا ومفيدا في التطوير الملائم للقدرات العقلية للفرد.

أما القيمة الجمالية (Aesthetic Value) تبين أن طالب الرياضيات يشعر بجمال الرياضيات من ترتيب وتمائل وتناسق وتناغم فيما بينها، في تمتع بفرحة عارمة بعد حل مسألة رياضية بنجاح، وفي هذا السياق تضحية (فيثاغورس) بمائة ثورا احتفال اباكتشافه (نظرية فيثاغورس).

وبنفس الطريقة أصبح (أرخميدس) أعمى من الفرح لدرجة انه نسي انه مجرد من الملابس بعد اكتشافه لـ (مبدأ أرخميدس) المشهور، وأخيراً القيمة العالمية (International Value) بمعنى أن علم الرياضيات عالمي ويساعد في خلق تفاهم عالمي، فالرياضيات مجهود العلماء ليست ملكية مقصورة على جنس ما أو نوع ما أو عرق ما، فلا يستطيع احد أن يمنع نفسه من تعلمها، ولا يوجد دولة تمنع دخول الرياضيات إليها⁽³⁾.

وأن مادة الرياضيات بشكل عام تزخر بالكثير من المفاهيم المجردة والمحسوسة، لذا من توجيهات التربية الحديثة التركيز على إشراك المتعلم في عمليتي التعليم والتعلم من خلال اثاره الدافعية لديهم وبناء الاتجاهات نحو ما يدرسونه⁽⁴⁾، وانا رياضياتا هامة كبرى بحيث تلعب دورا كبيرا في التقدم العلمي والتنمية بشكل عام⁽⁵⁾.

وجاء الاهتمام بالاتجاهات لتوجيه السلوك الانساني نحو اية فعالية في الحياة ومن الاهتمام بالنمو السوي والمتكامل لشخصية الطالب لان ما يحمله المرء من اتجاهات تؤثر في سلوكه بشكل مباشر، وتعمل على توجيه وضبط تفاعله وتعامله مع اقرانه والآخرين، فهي تعد من العوامل المهمة التي تؤثر في اختيار تلك الفعالية والتفاعل معها او تجنبها، ومفهوم الاتجاهات من ابرز المفاهيم واكثرها تداولاً في علم النفس الاجتماعي فهو موضوع طالما اثار اهتمام علماء النفس وعلماء الاجتماع⁽⁶⁾.

وبما ان الاتجاهات من العوامل المكتسبة فبالامكان اطفائها او تعديلها او تغييرها، ولهذا تؤدي الاتجاهات دوراً بارزاً في تحديد سلوك المرء، ولا بد ان يبصر المعلم ويعي اهمية الاتجاه في تعليم الطلبة، فعندما يرى المعلم ان اتجاه الطالب نحو الرياضيات يؤثر في تحصيله للمعلومات والمهارات الرياضية عليه ان يقدر الاهمية الاساسية للاتجاهات في التربية⁽⁷⁾ فالاتجاهات الايجابية لدى الطلبة نحو موضوع دراسي معين قد تنمي لديه رغبة في تعلمه، وقدرته على توظيف ما تعلموه وبالتالي تحقيق الفائدة والهدف لها.

وما دام هناك اتجاه ايجابي لإقبال نحو الرياضيات فان احتمال كبير في ان يدفع ذلك الاتجاه الطلبة للتقدم في مستوى تعلمهم في الرياضيات والعكس صحيح فان تدني تحصيل الطلبة ورسوبهم في موضوع دراسي قد يعزى جزئياً الى الاتجاهات السلبية لديهم نحو ذلك الموضوع، وما يرافقها من كراهية وخيبة امل لا تقتصر على موضوع الدراسة فحسب بل يتعدى ليشمل ذلك المعلم والمدرسة وغيرها، ولهذا على المعلم ان يكون عالماً باتجاهات طلبته نحو ذلك⁽⁸⁾.

فقد بينت العديد من الدراسات⁽⁹⁾ ⁽¹⁰⁾ أن للاتجاهات الايجابية دوراً مهماً في رفع المستوى الدراسي عند الطلبة، وأن هناك علاقة بين اتجاهات الطلاب نحو الرياضيات والكفاءة الذاتية لديهم في حل المشاكل و الإنجاز⁽¹¹⁾.

وان للاتجاه مكونات متداخلة فيما بينها وهي: المكونات المعرفية (العقلية): وهي المعتقدات والقناعات حول بعض الأحكام المتعلقة بالمثير وهي اتجاهات يعتنقها الفرد، والمكونات الوجدانية (العاطفية): وهي الاستجابات الانفعالية أو العاطفية إتجاه مثير معين وهذه الاستجابات قد تكون إيجابية أو سلبية أو محايدة، و أخيراً المكونات السلوكية: وهي أساليب أو نزعات الفرد السلوكية إتجاه المثير⁽¹²⁾.

وبما ان الاتجاهات من الامور المكتسبة فان هناك عوامل تؤثر في تغييرها ومنها: الدافعية: وهي القوة الداخلية التي تستثير سلوك الفرد نحو هدف معين وهي تلعب دورا بارزا وهاما في تكوين الاتجاهات، ولذا على المعلم ان يحاول مرارا وتكرارا في اثاره الدافعية نحو المواضيع التي يطرحها، والعامل الثاني هو الحاجات الجديدة وحاجات الفرد: فان الحاجات الجديدة التي تظهر في بيئة الفرد تؤثر بشكل او بآخر على اتجاهات الفرد، والثالث عملية التعلم: فهي تعمل على تكوين الاتجاهات وتغييرها، وايضاً الدور او الموقف الذي يتعرض له الفرد يعمل على تغيير الاتجاهات او يعدلها او يلغيها، وأخيراً تغيير الاتجاهات بحد ذاتها تتأثر بكل العوامل التي تؤثر في تكوين تلك الاتجاهات⁽¹³⁾.

ومن هنا ان عملية اصفاء جواً تعليمياً مريحاً تحتاج الى تغيير في الاستراتيجيات والاساليب والطرق التدريسية المتبعة، وأن أسلوب التعلم التعاوني له أثر على التحصيل و الاتجاهات نحو الرياضيات وان التعلم التعاوني اسلوب فعال في تعليم الرياضيات يجب تدريب المعلمين عليه⁽¹⁴⁾ ⁽¹⁵⁾، وأن استخدام الحقيبة التعليمية في التدريس لها أثر فعال في تحصيل الطلبة وتنمية اتجاهاتهم نحو الرياضيات⁽¹⁶⁾.

ولا يقتصر بناء الاتجاه الايجابي على الرياضيات بل يمكن ان يتم فحص واقع الاتجاهات على فروعها الاخرى كالمهندسة والجبر، فهناك دراسات حول واقع اتجاهات الطلبة نحو مادة الإحصاء⁽¹⁷⁾، ودراسات حول اتجاهات الطلبة نحو علم النفس وكانت اتجاهاتهم ايجابية نحوها⁽¹⁸⁾.

ولا بد من الإشارة هنا إلى إن تغير الاتجاهات يتم إما بتغيير الاتجاه في نفس مسار الاتجاه الحالي سواء كان الاتجاه الحالي ايجابياً أم سلبياً أو بتغيير الاتجاه بعكس الاتجاه الحالي أي بتغير الاتجاه السلبي الى اتجاه ايجابي، أو بتغير الاتجاه الايجابي إلى الاتجاه السلبي.

وخلاصة ما سبق اكد تجميع الدراسات على اهمية الاتجاهات في عمليتي التعليم والتعلم، وأن معظم الدراسات توصلت إلى نفس النتائج والمتمثلة في وجود اتجاه ايجابي نحو الرياضيات، كما أن الاتجاه الايجابي يزيد من التحصيل الدراسي و الانجاز⁽⁹⁾ ⁽¹⁰⁾ ⁽¹¹⁾، إلا أن النتائج جاءت متضاربة فيما يتعلق باختلاف الاتجاهات نحو الرياضيات تبعا لمتغير الجنس، كما أنه يندر وجود دراسات مقارنة على حد علم الباحثين لذا جاءت هذه الدراسة لسد هذه الثغرة، وفي هذه الدراسة سنحاول التعرف على الاتجاه نحو الرياضيات لدى طلبة الثانوية في كل من فلسطين و الجزائر، وكذلك الفروق في الاتجاهات تبعا لمتغير الجنس والبلد و التخصص.

مما سبق تبين ان الاتجاهات من العوامل الهامة والحاسمة في تحديد مواقف الطلبة نحو الرياضيات فلذا من الضروري دراسة الاتجاهات والعوامل المؤثرة فيها خصوصا في المرحلة الثانوية والتي تعد من المراحل الهامة قبل التعليم الجامعي، وايضا ضرورة وجود دراسات مقارنة حول ذلك، ومن خلال الاطلاع على الادب التربوي والبحوث المتعلقة بالاتجاهات نحو الرياضيات على الرغم من وفرة الدراسات والبحوث في ميدان الاتجاهات نحو الموضوعات الدراسية المتنوعة الا ان المستعرض للبحوث المتعلقة بالاتجاهات نحو الرياضيات تكشف عن نقص واضح فيها في المقابل ان هناك بحوث اجنبية كثيرة في هذا المجال.

ومن هنا فان هناك حاجة ملحة في التعرف على اتجاهات طلبة الثانوية العامة في فلسطين والجزائر والمقارنة بينها ومدى تأثر هذه الاتجاهات ببعض المتغيرات وبالتحديد فقد حاولت الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما هي اتجاهات طلبة الثانوية العامة في كل من فلسطين والجزائر نحو مادة الرياضيات في ضوء بعض المتغيرات؟.

وينبثق عن هذا السؤال الرئيس السابق ما يلي:

1. ما اتجاهات طلبة الثانوية العامة نحو الرياضيات؟

2. هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات اتجاهات طلبة الثانوية العامة نحو الرياضيات تعزى الى كل من: البلد (فلسطين، الجزائر)، الجنس (ذكور، اناث)، التخصص (علمي، ادبي).

ومن هذا السؤال تم صياغة الفرضية الصفرية الرئيسية التالية:

• لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 = \alpha$) بين متوسطات اتجاهات طلبة الثانوية العامة نحو الرياضيات باختلاف كل من: النوع (ذكر، أنثى)، والبلد (فلسطين، الجزائر)، التخصص (علمي، ادبي).

❖ هدف الدراسة:

هدفت الدراسة الى معرفة اتجاهات طلبة الثانوية العامة في كل من فلسطين والجزائر نحو مادة الرياضيات في ضوء بعض المتغيرات.

❖ أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة النظرية والتطبيقية في:

تسليط الضوء على موضوع الاتجاهات في التربية بشكل عام وعلى اتجاهات طلبة الثانوية العامة نحو الرياضيات في كل من فلسطين والجزائر.

كما أن للاتجاهات التي يكتسبها الطلاب من خلال دراستهم لمادة الرياضيات أهمية كبيرة في حياتهم، حيث إنها توجه سلوكهم نحو الدقة والتنظيم والثقة والاعتماد على النفس في حل المشكلات.

ودراسة اتجاهات الطلاب نحو الرياضيات ذات أهمية كبيرة على مستوى التحصيل الأكاديمي فيها، فإذا كانت اتجاهات الطالب إيجابية نحو المادة الدراسية فإنه في معظم الأحيان يكون تحصيلها لدراسيتها عالياً والعكس صحيح ومن ثم تتضح أهمية التعرف على اتجاهات الطلاب نحو الرياضيات وقياسها في مساعدة الطلاب على تحقيق الأهداف الوجدانية لتعليم الرياضيات، والعمل على تحسين وتطوير هذه الاتجاهات، وتوقع مستويات تحصيل هؤلاء الطلاب في الرياضيات في ضوء نوعية اتجاهاته من حولها.

❖ محددات الدراسة:

المجال البشري: طلبة الثانوية العامة في كل من فلسطين والجزائر للسنة الدراسية 2013/2014.

المجال الزمني: اجري البحث بجميع خطواته في الفترة الواقعة 20/2/2014 – 28/3/2014.

المجال المكاني: المدارس الثانوية التابعة لمديريات التربية والتعليم في محافظة الخليل بفلسطين والثانويات الموجودة على مستوى ولاية الشلف بالجزائر.

❖ التعريفات المفاهيمية والاجرائية:

الاتجاه: هو حالة من التهيؤ العقلي والعصبي التي تنظمها الخبرة السابقة والتي توجه استجابات الفرد للمواقف والمثيرات المختلفة، وقد يكون هذا التهيؤ مؤقتاً أو ذو مدى بعيد⁽¹⁹⁾، في حين أنه استعداد وجداني للفرد على وفق معتقداته وأفكاره التي يكتسبها في حياته وما تمر به من خبرات وأحداث تدفعه ليعبر عنها بالإيجاب أو السلب وربما بالحياد، كنزعة إيجابية أو محايدة أو سلبية تجاه شيء أو شخص أو مجموعة أو فكرة أو فعالية⁽²⁰⁾.

ويعرفه الباحثان اجرائياً بأنه: الدرجة التي يحصل عليها الطالب على استبيان الاتجاهات نحو الرياضيات.

الرياضيات: هي دراسة البنى المجردة باستخدام المنطق والتدوين الرياضي، وبشكل أكثر عمومية تعرف على أنها دراسة الأعداد وأنماطها⁽⁴⁾، وأنها مجموعة من الأنظمة الرياضية وتطبيقاتها في جميع جوانب الحياة، والنظام الرياضي هو عبارة عن بناء استنتاجي يقوم على مجموعة من المسلمات والافتراضات والبديهيات⁽³⁾.

ثانياً: الاطار الاجرائي:

(أ) منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة الحالية المنهج الوصفي، وهو منهج مناسب في مثل هذه الدراسات الوصفية وهذا المنهج يساعد على الوصول إلى الحقائق عن الظروف الراهنة، ويستنبط الاتجاهات نحو المواضيع، ويساعدنا على فهم الحاضر وأسبابه ورسم خطط المستقبل واتجاهاته، ويتناسب المنهج الوصفي مع طريقة جمع البيانات المعتمدة في هذه الدراسة وهي الاستبانة التي تعتمد في صدق بياناتها على عوامل كثيرة ترتبط بأفراد العينة وأهوائهم وجديتهم في تقديم البيانات، وهي من أكثر الطرائق استعمالاً في مثل هذه الدراسات والبحوث النفسية والتربوية.

(ب) مجتمع الدراسة وعينتها:

تألف مجتمع الدراسة من جميع طلبة الثانوية العامة بالمدارس الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم جنوب الخليل بفلسطين ومن طلبة الثانوية العامة بولاية الشلف بالجزائر من الفصل الثاني من العام الدراسي (2013/2014)، وتم اختيار عينة ممثلة بالطريقة العشوائية العنقودية قوامها (290) طالباً وطالبة، والجدول التالي يوضع أعداد أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة المستقلة:

جدول (1): توزيع عينة الدراسة على المتغيرات المستقلة (النوع والبلد)

البلد	الجنس	العلمي	الادبي	المجموع	م. كلي
فلسطين	ذكور	38	44	82	153
	إناث	32	39	71	
الجزائر	ذكور	27	25	52	137
	إناث	48	37	85	
المجموع	ذكور	65	69	134	290
	إناث	80	76	156	
م. كلي		145	145	290	290

يلاحظ من الجدول رقم (1) أن عدد الذكور (134) بنسبة (46%) في حين ان عدد الاناث (156) بنسبة (54%) وان عدد طلبة عينة فلسطين (153) بنسبة (52.7%) وعدد طلبة عينة الجزائر (137) بنسبة (47.3%)، وان العينة موزعة على العلمي والادبي مناصفة.

(ت) أدوات الدراسة:

1. الاستبيان:

قام الباحثان بإعداد أداة الدراسة للكشف عن اتجاهات طلبة الثانوية العامة نحو مادة الرياضيات، وتم تطويره بعد الاطلاع على الأدب التربوي المتعلق به والدراسات السابقة ذات الصلة، وبناءً على المعلومات التي توفرت لدى الباحثان⁽²¹⁾ وتم اعداد الاستبيان في خمسة مجالات وهي: مجال اتجاه الطلبة نحو طبيعة مادة الرياضيات بواقع (7) فقرات، مجال اتجاه الطلبة نحو قيمة و فائدة مادة الرياضيات (8) فقرات، مجال اتجاه الطلبة نحو تعلم مادة الرياضيات بواقع (8) فقرات، مجال اتجاه الطلبة نحو الاستمتاع بالرياضيات بواقع (9) فقرات، ومجال اتجاه الطلبة نحو الثقة الشخصية في الرياضيات بواقع (8) فقرات.

تألّف أداة الدراسة من (40) فقرة، أمام كل فقرة خيارات تتراوح من غالباً الى أبداً بحيث أن الفقرات الايجابية تعطى غالباً (5 درجات) وكثيراً (4

درجات) وأحياناً (3 درجات) ونادراً (درجتان) وأبداً (درجة واحدة)، والفقرات السلبية تعطى غالباً (درجة واحدة) وكثيراً (درجتان) وأحياناً (3 درجات) ونادراً (4 درجات) وأبداً (5 درجات)، وبذلك تكون الدرجة الكلية العليا على الاستبيان (200) أما الدرجة الكلية الدنيا على الاستبيان فهي (40).

تم عرض الاستبيان على مجموعة من المحكمين المختصين في هذا المجال، وقد ابدوا ملاحظاتهم الهامة التي منها: توسيع الاستبيان ليضم خمسة مجالات، وان يكون عدد العبارات متساوي في جميع المجالات، وقد تم الأخذ بجميع الملاحظات دون استثناء، وايضا تم تطبيق هذه الأداة على عينة استطلاعية من الطلبة بلغ عددهم (45) طالبا وطالبة من خارج العينة الأصلية، حيث تم استخراج معامل ارتباط بيرسون للاتساق الداخلي من خلال ارتباط جميع الفقرات مع الدرجة الكلية وكان متوسط معاملات الارتباط (0.93) ويشير ذلك إلى أن جميع الارتباطات الفرعية عالية.

ومن جهة أخرى وتم حساب معامل الثبات للأداة عن طريق استخراج معامل ألفا كرونباخ حيث كانت كما في الجدول التالي:

جدول رقم (2): معاملات الثبات بطريقة الفا كرونباخ لمجالات الاداة

قيمة الفا	المجال
0.88	اتجاه الطلبة نحو طبيعة مادة الرياضيات
0.86	اتجاه الطلبة نحو قيمة مادة الرياضيات
0.79	اتجاه الطلبة نحو تعلم مادة الرياضيات
0.77	اتجاه الطلبة نحو الاستمتاع بالرياضيات
0.81	اتجاه الطلبة نحو الشخصية في الرياضيات
0.92	الدرجة الكلية

2. المقابلات المقننة:

تم مقابلة (21) طالبا وطالبة ممن طبق عليهم الاستبيان (8) طلاب من فلسطين و(13) طالب من الجزائر لغايات استقصاء بعض العوامل المرتبطة باتجاهات

الطلبة نحو الرياضيات مثل: مكان السكن، الدخل الاسري وغيرها من العوامل التي ربما تكون لها تأثير على هذه الاتجاهات، مما يساعد على تفسير النتائج الكمية التي توصلت إليها الدراسة، فقد استخدم الباحثان عدة أسئلة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفقرات الاستبيان وذلك لتأكيد النتائج التي تم الحصول عليها، ومن الأسئلة المستخدمة: (هل ترغب بدراسة الرياضيات بعد مرحلة الثانوية العامة في الجامعة؟)، (هل الرياضيات تعني لك شيئاً ما؟)، ومن ثم تم تدوين الاستجابات الأكثر تكراراً ومقارنتها بالنتائج الكمية.

ث) التحليل الإحصائي:

تم تحليل البيانات كميًا وكيفياً باستخدام كل من طرق التحليل الكمي والكيفي المختلفة، فبالنسبة للتحليل الكمي تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واختبار (ت) وذلك للإجابة عن أسئلة الدراسة وفرضيتها، أما التحليل الكيفي فقد تم استخدام طريقة تحليل المضمون التي تتضمن اخذ الأفكار والعوامل الأكثر تكراراً في استجابات المفحوصين الذين تم مقابلتهم واستقصاء هذه العوامل بطرق مختلفة لغايات الوصول الى تفسيرات منطقية وواقعية⁽²²⁾.

ثالثاً: عرض نتائج:

النتائج المتمثلة بسؤال الدراسة الرئيس الذي ينص على:

ما هي اتجاهاتطلبة الثانوية العامة نحو الرياضيات في كل من فلسطين والجزائر؟.

تم تحليل الاستبانة فحُسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الاستبيان وعلى الدرجة الكلية لها عند العينة، فأن الفقرة التي تحصل على متوسط حسابي من (1-2.33) فان درجتها متدنية، أي أن اتجاه الطلبة عليها سلبياً وتقابل ذلك نسبة مئوية بين (20%-46.6%)، أما إذا حصلت الفقرة على متوسط حسابي ما بين (2.33-3.66) فان درجتها متوسطة، أي أن اتجاه الطلبة محايد وتقابل ذلك نسبة مئوية بين (46.6%-73.2%)، أما

إذا حصلت الفقرة على متوسط حسابي أكبر (3.66) فإن درجتها عالية، أي تعتبر الفقرة من إحدى الفقرات التي تحمل الاتجاه الايجابي نحو الرياضيات، وتقبله نسبة مئوية أكبر من (73.2%)، وبشكل عام يوضح الجدول التالي ترتيب المجالات على الأداة حسب الدرجة الكلية والمتوسط الكلي لكل مجال وذلك كما هو واضح من الجدول رقم (3) التالي:

جدول رقم (3): يبين ترتيب المجالات على الأداة

الدرجة	الرتبة للمجال	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المجال	الرقم
متوسطة	1	69.2%	0.85	3.463	اتجاه الطلبة نحو طبيعة مادة الرياضيات	1
متوسطة	4	58.7%	0.62	2.936	اتجاه الطلبة نحو قيمة مادة الرياضيات	2
متوسطة	5	58%	0.67	2.900	اتجاه الطلبة نحو تعلم مادة الرياضيات	3
متوسطة	3	62.4%	0.72	3.124	اتجاه الطلبة نحو الاستمتاع بالرياضيات	4
متوسطة	2	63.2%	0.67	3.160	اتجاه الطلبة نحو الشخصية في الرياضيات	5
متوسطة		62.3%	0.70	3.116	الدرجة الكلية على الاستبيان	

من الجدول السابق نلاحظ الدرجة الكلية لاتجاهات طلبة الثانوية العامة نحو الرياضيات جاءت متوسطة، وقد يرجع هذا الى طبيعة اتجاهات الطلبة نحو الرياضيات الاتجاهات التي يتبناها الطلبة نحو الرياضيات بشكل عام، وحصلت اتجاهات الطلبة نحو طبيعة الرياضيات على أعلى نسبة منها وهي (69.2%) بدرجة متوسطة، في حين كانت نسبة اتجاهات الطلبة نحو تعلم الرياضيات (58%)، وهذا يدل على أن اتجاهات الطلبة نحو تعلم الرياضيات سلبية فهم لا يرغبون بدراسة الرياضيات وتعلمها، والجدول التالي يوضح اتجاهات الطلبة على المجال الخاص بطبيعة مادة الرياضيات:

جدول رقم (4): يبين اتجاهات الطلبة على المجال الخاص بطبيعة مادة الرياضيات

الدرجة	الرتبة العامة	الرتبة للمجال	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرات	الرقم
المجال الأول: اتجاهات الطلبة نحو طبيعة مادة الرياضيات							
متوسطة	28	6	55.6%	0.62	2.781	أحب مادة الرياضيات لأنها مادة ممتعة وتجذب الانتباه	1
متوسطة	16	5	67%	0.58	3.352	أتجنب دراسة الرياضيات لأنها مادة صعبة	2
متوسطة	32	7	50.2%	0.53	2.510	أرغب حضور حصص الرياضيات لأنها تنمي التفكير	3
مرتفعة	5	3	78%	0.92	3.901	أرى أن مادة الرياضيات معقدة لكثرة رموزها ومفاهيمها	4
متوسطة	15	4	67.1%	0.85	3.359	أجد صعوبة في اختيار النظرية اللازمة لحل المسألة لكثرة النظريات التي تعلمتها	5
مرتفعة	1	1	85.4%	0.65	4.272	أشعر أن فروع الرياضيات مترابطة وغير منفصلة	6
مرتفعة	2	2	81.4%	0.61	4.071	أجد أن صنوف المعرفة الرياضية متعددة وكثيرة	7
متوسطة	69.2%			0.68	3.463	الدرجة الكلية	

ويوضح الجدول السابق أن درجة اتجاهات الطلبة نحو طبيعة الرياضيات جاءت متوسطة، وقد تبين أعلى درجات الاتجاه من خلال معرفتهم بأن فروع الرياضيات مترابطة ومنتالية وتعتمد على بعضها البعض، وأن صنوف المعرفة الرياضية متعددة

وكثيرة جداً، ويؤكدون أيضاً على ان مادة الرياضيات معقدة لكثرة رموزها ومفاهيمها، ولا يرغبون حضور حصص الرياضيات ولا يعتبرونها مادة ممتعة، والجدول التالي يوضح اتجاهات الطلبة على المجال الخاص بقيمة مادة الرياضيات: جدول رقم (5): يبين اتجاهات الطلبة على المجال الخاص بقيمة مادة الرياضيات

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الرتبة للمجال	الرتبة العامة	الدرجة
المجال الثاني: اتجاه الطلبة نحو قيمة مادة الرياضيات							
8	أرى أن مادة الرياضيات أساس العلوم الأخرى	3.519	0.59	70.3%	2	11	متوسطة
9	أرى أن تعلم الرياضيات ضروري للحياة	2.811	0.61	56.2%	5	27	متوسطة
10	أشعر أن مادة الرياضيات تساعد على تنمية التفكير	3.005	0.45	60.1%	4	37	متوسطة
11	أجد أن مادة الرياضيات لها اسهامات عظيمة في مجالات العلوم الأخرى	3.671	0.76	73.4%	1	10	مرتفعة
12	أرى أنه لا فائدة من تعلم الرياضيات	2.377	0.53	47.5%	8	22	متوسطة
13	أشعر أن الرياضيات مجال جيد للابتكار والابداع	3.103	0.89	62%	3	19	متوسطة
14	أجد أن تعلم الرياضيات واتقانها يساعدني في كسب الرزق	2.439	0.74	48.7%	7	33	متوسطة
15	أرى أن الرياضيات أقل قيمة وأهمية من المواد الأخرى	2.566	0.46	51.3%	6	31	متوسطة
	الدرجة الكلية	2.936	0.62	58.7%			متوسطة

يتضح من بيانات الجدول السابق أن درجة اتجاهات الطلبة نحو قيمة وفائدة الرياضيات جاءت متوسطة، وقد تبين أعلى درجات الاتجاه من خلال تبيان ان لمادة الرياضيات اسهامات علمية علمية عظيمة وهي اساس العلوم الاخرى فهي ام العلوم، وفي المقابل بين الطلبة انه لا فائدة من تعلم الرياضيات وفي نظرهم ان تعلمها لا يساعد على تحسين وضعهم الاقتصادي والمادي، والجدول التالي يوضح اتجاهات الطلبة على المجال الخاص بتعلم مادة الرياضيات:

جدول رقم (6): يبين اتجاهات الطلبة على المجال الخاص بتعلم مادة الرياضيات

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الرتبة للمجال	الرتبة العامة	الدرجة
المجال الثالث: اتجاهات الطلبة نحو تعلم مادة الرياضيات							
16	أحب تنمية مهاراتي الرياضية	2.177	1.02	43.5 %	6	38	منخفضة
17	أرغب اكتساب ومعلومات ومفاهيم جديدة في الرياضيات	2.090	0.54	41.8 %	8	40	منخفضة
18	أرى أن تعلم مادة الرياضيات من أهم أهداف العملية التعليمية	2.391	0.67	47.8 %	5	36	متوسطة
19	أفضل حل المسائل الرياضية عن غيرها من الواجبات	2.748	0.55	54.9 %	4	29	متوسطة
20	أرى أن تعلم مادة الرياضيات يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل	3.906	0.36	78.1 %	2	4	مرتفعة
21	أجد أن تعلم الرياضيات يحتاج إلى ذكاء وانتباه وذاكرة قوية	4.066	0.85	81.3 %	1	3	مرتفعة
22	أرى أنه يمكن تعلم الرياضيات ذاتياً	2.102	0.65	42%	7	39	منخفضة
23	أرى أن تعلم الرياضيات يعتمد على تذكر القوانين والنظريات وحفظها	3.721	0.76	74.4 %	3	9	مرتفعة
	الدرجة الكلية	2.900	0.67	58%			متوسطة

ويوضح الجدول السابق أن درجة اتجاهات الطلبة نحو تعلم مادة الرياضيات جاءت متوسطة، وقد كانت أعلى درجات الاتجاه من خلال معرفتهم أن تعلم الرياضيات يحتاج الى ذاكرة وانتباه شديدين من حيث القدرة على تذكر القوانين والنظريات واسترجاعها، وان مادة الرياضيات تحتاج إلى وقت وجد كبيرين لتعلمها، ومن جانب آخر ليس لديهم الرغبة في اكتساب مفاهيم ومهارات رياضية جديدة وليس لديهم استعداد لذلك، ويوضحون ان ليس لديهم القدرة على تعلم الرياضيات دون ان يكون هناك وسيطاً كالمعلم يبسط المفاهيم ويشرح عليها الامثلة، والجدول التالي يوضح اتجاهات الطلبة على المجال الخاص بالاستمتاع بالرياضيات:

جدول رقم (7): يبين اتجاهات الطلبة على المجال الخاص بالاستمتاع بالرياضيات

الدرجة	الرتبة العامة	الرتبة للمجال	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الفقرات	الرقم م
المجال الرابع: اتجاه الطلبة نحو الاستمتاع بالرياضيات							
متوسطة	23	5	59.2 %	0.57	2.961	أرى أن دراسة الرياضيات عمل ممتع حقاً	24
متوسطة	12	3	70.1 %	0.60	3.506	أشعر بالسعادة عندما أتعلم شيئاً جديداً في الرياضيات	25
متوسطة	21	4	60.3 %	0.48	3.015	أشعر بالمتعة أثناء تفكيري في حل المسألة الرياضية	26
متوسطة	24	6	59%	0.86	2.951	أحس بسعادة عندما أتوصل إلى حل صحيح للمسألة	27
متوسطة	30	8	52.4 %	0.94	2.621	أجد متعة في حل المسائل والتمرينات الرياضية	28
متوسطة	34	9	47.9 %	0.67	2.396	أشعر برغبة شديدة في قضاء وقت فراغي بدراسة موضوعات الرياضيات	29
مرتفعة	7	2	77.6 %	0.67	3.881	أرى الكثير من الطلبة لا يحبون الرياضيات ولا	30

متوسطة	25	7	57.8 %	1.03	2.890	يشعرون بمتعة نحوها أجد متعة عند قيامي بحل مسائل رياضية إضافية	31
مرتفعة	6	1	78%	0.68	3.900	احس بمتعة في المشاركة بمسابقات الرياضيات التي تنظمها المدرسة	32
متوسطة	62.4%			0.72	3.124	الدرجة الكلية	

يتضح من معطيات الجدول السابق ان درجة اتجاهات الطلبة نحو الاستمتاع بالرياضيات كانت متوسطة، وكانت اعلى درجات الاتجاه عند الطلبة في انهم يحسون بالمتعة من خلال المشاركات في المسابقات الرياضية التي تنظمها المدرسة (وهنا نعتقد ان الطلبة فهموا ذلك بأنهم يشاركون كمشجعين وليسوا كأعضاء في فريق المسابقة)، ويعتقد الطلبة ان معظم الطلاب لا يحبون الرياضيات ولا يشعرون بمتعة نحوها، زمن جانب آخر كانت ادنى درجات الاتجاه عند الطلبة من خلال انهم لا يشعرون برغبة في قضاء اوقات فراغهم في دراسة مواضيع الرياضيات، وان حصل ذلك ودرسوا مواضيع الرياضيات فلا يجدون لديهم متعة في حل المسائل والتدريبات الرياضية، والجدول التالي يوضح اتجاهات الطلبة على المجال الخاص بالثقة الشخصية في الرياضيات:

جدول رقم (8): يبين اتجاهات الطلبة على المجال الخاص بالثقة الشخصية في الرياضيات

الرقم	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الرتبة للمجال	الرتبة العامة	الدرجة
المجال الخامس: اتجاهات الطلبة نحو الشخصية في الرياضيات							
33	دراسة الرياضيات يجعلني أشعر بالعصبية	2.392	0.87	47.8%	8	35	متوسطة
34	أشعر أنني تحت ضغط رهيب في مادة الرياضيات	3.829	0.53	76.5%	1	8	مرتفعة
35	أنا قادر على حل	2.812	0.95	56.2%	7	26	متوسطة

متوسطة	20	6	61.1%	0.89	3.058	مشاكل الرياضيات من دون الكثير من الصعوبة	36
متوسطة	13	2	69.6%	0.68	3.481	الرياضيات هي أصعب مادة بالنسبة لي أحاول جاهدا التمكن من العديد من المفاهيم في الرياضيات اعتمد على أساتذتي فقط في العرض أو قائمة في تقديم المعلومات	37
متوسطة	18	5	63.1%	0.57	3.158	قليل ما أتوتر عند إجراء اختبار الرياضيات	38
متوسطة	14	3	67.6%	0.64	3.381	أشعر بالراحة خلال دروس الرياضيات	39
متوسطة	17	4	63.4%	0.25	3.170		40
متوسطة	63.2%			0.67	3.160	الدرجة الكلية	

يتبين من بيانات الجدول السابق ان درجة اتجاهات الطلبة نحو الثقة الشخصية في الرياضيات جاءت متوسطة ايضاً، وكانت اعلى درجات الاتجاه عند الطلبة من خلال وصفهم وشعورهم بالضغط الشديد في حصة الرياضيات ويجدون صعوبة حمة في القدرة من التمكن من المفاهيم الرياضية، وفي المقابل لا يشعرون ان دراسة الرياضيات تجعلهم يشعرون بالعصية، ويواجههم الكثير من الصعوبة في حل المسائل الرياضية.

وبالنظر الى الجداول (4 و5 و6 و7 و8) وخصوصا الى الرتب العامة للفقرات على الأداة ككل نلاحظ ان أعلى المتوسطات على المجال الاول (طبيعة الرياضيات) والفقرات التي حصلت على الرتب العامة (1,2,3) هي التي تتضمن ما يلي:

1. يؤكد الطلبة على ان فروع مادة الرياضيات مترابطة، ومواضيع مادة الرياضيات متتالية تعتمد على بعضها البعض.
2. ان المعارف الرياضية متعددة وذات مجالات عديدة، فالرياضيات اساس العلوم الاخرى.

3. ان مادة الرياضيات تحتاج الى قدرات عقلية ومهارات عليا، لان طبيعة تمتاز بالتجرد وتقل استخداماتها التطبيقية العملية.
ونلاحظ أن الفقرات التي حصلت على الرتب العامة (38,39,40) وهي تقع في مجال تعلم الرياضيات، بمعنى ان المشكلة في تعلم ودراسة وتدريس الرياضيات في غرفة الصف وهي:

1. ليس لدى الطلبة الرغبة في اكتساب مهارات ومفاهيم رياضية جديدة في الرياضيات او اخرى غير تلك التي يمتلكونها.

2. يؤكدون الطلبة على ان مادة الرياضيات لا يمكن تعلمها ذاتيا، فلا بد من وجود معلما مؤهلا قادرا على بناء الاتجاهات الايجابية عند الطلبة لكي تساعد على اكتساب وتعلم الرياضيات.

3. عدم الرغبة في تنمية مهاراتهم الرياضية الذهنية، حتى المهارات الرياضية التي يمتلكونها لا ينمونها، وهذا ما أكدهم احد الطلبة اثناء المقابلات الكيفية حين قال: (عندما ارى احجية رياضية على التلفاز لا أكلف نفسي بمجرد التفكير فيها، فمهما حاولت ليس لدي القدرة على حلها).

النتائج المتعلقة بفرض الدراسة الذي ينص على:

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) بين متوسطات اتجاهات طلبة الثانوية العامة نحو الرياضيات في كل من فلسطين والجزائر باختلاف كل من: النوع (ذكر، أنثى)، والبلد (فلسطين، الجزائر)، والتخصص (ادبي، علمي).

1. متغير النوع:

تم استخدام اختبار "T-Test" للفروق بين متوسطات درجات اتجاهات طلبة الثانوية العامة نحو الرياضيات باختلاف النوع، والجدول التالي يبين ذلك:

جدول (9): نتائج اختبارات (T-Test) لفحص الفرق بين متوسطات درجات اتجاهات طلبة الثانوية العامة نحو الرياضيات باختلاف النوع

الجنس	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة "ت" المحسوبة	الدلالة
ذكور	134	3.76	0.89	288	3.286	0.00
إناث	156	4.06	0.66			

من الجدول أعلاه يظهر أن قيمة "ت" المحسوبة (3.286) وهي أكبر من قيمة "ت" الحرجة (1.96) مما يعني وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha > 0.05$) بين متوسطات درجات اتجاهات طلبة الثانوية العامة نحو الرياضيات باختلاف النوع، وبما أن الوسط الحسابي لدرجات الطالبات الإناث أكبر من الوسط الحسابي لدرجات الطلبة الذكور فإن الفروق لصالح الطالبات الإناث، أي أن لدى الطالبات الإناث اتجاهات إيجابية نحو الرياضيات أكثر وأعلى من الذكور.

ولغايات الوقوف على هذه النتيجة ومن خلال المقابلات الكيفية فقد تبين أن بعض الطلبة الذكور ليس لديهم رغبة في دراسة الرياضيات حيث أكد أحد الطلبة بقوله (لا أريد حصة الرياضيات أنها مادة معقدة ومدرستها معقد) وطالب آخر يقول: (هل تعلم أن رأسي يؤلمني عندما أبدأ بالدراسة وأبدأ بالتشاوب لا شعوريا ولا أعرف لماذا؟ فأنا طالب توجيهي علمي وأخرج أمام المعلم عندما يسألني)، ومن هنا نلاحظ تدني الرغبة في دراسة الرياضيات عند الذكور وربما يرجع ذلك إلى الدور الذي يقوم به الذكر الذي يجمع بين العمل في بعض الأحيان ومساعدة رب الأسرة في الشؤون الخارجية للبيت بمعنى أنه عليه مسؤوليات أكبر من الفتاة.

وفي حين احدى الطالبات العلمي ذكرت انها ترغب بأن تكون معلمة رياضيات وهذا ما تؤكده نتائج الثانوية العامة في فلسطين بأن معظم العشرة الاوائل من الطالبات الاناث على الفرعين العلمي والادبي.

2. متغير البلد:

تم استخدام اختبار "ت" (T-Test) للفروق بين متوسطات درجات اتجاهات طالبة الثانوية العامة نحو الرياضيات باختلاف الدولة، والجدول التالي يبين ذلك:

جدول (10): نتائج اختبار ت (T-Test) لفحص الفرق بين متوسطات درجات اتجاهات طالبة الثانوية العامة نحو الرياضيات باختلاف الدولة

الدولة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	الدلالة
فلسطين	153	3.782	0.96	288	0.275	0.82
الجزائر	137	3.809	0.71			

من الجدول أعلاه يظهر أن قيمة "ت" المحسوبة (0.275) وهي أصغر من قيمة "ت" الحرجة (1.96) مما يعني عدم وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($0.05 > \alpha$) بين متوسطات درجات اتجاهات طالبة الثانوية العامة نحو الرياضيات باختلاف الدولة.

وفد يرجع هذا الى طبيعة الرياضيات (المادة العالمية) فقد اطلع الباحثان على محتوى منهج الرياضيات في البلدين وهو متقارب جدا الا في بعض المسميات، وايضا يمكن عزو ذلك الى الضعف العالمي العام في الرياضيات والذي يولد اتجاهات متضاربة نحوها، فهناك العديد من الدول التي نادت بإصلاح المناهج وخصوصا منهاج الرياضيات ووضع معايير واستحداث طرق لجذب رغبة الطلبة نحو تعلم الرياضيات لبناء اتجاه ايجابي نحوها، فقد قدم المجلس الوطني الامريكى لمعلمي

الرياضيات⁽²³⁾ في هذا الجانب الكثير من الاقتراحات والمعايير التي منها تأهيل المعلم للقرن القادم مسيرا التطورات العلمية ومن ضمن تلك المعايير قدرة المعلم على بناء اتجاه ايجابي نحوه ونحو الرياضيات.

3. متغير التخصص:

تم استخدام اختبار "ت" (T-Test) للفروق بين متوسطات درجات اتجاهات طلببة الثانوية العامة نحو الرياضيات باختلاف التخصص، والجدول التالي يبين ذلك:

جدول (11): نتائج اختبارت (T-Test) لفحص الفرق بين متوسطات درجات

اتجاهات طلببة الثانوية العامة نحو الرياضيات باختلاف التخصص

التخصص	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	الدلالة
علمي	145	4.12	0.77	288	7.937	0.00
ادبي	145	3.26	1.08			

من الجدول أعلاه يظهر أن قيمة "ت" المحسوبة (7.937) وهي أكبر من قيمة "ت" الحرجة (1.96) مما يعني وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($0.05 > \alpha$) بين متوسطات درجات اتجاهات طلببة الثانوية العامة نحو الرياضيات باختلاف التخصص، وبما أن الوسط الحسابي لدرجات الطلبة العلمي اكبر من الوسط الحسابي لدرجات الطلبة في الفرع الادبي فإن الفروق لصالح طلببة الفرع العلمي، أي أن لدى طلببة الفرع العلمي اتجاهات ايجابية نحو الرياضيات أكثر وأعلى من طلببة الثانوية العامة الفرع الادبي.

وقد يعزى ذلك الى ان معظم طلببة الثانوية العامة العلمي اجمالاً هم من ذوي المعدلات الدراسية المرتفعة، وبالتالي معدلاتهم في مادة الرياضيات مرتفعة، وان معظم طلببة الثانوية العامة الفرع العلمي لديهم امتلاك عام في اساسيات الرياضيات من مفاهيم ومهارات رياضية أساسية مختلفة، وبما ان مادة الرياضيات

مادة تراكمية مبنية على بعضها البعض فان هذا الامتلاك العام يسهم في فهم المفاهيم والمهارات الرياضية الجديدة بشكل ايسر مما يساعد في بناء اتجاه ايجابي نحو الرياضيات.

✓ وفي ضوء هذه النتائج يمكن سرد بعض الاستنتاجات:

✍ الفائدة من الاتجاهات الايجابية في التدريس:

1. تساعد على فهم المعارف الرياضية من نظريات ومبادئ ويصبح للتعلم معنى.
2. تعطي مناخاً صفيماً تعليمياً يسوده العصف الذهني واستمطار الافكار.

✍ إرشادات للمعلم في بناء الاتجاهات الايجابية نحو الرياضيات:

إن الارشادات التالية متتالية يجب على المدرس تلك الارشادات خطوة بخطوة حتى يبني الاتجاه وهي:

1. عندما يريد المعلم بناء اتجاهات ايجابية نحو الرياضيات عند طلبته لا بد من وجود امر هام جدا عند ذلك المعلم وهو وجود اتجاه ايجابي عنده نحو مادته ونحو تدريسها (ففاقد الشيء لا يعطيه).

2. وقبل ان يبني الاتجاهات نحو مادته، على المعلم ان يبني اتجاهات ايجابية نحوه أولاً، حيث انه من المعلوم أن المعلم هو قدوة الطلبة في غرفة الصف وان ما يصدر عن المعلم يتبعه الطلبة بطريقة أو أخرى قد تكون غير مباشرة، ومن هنا يجب ان يكون معلم الرياضيات معلماً مؤهلاً تأهيلاً تربوياً ممتكلاً للمهارات والطرق والاساليب التدريسية والتي من ضمنها القدرة على اثاره الانتباه وتحريك الدافعية الداخلية لدى الطلبة وتنميتها، فشخصية المدرس وحالته النفسية الجيدة والاستراتيجيات الايجابية

المستخدمة كالتعامل الطيب مع الطلبة في ادارة الصف كلها تعمل على بناء اتجاه ايجابي نحو المعلم.

3. ومن ثم يأتي بناء الاتجاهات الايجابية نحو المادة، فالطالب يتعلم الاتجاهات ويكتسبها من خلال القدوة الحسنة ومن خلال استخدام طرق تدريس حديثة تعمل على تبسيط المفاهيم وتطبيقاتها، كاستخدام وتصميم أنشطة تعليمية واستخدام الوسائل والتقنيات التعليمية.

❖ التوصيات والمقترحات:

👉 في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة تم تقديم بعض التوصيات:

1. من الفرضية الأولى يوصي الباحثان بتأنيث المرحلة الأساسية الدنيا الإلزامية، (بمعنى يكون مدرسي الرياضيات فيها من الاناث) لان لدى الاناث اتجاهات ايجابية يمكن نقله الى الطلبة وبالتالي يمكن بناء اساسات اولية متينة عند الطلبة في الرياضيات.

2. يجب عدم إهمال اتجاهات الطلبة في حصص الرياضيات، وكما أنه يجب إلا يقدم المعلم الرياضيات بطرق تقليدية عشوائية غير هادفة ومنظمة بخطوات.

3. عقد دورات لمعلمي الرياضيات تمكنهم من القدرة على بناء الاتجاهات الايجابية لدى الطلبة من خلال تدريبهم على اساليب وطرق حديثة في التدريس.

👉 أيضاً في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة تم تقديم بعض الاقتراحات:

1. تصور لاستراتيجية مقترحة في بناء الاتجاهات الايجابية نحو الرياضيات في ضوء ما توصلت إليه الدراسات في هذا الموضوع.

2. دور الاتجاهات في تدريس الرياضيات وتنمية التفكير لدى الطلبة.

❖ هوامش البحث

(1) الصادق، إسماعيل محمد الأمين: طرق تدريس الرياضيات - نظريات وتطبيقات، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، (2001).

(2) طرية، محمد: أساليب وطرق التدريس الحديثة، دار حوراييل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (2008).

(3) أبو عقيل، ابراهيم: نظريات واستراتيجيات في تدريس الرياضيات، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (2014).

(4) أبوزينة، فريد: الرياضيات - مناهجها وأصول تدريسها، ط4، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (1997).

(5) Dickson S.: Students' Sex and Attitudes Toward Mathematics: A Case of Secondary School Students in Eldoret Municipality, **International Journal of Educational Research and Technology**, (2011), Volume 2, Issue 2, pp 56 – 61.

(6) Bora .A.: An Evaluation of School Students' sattitude Towards Learning Mathematics, **International Indexed & Referred Research Journal**, (2012), VoL.III ISSUE-33, pp 56-61.

(7) الصمادي، محارب: اثر برنامج تدريبي قائم على نموذج اوزبورن-بارنس: الحلال إبداعي للمشكلات في تنمية المهارات فوق المعرفية في الرياضيات، **مجلة العلوم الإنسانية**، (2009)، العدد (42).

(8) ريان، عادل: معتقدات الطلبة المعلمين نحو تعلم الرياضيات وتعليمها، **مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)**، (2010)، مج (18)، ع (2)، ص ص 719 – 751.

(9) Choudhury R., kumar Das D.: Influence of Attitude Towards Mathematics and Study Habit on the Achievement in Mathematics at the secondary stage, **International Journal of Engineering Research and Applications** (IJERA), (2012), Vol. 2, Issue 6, pp.192-196.

(10) Lawsha M., Kulliyyah H: Secondary Students' Attitude towards Mathematics in a Selected School of Maldives, **International Journal of Humanities and Social Science**,(2011), Vol. 1 No. 15, pp 276-281.

(11) Nicolidau. M., Philippou G.: Attitudes towards Mathematics, SELF-Efficacy and Achievement in problem-Solving ,Thematic Group 2 **EUROPEAN RESEARCH IN MATHEMATICS EDUCATION III**. University of Cyprus, (2007).

(12) أبو حطب، فؤاد، والكامل، حنين، وخزام، نجيب: صورة علم النفس لدى الشباب العُماني، الكويت، **مجلة العلوم الاجتماعية**،(1989)، مج(3)، ص ص 51-19.

(13) FAROOQ M., SHAH S.: STUDENTS' ATTITUDE TOWARDS MATHEMATICS, **Pakistan Economic and Social Review**, (2008), Vol 46, No. 1, pp. 75-83.

(14) Effandi Z., Chin L., Daud Y.: The Effects of Cooperative Learning on Students' Mathematics Achievement and Attitude towards Mathematics, **Journal of Social Sciences**,(2010), 6 (2): pp 272-275.

(15) الراددي، حنين: أثر التعلم التعاوني على التحصيل الرياضي والاتجاهات نحو الرياضيات لدى طالبات الصف الأول المتوسط بالمدينة المنورة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طيبة، السعودية، (2007).

(16) الكيلاني، احمد والشوا، هلا: تصميم حقيبة تعليمية ودراسة أثرها في التحصيل وتنمية الاتجاهات نحو الرياضيات لدى طلاب المرحلة الأساسية في الأردن، دراسات العلوم التربوية، (2008)، مج 35، ص ص 542-557.

(17) الكتاني، عايد والعجيلي، محمد: اتجاهات طلبة كلية التربية الرياضية في جامعة المثنى نحو مادة الإحصاء، المؤتمر الدوري الثامن عشر لكلليات وأقسام التربية الرياضية في العراق، العراق، (2013).

(18) المحاميد، شاكر: اتجاهات طلبة جامعة مؤتة نحو علم النفس (دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة مؤتة)، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد 23، ع (1)،(2007)، ص 347.

(19) علاوي، محمد حسن: علم النفس الرياضي، دارالمعارف، القاهرة، (1994).

(20) الرحو، جنان سعيد: أساسيات في علم النفس، الدار العربية للعلوم، بيروت، (2005).

(21) عبد السلام، فاروق: مقياس اتجاهات الطلاب نحو مادة الرياضيات، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، (2005).

(22) Berelson, B: **Content analysis in communication research**, New York: Hafner Publishing Company, (1971).

(23) National council of teacher of Mathematics (NCTM): **Principles and Standards of school Mathematics**, The National Council of Teachers of Mathematics, (2000) Inc

العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي
(دراسة ميدانية لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة أم البواقي)

الدكتورة: سامية ابرييم
جامعة أم البواقي، الجزائر

الملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى بحث العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي لدى عينة من طلبة جامعة أم البواقي، والفروق بين الجنسين في إدمان الانترنت، وتكونت عينة الدراسة من (276) طالبا، (96) طالب و(180) طالبة من معظم كليات جامعة أم البواقي. وقد تم استخدام مقياسان هما: مقياس إدمان الانترنت، ومقياس الاغتراب النفسي وكشفت الدراسة عن:

- ✓ وجود علاقة ارتباطية موجبة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي لدى عينة من طلبة جامعة أم البواقي.
- ✓ وجود فروق بين الذكور والإناث من الطلبة في درجة إدمان الانترنت لصالح الذكور.

Abstract :

This study aimed at examining the relationship between internet and Alienation among a sample of students enrolled in Oum El Bouaghi university, and internet addiction satisfaction gender differences.

The study sample consisted of (276) students (96) males and (180) females from various Oum El Bouaghi university faculties. Two scales were used : the Internet addiction and scale Alienation scale. The study revealed the following results :

- There is a positive correlation between internet and Alienation among a sample of students enrolled in Oum El Bouaghi university.

-Significant differences appeared between males and females in internet addiction, show that males are more addicted to internet than females.

مقدمة:

يشهد العالم ثورة معرفية وتكنولوجية هائلة خلال العقد الأخير من القرن الماضي في شتى مجالات الاتصال وشبكات المعلومات، التي مكنت الفرد من إمكانية التواصل مع الآخرين في كل مكان. ومن أهم وسائل الاتصال والمتوفرة الآن في جميع دول العالم تتمثل في الانترنت، وما يتضمنه من ثروات علمية ومعرفية وترفيهية وثقافية.

و يعد الانترنت أحدث وسيلة إعلامية، عالمية الانتشار، سريعة التطور وتعني كلمة انترنت لغويا الترابط بين الشبكات، فهي عبارة عن مجموعة ضخمة من شبكات الاتصال المرتبطة بعضها ببعض⁽¹⁾.

والانترنت من أبرز التقنيات التي تقدم للإنسان بتكلفة أقل ووقت أقصر و إنجازاً أكبر، نظراً للخدمات المتعددة التي يقدمها مثل البريد الإلكتروني، نقل الملفات، الأخبار، التجارة الإلكترونية... وغيرها من الخدمات المتخصصة في مجالات أنشطة الإنسان⁽²⁾، هذا ما أدى إلى تزايد أعداد مستخدمي الانترنت بشكل رهيب، حيث يتزايد عاماً بعد عام، خاصة مع النمو الهائل في كم وكيف المعلومات المتاحة على الشبكة، وحرية ما ينشر إلكترونياً، إذ لا يخضع لأية مراجعة.

وهكذا فالانترنت شأنه كشأن بقية وسائل الاتصال هو سلاح ذو حدين، فهو وسيلة نافعة لها آثارها الإيجابية، ولها آثارها السلبية، فإذا ما استخدم الانترنت بأسلوب سلبي مبالغ فيه، ولغير الأغراض التي وجد من أجلها فهنا يتحول استخدامه إلى سلوك مرضي، يصبح ظاهرة سلبية خطيرة على حياة الإنسان و اتزانه وصحته النفسية تسمى بإدمان الانترنت.

وقد ظهر مفهوم إدمان الانترنت أو ما يسمى الاستخدام المرضي للانترنت في القاموس الطبي عام (1995)، حيث كان أول من أشار إليه الطبيب النفسي (إيفان جولدبرج Ivan Goldberg)⁽³⁾. ويعرف إدمان الانترنت بأنه حالة

انعدام السيطرة والاستخدام المدمر لهذه الوسيلة التقنية، وتشابه الأعراض المرضية المصاحبة له بالأعراض المرضية المصاحبة لإدمان المخدرات⁽⁴⁾، وتستدل عليه بعدة أعراض حددتها الجمعية الأمريكية للطب النفسي بالأعراض التالية:

استخدام الانترنت بما يتجاوز(38) ساعة أسبوعياً، مع الميل إلى زيادة ساعات استخدام الانترنت لإشباع الرغبة نفسها التي كانت تشبعها من قبل ساعات أقل مع المعاناة من أعراض نفسية وجسمية عند انقطاع الاتصال بالشبكة، تركيز التفكير بشكل قهري حول الانترنت وما يجري فيه، حركات إرادية ولا إرادية تؤديها الأصابع مشابهة لحركات الأصابع على الكمبيوتر، الرغبة في العودة إلى استخدام الانترنت لتخفيف أو تجنب أعراض الانسحاب، إضافة إلى الميل إلى استخدام الانترنت بمعدل أكثر تكراراً أو لمدة زمنية أطول تتجاوز ما كان الفرد يخصصه له أصلاً⁽⁵⁾.

وعليه فقد ازداد الاهتمام باضطراب إدمان الانترنت خاصة بعد انتشاره بين كافة الفئات العمرية والطبقات الاجتماعية والمستويات المهنية المختلفة، حيث تشير عدة دراسات إلى أن معدل انتشار إدمان الانترنت يتراوح ما بين(15-20%) من مستخدمي الانترنت ويتراوح أعمار المدمنين بين (18-55) سنة وينتشر الإدمان بين الكبار والصغار على حد سواء⁽⁶⁾.

مما دفع الباحثين لدراسة هذه الظاهرة، لما لها من انعكاسات سلبية على حياة وسلوكيات الأفراد، حيث تؤدي إلى الإخلال بقيم المجتمع ومبادئه، وانتشار السلوكيات المضادة للمجتمع كالجرمة والعنف والفوضى، بالإضافة إلى تعرض الأبناء إلى كافة أشكال الاضطرابات النفسية كالاكتئاب والقلق والشعور بالوحدة النفسية وفقدان الثقة بالنفس والعزلة الاجتماعية والضغوط النفسية... إلخ غيره من الاضطرابات النفسية.

ومع انتشار إدمان الانترنت في الآونة الأخيرة وخاصة في أوساط طلاب المرحلة الجامعية، حيث أكدت نتائج الكثير من الدراسات على أن إفراط طلاب

الجامعة في استخدام الانترنت يجعلهم أكثر اكتئابا وأكثر شعور بالعزلة الاجتماعية، وبالاغتراب النفسي، ومن هذه الدراسات نذكر:

Dittmann (كينج، 2002) King (1996) (كروات , et al، 1998، 1998)
(ساندرز وآخرين , et al sanders، ديتمان، 2000)

(2001،⁽⁷⁾ LaRose, et al (لاروز وآخرون، 1998) young et Rogers
(يونج وروجرز).

وهذا ما دفع الباحثة إلى الاهتمام بهذه الظاهرة والبحث عن العلاقة الكامنة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة أم البواقي، للاستفادة من نتائج هذه الدراسة في الخروج بالتوصيات والمقترحات اللازمة لتقديم البرامج الإرشادية للحد من انتشار هذه الظاهرة التي تدمر مستقبل شبابنا الذين هم عماد هذه الأمة.

مشكلة الدراسة:

أصبح الانترنت يغزو كافة مجالات الحياة الاجتماعية كوسيلة للاتصال وتبادل الأفكار والمعلومات، كذلك المجالات الاقتصادية والسياسية وغيرها، مما نتج عليه أن أي مجتمع لا يستخدم الانترنت يعد متخلفا عن بقية المجتمعات المنعدمة وعن مسايرة التطورات التكنولوجية الهائلة.

فالانترنت من بين النعم العديدة التي من الله بها على الإنسان، ولكن إذ أحسن استخدامها، فهو سيتحول إلى نعمة، أما إذا ما أساء الإنسان استخدامها، فمثله مثل أي تقدم تكنولوجي، فعندما يفرط في الاعتماد عليه ويبدأ في تجاهل الأنشطة والمناسبات ومسؤوليات العمل والدراسة والرياضة أو شكوى المقربين منه من قضائه الوقت الطويل أما الانترنت، فإنه سوف يقع في مشكلة إدمان الانترنت.

واضطراب إدمان الانترنت مشكلة متزايدة، فقد أشار علماء النفس البريطانيون أن هناك شخص من بين (200) فرد من مستخدمي الانترنت تظهر عليه أعراض الإدمان بل إن هناك أشخاص يقضون (38) ساعة أو أكثر على الانترنت دون عمل يدعو إلى ذلك، فمن الممكن أن يضحى البعض بالعمل وبالمدرسة وبالعلاقات الأسرية وبالمال⁽⁸⁾.

Jung,et al, (2008) وتؤكد الكثير من الدراسات والبحوث مثل دراسة (جانج وآخرون،2008)، ودراسة (أبو جدي،2007)، ودراسة (زيدان،2008) أن إدمان الانترنت لا يقل خطورة عن إدمان المخدرات، بل يتجاوزها باعتباره السبيل الأكبر لتعويض ما يعاني منه المدمن من مشكلات واضطرابات، وإن هذه المشكلات تزداد حدة وضرورة بتقدم الإنسان في العمر وزيادة عدد الساعات التي يقضيها الفرد المدمن أمام الانترنت ولذا فالانترنت يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة للشخص المدمن، ويصاحبه العديد من الاضطرابات النفسية والسلوكية⁽⁹⁾.

فالجولوس أمام جهاز الانترنت لمدة طويلة من الوقت سيؤدي إلى عزل الفرد عن مجتمعه، وتدني التفاعل الاجتماعي مع أفراد الأسرة وتقليص عدد الأصدقاء وعدم امتلاك مهارات الاتصال الايجابي، وتضاؤل فرص التعبير وتحقيق الذات، مما يجعله يشعر بعدم القدرة على ضبط الأحداث والتحكم فيها، وبالتالي يفقد الثقة في نفسه ومن ثمة الشعور بالاغتراب النفسي⁽¹⁰⁾.

ولعل طلاب الجامعة هم أكثر شرائح المجتمع قابلية وتعرضا لإدمان الانترنت لعدة أسباب، منها أنهم يمرون بمرحلة نمو نفسي مهمة يتم فيها تشكيل الهوية وإنشاء علاقات شخصية واجتماعية حميمة، كذلك أصبحت الجامعات توفر فرصا واسعة ومستمرة للدخول على الانترنت لأغراض مختلفة، حيث تشير الإحصاءات المتوفرة أن (82%) من طلبة الجامعة يستخدمون الانترنت⁽¹¹⁾.

ومن خلال تفاعل الباحثة مع الطلبة في جامعة أم البواقي من خلال حصص التدريس والإشراف، فقد لاحظت أن العديد منهم يقضون أوقاتهم الثمينة أمام الانترنت، مما أدى إلى ظهور عدة أعراض لاضطرابات نفسية لذلك

فإن الدراسة الحالية هي محاولة للتعرف على طبيعة العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة أم البواقي.

وبناء عليه تتحدد مشكلة الدراسة الحالية في الإجابة عن التساؤلات التالية:

✓ ما طبيعة العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة الجامعة؟.

✓ هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة إدمان الانترنت بين طلبة الجامعة تعزى لمتغير الجنس؟.

فرضيات الدراسة :

1. توجد علاقة ارتباطية بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة الجامعة.

2. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في إدمان الانترنت بين طلبة الجامعة تعزى لمتغير الجنس.

أهداف الدراسة :

1. التعرف على طبيعة العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي.

2. معرفة درجة الفروق بين الذكور والإناث من طلبة الجامعة في درجة إدمان الانترنت.

أهمية الدراسة:

1. تستمد الدراسة الحالية أهميتها في المجال الذي نهتم به وهو مجال استخدام الانترنت الذي أصبح من المستحدثات التكنولوجية الجديدة التي أفرزها التقدم العلمي الهائل.

2. أصبح من الضروري معرفة فيما إذا كانت هناك آثاراً سلبية لاستخدام الانترنت قد تؤدي إلى تحولات جذرية وعميقة في حياة الأفراد النفسية والاجتماعية وخاصة لدى الشريحة الأكثر إنتاجية وبناء المستقبل وهم طلبة الجامعة.
3. بالرغم من الانتشار الواسع للانترنت والأهمية الكبيرة التي يحظى بها، والخطورة الكامنة وراءه إلا أنه ما يزال هناك قلة في دراسة تلك الظاهرة خاصة على مستوى البيئة المحلية في حدود علم الباحثة.
4. تقديم معلومات تقوم على أساس علمي حول كل ما يتعلق بشبكة الانترنت لكي تتولى المؤسسات المعنية بالتنشئة الاجتماعية بتوعية الشباب، لتعزيز الآثار الايجابية والحد من الآثار السلبية والتعامل الايجابي والسليم مع هذه التقنية.
5. جاء الاهتمام بدراسة إدمان الانترنت وعلاقته بالشعور الاغتراب النفسي لدى طلبة الجامعة باعتبارهم من أكثر الفئات استخداما له من خلال بعض الإحصاءات المتوفرة والمذكورة سابقا، وهذا من باب الإحساس بخطورة الأمر للوقوف على الآثار السلبية لإدمان الانترنت لدى هؤلاء الشباب الذين هم قوة المجتمع وعموده الفقري.
6. التحقق من الخصائص السيكومترية للمقاييس المستخدمة و مدى ملاءمته للبيئة المحلية، خاصة فيما يتعلق بمقياس الإدمان على الانترنت الاستفادة منه في إجراء بحوث ودراسات تتعلق بظاهرة إدمان الانترنت.
7. جاء الاهتمام بدراسة إدمان الانترنت وعلاقته بالشعور الاغتراب النفسي لدى طلبة الجامعة باعتبارهم من أكثر الفئات استخداما له من خلال بعض الإحصاءات المتوفرة والمذكورة سابقا، وهذا من باب الإحساس بخطورة الأمر للوقوف على الآثار السلبية لإدمان الانترنت لدى هؤلاء الشباب الذين هم قوة المجتمع وعموده الفقري.

حدود الدراسة:

أ - الحدود البشرية:

تقتصر الدراسة على طلاب جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي .

ب - الحدود الزمنية:

تم تطبيق الدراسة خلال السداسي الأول من السنة 2013 / 2014.

ج - الحدود المكانية:

تم إجراء الدراسة الحالية في مدينة أم البواقي، وبالضبط في جامعة العربي بن مهيدي.

تحديد مصطلحات الدراسة:

تتضمن هذه الدراسة المصطلحات الأساسية التالية:

1 - إدمان الانترنت (Internet Addiction):

قبل تعريف إدمان الانترنت يجب الإشارة إلى أن مصطلح إدمان الانترنت يقابله العديد من التسميات مثل: الإدمان التكنولوجي، الاعتماد على الانترنت، إساءة استخدام الانترنت، الاعتماد على الكمبيوتر، إدمان الكمبيوتر، الاستخدام المفرط للانترنت⁽¹²⁾.

إدمان الانترنت بأنه حالة من الاستخدام المرضي وغير التوافقي للانترنت.

تعريف شارلتون (Charlton, 2002)

إدمان الانترنت هو حالة من الاستخدام المرضي وغير التوافقي للانترنت تؤدي إلى اضطرابات إكلينيكية يستدل عليها بوجود بعض المظاهر كالتحمل والأعراض الانسحابية⁽¹³⁾.

ويعرف إدمان الانترنت إجرائيا في هذه الدراسة بأنه الدرجة الكلية التي يحصل عليها أفراد عينة الدراسة على مقياس إدمان الانترنت لـ "بشرى إسماعيل أحمد".

2- الاغتراب النفسي (Alienation):

تعرفه (سنة زهران، 2004) بأنه شعور الفرد بالعزلة والوحدة وسوء التوافق مع المجتمع، وعدم الانتماء وفقدان الثقة والشعور بالقلق، ورفض القيم والمعايير الاجتماعية والمعاناة من الضغوط النفسية⁽¹⁴⁾.

ويعرف الاغتراب النفسي إجرائيا في هذه الدراسة بأنه الدرجة الكلية التي يحصل عليها أفراد عينة الدراسة على مقياس الاغتراب النفسي لـ "سميرة حسن أبكر".

الدراسات السابقة :

تعتبر الدراسات السابقة ذات دور إيجابي لكل باحث، وبناء على ذلك فإن الباحثة ستلقي الضوء على الدراسات الأجنبية والعربية للتعرف على أهم النتائج التي توصل إليها الباحثون، ولقد تحصلت الباحثة من خلال اطلاعها على الموضوعات الخاصة بدراسة العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي، على بعض الدراسات السابقة التي تتوافق مع فرضيات الدراسة.

أ - الدراسات الأجنبية:

1 - دراسة كروات وآخرون (Krou, et al, 1998):

عنوان الدراسة: *آثار استخدام الانترنت لدى الشباب*.

هدفت هذه الدراسة الطولية والتي دامت عامين إلى معرفة آثار استخدام الانترنت من قبل الشباب، وطبقت في ولاية بنسلفانيا الأمريكية على عينة مكونة من (169) شاباً مستخدماً للانترنت، وقد أشارت النتائج إلى وجود آثار نفسية واجتماعية سلبية لاستخدام الانترنت، كما أظهرت النتائج أنه كلما زاد استعمال

الانترنت كلما انخفض مستوى النشاط الاجتماعي وزاد مستوى الشعور بالعزلة الاجتماعية والاعتراب النفسي⁽¹⁵⁾.

2- دراسة لازور وآخرون (Larose, et al, 2001):

عنوان الدراسة: * التفسيرات المعرفية الاجتماعية لاستخدام الانترنت *

تكونت عينة الدراسة من (171) طالبا وطالبة، (59) ذكورا و(39) إناثا مسجلين في فرع علوم الاتصال في جامعة واشنطن بأمریکا من مختلف المستويات الأكاديمية، وقد استخدم كل من مقياس العزلة الاجتماعية، والاعتراب النفسي، والاكئاب، ومقياس الكفاءة الذاتية للانترنت، وأظهرت النتائج أن استخدام الانترنت لفترة طويلة يؤدي إلى الشعور بالاعتراب النفسي والاكئاب، كما أظهرت النتائج ميل مستخدمي الانترنت لفترات طويلة يؤدي إلى العزلة الاجتماعية⁽¹⁶⁾.

3 - دراسة كوي وليو (Cui Liw, 2003):

عنوان الدراسة: * العلاقة بين إدمان الانترنت والنمو الاجتماعي والتوافق والاعتراب النفسي *

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الاعتماد على الانترنت بالنمو الاجتماعي والتوافق والاعتراب النفسي لدى طلاب الجامعة، وتكونت العينة من (110) من طلاب الجامعة في شنغهاي بالصين، وطبق عليهم أدوات لقياس المتغيرات موضع البحث، وأظهرت نتائجها وجود علاقة ارتباطية قوية بين الاعتماد على الانترنت والاعتراب النفسي والتوافق والنمو الاجتماعي، كما أظهرت وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث من طلاب الجامعة في إدمان الانترنت لصالح الذكور⁽¹⁷⁾.

4- دراسة اكسايسو لي (XiaaSi, Li, 2006):

عنوان الدراسة: * المشكلات الناتجة عن إدمان الانترنت *

هدفت الدراسة إلى التعرف على المشكلات المرتبطة بإدمان الانترنت وسماتها والأسباب المؤدية للإدمان، وطبقت الدراسة على عينة عشوائية تم اختيارها من ست مدارس إعدادية في مدينة هيفاي في الصين قدرها (1949) طالبا طبق عليهم استبيان من إعداد الباحث، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن معدل الإدمان عند الذكور أعلى من الإناث، وأن إدمان الانترنت في الضواحي أقل من المدن، وأن الإدمان يكون أعلى لدى من يمتلكون أجهزة الكمبيوتر أي لديهم مستوى معيشي مرتفع⁽¹⁸⁾.

ب - الدراسات العربية:

5 - دراسة (مهدي، 2004):

عنوان الدراسة: * الآثار النفسية والاجتماعية لدى طلاب الجامعة *

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الآثار النفسية والاجتماعية التي يسببها الانترنت لطلاب الجامعة، وتكونت العينة من (240) طالبا وطالبة في جامعة الأزهر بالقاهرة والأقاليم، وطبق على أفراد العينة مقياس علاقة طلبة الجامعة بالانترنت، ومقياس الآثار النفسية والاجتماعية من إعداد الباحثة، وقد توصلت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث في استخدام شبكة الانترنت لصالح الذكور، كما أوضحت النتائج أيضا أن طلاب جامعة الأزهر بالقاهرة أكثر استخداماً لشبكة الانترنت، كذلك أسفرت النتائج عن وجود فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث في الآثار النفسية والاجتماعية، كذلك وجود علاقة ارتباطية بين سوء استخدام الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي، وسوء العلاقة مع المجتمع ومع الأصدقاء والمشكلات الجنسية⁽¹⁹⁾.

6 - دراسة (زامل، 2006):

عنوان الدراسة: * العلاقة بين إدمان الانترنت والاغتراب لدى طلاب الجامعة *

كان الهدف من هذه الدراسة معرفة علاقة الإدمان على الانترنت بالاغتراب لدى طلاب جامعة الأزهر بالقاهرة في مصر، الذين بلغ عددهم

(120) طالباً وطالبة نصفهم من الذكور والآخر من الإناث، وأظهرت النتائج وجود فروق في الاغتراب بين مدمني الانترنت وغير المدمنين ذكوراً وإناثاً، ولا توجد فروق بين الذكور والإناث في درجة إدمان الانترنت، ووجود علاقة ارتباطية موجبة بين إدمان الانترنت وبين الاغتراب لدى أفراد العينة⁽²⁰⁾.

7 - دراسة (الشافعي، 2010):

عنوان الدراسة:*إدمان الانترنت وعلاقته بالوحدة النفسية والطمأنينة النفسية لدى طلاب وطالبات جامعة الملك خالد بالسعودية على ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية*

هدفت هذه الدراسة إلى بحث علاقة إدمان الانترنت بكل من الوحدة النفسية والطمأنينة النفسية، والفروق بين الجنسين في إدمان الانترنت، وأثر بعض المتغيرات الديموغرافية على إدمان الانترنت لدى عينة تتكون من (444) من طلاب وطالبات جامعة الملك خالد بالسعودية، وقد تم تطبيق اختبار إدمان الانترنت من إعداد (يونغ، 1998) وتعريب صاحب الدراسة، ومقياس الوحدة النفسية (رسل، 1992) وتعريب (خضر والشناوي، 1998)، واستمارة البيانات الديموغرافية من إعداد الباحث الحالي، وأظهرت النتائج: وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة بين إدمان الانترنت والوحدة النفسية، وتوجد علاقة ارتباطية سالبة دالة بين إدمان الانترنت والطمأنينة النفسية، ولم تختلف الصورة باختلاف الجنس، كما توجد فروق دالة بين الجنسين من طلاب الجامعة في إدمان الانترنت لصالح الذكور⁽²¹⁾.

تعقيب عام على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة نستنتج ما يأتي :

➤ وجدت الباحثة من خلال بحثها دراسات تتفق مع الدراسة الحالية تماماً، أو مع أحد الفرضيات.

➤ من حيث الهدف، فقد كانت تهدف بعض الدراسات للكشف عن إدمان الانترنت وعلاقته بالعديد من المتغيرات (الاغتراب النفسي، العزلة الاجتماعية، الإكتئاب، الانطواء، الوحدة النفسي... إلخ)، كدراسات (كروات، بتري وجين 1998، زامل 2006، الشافعي 2010). والبعض الآخر كان اهتمامه منصبا على معرفة المشكلات والآثار المترتبة عن إدمان الانترنت مثل (إكسايوسى لي 2006، كروت 1998، مهدي 2004)، كما هدف بعض الباحثين إلى الكشف عن درجة الفروق بين الجنسين في إدمان الانترنت نذكر منهم (اكسايوسى لي 2006، مهدي 2004 الشافعي 2010) وعلى العموم تتفق أهداف هذه الدراسات مع هدف من أهداف الدراسة الحالية.

➤ من حيث العينات، فمعظم الدراسات أجريت على طلاب الجامعات من الجنسين، وهذا ما يتفق مع الدراسة الحالية والتي ستتناول طلبة الجامعة من الجنسين وتتفاوت أعمار أفراد العينات وقد تفاوت حجم العينة من (110) فرداً كما هو في دراسة (كروات، 1998) إلى (1949) كما هو في دراسة (اكسايوسى لي، 2006).

➤ من حيث أدوات الدراسة، فقد تنوعت بحسب الغرض المراد الوصول إلى تحقيقه، أما بخصوص الدراسة الحالية لم تستخدم الأدوات التي تم استخدامها في الدراسات السابقة الذكر.

➤ بالنسبة لنتائج الدراسات السابقة، فقد اختلفت وتنوعت، إلا أنه كان هناك شبه إجماع على وجود علاقة ارتباطية دالة إما سلبية أو ايجابية بين إدمان الانترنت وظهور بعض الاضطرابات النفسية كالشعور بالاغتراب النفسي والاكتئاب والعزلة الاجتماعية والانطواء، وعلى وجود آثار سلبية سواء نفسية أو اجتماعية عن هذه المشكلة، وعلى وجود فروق بين الجنسين في درجة إدمان الانترنت لصالح الذكور.

إجراءات الدراسة الميدانية :

منهج الدراسة :

للتحقق من فروض الدراسة الحالية، تم استخدام المنهج الوصفي الارتباطي الذي يهدف إلى إيجاد علاقة بين متغيرين، والذي يناسب موضوع الدراسة.

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (276) طالباً وطالبة من طلبة جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي من مختلف كليات الجامعة، (96) طالباً و(180) طالبة، تتراوح أعمارهم مابين (20-27) عاماً بمتوسط عمري قدره (23.25) عاماً، وانحراف معياري قدره (6.82). تم اختيارهم بطريقة العينة القصدية حيث تم توزيع أدوات الدراسة في قاعة الانترنت الموجودة بالمكتبة المركزية للجامعة وفي مقاهي الانترنت المتواجدة بجانب الجامعة لضمان الحصول على عينة من مختلف الاختصاصات.

أدوات الدراسة:

1 - مقياس إدمان الانترنت:

أعدت هذا المقياس (بشرى إسماعيل أحمد) بهدف استخدامه أداة موضوعية في تشخيص إدمان الانترنت، ويتكون المقياس من (60) عبارة موزعة بالتساوي على ستة أبعاد لإدمان الانترنت وهي كالتالي: السيطرة أو البروز، تغير المزاج، التحمل، الأعراض الانسحابية، الصراع، الانتكاسة، وللإجابة على المقياس يختار المفحوص أحد بدائل أربع درجات وهي (2،1،0)، وقد قامت معدة المقياس بتقنين المقياس حيث تم حساب ثباته باستخدام طريقة الاتساق الداخلي حيث بلغ معامل الارتباط (0.89) وهو دال عند مستوى الدلالة (0.01)، كذلك تم استخدام طريقة التجزئة النصفية حيث بلغ معامل ثبات سبيرمان (0.90) وهو دال عند مستوى الدلالة (0.01)، وأما الصدق فقد تم حسابه باستخدام التحليل

العاملية وذلك باختبار نموذج العامل الكامن العام والذي حاز على مطابقة تامة مما يشير أن المقياس يتمتع بمعامل صدق مرتفع⁽²²⁾.

أما في الدراسة الحالية، وللتأكد من مدى ملائمة المقياس مع البيئة المحلية، قامت الباحثة بتطبيقه على عينة استطلاعية والتي تكونت من (30) طالبا من طلبة جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي تتراوح أعمارهم ما بين (20-27 سنة).

وقد تم حساب صدق وثبات المقياس في الدراسة الحالية كالتالي:

أ - صدق المقياس: تم حساب صدق مقياس إدمان الانترنت عن طريق:

الصدق التمييزي (المقارنة الطرفية):

من أدنى درجات المقياس للعينة التي (27%) من أعلى درجات المقياس و (27%) قامت الباحثة بأخذ تتكون من (30) فرداً، وهذا بعد ترتيب هذه الدرجات تصاعدياً فتصبح مجموعتان تتكون كل منها من (08) فرداً لأن (30*0.27=08)، ومنه نأخذ (08) أفراد من المجموعة العليا، و(08) أفراد من المجموعة الدنيا، ثم نستخدم أسلوباً إحصائياً ملائماً يتمثل في اختبار "ت" لدلالة الفروق بينهما Spss, 16.0. وهذا باستخدام نظام الحزمة الإحصائية

وكانت النتائج كما هي مبينة في الجدول التالي:

جدول رقم (01) : يوضح قيمة ت لدلالة الفرق بين المجموعة الدنيا والمجموعة العليا على مقياس إدمان الانترنت

مستوى الدلالة	" ت "	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	ن	المجموعات	مقياس إدمان الانترنت
0.01 دال	13.76	11.12	76.26	8	المجموعة الدنيا	
		6.13	117.13	8	المجموعة العليا	

يتبين من الجدول أن قيمة "ت" دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) مما يعني أن المقياس يتوفر على القدرة التمييزية بين المجموعتين الدنيا والعليا، ومنه فالمقياس يعتبر صادقاً فيما يقيسه.

ب - ثبات المقياس:

لمعرفة ذلك قامت الباحثة بحساب ثبات مقياس إدمان الانترنت باستخدام معامل ثبات ألفا لكرونباخ وباستخدام نظام (Spss,16)، تم التوصل إلى معامل ثبات قدره (0.876) وهذا المعامل دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) مما يدل أن المقياس يتمتع بمستوى عالي من الثبات.

3 - مقياس الاغتراب النفسي:

قامت بإعداده (سميرة حسن أبكر، 1989)، وذلك لقياس الاغتراب النفسي في المرحلة الجامعية، يتكون المقياس من (105) عبارة موزعة على سبعة أبعاد فرعية هي (فقدان الشعور بالانتماء، عدم الالتزام بالمعايير، العجز، عدم الإحساس بالقيمة، فقدان الهدف، فقدان المعنى، مركزية الذات) ويحتوي المقياس على عبارات موجبة وعبارات سالبة، ولقد تم حساب ثبات المقياس عن طريق حساب معامل ألفا كرونباخ والذي بلغ (0.92)، وعن طريق التجزئة النصفية فبلغ معامل الارتباط (0.91) كما تم حساب صدق المقياس باستخدام عدة طرق منها الصدق الظاهري وصدق المحك، وقد بلغ معامل الصدق (0.91) وهو دال عند (0.01)⁽²³⁾.

وفي الدراسة الحالية للتأكد من مدى ملائمة المقياس مع البيئة المحلية، قامت الباحثة بتطبيقه على العينة الاستطلاعية السابقة الذكر.

وقد تم حساب صدق وثبات المقياس في الدراسة الحالية كالتالي:

أ - صدق المقياس: تم حساب صدق مقياس الاغتراب النفسي عن طريق:
الصدق التمييزي (المقارنة الطرفية):

حيث قامت الباحثة بحساب الصدق التمييزي وفق نفس الخطوات السابقة الذكر في مقياس إدمان الانترنت وكانت النتائج كما هي مبينة في الجدول التالي:
جدول رقم (02) : يوضح قيمة ت لدلالة الفرق بين المجموعة الدنيا والمجموعة العليا على الاستبيان

مستوى الدلالة	ت	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	ن	المجموعات	مقياس الاغتراب النفسي
0.01 دال	8.29	9.82	88.93	8	المجموعة الدنيا	
		6.25	100.19	8	المجموعة العليا	

يتبين من الجدول أن قيمة "ت" دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) مما يعني أن المقياس يتوفر على القدرة التمييزية بين المجموعتين الدنيا والعليا ومنه فالمقياس يعتبر صادقاً فيما يقيسه.

ب- ثبات المقياس:

لمعرفة ذلك قامت الباحثة بحساب ثبات مقياس الاغتراب النفسي باستخدام معامل ثبات ألفا لكرونباخ وباستخدام (Spss.16)، تم التوصل إلى معامل ثبات قدره (0.820) وهذا المعامل دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) مما يدل أن المقياس يتمتع بمستوى عالي من الثبات.

الأساليب الإحصائية :

- ✓ المتوسط الحسابي والانحراف المعياري.
- ✓ اختبار "ت" لدلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية ، في حساب كل من الصدق التمييزي وللإجابة على السؤال الثاني.
- ✓ معامل الثبات ألفا كرونباخ لحساب ثبات المقاييس المستخدمة.
- ✓ معامل الارتباط بيرسون للإجابة على السؤال الأول.

عرض النتائج ومناقشتها:

1 - عرض النتائج:

عرض النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

نص الفرضية: "توجد علاقة ارتباطية بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة الجامعة".

وللتحقق من صحة هذه الفرضية، تم استخدام معامل الارتباط "بيرسون" بين الدرجات التي تحصل عليها أفراد عينة الطلبة على مقياس إدمان الانترنت وبين الدرجات التي تحصلوا عليها على مقياس الاغتراب النفسي، وبعد المعالجة الإحصائية بنظام

(Spss,16.0) تحصلنا على النتائج الموضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (03) : يوضح معامل الارتباط بين درجة إدمان الانترنت والاغتراب النفسي لدى طلبة الجامعة

المتغيرات	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
إدمان الانترنت / الاغتراب النفسي	1.876	دال 0.01

يتضح من الجدول رقم (03) أن قيمة معامل الارتباط بين درجة إدمان الانترنت والاغتراب النفسي لدى أفراد عينة الدراسة والمساوية لـ (1.876) دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01)، وهذه العلاقة الارتباطية هي علاقة موجبة وتعني أنه كلما زادت درجة إدمان الانترنت زاد الشعور بالاغتراب النفسي لدى الطلبة.

عرض النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:

نص الفرضية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة إدمان الانترنت بين طلبة الجامعة تعزى لمتغير".

وللتحقق من صحة هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت" لدلالة الفروق بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة من الجنسين على مقياس إدمان الانترنت، وبعد المعالجة الإحصائية بنظام (Spss,16.0) تحصلنا على النتائج الموضحة في الجدول التالي:

جدول رقم (04): يوضح نتائج اختبارات لدلالة الفروق بين الذكور والإناث من طلبة الجامعة في درجة إدمان الانترنت

نوع العينة	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	ت	مستوى الدلالة
الذكور	96	98.76	50.23	274	3.82	دال 0.01
الإناث	180	82.12	38.29			

يتضح من الجدول رقم (04) المتعلق باختبار "ت" لإيجاد الفروق بين الجنسين من الطلبة في درجة إدمان الانترنت، حيث أن قيمة "ت" المحسوبة تساوي (3.82) وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01)، مما يشير بوضوح إلى وجود فروق في درجة إدمان الانترنت بين الطلبة تعزى إلى متغير الجنس.

مناقشة النتائج:

مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

إن البيانات المتحصل عليها من عرض النتائج الخاصة بالفرضية الثانية باستخدام معامل الارتباط "بيرسون" والموضحة في الجدول رقم (05)، تظهر أن هناك علاقة ارتباطية موجبة بين إدمان الانترنت والاعتراب النفسي لدى طلاب وطالبات الجامعة، مما يدل على أن الطلبة المدمنين على الانترنت يشعرون بالاعتراب النفسي فالطالب عندما ينزل في هاوية إدمان الانترنت الذي يعوضه ويجعله يعيش في عالم يجد فيه ضالته، فيشعر بالانسجام وبالسعادة التي يفتقدها في الواقع، هذا الأمر سيؤدي به إلى الشعور بالاعتراب النفسي في العالم الواقعي الذي يحيط به في كل مرة لم يكن فيها أمام الانترنت بسبب انقطاع الشبكة، أو تعطل

جهاز الكمبيوتر، أو اضطراره لقضاء حاجاته خارج المنزل وذهابه إلى الجامعة، حيث يدرك أن الانترنت بديلاً عن الحياة الواقعية فيعكف عليه مفضلاً له على ماعده من أنشطة وفعاليات كانت محبة له ومن ثم تزداد لديه مشاعر الاغتراب النفسي.

فبالرغم مما يحمله الانترنت من تقدم علمي ووسائل تكفل للإنسان الحرية والرخاء فإنه أيضاً يتميز بقدرته على إحداث تغيرات سلبية إلى حد كبير على الحياة الإنسانية ألا وهي شعور الإنسان بأنه غريب عن نفسه، والنظر إلى الحياة وكأنها غريبة أو كأنه لا ينتمي إليها، ومن ثمة، يصبح الفرد يعيش عالمين متناقضين، حاملاً في شخصيته ثقافتين متباعدتين يصعب التقريب بينهما ثقافتين غير متكافئتين: ثقافة حقيقية تتوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه، وأخرى افتراضية تسلبه الأولى، وبين العالم الأول والثاني يقف الفرد عاجزاً عن الوصل بينهما، ويفشل في إدراك وفهم وتقبل المعايير السائدة في المجتمع ويحس بأن عالمه الحقيقي لا معنى له وخال من الأهداف التي تستحق أن يحيا لتحقيقها، ويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع خاصة، وأنه يرى مظاهر حياة في الانترنت تختلف عن حياته الواقعية من حياة الترف والاستمتاع وحياة المشاهير، والقصص الخيالية والمثالية فينتج لديه حالة من الشعور بالاغتراب النفسي.

وترى الباحثة أن طلبة الجامعة من مدمني الانترنت لديهم إحساس بالاغتراب النفسي، حيث الإفراط بالجلوس أمام شاشة الانترنت مما يؤدي إلى إكتساب قيم ومعايير اجتماعية مخالفة للقيم السائدة في المجتمع، مما جعلهم يقعون في حالة من التناقض ما بين القيم التي يلتزم بها المجتمع والقيم الموجودة في المواقع الإلكترونية، كما أن نظرة الطلبة، وخاصة في المرحلة الجامعية والذين يبرون بمرحلة تكوين الشخصية، وفي ضوء نظرتهم للقيم التي يطالبون بالالتزام بها من قبل الأهل الذين يسعون للحفاظ على قيمهم، نجد في المقابل يسعى الطالب إلى تغييرها وإتباع القيم والأفكار التي يتعرض لها من خلال ما هو سائد في المواقع الإلكترونية، والتي تتميز بالرفاهية والانفتاح وتحقق له ما يصبو إليه، وهذا ما يدفع

بالطلبة إلى الابتعاد والاعترا ب النفسى بالإضافة إلى فقدان اللامعيارىة ، والمعنى، وعدم الانتماء.

وقد اتفقت هذه النتىجة مع ما توصلت إلهه نتائج بعض الدراسات السابقة، منها دراسة كروات وآخرون (Krou t, et al, 1998) والى أظهرت أنه كلما زاد استعمال الانترنت كلما انخفض مستوى النشاط الاجتماعى وزاد مستوى الشعور بالعزلة الاجتماعىة والاعترا ب النفسى، أىضا تتفق مع دراسة لازور وآخرون (Larose, et al, 2001) التى توصلت إلى أن استخدام الانترنت لفترة طويلة يؤدى إلى الشعور بالاعترا ب النفسى والكتتاب، ومع دراسة (كوى ولىو، 2003) حىث وجد أن هناك علاقة ارتباطىة قوىة بىن الاعتماد على الانترنت والاعترا ب النفسى، كما توصلت دراسة (مهدى، 2004) إلى وجود علاقة ارتباطىة بىن سوء استخدام الانترنت والشعور بالاعترا ب النفسى وسوء العلاقة مع المجتمع ومع الأصدقاء، أىضا أظهرت نتائج دراسة (زامل، 2006) وجود فروق فى درجة الاعترا ب بىن مدمنى الانترنت وغير المدمنى ذكورا وإناثا وكانت لصالح مدمنى الانترنت.

مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضىة الثانىة:

إن البىانات المتحصل علهها من عرض النتائج الخاصة بالفرضىة الثانىة باستخدام اختبارت" لدلالة الفروق بىن متوسطات درجات أفراد عىنة الدراسة من الجنسىن فى درجة إدمان الانترنت والموضحة فى الجدول رقم (04)، يظهر وجود فروق ذات دلالة إحصائىة بىن الذكور والإناث من طلبة الجامعة فى إدمان الانترنت حىث كانت قىمة ت" الخاصة بالمقارنة تبلغ (3.82)، وهى قىمة دالة إحصائىا عند مستوى الدلالة (0.01)، وهذه الفروق لصالح الذكور مقابل الإناث، ومعنى ذلك أن الذكور أكثر إدمانا للإنترنت مقارنة بالإناث، وتعد هذه النتىجة مطابقة للنتائج والبحوث والدراسات السابقة حىث توصلت دراسة كل من (كوى ولىو، 2003) إلى وجود فروق دالة إحصائىا بىن الذكور والإناث فى إدمان الانترنت لصالح الذكور، كما توصلت دراسة (اكساىوسى لى، 2006) إلى

أن معدل إدمان الانترنت بين الذكور أعلى من الإناث، كما خلص كل من (زامل، 2006) و(الشافعي، 2010) إلى وجود فروق دالة بين الجنسين من طلاب الجامعة في إدمان الانترنت لصالح الذكور مقابل الإناث.

ولعل ما يفسر ذلك أن الطلاب الذكور أكثر من الطالبات الإناث استخداما للانترنت طلبا للثقافة والتسلية والترفيه، واكتشاف الجديد من الاختراعات والتكنولوجيا، عكس الطالبات اللواتي يستخدمن الانترنت بعقلانية، وعادة ما يكون ايجابيا ومرتبطا أكثر بالتحصيل الدراسي، هذا بالإضافة إلى أن الذكور أكثر ثقة في قدرتهم على تشغيل الكمبيوتر وتحميل البرامج واكتشاف الجديد في الانترنت مقارنة بالإناث، كما أن للذكور أكبر قدر من الحرية والاستقلالية في استخدام الانترنت حيث تزيد فرصهم في استخدام الانترنت سواء داخل المنزل أو خارجه في النهار أو الليل لساعات طويلة في الجلوس على شبكة الانترنت مما يؤدي إلى إدمانهم بصورة أكبر من الإناث خاصة وأن لديهم دافعا قويا للاستكشاف والمغامرة، في حين أن الانترنت ليس متاحا للإناث في كل وقت، مما يجعل وقت استخدامهن للانترنت محدودا، فمثلا مقاهي الانترنت لا يرتادها الإناث ليلا ولأوقات طويلة، على عكس الذكور الذين يعتبرونها وسيلة لقضاء أوقات الفراغ والتسلية والعمل والاتصال مع الأصدقاء، وتكوين معارف جديدة ومن كل مكان في العالم.

الخاتمة:

يتضح من العرض السابق، ومن خلال ما ظهر من نتائج للدراسة الحالية، أن الإفراط في استخدام الانترنت بدون مبرر موضوعي وبصفة مستمرة، يساهم في تزايد مؤشرات إدمان الانترنت لاسيما لدى طلبة الجامعات مما يؤدي إلى جملة من الاضطرابات منها تزايد مشاعر الاغتراب النفسي، والنتائج المستخلصة من الدراسة الحالية تؤكد ذلك، حيث توصلت إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين إدمان الانترنت والشعور بالاغتراب النفسي، ووجود فروق بين الذكور والإناث من الطلبة في درجة إدمان الانترنت.

ومن ثم فإنه من الأهمية أن يتم نشر الوعي بين طلاب الجامعات عن آثار الاستخدام المفرط للانترنت لتفادي تأثيراته السلبية على التوازن النفسي والاجتماعي لديهم، والتي لا تختلف عن إدمان الكحول والمخدرات.

وفي الأخير نود أن نشير إلى أن هذه الدراسة محاولة للتعرف على طبيعة العلاقة بين إدمان الانترنت والشعور بالعزلة الاجتماعية والاغتراب النفسي، فنتائجها غير نهائية، تبقى بحاجة إلى مزيد من التقصي والدراسة، من أجل التحكم أكثر في الظروف المحيطة بالبحث بغية التأكد أكثر من النتائج للاستفادة منها خاصة في ظل التحديات التي تواجه الشباب المسلم في عصر العولمة.

❖ هوامش البحث

- (1) محمد النوبي محمد علي، إدمان الانترنت في عصر العولمة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص ص 14-15.
- (2) محمد مزياني، اللغة العربية والانترنت، المجلة العربية للعلوم، العدد (34)، 2001، ص 07.
- (3) هبة بهي الدين ربيع، إدمان شبكة المعلومات والاتصالات الدولية (الانترنت) في ضوء بعض المتغيرات، مجلة دراسات نفسية، تصدر عن رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية، مجلد (13)، العدد (04)، القاهرة، أكتوبر 2003، ص 556.
- (4) Bread, K, Wolf, F , Modification in the proposed diagnostic criteria for internet addiction , Cyberpsychol, Behav, 4(3), P 377.
- (5) سميرة محمد شد، سيكولوجية المراهقة ومشكلاتها، دارالبسمة، القاهرة، 2008، ص 636.
- (6) عصام محمد زيدان، إدمان الانترنت وعلاقته بالقلق والاكتئاب والوحدة النفسية والثقة بالنفس، مجلة دراسات عربية في علم النفس، مجلد (07)، العدد (02)، القاهرة، أبريل 2008، ص 373.
- (7) محمد محمد عبد الهادي وعبد الفتاح رجب علي مطر وعادل صلاح محمد غنايم، إدمان الانترنت وعلاقته بكل من الاكتئاب والمساندة الاجتماعية لدى طلاب الجامعة، مجلة كلية التربية، بني سويف، جامعة القاهرة، العدد (04)، يوليو 2005، ص 04.
- (8) Hardy, M, Life beyond the screen :Embodiment and identity through the internet, The sociological revives, Vol(50), N(4), 2004, P577.
- (9) محمد بن سالم محمد القرني، إدمان الانترنت وعلاقته ببعض الاضطرابات النفسية لدى عينة من طلاب جامعة الملك عبد العزيز، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد (75)، الجزء (03)، يناير 2011.

- (10) محمد النوبي محمد علي، مرجع سابق، ص 56.
- (11) Kraut, R et al, Internet Paradox :Asocial technology That reduces social involvement and psychological well – being American psychologiste, Vol(53),N(9), P1020.
- (12) عصام محمد زيدان، موجه سابق، ص 311.
- (13) Charlton ,J,A factor- analytic investigation of computer addiction and engagement,Br J Psychol,Vol(93),N(3),p 335.
- (14) سناء زهران، إرشاد الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب، القاهرة، مكتبة علاء للكتب، 2004، ص 76.
- (15) نايف سالم الطروانة وملياء سليمان الفنيخ، استخدام الانترنت وعلاقته بالتحصيل الأكاديمي والتكيف الاجتماعي والاكتئاب ومهارات الاتصال لدى طلبة جامعة القصيم، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، مجلد (20)، العدد(01)، يناير 2012، ص 297.
- (16) نايف سالم الطروانة وملياء سليمان الفنيخ، مرجع سابق، ص 278.
- (17) عصام محمد زيدان، مرجع سابق، ص 411 .
- (18) حسن عبد السلام محمد الشيخ، إدمان الانترنت وعلاقته ببعض أشكال السلوك اللاتوافقي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، مجلة كلية التربية، جامعة حلوان، مصر، دت، ص 1033.
- (19) محمد محمد عبد الهادي وعبد الفتاح رجب علي مطر وعادل صلاح محمد غنايم، مرجع سابق، ص 412.
- (20) عصام محمد زيدان، مرجع سبق ذكره، ص 412.

(21)

براهيم الشافعي إبراهيم، إدمان الانترنت وعلاقته بالوحدة النفسية والطمأنينة النفسية لدى طلاب وطالبات جامعة الملك خالد بالسعودية على ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية، مجلة دراسات نفسية، القاهرة، مجلد (20)، العدد (03)، يوليو 2010، ص 438.

(22) بشرى إسماعيل أحمد، مقياس إدمان الانترنت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2012، ص ص 4-9.

(23) عادل بن محمد العقيلي، الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي (دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، 2004، ص ص 63-70.

الدراسات الإعلامية

الإعلام الجديد والتحول الديمقراطي

الدكتور : سليمان محمد عمر منصور

جامعة الزاوية، ليبيا

الملخص:

صار للأعلام الجديد دورا هاما ورئيسا وفاعلا في سياق التحول الديمقراطي والإصلاح السياسي لدى بعض أفراد الشعب في العديد من البلدان المختلفة ، مما أتاح فرصة كبيرة في تعزيز مشاركة الأفراد في النقاشات والحوارات إذ إنه وفر مساحة عامة لعامة الناس بدون استثناء مع رجال السياسة وصانعي القرار حول مختلف الأحداث والقضايا، وأصبح شريكا رئيسيا في معظم حركات الاحتجاج الاجتماعي والسياسي في كل بلدان العالم، كما قام الإعلام الجديد بدور كبير لا يستهان به خلال ثورات الربيع العربي ، في إسقاط ثلاث أنظمة عربية ، ومع تطور تقنيات الإعلام الجديد أحدثت منفذ جديد للتعبير الحر دون رقابة، شخصية من احد ، وعززت من قيم و حقوق الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال وسائله المتنوعة الحديثة ليصبح أكثر حضورا وانتشارا وفاعلية لعامة شرائح الشعب.

Abstract:

New Media has become an important role and the president and actor in the context of democratization and political reform among some of the people in many different countries, which provided a great opportunity to promote the participation of individuals in the discussions and dialogues, as it provided a public space for the general public, without exception, with politicians and decision makers on various events and issues, and has become a major partner in the most social and political protest movements in all countries of the world, as the new media played a major role for the sizeable enough during the Arab Spring, in dropping three Arab regimes, with the development of new media technologies created a new outlet for free expression without censorship, personal of one, and reinforced the values and political, economic and social rights through the means of modern diversified to become more visible and widespread and effective for the general population segments..

يلعب الإعلام دوراً مهماً في المجتمع بصورة عامة، ودوراً استثنائياً في مرحلة التحول الديمقراطي والإصلاح السياسي في المجتمعات المختلفة، فوسائل الإعلام لها دورها الجوهري في تعزيز الديمقراطية، بأبوابها محفلاً وطنياً يمنح صوتاً لفتات المجتمع المختلفة، ويسمح أيضاً بالنقاش والحوار وتحترم وجهات النظر للجميع دون استثناء، وهذا ما يؤكد بأن هناك علاقة قوية بين الديمقراطية وحرية الاعلام، وأنه لا يمكن ان تتحقق الديمقراطية دون وجود وسائل اعلام حره، توفر إمكانية اعطاء وادارة النقاش الحر بين الاتجاهات السياسيه والفكرية المختلفة، والاعلام الفعال الذي يفرز الديمقراطية ويؤثر فيها ويتأثر بها.

إن الاعلام هو أحد الادوات التي تدعم الاوضاع الديمقراطية في أي مجتمع من المجتمعات المختلفة، حيث تعكس طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع، وبين النخبة والجمهور، كما ان الاعلام الجديد بمختلف وسائله واشكاله أدى دوراً لا يستهان به في الحراك السياسي العربي، حيث اصبح قاعدة أساسيه، في بناء قواعد اللعبة السياسيه، بالاضافه الى أنه جزء من تاريخ المتغير السياسي والاجتماعي مقابل تدهور وتقهقر الاعلام التقليدي الرسمي.

ونتيجة لذلك يتضح انه ليس بالامكان القول بان الاعلام العربي له دور ايجابي في القضايا والاحداث العربيه، فهو فاقد في مجمله القدره على التعبير والتأثير وهوميثل حاله تبعيه قصوى وشامله للآخر، كما انه فاقد القدره في تحقيق الديمقراطية، ولايستطيع ان ياخذ على عاتقه الدفاع عن تحقيق هذه المطالب الانسانيه ن بل يكفي فقط بمايطلب منه، وفي سياق تحرير الفرد من مختلف أشكال التسلط والاستبداد السياسي، والحد من ثقافة البيروقراطي، وتفعيل راوفاً المجتمع المدني بتوفر المادة المعلوماتيه وكسر قيود الاحتكار الممارس عليه.

كل هذه الغايات قد تؤدي دوراً هاماً في عملية الحراك الديمقراطي السياسي العربي من خلال اعلام جديد قوي يواكب متطلبات العصر يكون له

الاثر البارز في قلب موازين القوى وتغير شكل خارطة العلاقات الدولية، ولكن الوقائع تشير الى أن الاعلام اصبح اليوم عنصرا مهماً في المشاركة السياسية ، وقد ظهرت قدرة الإعلام على التحكم في مجريات الامور السياسييه في الدول بعد تغلغل وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي كبعض المواقع الاجتماعيه الهامه مثل الفيس بوك وتويتر وغ وغيرها، حيث لعبت - وماتزال - هذه المواقع دورا هاما في تغير مجريات الحياه السياسيه والاجتماعيه في كثيرا من الدول والامثله الحيه كثيره وعديده ومتنوعه كل هذه الغايات تؤدي دوراً هاماً في عملية الحراك الديمقراطي السياسي العربي وتوجيه وفسح المجال للمطالبه بالاصلاح السياسي، من أجل انتاج نظم حكم جديده تتوافق والفلسفه الديمقراطييه

وهكذا فإن البحث سينطوي على ثلاثة مباحث فأما المباحث فسترد مرتبة ومعنونه على النحو التالي :-

المبحث الأول :-

تعريف الإعلام ثانيا: مفهوم الإعلام في الاصطلاح ثالثا: تعريف الإعلام الجديد

المبحث الثاني:-

أولاً:-استخدام وسائل الإعلام الجديد في تعزيز القيم الديمقراطية.

ثانياً:- دور القنوات الفضائية العربية في تحقيق الديمقراطية.

ثالثاً:- دور شبكة المعلومات الدولية في المشاركة الديمقراطية.

المبحث الثالث :-

دور وسائل الإعلام الجديد في التحول الديمقراطي في دول الربيع العربي.

وأخيرا وليس آخرا فهناك خاتمة وتوصيات ونتائج تتعلق بالبحث

ومن خلال هذه المقدمة المتواضعة سنحاول التركيز على دور الإعلام الجديد ودوره في عملية التحول الديمقراطي في العالم العربي.
فرضية البحث :-

ينطلق هذا البحث من الفرضيات التالية :-

- ✓ هل نجح دور وسائل الإعلام الجديد في تحقيق مرحلة التحول الديمقراطي في العالم العربي، وخاصة خلال ثورات الربيع العربي ؟
- ✓ ماهي السياسات الاحترازية التي وضعها الإعلام الجيد في نشر سياسته الاعلامية لمواكبة التطورات العالمية ؟
- ✓ كيف صار الإعلام الجديد خال من كل القيود والرقابة، على عكس الإعلام التقليدي ؟

أشكالية البحث :-

تتمحور اشكالية البحث حول دور وسائل الإعلام الجديد، وفي المقدمة منه مجالات الإعلام. فنلاحظ حجم التغير الواسع والسريع في التقنية الحديثة لعملية الاتصال السريعة، الأمر الذي أثر بشكل سريع وعميق على مخرجاتها وهل وسائل الاعلام الجديد قام بدوره في اداء رسالته أم لا ؟

أهمية البحث:-

يتم فيه تحليل معالجة وسائل الإعلام الجديد والتطورات التي حدثت خلال السنوات الماضية وأثرها على مرحلة التحول الديمقراطي والأصلاح السياسي في العالم العربي .

✓ تسليط الضوء على القضايا الفكرية والسياسية المطروحة في التعبير عن مشاكلها .

منهج البحث :-

استخدم الباحث المنهج التحليلي الوصفي، ونم التركيز على البحث من عدة جوانب وهي :

الأعتماد على المصادر وهي الكتب والدراسات السابقة والبحوث المتعلقة بالموضوع والمقالات وكذلك شبكة المعلومات الدولية .

تعريف الإعلام

مفهوم الإعلام في اللغة :-

الإعلام قديم الإنسان وقدم المجتمع البشرى - فمنذ أن وجد الإنسان على هذا الكوكب استخدم بعض الحركات - الشكل البدائي للإعلام - قبل أن يهتدي الإنسان الى اللغة، ثم وجد بشكله البسيط المتمثل في نقل الأخبار والمعلومات بصورة موضوعيه . فالإعلام من حيث اللغة يعني:- إخبار أو اطلاع الآخرين ويحوي معنى التعليم، ويعني بالانجليزيه : information أي المعلومات (1)

وجاء في معجم محيط المحيط " بطرس البستاني " الإعلام في اللغة : مصدر أعلم وأعلمت كأ ذنبت ويقال استعلم لي خبر فلان وأعلمتية حتى اعلمه، وأستعلمي الخبر، وأعلم الفارس، جعل لنفسه علامه الشجعان واعلم الفرس علق عليه صوفاً أحمرأ وأبيض في الحرب واعلم نفسه وسمها بسيماء الحرب (2) والإعلام في اللغة مشتق من أعلم ، يقال أعلمه إعلاماً بمعنى إخباراً (3) و يمكن تعريفه بأنه تبليغ مايراد تعليقه بوسيله الكلام أو مايقوم مقامه من رموز وإشارات (4) .

ثانياً: مفهوم الاعلام في الاصطلاح:-

- الاعلام هو احاطة الراى العام علماً بما يجري من أمور وحوادث سواء في الشؤون الداخليه أو الخارجييه (5) .
- هو نشر الاخبار والاراء على الجماهير (6) .
- تزويد الناس بالاخبار الصادقه والمعلومات الصحيحه والحقائق الثابته التي تساعدالناس على تكوين رأي صائب في واقعة معينه (7) .

➤ النقل الحر والموضوعي للأخبار والمعلومات بأحدى الوسائل الاعلامية أو نقل الاخبار والوقائع بصوره صحيحة⁽⁸⁾.

وإذا كان لفظ الاعلام قد شاع في هذه الايام كنتاج لحضاره العصر وإمكانياته الاتصاليه فإن ذلك لا يعنى أن الأعلام ظاهره حديثه.

ثالثا / تعريف الأعلام الجديد :-

إن مفهوم مصطلح الاعلام الجديد هو مصطلح واسع النطاق ظهر في الجزء الاخير من القرن العشرين ليشمل دمج وسائل الإعلام التقليدية مثل الافلام والصور والموسيقى والكلمة المنطوقة والمكتوبة، مع القدرة التفاعلية للكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصالات والكمبيوتر .

ويعرف قاموس التكنولوجيا الرفيعه HiJh-Tech Dictionary الإعلام الجديد مختصر ويصفه بأنه اندماج الكمبيوتر وشبكات الكمبيوتر والوسائط المتعدده. وبحسب Lester الإعلام الجديد بأختصار هو مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكمبيوتر والوسائل التقليديه للإعلام الطباعه والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو .

ويعرف قاموس الانترنت الموجز condensed net Glossary تعبير الإعلام الجديد بأنه يشير إلى: أجهزة الإعلام الرقمية عموما ، أو صناعة الصحافه على الانترنت، وفي أحيان يتضمن التعريف إشارة لأجهزة الإعلام القديمه وهو هذا تعبير غير انتقاصي يستخدم أيضا لوصف نظم إعلام تقليدى جديد الطباعه، التلفزيون، الراديو، السينما .

• ويعرفه جونز Jones الذي يقر أولا بعدم وجود إجابة وافية وقاطعه عن السؤال : ماهو الإعلام الجديد ؟ ويبيّن إجاباته على ان هذا الاعلام هو في مرحلة نشوء " الإعلام الجديد هو مصطلح يستخدم لوصف اشكال من انواع الاتصال الالكتروني اصبح ممكنا باستخدام الكمبيوتر كمقابل للإعلام القديم التي تشمل الصحافه المكتوبه من جرائد ومجلات والتلفزيون والراديو - الى حد ما وغيرها من الوسائل الساكنه .

وتضع كلية شريديان التكنولوجية Sheridan تعريفا عمليا للإعلام الجديد بأنه :-
كل انواع الاعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي ، وهناك حالتان
تميزان الجديد من القديم حول الكيفية التي يتم بها بث مادة الاعلام الجديد
والكيفية التي يتم من خلالها الوصول الى خدماته ، فهو يعتمد على اندماج النص
والصوره والفيديو والصوت ، فضلا عن استخدام الكومبيوتر كاليه رئيسه له في
عملية الانتاج والعرض، اما التفاعليه فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي
أهم سماته .

أما تعريف البهبهاني والبرغوثي: ان الأعلام الجديد عمليه عرض العالم
بكل ابعاده العقليه والسياسيه والاقتصاديه من دون حاجات الى عبارات مثل
اصبح الإعلام حاجه حيويه للكيانات الجماعيه والمجتمعات، ذلك أن الإعلام لم
يصبح كذلك، بل كان كذلك منذ كان، أما تقنيات بثه واستيداعه واسترجاعه فهي
تطورات ماديه جاءت ضمن سياق التطور الانساني الذي يجعل كماليات اليوم
ضروريات الغد.

وهناك مصطلح حديث، يتضاد مع الإعلام التقليدي ، لكونها لإعلام
الجديد لم يعد فيه نخبه متحكمه أو قادة إعلاميون ، بل اصبح متاحا لجميع شرائح
المجتمع وافراده الدخول فيه واستخدامه والاستفاده منه طالما تمكنوا واجادوا
أدواته.

من جملة التعريفات السابقه يمكن القول أن الأعلام الجديد يشير الى حالة
من التنوع في الاشكال والتكنولوجيا والخصائص التي حملتها الوسائل المستحدثه عن
التقليديه خاصة فيما يتعلق باعلاء حالات الفرديه Individuality والتخصيص
customization وهما تأتان نتيجة لميزة رئيسه هي التفاعليه⁽⁹⁾ .

ويكتسب الاعلام ضمن إطار ثقافي وتاريخي وحضاري سمات العصر
الذي يولد فيه وخصائصه، وفي الواقع ان عصر المعلومات أفرز نمطا إلامياً
جديدا يختلف في مفهومه وسماته وخصائصه ووسائله عن الانماط الاعلاميه
السابقه، كما يختلف في تأثيراته الاعلاميه والسياسيه والثقافيه والتربويه الواسعه

النطاق لدرجة أطلق فيها بعضهم على عصرنا هذا اسم عصر الاعلام ، ليس لأن الاعلام ظاهره جديده في تاريخ البشريه ، بل لان وسائله الحديثه قد بلغت غايات بعيده في عمق الأثر وقوة التوجيه وشدة الخطوره أدت إلى تغييرات جوهريه في دور الإعلام ، وجعلت منه محورا اساسيا في منظومة المجتمع⁽¹⁰⁾.

ويطلق الباحثون على الاعلام الجديد العديد من الالفاظ والمسميات التي تصفه أو تعرفه وفقاً لوظائف وادواته فهناك من يصفه بأنه إعلام عصر المعلومات على اعتبار أنه ناتج عن تزاوج ظاهرتي تفجر المعلومات والاتصالات عن بعد، وهناك من اطلق عليه الاعلام البديل بعد ان نجح في كسر احادية خطاب اعلام السلطه وايضا اعلام المواطن أو الأفراد من خلال المدونات الالكترونيه ومنتديات الحوار، ومواقع التواصل الاجتماعي وكذلك الاعلام الرقمي والتفاعلي الذي اتاح امكانية مشاركة المستخدم، وتحقيق درجة اعلى من التفاعليه والتحكم في الاتصال ويسمى اعلام الوسائط الشعبيه لطبيعته المتشابهه، كما يطلق على بعض تصنيفاته اعلام الوسائط المتعدده لحالة الاندماج التي تتم داخله بين النص والصوره والفيديو.⁽¹¹⁾

إن الأعلام الجديد أو البديل لم تتضح معالمه بعد من حيث المفهوم الموحد، فعلى الرغم من أنه أحدث نقله نوعيه مقارنة بالأعلام الرسمي التقليدي على اختلاف اشكاله الالكترونيه ومواقع اجتماعيه ومدونات الكترونيه وبوابات ومواقع الحادته وغيرها ، فقد عرفت هذه الادوات تحولات مفاهيمه واستخداماته متنوعه. لكن لم يتفق الى غاية الآن على مفهوم موحد للأعلام الجديد أو البديل، وبالتالي البنيه المصطلحاتيه له.

المبحث الثاني: استخدام وسائل الإعلام الجديد لتعزيز القيم الديمقراطية

لقد جاءت وسائل الإعلام الجديدة بأشكالها المتعددة والمتنوعة بشكل غير مسبوق في العملية السياسية، وفي العملية الاتصالية، حيث صار لهم صوت مسموح في الساحة السياسية، واتيحت لهم امكانيه التعبير الحر عن ارائهم وانشغالهم، مما جعل لوسائل الاعلام دور اساسي وفاعل ومؤثر وقوي في الجانب

الديمقراطي بشكل مباشر وغير مباشر في المبادئ الانسانية وبشكل سلطة معرفيه واخلاقية، فإن هذه الحقائق تمثل تحديات كبرى امام قدرة الاعلام على الاسهام في التحول الديمقراطي وحتى يتمكن الاعلام من مواحهة هذه التحديات يتعين عليه ان يفسح بروية واضحة لدوره ومهامه المجددة في انجاز هذا التحول وتخطي العوائق والعقبات التي تعرض سبيله، فالأحتكار داء الفكري المباشر لاوجود له، ومن ثم فلا أمل في التوصل الى قرار يرضي الجميع ويعكس أفكارهم بشكل من الأشكال.

واذا كان يتبادر الى الذهن أن النظم الديمقراطية المعاصره تستطيع دائما التوصل الى مانريده عن طريق المناقشات وتبادل الاراء بواسطة وسائل الاعلام والمؤسسات البرلمانيةالمختلفه . الا ان الذي لاخلاف عليه هو ان القرار الذي يتم التوصل اليه بالاحتكار الفكري المباشر غير القرار الذي تتمخض عنها المناقشات التي تدور بطول الامه وعرضها عن طريق الاجهزه ووسائل الاتصال غير المباشر، ففي الغالب الاعم لاتتم هذه المناقشات غير المباشره من أجل الوصول الى اتفاق، بل من أجل الحصول على تأييد اغلبية الجماهير⁽¹²⁾.

كما تلعب وسائل الأعلام في توجيه السياسه سواء على المستوى المحلي أو المستوى الدولي، فوسائل الأعلام تعد المصدر الرئيسي للمعلومات السياسيه وتأثيرها على مختلف القضايا المختلفه، وهو يمثل المرآة العاكسة لأهم القضايا التي تثير الساسة وصناع القرار، فضلاً عن رفع وعي المواطنين بأهمية المشاركة السياسية من خلال المساهمة في نشر المعلومات المتعلقة بحقوق الانسان وتعزيز لغة التسامح والمساهمة وتعزيزالروح الوطنية وتفعيل المبادئ الديمقراطية والمعايير المنصوص عليها في المعاهدات الدولية لحقوق الانسان والصرخات المدوية التي تجتاح العالم اليوم من أجل إقامة العدل والمشاركة وقيام المؤسسات الديمقراطية وسيادة القانون.

وقد وفر الأعلام الجديد للشعوب العربية المتعطشة للحرية والعدالة، وبالتالي أصبح الشعب العربي يرفض السلطة الفوقية، وعمل على كسر أحتكار

المعلومة ، كل هذه التغيرات تعزز أهمية دور الاعلام في الدفاع عن الديمقراطيات واختيارها ولاسيما الديمقراطيات الناشئة من خلال القنوات الفضائية المتعددة على الدوام في نشر الوعي الديمقراطي وتوسيع نطاق الحوار السياسي وتقوية المعايير الاجتماعية والسياسية بين افراد المجتمع الواحد .

وهذا مما يعد أن وسائل الأعلام الجديدة ضرورة لاغنى عنها في دعم المسيرة الديمقراطية فهي تنشر الاخبار والمعلومات عن القضايا العامه والاحداث السياسية التي تهتم الجمهور، وهي كذلك تطلع قادة الحكومات وأعضاء الاحزاب السياسية على وجهات نظر واتجاهات الجمهور ، ولكن هناك العديد من العيوب والسلبيات في وسائل الاعلام التقليدية. ومن أهم هذه العيوب الاحتكار، حيث تكون وسائل الاعلام محصورة في عدد قليل من الشركات أو الاحزاب ، الجهات الحكومية الرسمية .

مما ينتج عنه ظهور اصوات قليلة وأراء محدودة ، ويرى بعض الباحثين ان الاعلام الجديد new media سيؤدي الى ظهور مفهوم جديد للممارسة السياسية تحت اسم موازي هو السياسة الجديدة new politics والمقصود أن العمل السياسي سوف يتطور الى الافضل عن طريق وسائل وأدوات الاعلام الجديدمثل إستطلاعات الرأي الفورية وطرق جديدة في إدارة وتصميم الحملات الانتخابية. وهذا بالتالي سيؤدي الى تحقيق المجتمع المدني civil society بمعناه الصحيح والكامل حيث تكون المشاركة في النقاش والمناظرة مفتوحة للجميع⁽¹³⁾.

وتعد المشاركة السياسية من أهم المواضيع المثارة في عالمنا اليوم ، لما لها من اثر في أرساء البناء المؤسسي للدولة على الاصعدة السياسي والاجتماعية والاقتصادية كافة. وفي مجتمعنا المعاصر تجلت الديمقراطية ضمن مؤشرات يمكننا ملاحظتها ورصدها من خلال ماتضمنتها الحرية، تلك التي اخذت اولا مفاهيم تتعلق بالاستقلال السياسي أو الاقتصادي، المشاركة السياسية وحقوق الانسان. وثانيا تحقيق قيم الديمقراطية واهدافها ونقلها من مستوى الاطروحات النظرية الى مستوى الفعاليات الانجازية وسياسات تطبيقية، وعموما فإن وسائل الإعلام لاثير

نقاشات جادة حول القضايا العامة، وهي ابعدها ما تكون عن بث القيم أو طرح النماذج السلوكية التي تغذي الممارسة الديمقراطية .

إذ تنقل من القمة الى القاعدة، دون القيام بالتغذية العكسية، بمعنى نقل ردود افعال القاعدة الى القمة. فالإعلام الجديد، هو مصطلح كثيرا ما نسمعه بين الناس يتحدثون عنه وكأنه غائب غريب، أو خيال يعرفونه ولا يفهمونه، وبين آخرين يرونه موجودا في جميع انشطتهم اليومية حتى أكلهم وشربهم ، هذا الاعلام الجديد ثورة في ذاته فلسفة وفكرا قبل أن يكون سببا في ثورات أخرى، وللحديث عن مصطلح ما يلزمنا معرفة فلسفته ومبادئه ثم نظامه وقانونه وبعد ذلك تبرز أدبياته وابداعاته ، فإلى عالم الإعلام الجديد الذي يدعوا الى الحرية التي تشمل حرية المشاركة الشعبية في التعبير وإنشاء المحتوى ونشرة وتسويقه وهذه الحرية قيمة ضمن منظومة قيم أخرى تتكامل مع بعضها ، نادت بها الحضارة الإسلامية منذ بدأها في كل مجالات الحياة متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا الفارق عمر رضي الله عنه إن من حرية العدالة وعدالة الحري هان يكون اعتبارها وهمها تحقيق العدل والانتصار للمظلوم .

في هذا الإطار يمكن توضيح الوسائل التي تحقق بها تلك القنوات دورا سياسيا وديمقراطيا وفاعلا وهو على النحو التالي :-

أولا/ دور القنوات الفضائية العربية في تحقيق الديمقراطية :-

لم يكن ظهور وانتشار القنوات الاخبارية الفضائية العربية في التسعينيات مجرد تطور شديد الأهمية في مجال الإعلام السياسة العربية كلها نظرا لدورها وتأثيرها على مختلف جوانب الحياة السياسية العربية وتملك القدرة على القيام بدور الاحزاب السياسية في ترسيخ نظم الديمقراطية الفاعلة، وعلى الصعيد الدولي قامت تلك الشبكات بإسهامات هائلة في مجال تدفق الاخبار ونشر الآراء الخاصة بالنزاعات الاقليمية والمشاكل الداخلية على كافة المستويات، لكن الى مدى يمكن للقنوات الفضائية العربية أن تلعب دورا داعما ورائدا في نشر

الديمقراطية العربية ؟ وتعتبر القنوات الفضائية وسيلة إعلامية مختلفة عن الإعلام الحكومي⁽¹⁴⁾.

أن الإعلام المرئي والمسموع هو بالحقيقة العنصر الأساسي في تشكيل القنوات وبالتالي السلوك الحقيقي للشخص الساعي لبلورة هذه القنوات من خلال منهجية سلوكية مجتمعية تسعى الى النهوض بالمجتمع على اسس من العدالة والديمقراطية والنظام وحيث أن لاديمقراطية بدون مشاركة، ولامشاركة بدون قنوات وحقائق في نفس المواطن العربي، الى أن جاءت ثورة الإتصالات واصبح الاعلام ومن خلال ماتقدمه الفضائيات من معلومات وحقائق بمثابة العامل الرئيس في صقل العقول واحداث التغير في العالم العربي.

ولتحقيق ذلك تحاول القنوات الاخبارية تسليط الضوء على كل حدث وخصوصا مصير الانتخابات والمشاكل السياسية، ثم تضيف من عندها الكثير من عوامل الصوتية وإدخال التحليل السياسية التي غالبا ماتكون مبرجة مسبقا لإيصال وجهة النظر التي ترغب بها الى المشاهد وهذا يقودنا الى طرح سؤال مفاده هو هل هذه الفضائيات مشروع سياسي أم اعلامي ؟ وماهي رسالتها المكلفة بها ؟ ولو أن فرضنا أن رسالتها هي الدعوة الى تعليم أسس الديمقراطية للشعب العربي، فتعلم الديمقراطية لا أظن أن هناك فضائية عربية تستطيع أن تتبنى هذه الرسالة، والممارسة الديمقراطية في أي مجتمع كان، ولكن العمل السياسي يبدأ في اي مجتمع من المجتمعات من خلال الأسرة والمؤسسة التعليمية والأندية الاجتماعية وغيرها.

فوسائل الإعلام المسموعة منها والمرئية على حد سواء، تبقى مجرد وسيط يلعب دورا مهما بين المجتمع ومؤسساته، ولكنها لاتستطيع أن تشارك بصورة مباشرة في عملية اتخاذ القرار السياسي في ظل غياب بديل عقلائي وسطي للنخب العربيه الحاكمة في المرحلة الحالية⁽¹⁵⁾.

ووسائل الاعلام المختلفة تمثل مرآة المجتمع وتقوم بدور الوسيط في الاتصال السياسي وتساعد في صياغة وتشكيل الحقيقة الديمقراطية التي تمنح

وسائل الإعلام حرية التعبير عن القضايا التي تثير الجماهير والساسة وصناع القرار.

ثانيا/ دور شبكة المعلومات الدولية في تعزيز العمل الديمقراطي :-

ظهرت ادوات جديدة للإعلام الجديد أهمها مواقع الشبكات الاجتماعية على الانترنت منها، الفيس بوك" facebook" وتويتر" Twitter" وماي سبيس"myspace" وغيرها من شبكات التواصل الاجتماعي على الانترنت، حيث استطاعت هذه الشبكات أن تخلق إعلاما مختلفا عن الإعلام التقليدي في الطشاور في الافكار والتفاعل مع الأحداث أول بأول على مدار الوقت، فهي تسمح بفضل البريد الالكتروني وامكانيات المحادثة عن بعد بتبادل المعلومات والافكار والاراء.

كما تساعد على نشر المعلومات الادارية وتسهل التفاعل بين أهل الحكم والمواطنين وتسمح لافراد متباعدين بأن يتشاركو الافكار ويوحدوا الجهود وينظموا صفوفهم، هذه التحولات جعلت البعض يتحدث عن د مقرطة وسائل الاعلام الجديد بفضل الثورة التقنية التي عمت دول العالم، والتي من خلالها نشر الوعي الديمقراطي واندلاع الثورات العربية، ومايصفي اهمية كبرى على هذا التحول، أنه يتم بأيدي الناس أنفسهم بمختلف توجهاتهم وانتماءاتهم ومستوياتهم الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، واسس هذا الاعلام الجديد لثقافة مسؤولية الكلمة بنفي الخوف من عيون الدولة ومخبريها، وعبر الشجاعة والجرأة في الطرح وتحمل مسؤولية حرية التعبير عن الاراء والأفكار.

مما جعل ظهور، شبكة المعلومات الدولية ثورة في مجال تحقيق الديمقراطية لأنها خلقت فضاءات عامة عامة جديدة سمحت للأصوات المتعددة أن تعبر عن نفسها - حيث أصبحت هذه الفضاءات العامة الجديدة مجالات حيوية لنشر الأفكار التقدمية، ومن ناحية أخرى يمكن أن تكون مجالا من قبل الدولة، فالإنترنت بفضائها المعلوماتي الواسع الافاق فرصة جديدة ، لكي يمارسوا حقهم الديمقراطي ويقدموا رؤاهم لمستقبل مجتمعاتهم إلا إنهم لابد لهم لكي يقوموا بشكل فعال بهذه الوظيفة إتفاق كيفية التعامل الفعال مع هذه التكنولوجيا

الجديدة، وهذا سيؤدي الى بزوغ نوع جديد من انواع الديمقراطية هي ديمقراطية الفضاء المعلومات، حيث سيتم تعليم الشعب كيف يستخدمون شبكة المعلومات الدولية؟ وكيف يكونون آراءهم المستقلة بدلا من ان يكونوا ضحايا هيمنة الميديا بكل أنواعها كالجرائد والاذاعة والتلفزيون التي تسيطر عليها الحكومات في غالب الاحيان وهذه الديمقراطية ستقوم على أساس تعدد الاصوات الفكرية وعدم هيمنة التفكير الاحادي على عقول الشعوب والمجتمعات، والوقائع أن الديمقراطية الفضاء المعلوماتي باعتبارها شكلا مستحدثا من أشكال الديمقراطية تطرح العديد من الموضوعات والآراء على كافة الشعب دون استثناء.

ويظل الاعلام الجديد متأثرا بشكل كبير من قبل رجالات الإعلام التقليدي. أن جل المستخدمين لهذه الشبكة هم كتاب الصحف التقليدية والعاملين في القنوات الاخبارية مع بعض الاستثناءات. أن الأعلام الجديد هو بأختصار مرحلة أنتقالية من الر كود ألي الوعي السياسي من الانسيابية الى القيادة، وبالتأكيد مرحلة انتقالية في تغير شكل الحكومات العربية والمجتمع المدني.

إن أستخدم تقنيات شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية لترويج المعارضة، والاصلاح السياسي يضيفي مصداقية على نموذج الديمقراطية الاعلامية من خلال الشبكة العنكبوتية العالمية وخاصة web2.0 وسيط قوي لتسهيل نمو ديمقراطية الاعلام، حيث إنها توفر لمستخدميها صوتا ومنبرا وإمكانية الوصول الى وسيلة أنتاج⁽¹⁶⁾.

ومن بين السمات الاساسية للشبكات أنها تمكن الافراد على تفكيهم مع مجتمعمهم والتواصل فيما بينهم، وكذلك تفيد في تحسين مستوى الخطاب والحوار بين المجتمع وابداء الآراء دون خوف، وكذلك تفيد في معرفة طريقة تفكير الآخرين، كما يمكن اعتبارها منبرا جديد للتعبير عن الذات وهو مايزيد ثقة الفرد في نفسه، فضلا عن الرصيد الهائل من حرية التعبير عن الرأي دون الخوف من أي ملاحقة من أحد، وهذا يشجع على تحقيق أكبر قدر من الديمقراطية في المجتمع

وجعلت من حرية الاعلام حقبة لامفر منها فضلا عن كونها تستند الى اعلام متعدد الوسائط يتسم بالانتشار وعالية الوصول .

مما حققت الاتصالات نجاحا باهرا لم يسبق له مثل بفضل التطور التقني المذهل على مختلف الاصعدة والمستويات، واصبحت هذه الوسائل مدخل في كل جوانب الحياة حتى ان مثل هذه الوسائل اصبحت العامل الرئيس الذي يحدد مصير الانتخابات في بعض دول العالم .

شبكة التواصل الاجتماعي :- تقوم شبكة التواصل الاجتماعي ، بدور فاعل ومؤثر وإيجابيا فتمكين الناس من التعبير عن طموحاتهم ومطالبهم في حياة حرة من خلال مشاركتهم في تغذية هذه الشبكات بالأخبار والمعلومات والمساهمة بشكل فعال في صناعة وإدارة المضامين الاعلامية وجعلتهم اكثر تفاعل ومشاركة في مختلف القضايا.

وهذه الشبكات هي البديل المائل لأنشطة الماضي التقليدية وحالة التفاعل بين المجتمعات اليوم مع البيئة، وقد نشط جزء كبير من شبكات التبادل في ايقاظ الوعي العربي، حيث سمحت الشبكات الاجتماعية لملايين من الافراد بتنظيم تحركاتهم بسرعة ومهارة ومرونة تفوق بكثير الابنية والانظمة السياسية وعلى تحقيق المشاركة السياسية بفاعلية .

المبحث الثالث

دور وسائل الإعلام الجديد في التحول الديمقراطي في دول الربيع العربي رافق الإعلام العربي التحولات السياسية التي مرت بها معظم المجتمعات العربية منذ خمسينيات القرن الماضي، وكان له دور هام في تغطية الأحداث السياسية البارزة وفترات الانتقال التاريخية، منذ تأسيس الدولة العربية الحديثة، إلى مراحل الازمة والصراع على السلطة، وصولا الى زمن الثورات الشعبوية الأخيرة، ومع اختلاف الظروف التي قامت من اجلها ثورات الربيع العربي، إلا ان القواسم المشتركة من بينها يتصدرها الكبت والقمع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والامني ، وانتهاك ايسر حقوق الانسان لمصلحة بقاء النظام ، فضلا عن الظروف

الاقتصادية الصعبة التي تعيشها هذه الشعوب وفي عدم تحقيق عدالة التوزيع لتلك الموارد تعد جميعها أسباب لانهايار شرعية تلك الانظمة والبدء في عملية التحول الديمقراطي التي يكون دائما من أحد أهدافها التنمية الاقتصادية الشاملة ، وعدالة توزيع الموارد الاقتصادية للدولة لذلك فإن الاقتصاد قد يكون إما عاملا محفزا لعملية التحول الديمقراطي، فلكل دولة عربية إعلامها أو لنقل طريقتها في الإعلام ولكل دولة قنواتها الفضائية العامة والخاصة.

ولكل دولة خطابها الإعلامها فإن واقع الثورات العربية، حتى الآن ينبئنا بأن المعضلة الإعلامية لاتحل بمجرد نجاح هذه الثورات وتحولها الى حقائق ملموسة على الأرض ، وصار لشبكات الاعلام الجديد في ثورات الربيع العربي دورا رائد في تفعيل وإنجاح الحركات التغييرية حيث تولت إدارة دفة قواعد التغيير مجموعات تمثل جيل الشباب المحروم، والذي يعاني الاقصاء والتهميش وقمع الحريات، المتطلع الى التحرر السياسي ومستقبل أفضل، هذه التطورات في وسائل الاعلام الجديد وتحولها الى حقل المشاركة السياسية، يقود بالضرورة للحديث عن الثورات العربية الاخيرة التي تجسد فيها مفهوم المشاركة كأحد العوامل الرئيسية التي ساهمت في إسقاط ثلاث أنظمة عربية خلال الثمان أشهر من عام 2011، وهي أنظمة الحكم في تونس ومصر وليبيا.

كما اتضحت العلاقة بين التغيير الديمقراطي المنشود وشبكات الإعلام الجديد، فالديمقراطية الالكترونية- التي تعتبر امتدادا طبيعيا للديمقراطية التقليدية - تحولت إلي ملاذ الشعوب المضطهدة، الرامية إلى التمتع والعيش في كنف حياة سياسية وديمقراطية معتبرة لطالما ناضلت من أجلها عبر التاريخ⁽¹⁷⁾. والواقع أن الإعلام الجديد بأشكاله المتعددة والمتنوعة ساهم مساهمة فاعلة في ثورات الربيع العربي، وفتح أبواب مجالات المشاركة السياسية في شكل جديد، من خلال فتح منتديات ومواقع الكترونية، مخصصة للحوار والمشاركة السياسية بطريقة لم تكن متوفرة في السابق.

ورفعت هذه الثورات من خلال هذه الشبكات شعارات عديدة متعلقة بالاصلاح السياسي، ومبادئ الحرية والعدالة التعددية وينطلق مسارها العملية الديمقراطية ونبذ عمليات العنف والارهاب داخل هذه البلدان، وهذا مما عزز وقوي من دور الاعلام الجديد في الثورات العربيه وتعزيز قيم المشاركة السياسية، وصنع القرار السياسي، بين جميع قطاعات المجتمع، ويتيح المزيد من القنوات الاعلامية الجديدة ، وهذا يعني أن نافذة كبيرة فتحت امام الراى العام، للتفاعل مع قضاياها، وابداء رأيه فيها منبها الى أن المواطن اصبح اليوم مصدرا للمعلومة، وليس متلقيا لها فقط. كما كان في السابق، وأن ماينشر من أخبار على مواقع التواصل الاجتماعي، لم يعد يعترف بالملكية الفكرية، ولم يعد معه أي مجال للتتبع الفضائي حول مصدرها .

الخاتمة:

صارت وسائل الإعلام الجديد لها دورا رئيسا وفاعلا في تشكيل سياق التحول الديمقراطي والاصلاح السياسي، وهي أداة أساسية في الانتقال الى الديمقراطية ولإصلاح السياسي بمعناه العام في المجتمعات المختلفة، وخاصة في المجتمعات الديمقراطية يجب أن يكون تبادل الآراء والمعلومات فعلا عاما وليس أمرا محصورا بالنقاش الخاص.

كما لا يمكن لحرية التعبير أن تعزز الحريات الديمقراطية، بشكل فعال وبدون وسائل الاعلام الجديد يستحيل على ثقافة الديمقراطية أن ات تنمو، ففي العالم المعاصر تعتمد الديمقراطية على وسائل الأعلام المتعددة، والمستقلة والتي يمكنها أن توفر منصة النقاش الديمقراطي وبالنظر إلى البيئة الإعلامية العربية، نجد أن الاعلام العربي بمختلف انماطه وألوانه لم يصل بعد الى هذا المستوى من الحرية ولم يحقق حتى اليوم رسالته الاعلاميه للقيام بدوره في تدعيم الديمقراطية تتمثل في طبيعة العلاقة مع النظام السياسي وكان هذا نتيجة سيطرة مركزية وسائل الاعلام التقليدية المركزية.

ولكن بفضل التقنية الجيدة أصبح بإمكان الافراد والمؤسسات مخاطبة الجميع مباشرة وبتكلفة معقولة، وقد حققت وسائل الأعلام الجديد العديد من الايجابيات ربما لم تستطيع أن تقدمها وسائل الأعلام التقليدية بسبب محدودية الوسيلة، لكن مانراه اليوم أن الأعلام القديم ما يزال مصدرا للخبر لدى الجمهور عامة.

وتعد التقنية الحديثه في وسائل الإعلام الجديد جانبا مهما في حياة الشعوب في كافة انحاء العالم، وبات تأثيرها يتصدر أحداث الساعة.

❖ هوامش البحث:

- (1) رشاد عبداللطيف، تنمية المجتمع وقضايا العالم التربوية، دار المعرفة الجامعية، ص 135.
- (2) بطرس البستاني، محيط المحيط مادة علم ص 639.
- (3) رشاد شحاتة أبووريد، مسئولية الإعلام الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1999، ص 8.
- (4) أحمد عبدالعزيز المبارك، أجهزة الاعلام ودورها في توجيه المجتمع، ابوظبي دائرة القضاء الشرعي 1977م ص 67.
- (5) جمال عفيفي، جريدة الصحافة، 1971، ص 26.
- (6) إبراهيم إمام، العلاقات العامة والمجتمع، القاهرة، مكتبة الانجلو، 1981، ص 316.
- (7) ضوابط الإعلام في الشريعة الإسلامية المملكة العربية السعودية، الرياض، 1979 ممصر، ص 4.
- (8) محمد عبد القادر، دور الإعلام، في التنمية، وزارة الثقافة والإعلام، ص 102.
- (9) مها فالح ساق الله، تقرير، عن ماهية الإعلام الجديد، الجامعة الإسلامية غزة، لعام 2013م، شبكة المعلومات الدولية - نت.
- (10) نسرين حسونة، الإعلام الجديد، المفهوم والوسائل والخصائص والوظائف، مدونة الصحافية، شبكة أمين الإعلامية.
- (11) الأعلام الجديد، التصور والمفهوم، Adder Mohammed الأثنين 10 / 9 / 2012.
- (12) فضل الله محمد إسماعيل، رواد الفكر السياسي العربي الحديث، مكتبة المعرفة، 2006، ص 220.
- (13) خالد بن عبد الله الحلو، بحث مقدم، في المنتدى السنوي السادس للجمعية السعودية للاعلام، جامعة الملك سعود الرياض، 15-16 - أبريل 2012.
- (14) جلال بن الدين، الانتشار الفضائي، مجلة أذاعه وتلفزيون، الخليج العدد 70، يوليو، 2007، ص 73.

(15) مفهوم حرية الصحافة، في العالم العربي، الجز الخامس، أرشيف الصحافة والأعلام بتاريخ 27 / 2012 م .

(16) Kidd Jenny . Are new Media Democratic?

(17) يوسف أزروال، الإعلام الجديد، وموجة التغير العربي، صحيفة الرؤية، العدد 647 بتاريخ 15 / 9 / 2014 .

عوائق الاتصال الإلكتروني عبر النت بين الإدارة وأعضاء هيئة التدريس الجامعي

الدكتور: بوجمعة كوسة

جامعة جيجل، الجزائر

الملخص:

تحاول هذه الدراسة التركيز فقط على مدى نضج إدارة المؤسسة الجامعية الجزائرية في تطبيق آلية الاتصال عبر الإنترنت، وبالبريد الإلكتروني على وجه الخصوص مع هيئة التدريس، ومدى تقبل هيئة التدريس لهذه الآلية؟ وهل أصلاً الطرفان مهيآن لتطبيق هذه الآلية وتقبلها والتفاعل معها إيجابياً؟ وما هو واقع تطبيق هذه الآلية وما هي الصعوبات؟ وذلك من خلال دراسة ميدانية لعينة من هيئة التدريس لقسم علم الاجتماع في جامعة جيجل، عبر استمارة بحث ترمي لمعرفة اتجاهات هذه الفئة من هذه الآلية من التواصل، أم أن كلا الطرفين لا يزالان يؤمنان بالإدارة الورقية فقط.

Abstract:

This study deals with the application of online communication mechanism, and faculty deal with e-mail in Algerian universities, to see how the faculty accepts this mechanism? Does the university administration and university professor ready to apply this mechanism and interact with it positively? What is the reality of the application of this mechanism and what are the difficulties? Researcher tries to answer these questions through a field study of a sample of the faculty of the Department of Sociology at the University of Jijel, through the search form aims to know the trends of this category of this mechanism of communication, or that both parties still believe in paper management only.

إذا كان القرن العشرون قد شكل منطلق الثورات التكنولوجية المتلاحقة في مجالات مختلفة، فإن الملمح الأساسي لهذا العصر يتجسد في ثورة الاتصال والمعلومات والتفجر المعرفي. وفي قلب هذه الثورة تأخذ وسائل الإعلام الجماهيرية مكانا يتميز بالأهمية والخطورة، خاصة مجال الإعلام الضوئي الذي استحوذ على خصائص الاتصال الذي يستجمع فنون الصوت والصورة واللون والحركة. فقد أتبح للانترنت أن تتجاوز حدود التوقعات العلمية الخاصة بالدور الذي يمكن لها أن تلعبه في حياة الناس، وفي حياة المجتمعات الإنسانية. إذ استطاعت تجاوز مهمتها الأساسية في تحقيق الاتصال بين الناس ونقل المعلومات، أن تتحول إلى عصب الحياة السياسية والاجتماعية والتربوية.

والمجتمع الجزائري باعتباره أحد المجتمعات التي لا تزال إلى حد كبير تسعى للحفاظ على هويتها وغرس توجهها وأنماط ثقافتها في أفرادها، لم يعد باستطاعته أداء دوره بشكل سليم؛ نظرا لاختراقه من وسائط فكرية وتربوية تتنافى في الكثير من الأحيان مع أسسه وعقائده وعاداته التي يستلهم منها قيمه الأخلاقية، والتي تعمل على توجيه سلوك الأفراد وتنظيم رغباتهم وتحقيق احتياجاتهم.

وتشكل اليوم مختلف المواقع الانترنيتية مطمح الجميع خاصة الفئة المثقفة، ونخص فئة أساتذة الجامعة الذين يقضون ساعات طويلة أمام صفحات الويب يتصفحون مختلف المواقع وإيميلاتهم بشكل دوري، وكذا شبكات التواصل الاجتماعي، والتي قادت إلى ترشيد وعي الأساتذة وسلوكياتهم. وغني عن البيان أن الانترنت أصبحت ضرورة حتمية لكل باحث سواء لأبحاثه الخاصة أو لمساعدته في تحيين وترصد كل ما هو جديد، ناهيك عن حتمية الاتصال بها عن طريق الإيميلات.

إن اختيار هذا الموضوع فرضه الدور المتزايد الذي باتت تلعبه التكنولوجيا عموما والإعلام المتصل بها بشكل خاص، حيث قمنا بإجراء دراسة ميدانية على

عينة من أساتذة جامعة جيجل للوقوف على تأثيراتها في تعاملاتهم المهنية فيما بينهم وبين الإدارة.

أولا: الإشكالية:

لقد انتشر استخدام الانترنت في العالم على وتيرة متسارعة جدا وتعددت في ذلك أساليب استعمالها وبرامجها، وكذا أنظمتها وموادها المنشورة إلى درجة يصعب تحديدها واستيعابها. حيث صارت شبكة الانترنت قادرة على تشكيل أنماط شخصية الأفراد وتوجيه سلوكهم، مما يؤدي إلى تغيير آرائهم واتجاهاتهم وقيمهم ومعاييرهم، كما عملت على تصنيع الرأي العام وتشكيل العقول، وإحياء الإيديولوجيات أو إسقاطها أو دعم الأنظمة السياسية والاقتصادية وهدمها. وعلى الصعيد المؤسسي أصبحت أداة ووجه من أوجه المنافسة وصناعة التميز والتفوق أو ما يسمى بالميزة التنافسية.

وغني عن البيان أن وسائل الإعلام الجماهيرية وشبكة الانترنت تحتل دورا متعاظما في التنشئة الاجتماعية للأفراد؛ كونها تشكل الينابيع الأساسية التي يرتشف منها الأفراد قيمهم الاجتماعية وعاداتهم واتجاهاتهم ومفاهيمهم ومعارفهم. وعلى هذا الأساس فإن الإعلام اليوم في ظل العولمة الالكترونية هو إعلام باتجاه واحد ووافد إلينا تجاوز حدودنا بنعومة؛ اخترق ثقافتنا، ووضعنا أمام تحد مواجهته ومواجهة ثقافة العولمة. حيث بات لزاما التعاطي مع هذه الظاهرة بالبحث والدراسة والوقوف على تأثيراتها في مجتمعنا ومؤسساتنا، من منطلق أن الميزة التنافسية للمؤسسات تصنعها المعرفة.

وإذ تعتبر الجامعات إحدى هذه المؤسسات التي تركز كثيرا في تحقيق أهدافها وتصدير صورتها في أحسن حلة وجودة على الإنترنت ، ناهيك في كون هذه الأخيرة مصدر من مصادر المعرفة، بحيث تعمل الجامعات على تدعيم هذه المصادر من حيث تغذيتها بالبحث العلمي والاستفادة منها قدر الإمكان سواء من حيث المعلومة أو من حيث كونها وسيلة اتصال عابرة للمكان والزمان.. وأمام ظاهرة الإدارة الالكترونية، أصبحت الجامعات الكبرى والرائدة تتعامل بشكل

رسمي في اتصالاتها بالإنترنت بصفة عامة من خلال مواقعها الالكترونية الرسمية، ومن خلال الإيميلات مع هيئة التدريس في كل الأمور الخاصة بالممارسة الإدارية في صورة تجسد العمل بمدخل إدارة الجودة الشاملة في أرقى معانيه، مقابل التعامل الإيجابي للطرف الآخر مع هذا النظام الجديد، بحيث يصل الأستاذ كل جديد ليس من خلال موقع الجامعة فقط، بل أيضا من خلال بريده الإلكتروني الخاص في شكل برامج أو قرارات أو اجتماعات أو استدعاءات، أو تكليف بالحضور... وعلى هذا الأساس تم طرح التساؤل الرئيسي التالي: ما هي حدود تأثير مواقع الشبكة الانترنيتية على سلوك والقيم الأستاذ الجزائري، وهل وصلنا إلى مرحلة الاتصال الإلكتروني بين الإدارة الجامعية وهيئة التدريس بما يعكس تطبيق مدخل إدارة الجودة، وهل تعمل الوزارة الوصية إلى تكريس هذه الثقافة من حيث الممارسة وتوفير الإمكانيات؟.

ثانيا: تحديد المفاهيم

1. الانترنت:

لغة: كلمة انترنت Internet مكونة من كلمتين هما Inter و Connection وتعني ربط أكثر من شيء ببعضه البعض، وكلمة Network وتعني شبكة، وقد أخذ من الكلمة الأولى Inter ومن الكلمة الثانية Net وهذا يعني أن مئات الشبكات المربوطة مع بعضها البعض مكونة من حواسيب آلية مختلفة وكذلك تكنولوجيا مختلفة تم توصيلها بطريقة بسيطة وسهلة بحيث تبدو وكأنها نظام واحد⁽¹⁾.

اصطلاحا: لقد تعددت وتنوعت تعريفات الانترنت، حيث أصبح من الصعب وضع تعريف دقيق للانترنت وهذا لارتباط أي تعريف بحقل علمي معين، وكذا بطريقة الاستخدام. لهذا هناك من يعرفها:

بأنها "مجموعة من آلاف الحواسيب تنتشر في جميع أنحاء العالم يمكنها الاتصال فيما بينها عن طريق الألياف الضوئية والأسلاك الهاتفية والأقمار الصناعية التي تسمح لها بالتحاور مع بعضها البعض وتبادل المعلومات والرسائل"⁽²⁾.

يصف جبارة عطية الانترنت بأنها "شبكة تحمل في طياتها كل ما يعني للنفوس من أمور ترفيهية أو تعليمية أو ثقافية أو سياسية أو اقتصادية، بحوث أو رسائل أو عروض أو تبادل آراء وغير ذلك مما يشمل كافة الأمور الحياتية ويسهل استدعاؤها في أي وقت وفي أي مكان"⁽³⁾.

وتعرف الانترنت أيضا بأنها "دائرة معارف عملاقة تمكن المشتركين فيها من الحصول على معارف ومعلومات حول أي موضوع من الموضوعات التي يحتاجونها، سواء أكان ذلك على شكل نص مكتوب أم مرسوم أم على شكل خرائط أو كان ذلك عن طريق التراسل بواسطة البريد الإلكتروني، وتضم هذه الدائرة العملاقة الملايين من أجهزة الحاسوب التي تتبادل المعلومات فيما بينها"⁽⁴⁾.

كما يمكن تعريف الانترنت أيضا بأنها "شبكة عالمية تربط آلاف الشبكات وملايين أجهزة الكمبيوتر المختلفة الأنواع والأحجام في العالم وتكمن فائدة الانترنت التي تسمى أيضا الشبكة في كونها وسيلة يستخدمها الأفراد والمؤسسات للتواصل وتبادل المعلومات"⁽⁵⁾.

التعريف الإجرائي: عبارة عن شبكة اتصالات عالمية تتألف من آلاف الشبكات المحلية والإقليمية العالمية، قادرة على القيام بمهامها بسرعة عالية وجودة فاقية، ويمكن لأي فرد يملك حاسب متصل بشبكة الانترنت الاستفادة من خدماتها من أمور اتصالية، تعليمية، اقتصادية، اجتماعية، ترفيهية، وقد يتنوع استخدام هذه الشبكة بين المنزل وبيئة العمل وأماكن الدراسة ومقاهي الانترنت، أماكن عامة...

2. شبكات التواصل الاجتماعي:

"توجد هذه الغرف على مواقع معينة من الشبكة العنكبوتية، ويتم الدخول عليها باسم مستعار، ومن ثم يمكن التحدث مع الآخرين سواء أكانت المحادثة

كتابية أو صوتية، كما أن بعضها يوفر لنا دعم فيديو لنقل الصورة في حالة تواجد webcam على جهاز الحاسب لدينا، وهذه الغرف أنواع وشركات لا حصر لها⁽⁶⁾.

وتشير أيضا إلى الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الانترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع أصواتهم وأصوات مجتمعاتهم إلى العالم أجمع⁽⁷⁾.

التعريف الإجرائي: هي مجموعة المواقع المتوفرة على شبكة الانترنت، والتي تسمح للأفراد بالانخراط فيها أفراد أو جماعات، وتبادل مختلف المعلومات والخبرات والمعارف، تمتاز بتعدد موادها الإعلامية حسب مستخدميها، يعبر عنها أحيانا بغرف المحادثة.

3. الحساب الإلكتروني: عبارة عن علبة بريدية إلكترونية توفرها العديد من المواقع المختصة، أبرزها yahoo, hotmail أين يقوم الشخص بفتح حساب خاص به على هذه المواقع، بحيث يدون بياناته الشخصية حتى يكون معرفا لدى هذه المواقع، ومن خلال اسم يطلقه على نفسه (اسم المستخدم) يكون معرفا لدى الغير، أين يسمح له بإرسال رسائل إلكترونية واستقبالها أيضا من قبل الأشخاص أو الهيئات الأخرى التي تراسله شرط أن يكون عنوانه الإلكتروني معروفا أو مسجلا لدى الجهات التي تتعامل معه أو يتراسل معها.

كما توفر تلك المواقع من خلال خدمة البريد الإلكتروني الكثير من الضمانات والحماية والسرية لمستخدميها عن طريق توفير كلمة السر للدخول وبواسطة وسائل حماية أخرى، أين يكون من الصعب الولوج أو اختراق مضامين البريد الإلكتروني من قبل عامة الناس، أو من قبل المتصفح العاديين.

المحور الثاني: مكانة الانترنت في حياة الفرد والمؤسسة الجامعية

مما لا شك فيه أن شبكة الانترنت أضحت جزءا مهما وأساسيا في الحياة المعاصرة ووسيلة فعالة في التقدم والازدهار الحضاري؛ لما لها من دور إيجابي في

شتى مجالات الحياة، وفي مختلف العمليات التربوية والعلمية والثقافية في ميادين التعلم، وميادين التطبيق في المؤسسات والهيئات العلمية والجامعات. فلانترنت تأثيره الفعال ووقعه الشديد على جميع الأفراد المستخدمين له .

وقد حدد "كارتز" و"جورغيتش" و"هاوس" Kartz & Gorivich & Hass الحاجات الشخصية التي يتم إشباعها عن طريق وسائل الاتصال وهي نفس الحاجات التي يتم إشباعها عن طريق الانترنت وهي:⁽¹⁵⁾

❖ الحاجات المعرفية:

وهي الحاجات المرتبطة بتقوية المعلومات والمعرفة وفهم بيئتنا وهي تستند إلى الرغبة في فهم البيئة والسيطرة عليها وهي تشبع لدينا حب الاستطلاع والاكتشاف وتوفر معلومات نحتاج إليها في حياتنا اليومية، وإذا أحسن استخدام الانترنت فهو أفضل الوسائل الاتصالية التي تشبع حاجات مختلف فئات المجتمع معرفيا. ويوفر الانترنت الإمكانيات اللازمة لتلبية حاجات المجتمع المعرفية، خاصة أولئك المرتبطين بالبحث العلمي سواء من فئة الطلبة أو المدرسين والباحثين، وذلك بالوصول إلى المواقع الأكاديمية وتحميل كتب الكترونية وزيارة مواقع الاستشارات، والاتصال وتبادل خبرات البحث، والشراكة والدروس على الخط، والمحاضرات المباشرة التي تنقل عبر العديد من الجامعات والمختبرات. إضافة في توفير الوصول إلى مواقع إعلامية تلفزيونية وصحفية، والوصول إلى خدمات التسويق التجارة الالكترونية، الوصول إلى خدمات إعلانية وأخرى اشهارية.

❖ حاجات الشخص العاطفية:

وهي الحاجات المرتبطة بتقوية الخبرات الجمالية، والبهجة والعاطفة لدى الأفراد، ويعتبر السعي للحصول على البهجة والترفيه من الدوافع العامة التي يتم إشباعها عن طريق وسائل الاتصال. ويوفر الانترنت وسيلة اتصالية هامة لتلبية الحاجات العاطفية، فهناك العديد من المواقع الالكترونية التي تزود المرء بخبرات جمالية كمواقع الفنون التشكيلية والموسيقية بأنواعها والتواصل مع الأصدقاء

والأهل، المشاركة في غرف الدردشة، استخدام البريد الإلكتروني والرسائل القصيرة الفورية.

❖ حاجات الاندماج الشخصي لتعزيز الشخصية:

وهي الحاجات المرتبطة بتقوية شخصية الفرد من حيث مصداقيته، والثقة بالنفس، والشعور بالاستقرار ومركز الفرد في المجتمع، وتنبع هذه الحاجات من رغبة الفرد في تحقيق الذات. ويوفر الانترنت الوصول إلى مواقع مما يعزز الشخصية بمحصله على معلومات لفهم الذات والتميز والثقة بالنفس، مثل زيارة مواقع الاستشارات، والوصول إلى مواقع الفنون التشكيلية وتحميل الكتب الإلكترونية.

❖ حاجات المرء للاندماج الاجتماعي:

وهي حاجات تنبع من رغبة الفرد للانتماء للجماعة، وهي الحاجات المرتبطة بتقوية الاتصال بالعائلة والأصدقاء والمجتمع والعالم من حوله. ويوفر الانترنت ما يعزز اندماج الفرد بالمجتمع ليكون كائنا اجتماعيا من خلال تواصله مع الأصدقاء والأقارب عبر البريد الإلكتروني والتخاطب عبر الانترنت والمشاركة في غرف الدردشة والوصول إلى المواقع الصحفية والتلفزيونية.

❖ حاجات المرء الهروبية:

وهي الحاجات المرتبطة برغبة الفرد في الهروب، وإزالة التوتر والرغبة في تغيير المسار الذي يكون فيه الفرد. ويوفر الانترنت في مجال تلبية الحاجات الهروبية سبيلا للأفراد الانطوائيين أو الذين يرغبون في عزلة مؤقتة أو يريدون الهروب من الآخرين، وذلك عن طريق الدخول إلى مواقع الألعاب، استخدام البريد الإلكتروني ومواقع الموسيقى والأغاني والمشاركة في غرف الدردشة أو دخول مواقع إعلامية صحفية وتلفزيونية.

فظهر الإعلام الإلكتروني أعلن بداية تحرر الإنسان من أجهزة التوجيه الإعلامي التي تسيطر على عقله، من خلال احتكار المعلومات أو صبغها بصبغة خاصة تخدم الجهة المالكة. ومن مظاهر هذه الثورة الإعلامية الجديدة ما يلي: (08)

- تسهيل الحصول على المعلومات وهي لا تزال طرية من مصادرها المباشرة، فمجرد نقرة على شاشة الكمبيوتر ينتقل القارئ من موقع إلى موقع أينما أراد، ويقرأ عن أي موضوع يشاء وبأي لغة يفهم؛
- تسهيل إيصال المعلومات إلى الجمهور دون مراقبة أو تضيق؛
- التمكن من إيصال الرسالة الإعلامية بالشكل الذي يريده المرسل، دون تدخل موجه من أبطارة الإعلام الذين اعتادوا التصرف في المعلومات التي تصلهم وصياغتها وإخراجها بالطريقة التي تخدمهم؛
- انخفاض ثمن الاتصالات مما يجعلها متاحة للجميع ولا مجال لاحتكارها وإشراك عامة الناس في المعلومات.

*** الاتجاه نحو الإنترنت كمصدر للمعلومات التعليمية والبحثية:**

أشارت الباحثة " نوال بوتة" في بحث رسالتها الخاصة بالماجستير تحت عنوان: "اتجاهات الأساتذة والطلبة نحو استخدام الانترنت كمصدر للمعلومات التعليمية والبحثية" أن المقصود بالإنترنت كمصدر للمعلومات التعليمية والبحثية المكان أو الجهة التي يستقى منها الرواد أو الباحثين معلوماتهم التعليمية والبحثية، وهذه المصادر قد تكون شخصا أو هات رسمية أو غير رسمية، كما تشمل الأدوات المستخدمة للوصول إلى تلك المعلومات التعليمية والبحثية.

كما يمكن حسب الباحثة نفسها تعريف الأنترنت كمصدر للمعلومات التعليمية والبحثية بأنه ذلك المصدر الإلكتروني أو ذلك المصدر المحسوب، أو بأنه ذلك المصدر اللاورقي والمخزن إلكترونيا حال انتهاجها من قبل مصدريها أو نشرها في ملفات قواعد بيانات وبنوك معلومات متاحة للمستفيدين الباحثين عن طريق الاتصال المباشر.

وحسب الباحثة دائما، فقد حدد "ويلفرد لنكستر" مصادر المعلومات الأثرنية الإلكترونية في اتجاهين هما:

➤ الاتجاه الأول: إن كل ما هو متوفر حاليا من مصادر المعلومات التعليمية والبحثية الإلكترونية "قواعد وبنوك معلومات" ضمن الاتصال المباشر هي في الواقع نفس المصادر الورقية التقليدية التي لا تزال نتعامل معها مضمونا وترتيا كنص، ولكنها تحزن وتسترجع كمعلومات إلكترونية، وبعبارة أخرى إنها أصلا مطبوعات ورقية. وحتى عندما تظهر على الشاشة تكون المعلومات التعليمية والبحثية مرتبة كما هو الترتيب المعهود في صفحات الكتاب أو المطبوع الأصلي. إن هذا المفهوم لمصادر المعلومات التعليمية والبحثية المتاحة على الإنترنت يعني فقط استخدام الحاسبات الإلكترونية مع وسائل الاتصال عن بعد لإنتاج وتوفير وبث هذه المعلومات أصلا على ورق-ولا تزال إلكترونية- إلى المستفيد، وغالبا ما تكون معلومات بيليوغرافية أو نصوص كاملة.

➤ الاتجاه الثاني: إن مصادر المعلومات التعليمية والبحثية الإلكترونية بالمفهوم المتطور لا تلغي وجود الوعاء الورقي فحسب، بل تؤمن الاتصال المباشر بين منتج المعلومات التعليمية والبحثية من جهة، والمستفيد منها أو مستخدمها من جهة أخرى، بل وتهدف إلى التغيير الشامل في البنيان المؤلف لشكل الورقة أو الكتاب المطبوع.

وضمن هذا المفهوم سيكون مصدر المعلومات التعليمية والبحثية غير الورقي منذ البداية، وسيظهر على شكل فقرات متعددة، لأن كل مؤلف ومن خلال طريقته سيدخل البيانات الخاصة في مؤلفه / مقالة/ كتاب/ بحث في مؤتمر/ وفق برمجيات خاصة معدة لهذا الغرض، تضمن التمييز بين الفقرات المختلفة في المقالة الواحدة أو الفصول المختلفة من الكتاب الواحد لضمان الاسترجاع المنظم لمقتطفات من عدة مؤلفين في موضوع محدد. وهكذا يكون باستطاعة المستفيد التجول بحرية ضمن المصادر المتاحة له عبر شبكات المعلومات التي تربط المؤلفين

بالمستفيدين، ووسطاء المعلومات في حلقة اتصالية إلكترونية متكامل، تجعل النتاج الفكري الإنساني في متناول يد كل هذه الأطراف المعنية بشكل مباشر أو غير مباشر، ويصبح بالإمكان فتح حوار إلكتروني بين هذه الأطراف... هذا وقد أسهبت الباحثة في تناول عناصر في غاية الأهمية حول محور الاتجاه نحو الانترنت كمصدر للمعلومات البحثية والتعليمية، من حيث مكوناته، وأنواعه ووظائفه، وخصائصه، ومراحلها، وكذا النظريات المفسرة لتكوين الاتجاه نحو الانترنت كمصدر للمعلومات التعليمية والبحثية.

وقد أشارت نتائج دراسة أجرتها مجموعة من الباحثين الأمريكيين عام 1995 إلى أن:

- يرتبط ملايين البشر المشتركين على صعيد الكرة الأرضية بالانترنت بهدف الاتصال الشخصي والجماعي.
 - يحتل الأكاديميون المرتبة الأولى في استخدام الإنترنت ولها تواجد واسع في الجامعات الأمريكية.
 - يعد البريد الإلكتروني من أبرز استخداماتها وتشمل خدماته الميادين والنشاطات المختلفة، حيث يستخدم البريد الإلكتروني في الإرسال والاستقبال مع مختلف مناطق العالم وبأي عدد من الرسائل وبأسرع ما يمكن.
 - يمكن تقديم الخدمات الإعلامية المختلفة من خلال قراءة الصحف والمجلات الكترونياً ومتابعة برامج محطات الإذاعة وقنوات التلفزيون.
 - عرض السلع والمنتجات والتسويق والدعاية والإعلان لكل من الشركات والأفراد عبر العالم.
- أما في العالم العربي فقد أجرى الباحث العمري دراسة ميدانية سنة 2002، بغرض استقصاء واقع استخدام الانترنت لدى أعضاء هيئة التدريس والطلبة في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، حيث أظهرت نتائجها أن:

- 50٪ من المبحوثين يستخدمون الإنترنت يوميا مرة واحدة ، لمدة تتراوح بين ساعتين وأربع ساعات .
- 66.13 ٪ من أعضاء هيئة التدريس يعتبرون شبكة الإنترنت مهمة جدا لبحوثهم العلمية المختلفة.
- 25٪ من المبحوثين بحاجة إلى دورات تدريبية مكثفة في مجال التدريب على مهارات استخدام الانترنت.⁽⁰⁹⁾

المحور الثالث: الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

أولا: مجالات الدراسة

1. المجال المكاني: هو المكان الذي تمت فيه الدراسة الميدانية للبحث، ويتمثل في أربع كليات بجامعة جيجل بتاسوست وهم على التوالي: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب واللغات، كلية الحقوق والعلوم السياسية، كلية التسيير.
2. المجال البشري وعينة الدراسة: يتمثل في أفراد هيئة التدريس العامل في الكليات الأربعة والمقدر عددهم ب 473 أستاذ في مختلف الرتب العلمية، 63٪ منهم ذكور والباقي 37٪ إناث. وقد تم اختيار عينة من 10٪ أين يكون لدينا 48 أستاذ من مختلف الكليات، بتمثيل يصل إلى 12 أستاذ من كل كلية.

ثانيا: المنهج المتبع في الدراسة

يقوم المنهج دورا هاما وأساسيا في الكشف عن مختلف الظواهر التي من خلالها يمكن للباحث فهم ما يحيط به، وارتأينا استعمال المنهج الوصفي لارتباطه بموضوع الدراسة الراهنة للكشف عن مجمل السلبيات والايجابيات التي تركها الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي سواء على الفرد أو المجتمع، حيث تكمن أهمية المنهج الوصفي في قدرته على اكتشاف كافة المتغيرات الخاصة بالظاهرة. فهو

يهدف لفهم الظاهرة كونه "مجموعة من الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلا كافيا ودقيقا لاستخلاص دلالتها أو الوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع محل البحث"⁽²²⁾.

ثالثا: أداة البحث

تم استخدام الاستمارة في هذه الدراسة وهذا راجع لطبيعة عينة الدراسة والمتمثلة في أفراد ينتمون إلى هيئة التدريس بما يتناسب والإجابة المقدمة إليهم، كما تم اعتماد المقابلة مع رؤساء الأقسام ونواب عمداء الكليات باعتبارها وسيلة مرنة لا تفرض فيها أي قيود على إجابات المبحوثين. وذلك بغرض توطين المعلومات المعبر عنها في الاستمارة ومقارنتها ببعضها البعض. وتبعاً للاستمارة الموزعة على أفراد العينة المتكونة من هيئات تدريسية لاربع كليات المكونة من 48 أستاذ، أين توزعت أسئلة الاستمارة على محاور خمس هي:

المحور الأول: استخدام وعدم استخدام الانترنت، المحور الثاني: مكان استخدام الانترنت، المحور الثالث، زمن ومواقيت استعمال الانترنت، المحور الرابع: أسباب ومحطات استخدام الانترنت، المحور الخامس: مستوى الرضا عند الهيئات التدريسية في استعمال الانترنت.

المحور الرابع: نتائج الدراسة الميدانية:

أ.استخدام الإنترنت

جدول رقم(01) يبين مدى استخدام الإنترنت من قبل هيئة التدريس

النسبة المئوية	التكرارات	استخدام الانترنت
87.5%	42	نعم
12.5%	6	لا
100%	48	المجموع

تظهر النتائج نسبة كبيرة من الأساتذة يستخدمون الإنترنت (87.5%) وهي نتيجة إيجابية و مناسبة تدل على أن هيئة التدريس على علم ودارية بالإنترنت، رغم عدم تلقيهم تكوين في المجالن ولكن نجد أن فاعلية هذا الاستخدام ومدى الاستفادة من الخدمات التقنية التي تقدمها الإنترنت غير مرضية كما سوف يتبين في نتائج تحليل أسئلة الاستبيان اللاحقة. ومن نسب التحليل المرصودة عن أسباب عدم استخدام الإنترنت يتضح ما يأتي: بالرغم من رصد عدد قليل من الأساتذة غير المقتنعين حتى الآن بممارسة وتصفح الانترنت (12.5)، إلا أنه من المؤكد أن هذا الاعتقاد سوف يزول مع الوقت وخاصة مع توجه الأشخاص والمؤسسات إلى الاعتماد شبه الكلي على الإنترنت/الإنترانيت في المستقبل في جميع الاستعمالات.

جدول رقم(02) يبين مدى استعمال الانترنت لأغراض علمية من قبل هيئة التدريس

المجموع	التكرارات	غرض الاستعمال
72.91%	35	علمي
14.58%	07	ترفيهي
12.5%	06	عام وغير محدد
100%	48	المجموع

يتضح من أرقام الجدول رقم(2) أن جل هيئة التدريس المشاركة في عينة الدراسة أجمعت على أن جل استعمالاتها للإنترنت تكون بغرض البحث العلمي وذلك بنسبة 72.9٪، في حين أعربت ما نسبته 14.58٪ من عينة الدراسة أن استعمالاتها للإنترنت يكون بغرض ترفيهي، كما أعربت النسبة المتبقية المقدرة ب 12.5٪ عن أنها تستعمل الإنترنت في أغراض أخرى، ربما الأخبار، التجارة والإشهار وعالم الموضة والاختراعات والأفلام... وتتلاقى هذه البيانات مع الكثير من الدراسات السابقة التي تشير إلى أن أغلب الجزائريين يتصفحون الإنترنت لأغراض ترفيهية.

جدول رقم(3) يبين مدى اعتبار الانترنت بديلا عن المكتبة

النسبة المئوية	التكرارات	الأنترنت كبديل عن الكتاب
35.41%	17	دائما
43.75%	21	أحيانا
20.83%	10	نادرا
100%	48	المجموع

في سؤالنا لعينة الدراسة حول وجهة نظر هيئة التدريس لمدى اعتبار الإنترنت بديلا للمكاتب التقليدية بما تحويه من كتب، بينت نتائج الاستقصاء المبينة في الجدول رقم (03) أن ما نسبته 43.75٪ من أفراد العينة ترى في الانترنت مصدرا مهما في البحث العلمي إلى جانب الكتاب الورقي ، ولكن ليس بصفة مطلقة، بحيث يتم الاعتماد على الإنترنت في بعض الأحيان ، ربما يعمل عامل الوقت أو نقص المراجع دافعا نحو اعتماد الإنترنت كمصدر لجمع المعلومات في البحث العلمي، سواء لغرض التدريس أو لأغراض علمية أخرى.

أما الفئة الثانية، والتي تعتبر فئة لا بأس بها من التعداد الكلي لأفراد العينة والمقدرة بـ 35.41٪، ترى في أن الإنترنت أصبحت من أهم مصادر المعلومات لديهم ، وأنها تشكل بديلا عن المصدر الورقي التقليدي. في حين ترى ما نسبته 20.83٪ أن الانترنت لا يمكنها أن تحل محل الكتاب في أي حال من الأحوال ، بل هي مصدر ثانوي يعتمد عليه في بعض الأحيان الطارئة فحسب.

جدول رقم (04) بين مدى تلقي تكوين من قبل هيئة التدريس لتكوين على الأنترنت

النسب المئوية	التكرارات	تلقي تكوين
16.87%	08 00 08	نعم بدعم من الجامعة تكوين خارج الجامعة
83.33%	40	لا
100%	48	المجموع

يتضح من الجدول رقم (04) أن معظم الأساتذة يحتاجون إلى مبادرات من الجامعة بغرض تكوينهم على استعمال الانترنت استعمالا احترافيا ، وهذا كون أن معظم أفراد العينة عبروا عن عدم تلقيهم لأي تكوين لاستعمال الانترنت بنسبة فاقت 83.33٪ ، لكن رغم ذلك ومن خلال الربط مع الجدول

الأول يتبين لنا أنه رغم عدم وجود تكوين إلا أن استعمال الإنترنت أصبح في متناول جل شرائح المجتمع حتى الأطفال، وهذا لسهولة استعمالها، خاصة بعد وجود محركات بحث بإمكانها الوصول إلى أي شيء يريده المتصفح. رغم ذلك يبقى الأساتذة في حاجة إلى تثقيف وتدريب في مجال استخدام الإنترنت، كالاشتراك في دورات تعليم الإنترنت أو قراءة الكتب أو الأشرطة التعليمية التي تعتنى بشرح استخدام الإنترنت. مقابل ذلك نجد ما نسبته 16.66٪ عبرت عن كومها تلقت تدريبات عن كيفية استعمال الإنترنت ولكن بمبادرات خاصة ليس للجامعة دور فيها.

ب. أماكن استخدام الإنترنت

جدول رقم (05) يبين الأماكن الأكثر استعمالاً للإنترنت من قبل هيئة التدريس

النسبة المئوية	التكرارات	مكان استخدام الإنترنت
33.33٪	16	في البيت
50٪	24	في مقهى الإنترنت
16.66٪	08	في الجامعة
100٪	48	المجموع

تبين أرقام الجدول رقم (05) أن معظم أفراد العينة المتمثلة في هيئة التدريس يستخدمون الإنترنت في مقاهي الإنترنت بنسبة مئوية تقارب 50٪، وهي نسبة عالية للغاية تنم على مكانة الأستاذ الجامعي داخل المجتمع، إذ رغم كونه باحث إلا أنه لا يحظى بالإنترنت على مستوى البيت، رغم أهمية استعمالها من قبل الباحث الجامعي كما بيته أرقام الجدول رقم (03)، نشير إلى أن الجهات الوصية الممثلة في وزارة الاتصال قد أطلقت مشاريع تدعم إمكانية الحصول على جهاز إعلام آلي وانترنت في كل بيت، لكن المشروع لم يكتب له النجاح وقبر في مهده ولم تستفد أي شريحة من هذا البرنامج ومن هذا الدعم، والذي كان مخصصاً

من بين الشرائح الاجتماعية طلاب الجامعات والأساتذة . كما أن الاستعمال العمومي للانترنت يعرض المعلومات الشخصية للقرصنة أو التلف أو الفيروسات، وإمكانية انتقالها عبر الفلاش ديسك إلى الكمبيوتر الشخصي. كما أن مرتادي الانترنت لا يمكنهم العمل بكل راحة نظرا لعوامل كثيرة منها الضوضاء وقدم الأجهزة وإصابتها بفيروسات...ناهيك عن عامل التوقيت، إذ أن معظم مقاهي الإنترنت لا تفتح باكرا وتغلق متى شاء صاحبها ، وهي من الأمور التي تعيق التصفح بكل حرية ، فما بالك إن كان هدف التصفح البحث العلمي.

ومن خلال نفس الجدول أيضا نجد أن نسبة 33.33% من مستعملي الانترنت تكون على مستوى البيت، وهي نتيجة ممتازة تدل على أن معظم الأساتذة لم يضعوا عائق عدم توفر الخدمة في العمل حاجزا لهم في استعمال الإنترنت، بل معظم الأساتذة يسعون لامتلاك الانترنت على مستوى البيت للشعور بأهميتها والقدرة على توفير الكثير من الامتيازات التي لا توفرها أماكن العمل ومقاهي الانترنت.

أما انخفاض نسبة الاستعمال في العمل، فهي نتيجة طبيعية من أجل محدودية توفر الإنترنت في العمل حتى الآن. ونظرا لأن الأستاذ مهما كان تخصصه وطبيعة عمله يحتاج الإنترنت في مكان عمله، لذا وجب على الجامعات النظر في توفير الدخول إلى الإنترنت لهم وعدم اعتبار ذلك من باب الترفيه أو المباهاة، لأن الكثير من الجامعات العالمية توفر الإنترنت للطلاب في ساحات الجامعة وتجاوز مسألة القاعات، في حين يبقى أساتذة الجامعات يعانون من عدم توفر الإنترنت في أماكن العمل، ومن ثمة تعكس النسبة المئوية المشار إليها في الجدول واقع ذلك.

جدول رقم (06) يبين أوقات تصفح الأنترنت

النسبة المئوية	التكرارات	أوقات تصفح الإنترنت
37.50	18	عدة مرات في اليوم) بشكل غير منتظم)
41.66%	20	مرة واحدة في اليوم) بشكل منتظم)
20.83%	10	مرة في الأسبوع (بشكل منقطع)
100%	48	المجموع

تبين أرقام الجدول رقم (06) أن بعض الأساتذة يحتاجون إلى إعادة برمجة أوقاتهم لتضمن الاستخدام الأمثل والمستمر للإنترنت. ولعل التاريخ يعيد نفسه فعند انتشار الحاسب الآلي ظن الكثيرون انه مضيعة للوقت وأنه رمز للرفاهية والتقدم ليس إلا، ولعلنا نلمس حاجة الأستاذ إلى الحاسب الآلي الآن وهي تمتد لتصل إلى الإنترنت مصدر المعلومات الكبير والفيح الذي يستفيد منه ما يشاء بعدة خطوات يسيرة وفي أي وقت وفي أي مكان.

كما أن بعض الأعمال تستدعي وسيلة اتصال رقمية لا توفرها إلا خدمة الإنترنت وبالضبط البريد الإلكتروني، وهذا لكون استعمال الانترنت مرة واحدة في الأسبوع قد يفوت فرص علمية كثيرة للأستاذ كالملتقيات العلمية والمراسلات... وربما يرجع سبب استعمال الانترنت مرة واحدة أسبوعيا لعدم امتلاكها في البيت، والإشكاليات الموجودة على مستوى مقاهي الانترنت خاصة بالنسبة للعنصر النسوي، بالإضافة إلى مكان الذي يقطن فيه الأستاذ الذي ربما لا يتوفر حتى على مقهى انترنت، أو ربما يستدعي تنقله إليها عدة مشقات هو في غنى عنها وهي كلها ظواهر موجودة بكثرة في المجتمع الجزائري. كما عبرت نسبة 37.5% عن الاستعمال اليومي لمرات عديدة بشكل عشوائي، يدل على

الاهتمامات غير علمية للباحث ، فقد يلجأ للأنترنيت لأمر أخرى خارج إطار البحث العلمي كتصفح حالة الطقس، الأخبار...

4- وجود البريد الإلكتروني لدى هيئة التدريس

-جدول رقم (07) يبين مدى امتلاك أفراد العينة لبريد إلكتروني:

النسبة المئوية	التكرارات	امتلاك بريد إلكتروني
%100	48	نعم
%58.33	28	بريد الكتروني واحد
%41.66	20	أكثر من بريد الكتروني واحد
%00	00	لا
%100	48	المجموع

نلاحظ من خلال أرقام الجدول رقم (07) أن كل أفراد هيئة التدريس التي تناولتها الدراسة يمتلكون حساب بريدي إلكتروني، ولا يوجد أي مفردة من العينة ليس لها حساب إلكتروني، وهذا الأمر منطقيا باعتبار أن لغة الاتصال في بعض الأمور التي تخص الأساتذة والبحث العلمي تكون عن طريق البريد الإلكتروني على غرار برامج البحث مثل... cnepru, pnr وهي أمور تستدعي مراسلة المعني بصفة شخصية، لما توفره هذه الخدمة من سرعة وامكانية نقل الرسالة العادية بطريقة الكترونية.

كما بينت أرقام الجدول أن ما نسبته 41.66 يمتلكون أكثر من بريد إلكتروني واحد، والبقية يمتلكون بريد إلكتروني واحد، ولعل الفئة التي تمتلك أكثر من بريد إلكتروني واحد يفصلون بين البريد المخصص للعمل العلمي والبريد

المخصص للمراسلات الشخصية، كما أن الحيلة تلعب دورا في دفع الأفراد إلى امتلاك أكثر من بريد إلكتروني واحد، ففي بعض الأحيان يتم اختراق موقع البريد ولا يتم معالجة المشكل إلا بعد يوم أو يومين وربما أكثر.

- جدول رقم (08) يبين مدى توفير الجامعة للبريد الإلكتروني لهيئة تدريسيها:

الإجابة	التكرارات	النسبة المئوية
نعم	00	00%
لا	48	100%
المجموع	48	100%

تبين أرقام الجدول رقم (08) أن الجامعة الجزائرية لا توفر خدمة البريد الإلكتروني لهيئة تدريسيها كما هو معمول به في بعض الجامعات العالمية، هذا وفي مقابلة مع أستاذ فلسطيني مختص في الإعلام الآلي، أكد لي اقتراحه على إدارة الجامعة لمثل هذا الاقتراح مع توفير الحماية اللازمة، لكن إدارة الجامعة تردت، وأرجعت الحديث في المشروع لوقت لاحق.

- جدول رقم (09) يبين مدى مطالبة الجامعة الباحث لإمتلاك بريد إلكتروني:

مدى المطالبة	التكرارات	النسبة المئوية
نعم	05	10.41%
لا	43	89.59%
المجموع	48	100%

في سؤالنا عن مدى اهتمام الإدارة بامتلاك الأساتذة لإيميلات ومطالبتهم بتزويدها بتلك الإيميلات، أن ما نسبته 10.41 % فقط من مجموع العينة

المدرسة عبرت لنا عن اهتمام الإدارة بإميلات الأساتذة، في حين أن الغالبية العظمى بينت أن الإدارة لم تطلب من هيئة التدريس تزويدها ببريدهم الإلكتروني، وهذا يدل على أن الغدارة الجامعية لم ترقى إلى التعامل الإلكتروني مع الأساتذة حتى كمشروع مستقبلي.

- جدول رقم (10) يبين مدى اتصال الإدارة بهيئة التدريس بواسطة البريد الإلكتروني:

النسبة المئوية	التكرارات	الاتصال الإلكتروني
00%	00	نعم دائما
10.42%	05	أحيانا
89.58%	43	لا مطلقا
100%	48	المجموع

تبين أرقام الجدول رقم (09) أن الإدارة الجامعية على مستوى الأقسام أو الكليات أو عمادة الجامعة لم ترقى إلى التعامل الإلكتروني مع هيئة التدريس، وهذا ما عبر عنه الفئة المبحوثة، حيث أن ما نسبته 89.58% أفادت أن الإدارة لم يسبق لها وأن اتصلت بها عبر البريد الإلكتروني، وهذا ما يتوافق مع نتائج الجدول السابق، حيث أن الغدارة الجامعية لا تملك حتى إميلات الطاقم التدريسي لديها، ومنه لا يمكنها التعامل بالطريقة المعاصرة التي يمكنها اختصار المسافات، ومواكبة المداخل الحديثة في التنمية الإدارية عامة والتنمية الجامعية خاصة.

في حين أعربت ما نسبته 10.42% يؤكدون أن الإدارة سبق وتعاملت معهم عبر البريد الإلكتروني الذي يمتلكونه ولكن بصفة منقطعة وليست مستمرة وهذا ما تفسره عبارة أحيانا.

ومن هذا المنطلق لا يمكننا التحدث عن ضغوط عمل يمكن أن تشكلها الاتصالات الإلكترونية على هيئة التدريس طالما أن الإتصال الإلكتروني عبر البريد الإلكتروني يكاد يكون منعدما في الجامعات الجزائرية، وهذا لكوننا أشرنا في الملخص أن الكثير من هيئات التدريس في الجامعات الأوروبية أصبحت تشتكي ضغوط الاتصال بها من قبل الإدارة التي يعملون لديها، خاصة خارج أوقات العمل، مما جعلها ظاهرة صحية ومرضية في آن واحد.

-جدول رقم(11) يبين مدى الاعتقاد بأن الاتصال عبر النت عامة والبريد الإلكتروني خاصة هو تهديد لوسائل الاتصالية الرسمي.

يوجد تهديد	التكرارات	النسبة المئوية
نعم	22	45.83%
لا	26	54.17%
المجموع	48	100%

تشير أرقام الجدول رقم(11) أن معظم أفراد العينة بما نسبته 54.17% يعتقدون أن وسائل الاتصال الإلكتروني والإدارة الإلكترونية لا تشكل أي تهديد للوسائل التقليدية، بل هي إضافة ودعامة إليها ، ودفعا للتماشي مع تقنيات الاتصال الحديثة، في حين أعربت الفئة المتبقية والمقدرة نسبتها ب 45.83% أن الوسائل الإلكترونية في الاتصال قد تشكل تهديدا حقيقيا لوسائل الاتصال التقليدية، بما في ذلك الاتصال عبر البريد الإلكتروني، وهو ما يستشف أن هذه الفئة تعارض اتصال الإدارة بها عبر البريد الإلكتروني، أو عبر إعلانات موجهة للأساتذة عبر الموقع، أو قد يكون الاعتقاد يصب في أن الإدارة هي ما تتعامل به بأشياء مادية يمكن الوقوف على إثباتاتها، من خلال الختم الرسمي، لأن الموروث الثقافي حتى عند الإطارات الجزائرية بما في ذلك هيئات التدريس تؤمن بمقولة الإدارة هي المراسلات الرسمية ولا ثقة في الإدارة إلا عبر الورقة.

- جدول رقم (12) يبين مستوى الرضا عن الخدمات الإلكترونية التي تقدمها الجامعة

النسبة المئوية	التكرارات	مستوى الرضا
00%	00	راض جدا
41.66%	20	نوعا ما
58.33%	28	غير راض
100%	48	المجموع

تبين أرقام الجدول رقم (12) أن معظم الفئة المبحوثة غير راضية عن الخدمات الإلكترونية التي توفرها الجامعة، وهذا ما دلت عليه نسبة 58.33٪ من مجموع العينة التي أجابت ب(غير راض)، بينما عبرت الفئة المتبقية من العينة المبحوثة عن رضاها بطريقة محتشمة عن الخدمات الإلكترونية التي تقدمها الجامعة، يذكر أن الجامعة ومن خلال موقعها الرسمي تستطيع تقديم الكثير من الخدمات ذات العلاقة، مثل مواقع جامعات أخرى، والمستجدات داخل الجامعة وخارجها، والاتصال بالطلبة وهيئة التدريس، والدروس على الخط، والدروس عن بعد... وهي كلها أمور أصبحت موجودة على مستوى مواقع الإنترنت، لكن تبقى جودة الخدمة مرهونة بالحكم عليها من قبل هيئات مختصة، ومن قبل طاقم التدريس ومن قبل الطلبة أيضا.

المحور الخامس: الاقتراحات والتوصيات :

بناء على نتائج تحليل الاستبيانات المستلمة فإنه يمكن تخيص الاقتراحات والتوصيات الآتية:

1. تنظر نسبة كبيرة من الأساتذة الباحثين في الشريحة المعنية بالدراسة إلى أهمية الإنترنت لهم في العمل لذا وجب الإسراع في تعميم خدمة الوصول إلى الإنترنت في جميع الكليات والأقسام بالجامعة.

2. يحتاج الأساتذة كغيرهم إلى تدريب وتثقيف في مجال استخدام الإنترنت ، كحثهم وترشيحهم للاشتراك في دورات تعليم استخدام الإنترنت والبريد الإلكتروني وتصميم المواقع.
3. نقترح عمل دليل إرشادي لاستخدام الإنترنت يبين الخدمات التي يمكن إن تقديمها الإنترنت للأساتذة في كل كلية وقسم، ويتم توزيع الدليل على جميع الإدارات المعنية .
4. نقترح تزويد كل أستاذ برقم بريد إلكتروني من الجامعة و زيادة الاهتمام بهذه الخدمة بزيادة الأعمال التي تستخدم خدمة البريد الإلكتروني مثل البدء بمخاطبة الأساتذة عبر البريد الإلكتروني في جميع المناسبات وعند وجود إعلان أو أي تعميم و تشجيع عمليات إرسال الرسائل والملفات بواسطة البريد الإلكتروني بين الإدارة والأساتذة لتفعيل دور الإنترنت والبريد الإلكتروني.
5. عمل موقع منتدى أساتذة الجامعة ضمن موقع الكلية أو الجامعة، بحيث يحتوي المنتدى على أقسام حسب التخصصات الموجودة في الجامعة (مثلا المنتدى الهندسي، المنتدى الإداري، المنتدى الاجتماعي المنتدى النفسي، منتدى العلاقات العامة، منتدى تنمية الموارد البشرية.....) .
6. تشجيع إنشاء المواقع الخاصة من قبل الأساتذة خاصة و فرق البحث عامة ومحاولة إيجاد روح التنافس بين الأساتذة بعمل مسابقة أحسن موقع ومكافأة الفائز.
7. نقترح عمل فريق عمل من الباحثين المهتمين بالإنترنت لإنشاء موقع جامعي متخصص يقوم بتقديم الخدمات البحثية الجامعية المطلوبة (سواء تكون موجهة لبقية هيئات التدريس، أو تكون موجهة للطلبة). ويمكن الاستفادة من الخدمات المرصودة من هذه الدراسة لتكوين عناصر الموقع المختلفة، وسوف يساهم هذا الموقع في زيادة المواقع البحثية الجامعية

- الجزائرية المتخصصة في الإنترنت مما يتوقع أن يكون مرجعا مهما للطلاب والباحثين في مختلف أنحاء البلاد.
8. ضرورة التنسيق بين الكليات والأقسام لتوفير الدخول على مواقعها الخاصة بالإنترنت للاطلاع على كل ما هو جديد وآخر التحديثات المتوفرة سواء داخل الكلية الواحدة أو الجامعة، سواء فيما يخص الأساتذة أو الطلبة.
9. أن تقوم جهة متخصصة في الجامعة أو الكلية بتبني قائمة المواقع العلمية والمكتبية المرصودة والمجمعة في هذه الورقة ووضعها في موقع الكلية أو الجامعة وتوزيعها على الأساتذة والطلبة وأن تقوم بتحديثها كل شهر على الأقل.

الخاتمة:

تبقى على الإدارة الجزائرية بصفة عامة والغدارة الجامعية بصفة خاصة الأخذ بكل مستجدات التقدم العلمي والتكنولوجي، ومسايرة ذلك فكريا، لأن مدخل إدارة الجودة الشاملة لا يكون فعالا مالم يجد الكفاءات البشرية التي تعيه وتعمل على تحقيقه. في المقابل ومن خلال استطلاع اتجاهات هيئة التدريس نحو الاتصال الإلكتروني، وبالضبط من خلال البريد الإلكتروني، التحلي بروح المسؤولية والمساهمة في تطوير العملية التنموية بشكل فعال من خلال المبادرة والبحث، لأن وضع جامعاتنا الجزائرية بصفة خاصة، والجامعات العربية بصفة عامة ليست على أحسن حال، رغم الإمكانيات المادية الهامة التي ترصد لها، لتبقى معضلة المورد البشري أكبر معضلة ستوجب صقلها.

❖ هوامش البحث:

- (1) رحيمة الطيب عيساني: مدخل إلى علم الاتصال المفاهيم الأساسية والوظائف الجديدة في عصر العولمة الإعلامية، دار الكتاب العالمي، عمان، 2008، ص 122.
- (2) المرجع السابق، ص 123.
- (3) جبارة عطية: علم الاجتماع والإعلام، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001، ص 50.
- (4) حلمي خضر ساري: ثقافة الانترنت، دار مجد لاوي، عمان، 2005، ص 21.
- (5) فيصل محمد أبو عيشة: الدعاية والإعلام، دار أسامة، عمان، 2011، ص 67.
- (6) وائل سلامة: المدخل إلى عالم الانترنت، مكتبة البوصلة التقنية، الخليج العربي، دم ن، دت ن، دص 9.
- (7) عباس مصطفى صادق: الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق، عمان، 2008، ص 31. 32.
- (8) حسين عبد الجبار: اتجاهات الإعلام الحديث والمعاصر، دار أسامة، عمان، 2011، ص 89.
- (9) <http://www.alnoor.se/article.asp?id=79804#sthash.9JY5sCN9.dpuf>.

الإعلام الجديد: قراءة في تطور المفهوم والوظيفة

الدكتورة: شمس ضيات خلفلاوي
جامعة عنابة، الجزائر

الملخص:

يعيش المجتمع المعاصر تحولات هائلة في مجال الاتصال والإعلام أدت في السنوات الأخيرة إلى تغييرات كبيرة في أساليب إنتاج وتوزيع وتلقي المعلومات. فقد ظهرت تقنيات وأساليب اتصالية حديثة، وانتشرت عن طريقها خصائص ووظائف اتصالية جديدة، من أهمها التحول من وسائل الاتصال الجماهيري ذات الاتجاه الواحد، والمحتوى المتجانس، إلى تقنيات الاتصال التفاعلية ذات الاتجاهين، والمضامين المتعددة، وظهر مصطلح (الإعلام الجديد) للتعبير عن هذه الظواهر الجديدة. ويسعى هذا البحث إلى الكشف عن سمات الإعلام الجديد من حيث تطور المفهوم والوظائف في ظل هذه التطورات السريعة.

Abstract:

The contemporary society is living massive shifts in the field of Media and Communication which led to significant changes in the methods of producing, distributing and receiving information in recent years. As a modern communication techniques and methods has appeared, and through them a new communication characteristics and tasks have spread, the most important of them are the transformation from the mass communications with one – way, and homogenized content to the interactive communication techniques with two – ways, and the multiple implications and then the term of the new media or the digital media has appeared for expressing these new phenomenon. This research seeks to detect new media attributes in terms of the evolution of the concept and functions under these rapid developments.

يعد تحول كل المجتمعات المعاصرة إلى مجتمع المعلومات وإلى اقتصاديات المعلومات والخدمات شكلا من أشكال الحتمية التاريخية، ذلك أن ثورة المعلومات التي يعيشها العالم اليوم تمثل أحد أهم مراحل التطور التاريخي الهامة مثلها في ذلك مثل الثورتين الصناعيتين الأولى والثانية. وإذا فاتت بعض المجتمعات المشاركة في الثورتين السابقتين وتخلفت قرونا من الزمن فإن الفرص متاحة أمامها اليوم للمشاركة والاستفادة القصوى من ثورة المعلومات على أنه ليس ثمة طريق واحدة تمر عبرها الدول إلى مجتمع المعلومات والمعرفة بل إن لكل دولة تجربتها الخاصة في ضوء خصوصياتها السياسية والاقتصادية والثقافية وفي ضوء بناها الديمغرافية والاجتماعية والتحديات التي تواجهها.

وفي الواقع، وبقدر ما حملت هذه الثورة المعلوماتية من تغيرات في الصناعات الإعلامية وأنماط استهلاك المعلومات في سياق عولمة الاقتصاد والمعرفة والإعلام، إن عصر المعلومات أفرز نمطاً إعلامياً جديداً يختلف في مفهومه وسماته وخصائصه ووسائله عن الأنماط الإعلامية السابقة. كما يختلف في تأثيراته الإعلامية والسياسية والثقافية والتربوية الواسعة النطاق لدرجة أطلق فيها بعضهم على عصرنا هذا اسم "عصر الإعلام". ليس لأن الإعلام ظاهرة جديدة في تاريخ البشرية، بل لأن وسائله الحديثة قد بلغت غايات بعيدة في عمق الأثر وقوة التوجيه وشدة الخطورة أدت إلى تغييرات جوهرية في وظائف الإعلام، وجعلت منه محورا أساسياً في منظومة المجتمع.

فهو اليوم محور اقتصاد الكبار وشرط أساسي لتنمية الصغار. ومما يؤكد محورية الإعلام في حياتنا المعاصرة، الاهتمام الشديد الذي تحظى به قضاياها في الفكر الفلسفي المعاصر على اختلاف اتجاهاته ومذاهبه. إذا، نحن اليوم أمام إعلام جديد يحمل سمات هذا العصر وتناقضاته كلها، وله من التحولات والتأثيرات ما يجعله موضوعاً جديراً بالاهتمام والدراسة. والهدف من هذه الورقة البحثية تسليط

الضوء على أهم قضايا الإعلام الجديد بمفهومه الواسع. ويتناول البحث كذلك أهم ما يميز وظائف الإعلام الجديد.

أولاً: الإعلام الجديد وقفة عند الإطار المفاهيمي:

يشير مفهوم الإعلام الجديد بحسب قاموس ليستر إلى أنه مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكمبيوتر والوسائل التقليدية للإعلام، الطباعة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو⁽¹⁾.

وبالرغم من صعوبة الاتفاق على تحديد مفهوم واضح المعالم للإعلام الجديد بسبب حالته الديناميكية المتغيرة والمتطورة بشكل مستمر إلا أن الحقيقة المؤكدة أن كثيراً من الأشكال الإعلامية والأنماط الاتصالية الجديدة بدأت تفرض نفسها في الواقع الإعلامي، وتستقطب أعداداً متزايدة من مستخدمي الوسيط الاتصالي الجديد "الإنترنت" التي قامت بدمج الوسائل الاتصالية المختلفة القديمة والمستحدثة في مكان واحد، وغيرت كثيراً من المفاهيم الإعلامية التي استقرت لسنوات طويلة عند الباحثين والأكاديميين، كما أدت إلى تغير الأدوار التي تقوم بها عناصر العملية الاتصالية، كالقائم بالاتصال والمتلقي والرسالة والوسيلة ورجع الصدى.

ظهر مفهوم الإعلام الجديد ليشير إلى المحتوى الإعلامي الذي يبث أو ينشر عبر الوسائل الإعلامية التي يصعب إدراجها تحت أي من الوسائل التقليدية كالصحافة والراديو والتلفزيون، وذلك بفعل التطور التكنولوجي الكبير في إنتاج وتوزيع المضامين الإعلامية⁽²⁾.

ومن المهم الإشارة إلى أن أجددة التي يتسم بها هذا النمط من الإعلام هي جدة نسبية، بمعنى أنه ربما يكون جديدا اليوم ولا يكون جديدا في الغد، أو أن ما نراه غير جديد اليوم كان جديدا بالأمس.

ومن هنا ندرك أن بعض منظري مفهوم الإعلام الجديد مثل "جيتلمان وبنجري" قد أصلا لظهور الإعلام الجديد ابتداء من ظهور التلغراف عام 1740م، وبنيا فكرتهما على مبدأ الحالة الانتقالية للإعلام.

فالمفهوم بالرغم من دقة وصفه بالجدة إلا أن هناك خلافا لفظيا ولغويا على مدلولاته، وهذا لا ينفي أن هناك واقعا جديدا للإعلام ظهرت فيه أشكال متعددة من الرسائل الاتصالية والوسائل الإعلامية التي تختلف تماما عن مرحلة ما قبل الانتشار الجماهيري لشبكة المعلومات الدولية.

والواقع أن مفهوم (الإعلام الجديد new media) ليس جديداً للغاية، وليس وليد اللحظة. فكما أشار دينس مكويل "أن مصطلح (الإعلام الجديد) كان يطلق منذ الستينات الميلادية على عدد من التقنيات الاتصالية الجديدة في ذلك الوقت مثل الأقمار الصناعية وتلفزيون الكابل، وكان المصطلح يتسع مع ظهور تقنيات جديدة ليشمل ما يستجد من وسائل اتصال حديثة⁽³⁾.

وبالمثل، فإن الباحثين "لايفرو وليفنجستون" وجدنا صعوبة في تعريف (الإعلام الجديد)، وبدلاً من تعريف المصطلح تعريفاً موضوعياً جامعاً، قدمنا وصفاً للإعلام الجديد من خلال ثلاثة محاور تميزه عن الإعلام القديم. وهذه المحاور هي⁽⁴⁾:

المحور الأول: تقنيات الاتصال الجديدة (مثل الأقمار الصناعية والكمبيوتر والهواتف النقالة وغيرها).

المحور الثاني: النشاطات والممارسات والاستخدامات التي توفرها هذه التقنيات.

المحور الثالث: العلاقات الاجتماعية والتنظيمات والتشريعات التي تظهر من حول هذه الوسائل الجديدة.

وفي النهاية اقترحت الباحثتان أن أهم ما يميز الإعلام الجديد هو الخصائص التالية:

1. التواصل الشبكي المتداخل، بحيث يسمح بالتواصل من عدة نقاط إلى عدة نقاط أخرى، وليس فقط من نقطة واحدة إلى عدة نقاط، كما هو الحال في الاتصال الجماهيري التقليدي.

2. سهولة الوصول والدخول من قبل الأفراد المستخدمين ليقوموا بنشاطهم كمرسلين ومستقبلين ومنتجين.

3. التفاعلية وهي قدرة المستخدم على المشاركة في إنتاج المحتوى الاتصالي، ويتفق الكثير من الباحثين أن هذه الخاصية هي من أهم ما يميز الإعلام الجديد، نظراً لأنها تكاد تكون معدومة في الاتصال الجماهيري التقليدي.

4. التنوع الغزير في المحتوى مقارنة بالإعلام القديم المحصور بأنواع وأنماط محددة من المضامين الإعلامية.

5. تعدد الاستخدامات وخاصة الإنفتاح على كل ما هو جديد موضوعياً وفنياً في محتوى وشكل المواد الإعلامية.

6. وأخيراً، سعة الانتشار والتحرر من المكان وعدم إرتباط الإعلام الجديد بمنطقة جغرافية محددة ، أي أنه يتخطى حواجز المكان الجغرافي.

والياً استقر الوضع عند الكثير من الباحثين الإعلاميين على إطلاق مصطلح (الإعلام الجديد) على مجموعة من التقنيات والتطبيقات الحديثة التي تتصف بالصفات المذكورة أعلاه، وتلقى إقبالاً كبيراً من الجمهور في استخدامها والإستفادة منها.

وأهم هذه التقنيات والتطبيقات ما يأتي عن طريق الإنترنت خاصة في تطبيقاتها العامة والتفاعلية مثل الأخبار الإليكترونية online news وتطبيقات الإرسال الإذاعي والتلفزيونية (مثل تقنية اليوتيوب YouTube) وكذلك المنتديات، ومجموعات النقاش، واستخدام محركات البحث، ومواقع التواصل الاجتماعي، والشبكات الاجتماعية، مثل فيس بوك Facebook وتويتر Twitter، وكذلك مواقع الألعاب الإليكترونية الجماعية.

وأهم ما يميز هذه الوسائل أنها يمكن أن توصف بأنها وسائل اتصال شخصية personal media لأنها تعطي المستخدم القدرة على السيطرة والتحكم في شكل ونوعية ومحتوى وتوقيت الاتصال الذي يرغب المشاركة به.

ثانياً: خصائص الإعلام الجديد: بالإضافة إلى الخصائص المذكورة سابقاً، فإن الإعلام الجديد يتميز أيضاً بالخصائص التالية⁽⁵⁾:

1. تكنولوجيا الإعلام الجديد غيرت أيضاً بشكل أساسي من أنماط السلوك الخاصة بوسائل الاتصال من حيث تطلبها لدرجة عالية من الانتباه فالمستخدم يجب أن يقوم بعمل فاعل (active) يختار فيه المحتوى الذي يريد الحصول عليه. إن كثيراً من الأبحاث التي تدرس أنماط سلوك مستخدمي وسائل الإعلام الجماهيري توضح أن معظم أولئك المستخدمين لا يلقون انتباهها كبيراً لوسائل الإعلام التي يشاهدونها أو يسمعونها أو يقرؤونها كما أنهم لا يتعلمون الكثير منها، وفي واقع الأمر فإنهم يكتفون بجعل تلك الوسائل تمر مروراً سطحياً عليهم دون تركيز منهم لفحواها، فمشاهدي التلفزيون مثلاً قد يقضون ساعات في متابعة برامج التلفزيون ولكنها غالباً ما تكون متابعة سلبية (Passive) بحيث لو سألتهم بعد ساعات بسيطة عن فحوى ما شاهدوه فإن قليلاً منهم سيتذكر ذلك. الإعلام الجديد من ناحية أخرى غير تلك العادات بتحقيقه لدرجة عالية من التفاعل بين المستخدم والوسيلة.

2. تكنولوجيا الإعلام الجديد أدت أيضاً إلى اندماج وسائل الإعلام المختلفة والتي كانت في الماضي وسائل مستقلة لا علاقة لكل منها بالأخرى بشكل الغيت معه تلك الحدود الفاصلة بين تلك الوسائل. فجريدة "نيويورك تايمز" مثلاً أصبحت جريدة إلكترونية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فهي تستخدم الأقمار الصناعية لإرسال صفحاتها إلى عدة مراكز طباعة في نفس الوقت وتستخدم الكمبيوتر في كافة عملياتها بل أنه يمكن قراءتها مباشرة على الانترنت (www.nytimes.com).

3. التليفزيون والإنترنت اندجا أيضا بشكل شبه كامل، فجهاز التلفزيون أصبح يستخدم لمشاهدة برامج التلفزيون وفي نفس الوقت الإبحار في الإنترنت وإرسال واستقبال رسائل البريد الإلكتروني كما أن جهاز الكمبيوتر أصبح بالإمكان استخدامه كجهاز استقبال لبرامج التلفزيون والراديو. شركات الكابل التلفزيوني أصبحت تعتمد على الأقمار الصناعية في بث برامجها. وهكذا نجد أن جميع وسائل الإعلام الجماهيري الحالية أصبحت وسائل إلكترونية بشكل أو بآخر.
4. خاصية أخرى هامة لتكنولوجيا الإعلام الجديد هي أنها جعلت من حرية الإعلام حقيقة لا مفر منها. فالشبكة العنكبوتية العالمية مثلا جعلت بإمكان أي شخص لديه ارتباط بالإنترنت أن يصبح ناشراً وأن يوصل رسالته إلى جميع أنحاء العالم بتكلفة لا تذكر، هناك أيضاً على الإنترنت عشرات الآلاف من مجموعات الأخبار التي يمكن لمستخدميها مناقشة أي موضوع يخطر على بالهم مع عدد غير محدود من المستخدمين الآخرين في أنحاء متفرقة من العالم، كما أن شبكات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب والمدونات إضافة إلى انتشار أجهزة الهواتف الذكية المزودة بالكاميرات الرقمية والقدرة على الارتباط بالإنترنت من أي مكان أدت إلى رفع سقف حرية التعبير والحصول على المعلومة والقدرة على الاتصال بشكل غير مسبوق.
5. الإعلام الجديد هو إعلام متعدد الوسائط حيث أنه أحدث ثورة نوعية في المحتوى الاتصالي الذي يتضمن على مزيج من النصوص والصور وملفات الصوت ولقطات الفيديو. هذا المحتوى متعدد الوسائط انتشر بشكل هائل خلال السنوات الماضية بشكل خاص عبر ما يعرف بصحافة المواطن وكان له تأثيرات اجتماعية وسياسية وتجارية كبيرة تستلزم التدبر والدراسة.
6. تفتت الجماهير: ويقصد بذلك زيادة وتعدد الخيارات أمام مستهلكي وسائل الإعلام والذين أصبح وقتهم موزعاً بين العديد من الوسائل مثل

المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعية والهواتف الذكية وألعاب الفيديو الالكترونية بجانب الوسائل التقليدية من صحف وإذاعة وتلفزيون.

7. غياب التزامية: ويقصد به عدم الحاجة لوجود المرسل والمتلقي في نفس الوقت، فالمتلقي بإمكانه الحصول على المحتوى في أي وقت يريده.

8. الانتشار وعالمية الوصول: ويقصد بالانتشار شيوعه ووصوله إلى جميع شرائح المجتمع تقريبا، إضافة إلى عالميته وقدرته على تجاوز الحدود الجغرافية.

9. قابلية التواصل بصرف النظر عن مواصفات ومقاييس المنشئ للمحتوى.

وقد تحدث "بيت المال" عن خصائص الإعلام الجديد بالارتباط بعناصر العملية الإعلامية الأساسية: المصدر، الرسالة، الوسيلة، المتلقي، الاستجابة، في محاولة لفهم عملية الاتصال الإعلامي الحديث في ضوء ذلك⁽⁶⁾:

➤ مركزية الإعداد (المصدر): مثلت وسائل الإعلام التقليدية محور عملية التواصل المجتمعي بالنسبة للأفراد والمؤسسات. فبالنسبة للأفراد مكنتهم وسائل الإعلام من تحقيق أغراضهم في الحصول على معلومات لم يكن ممكن الحصول عليها من أماكن أخرى. أما بالنسبة للمؤسسات فقد مكنتها وسائل الإعلام من تحقيق غرضها لتوزيع المحتوى وحاجتها إلى وسيلة توصلها إلى الجمهور.

إن هذه الظاهرة تعرف في بعض أدبيات الإعلام بمركزية الوسائل أو حارس البوابة. نظرية "حارس البوابة" قام بوضعها عالم النفس النمساوي الأصل والأمريكي الجنسية "كيرت ليوين" وهي ترى أنه على طول الرحلة الإعلامية التي تقطعها المادة الصحفية حتى تصل إلى الجمهور المستهدف توجد نقاط (بوابات) يتم فيها اتخاذ قرارات ما إذا كانت الرسالة سوف تنتقل بنفس الشكل والمحتوى أو بعد إدخال تعديلات عليها، ويصبح نفوذ من يديرون هذه البوابات له أهمية كبيرة في انتقال المعلومات. وفي كل حلقة هناك شخص ما يتمتع بالحق في أن يقرر ما إذا

كانت الرسالة التي تلقاها سيمررها كما هي إلى الحلقات التالية أم سيضيف عليها أو يحذف منها أو يلغيها تماماً.

وهناك أربع عوامل تؤثر على عمل حراس البوابة الإعلامية، هي: معايير المجتمع وقيمه وتقاليده، والمعايير الذاتية للقائم بالاتصال، والمعايير المهنية للقائم بالاتصال، ومعايير الجمهور.

وقد أحدثت وسائل الإعلام الجديد ثورة في مركزية وسائل الإعلام المجتمعية، وأصبح الجميع يمكنه مخاطبة الجميع بشكل مباشر وبعيد عن تلك الوسائل المركزية أو الوسيط المحوري.

➤ المحتوى (الرسالة): أحدثت وسائل الإعلام الجديد أيضاً ثورة في المحتوى الإعلامي وذلك من خلال خفض مستوى الاحترافية المطلوب للإعداد، حيث أصبح بالإمكان قيام الهواة بإعداد ذلك المحتوى دون حاجة إلى التعقيدات الاحترافية اللازمة في المؤسسات الإعلامية التقليدية، وبتكلفة منخفضة جداً. وقد أدى ذلك إلى تجاوز ما يسمى بسيطرة النخب على إعداد المحتوى الإعلامي.

➤ التوزيع (الوسيلة): في الوقت الذي نحتاج فيه وسائل الإعلام التقليدية إلى بنى تحتية مرتفعة التكاليف، تتمثل في المحطات الإذاعية والتلفزيونية، والمطابع بالنسبة للصحف الورقية، فأننا نجد أن وسائل الإعلام الجديد لا تتطلب تلك التكاليف الباهظة، حيث تمثل الإنترنت وسيلة توزيع قليلة التكلفة وقادرة على الوصول بسهولة إلى كافة أنحاء العالم.

بالإضافة إلى ذلك فإن التوسع الحالي في التواصل عبر الطرق اللاسلكية وبشكل خاص باستخدام الهواتف الجواله يمثل فرصاً كبيرة بهذا الصدد نظراً لمعدلات إختراقه العالية، إضافة إلى التطورات الكبيرة المتواصلة في قدرات تلك الهواتف وفي خدمات الإنترنت عريضة النطاق.

➤ المتلقي: في ظل وسائل الإعلام الجديد أصبح بإمكان المستخدم استرجاع الرسالة في أي وقت يريد، حيث أنها محفوظة في مكان ما على الشبكة يمكنه الدخول عليها في أي وقت ومن أي مكان في العالم حتى أثناء تجواله. هذه الخاصية ليست متاحة بالنسبة لوسائل الإعلام القديم والتي إذا فات المتلقي جزءاً فإنه لا يمكنه استرجاعه بسهولة.

➤ الاستجابة: في حالة الإعلام التقليدي نجد أن عملية الاتصال تتم في اتجاه واحد من المصدر إلى المتلقي، مع إمكانية بسيطة جداً أو متأخرة للتفاعل مع المصدر. في حين أن ظاهرة الإعلام الجديد تتميز بقدر عالٍ من التفاعلية، وما بعد التفاعلية، فكما سبق ذكره فقد كانت مساهمة المتلقي في رسائل الإعلام الجديد محصورة في البداية في دائرة رجع الصدى للمحتوى الذي يتم نشره وذلك من خلال كتابة التعليقات والملاحظات عن ذلك المحتوى، ثم ومع ظهور المنتديات والمجموعات الإخبارية والقوائم البريدية امتلك المتلقي مزيداً من الحرية النسبية على التعبير، حتى أصبح ذلك المتلقي يمتلك اليوم حرية مطلقة في الممارسة الإعلامية وذلك بعد ظهور المدونات ثم شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الفيديو التشاركية والموسوعات الحرة مثل ويكيبيديا، حيث مثلت هذه المواقع مرحلة الانتقال إلى ما بعد التفاعلية. باختصار شديد فإن الإنترنت اليوم بكل تلك المزايا والخصائص التي تمت الإشارة إليها أصبحت تترجع على قمة هرم وسائل الاتصال.

لقد حولت الإنترنت العالم ليس فقط إلى "قرية عالمية" ولكن إلى قرية إلكترونية صغيرة يمكن لمواطنيها القيام بالكثير من الأمور وهم في أماكنهم أو أثناء تجوالهم، وذلك عبر الاستخدامات المتعددة للإنترنت. هذه الخاصية الفريدة المتمثلة في القدرة على تجاوز حدود الزمان والمكان وفتح باب المشاركة في المعلومات والمعرفة أمام الجميع منح الإنترنت بعداً إنسانياً تشاركياً من خلال ما يعرف اليوم بشبكات التواصل الاجتماعي.

ثالثاً: مقارنة الإعلام الجديد بالإعلام القديم:

يتفق الكثير من الباحثين أن أهم ما يميز الإعلام الجديد هو التفاعلية والقدرة على دمج المحتويات الإعلامية ومعالجتها وتنسيقها وإرسالها وإستقبالها وتخزينها بمرونة عالية. وهناك عدة جوانب في الإعلام الجديد تميزه عن الإعلام القديم وتجعله منافساً قوياً وبديل له في الكثير من الأحيان. وقد ناقش مكويل McQuail نقاط المقارنة بين الإعلام الجديد والإعلام القديم من أربعة جوانب رئيسة هي كالتالي⁽⁷⁾:

أ. من حيث النفوذ وعدم التكافؤ: يختلف الإعلام الجديد عن الإعلام التقليدي بأنه أكثر إنفتاحاً وأقل إحتكاراً، فتمكين الوصول للإعلام الجديد أسهل وأسرع منه في الإعلام التقليدي. كما أن المعلومات فيه لا تتدفق من مركز واحد إلى الأطراف، ولا من أعلى إلى أسفل فقط، فحركة المعلومات في الإعلام الجديد تصدر من عدة إتجاهات، وتستقبل في عدة إتجاهات أيضاً. كما أنه من المعروف أن الحكومات لا تتحكم بالإنترنت ووسائل الإعلام الجديد، ولا تضع لها التشريعات والأنظمة بنفس القدر الذي تضعه للإعلام الجماهيري التقليدي.

ولكن بالمقابل، هناك من الباحثين من يرى أن السيطرة والرقابة على الإنترنت والإعلام الجديد قادمة لا محالة، بسبب انتشارها المتزايد ورواجها الكبير في المجتمعات الحديثة، بالإضافة إلى عوائدها المادية الكبيرة للشركات العالمية ذات النفوذ. على سبيل المثال، يقول الباحث دالبيرغ أن سيطرة الشركات ستكون أكبر بداعي حفظ حقوقها التنافسية وزيادة معدلات أرباحها وحفظ حقوق ملكيتها الفكرية. ويضيف دالبيرغ أنه، من ناحية أخرى، سيكون للحكومات فرصة السيطرة والرقابة على مستخدمي الإنترنت من خلال تتبع أنماط إستخداماتهم وتحركاتهم في الإعلام الجديد. ولكن في النهاية، من الواضح أن الإعلام الجديد، إلى الآن، يتمتع بخصائص الإنفتاح وسهولة الوصول والمشاركة بقدر أكبر بكثير من الاتصال الجماهيري التقليدي.

ب. من حيث التلاحم الاجتماعي والهوية الثقافية: نظراً لاستخدامات الإعلام الجديد المتنوعة، والتنوع الكبير في المستخدمين من حيث هوياتهم وأماكن تواجدهم وثقافتهم المتعددة، فإنه يمكن الاستنتاج بأن الإنترنت والإعلام الجديد يؤدي إلى زيادة في التفكك والتشتت الاجتماعي. ولكن بالمقابل، الإعلام الجديد يتيح ظهور أنواع جديدة من العلاقات الاجتماعية، ويساعد على تشكيل جماعات وشبكات من الأفراد الذين تربطهم اهتمامات وأهداف مشتركة بطريقة لم تكن متوفرة في الماضي.

ففي السابق، كان الإعلام التقليدي يخاطب الحاجة للتلاحم الاجتماعي وتعزيز الهوية من خلال منظور الدولة الواحدة، أو القومية الواحدة التي يحدها نطاق جغرافي محدد. فكان أهم عنصر يحدد الهوية هو الموقع الجغرافي، أما في عصر الإعلام الجديد فالهوية والاهتمام الثقافي يتجاوز حدود الدولة الواحدة بسهولة.

ت. من حيث القدرة على إحداث التغيرات الاجتماعية والمساهمة في مشاريع التنمية: من زاوية النظر التقليدية، حملات التنمية والتغيير الاجتماعي تحتاج إلى تخطيط مركزي وتنظيم ذو اتجاه واحد ومجهودات جماعية مركزية بالإضافة إلى ميزانيات ضخمة في أغلب الأحيان. هذه الخصائص غير موجودة في الإعلام الجديد، حيث يغلب عليه طابع اللامركزية وتعتمد كثيراً على المجهودات الفردية أو الجماعية المصغرة. ولكن أدوات ومضامين الإعلام الجديد قد تتفوق في هذا المجال نظراً لتنوعها وجاذبيتها لدى الجمهور وخواصها التفاعلية. كما أن الجمهور يتفاعل معها بطريقة اختيارية أو تطوعية وهي طريقة أكثر فاعلية من طريقة الإلقاء من طرف واحد.

ث. التعامل مع المكان والزمان: فيما يتعلق بتخطي حواجز المكان والزمان، نجد أن الإعلام التقليدي، في الواقع، وصل إلى مرحلة من القدرة على تخطي حواجز المكان قبل ظهور وانتشار الإعلام الجديد. فالتلفزيون يصل إلى أي منطقة في العالم بالبث الحي عبر الأقمار الصناعية، ويتخطى حواجز الدول والبلدان، وحقق بذلك تفوقاً ملحوظاً على وسائل النقل التقليدي

التي سبقته مثل السيارات والقطارات والطائرات. ولكن انتشار الإعلام الجديد ضاعف من هذه القدرة وخفف من أعباء الإرسال التقليدي الذي يتطلب تجهيزات وميزانيات ضخمة لتشغيله. كما أن الإعلام الجديد تحرر من قيود المكان التي تفرض على الإعلام التقليدي التواجد في مراكز بث محددة وأماكن استقبال محددة. فالرسائل الإعلامية في عصر الإعلام الجديد تصدر من أي مكان وتصل إلى مكان آخر في العالم بسرعة فائقة.

ولكن من جانب العوائق الثقافية والاجتماعية، لا نستطيع القول أن الإعلام الجديد قد تغلب عليها جميعاً أو تجاوزها بالكامل. فالملاحظ أن معظم الشركات الكبرى المسيطرة تقنياً وفنياً على مضامين الإعلام الجديد متمركزة في أمريكا وأوروبا، كما أن اللغة الإنجليزية هي لغة التخاطب الأولى على الإنترنت.

أما من حيث التحكم بالوقت، نجد أن الإعلام الجديد يتفوق على الإعلام القديم من حيث سرعة إرسال واستقبال الرسائل الإعلامية بطرق متعددة، منها مواقع مخصصة للأخبار ومواقع الشبكات الاجتماعية، علاوة على مواقع المحادثات والدرشة. كما أن أدوات الإعلام الجديد توفر خاصية الأرشيف لاسترجاع المضامين من فترة زمنية سابقة قد تكون بعيدة جداً. فيمكن استرجاع الإعداد القديمة من الصحف في أي زمن مضى من تاريخ صدور الجريدة. ويمكن كذلك استرجاع البرامج الإذاعية والتلفزيونية القديمة وإعادة الاستماع لها ومشاهدتها، بطريقة يصعب على الإعلام التقليدي توفيرها.

رابعا: العوامل الرئيسية للإعلام الجديد: وراء ظاهرة الإعلام الجديد عوامل تقنية واقتصادية وسياسية يمكن تلخيصها فيما يأتي⁽⁸⁾:

1. العامل التقني: المتمثل في التقدم الهائل في تكنولوجيا الكمبيوتر تجهيزاته وبرمجياته، وتكنولوجيا الاتصالات ولاسيما ما يتعلق بالأقمار الصناعية وشبكات الألياف الضوئية. فقد اندمجت هذه العناصر التكنولوجية في توليفات اتصالية عدة إلى أن أفرزت شبكة الإنترنت التي تشكل - حالياً -

لكي تصبح وسيطاً يطوي بداخله جميع وسائط الاتصال الأخرى: المطبوعة والمسموعة والمرئية، وكذلك الجماهيرية والشخصية.

وقد انعكس أثر هذه التطورات التكنولوجية على جميع قنوات الإعلام: صحافة وإذاعة وتلفاز، وانعكس كذلك وهو الأخطر على طبيعة العلاقات التي تربط بين منتج الرسالة الإعلامية وموزعيها ومتلقيها، فقد انكمش العالم مكاناً وزماناً وسقطت الحواجز بين البعيد والقريب، وكادت تكنولوجيا الواقع الخيالي أن تسقط الحاجز بين الواقعي والوهمي وبين الحاضر والغائب وبين الاتصال مع كائنات الواقع الفعلي والكائنات الرمزية التي تقطن فضاء المعلومات.

2. العامل الاقتصادي: المتمثل في عولة الاقتصاد وما يتطلبه من إسراع حركة

السلع ورؤوس الأموال وهو ما يتطلب بدوره الإسراع في تدفق المعلومات. وليس هذا مجرد كون المعلومات قاسماً مشتركاً يدعم جميع النشاطات الاقتصادية دون استثناء، بل لكونها أي المعلومات سلعة اقتصادية في حد ذاتها تتعاضد أهميتها يوماً بعد يوم.

بقول آخر، إن عولة نظم الإعلام والاتصال هي وسيلة القوى الاقتصادية لعولة الأسواق وتنمية النزعات الاستهلاكية من جانب، وتوزيع سلع صناعة الثقافة من موسيقى وألعاب وبرامج تلفازية من جانب آخر.

3. العامل السياسي: المتمثل في الاستخدام المتزايد لوسائل الإعلام من

قبل القوى السياسية بهدف إحكام قبضتها على سير الأمور والمحافظة على استقرار موازين القوى في عالم شديد الاضطراب زاخر بالصراعات والتناقضات.

وقد تداخلت هذه العوامل التقنية والاقتصادية والسياسية بصورة غير مسبوقة، جاعلة من الإعلام الجديد قضية شائكة جداً، وساحة ساخنة للصراعات العالمية والإقليمية والمحلية.

خامسا: تطور وظائف الإعلام الجديد:

ارتكزت أساليب التحليل الوظيفي للإعلام والاتصال على دراسة طبيعته ودوره وكيفية تأثيره في المجتمع والأفراد على السواء، وكانت هذه الدراسات تستهدف إبراز كيفية تأثير المجتمع كنظام في الدور الذي تؤديه وسائل الإعلام والاتصال وأساليبيهما الموجهة، وغالبا ما تطرح وظائف الإعلام على نحو جزئي في حين يتسع دورها طبقا للوظائف التي تؤديها أو تستطيع تأديتها.

لقد حدد في ذلك "شرام" و"لاسويل" عدداً من الوظائف الرئيسة والفرعية للإعلام في المجتمعات، ووجد "لبر شرام" هناك أربع عشرة وظيفة أو مهمة رئيسة أو فرعية لوسائل الاتصال الجماهيري وهي⁽⁹⁾: مراقبة الناس والتعلم منهم، توسع آفاق التعرف على العالم، توسيع التركيز والاهتمام، رفع معنوية الناس، خلق الأجواء الملائمة للتنمية، يساعد بصورة غير مباشرة على تغيير الاتجاه، يغذي قنوات الاتصال بين الأشخاص، تدعيم الحالة الاجتماعية، توسيع نطاق الحوار السياسي، تقوية المعايير الاجتماعية، تنمية أشكال التذوق الفني والأدبي، يؤثر في الاتجاهات الضعيفة ويقويها، يعمل مدرسا ويساعد في جميع أنواع التعليم.

ومن ثم حدد "هارولد لاسويل" ثلاث وظائف رئيسة للإعلام هي التالية:

أ. مراقبة البيئة: وتعنى تجميع وتوزيع المعلومات المتعلقة بالبيئة سواء في خارج المجتمع أو داخله، وهي ماتسمى بوظيفة الإخبار⁽¹⁰⁾، أي تكون الأخبار في متناول الجميع، وبهذه الوظيفة يتمكن المجتمع من التكيف مع الظروف المتغيرة، وتسهيل عملية اتخاذ القرارات.

وتعتبر الوظيفة الإخبارية من جمع وتخزين ومعالجة ونشر مختلف المعلومات، من أهم وظائف وسائل الإعلام والاتصال. حيث يبين أحد البحوث التي أجريت في الولايات المتحدة على عينة من البالغين والتي انطلقت من السؤال الآتي: من أين تحصل على المعلومات حول ما يجري في العالم؟ تبين أن 95% من المستجوبين

يحصلون على معارفهم عبر وسائل الإعلام، وقد بين 64 % منهم التلفزيون على وجه الخصوص.

ب. الترابط: وتعني التحليل والتفسير والتعليق على الأحداث في البيئة وتوجيه السلوك كرد فعل لهذه الأحداث، فالارتباط هو الذي يوجه الرأي العام، وبدون الرأي العام لا تستطيع الحكومات أداء مهامها في المجتمعات الديمقراطية، ولذلك فمن الضروري وجود قدر من الإجماع أو الترابط في المجتمع تجاه القضايا الأساسية، ولا يمكن لهذا الترابط أو الإجماع أن يتحقق بدون اختيار وتقييم وتفسير الأنباء بواسطة وسائل الإعلام مع التركيز على ما هو أكثر أهمية في المجتمع.

ت. نقل التراث الاجتماعي: يعتمد التراث الثقافي أساساً على توصيل المعلومات والقيم والمعايير من جيل إلى آخر ومن أعضاء في الجماعة إلى أعضاء جدد انظموا إليها، وهو ما يعرف بالنشاط التعليمي، وهذا النشاط الآن في العصر الحديث أصبح ضمن مهام مختلف التكنولوجيات الحديثة للإعلام، ويقوم هذا النشاط بتوجيه المجتمع عن طريق إعطائه قاعدة أوسع من القواعد الشائعة والقيم والخبرات الجماعية التي يتقاسمها أعضاء المجتمع.

وقد أضاف "شارلز رايت" مهمة رابعة إلى هذه المهام وهي: الترفيه. أما "دي فلير" فقد أضاف إلى هذه الوظائف وظيفة أخرى وهي وظيفة الرقابة الاجتماعية وتوزيع الأدوار وتنسيق الجهود والاقناع⁽¹¹⁾. أي تكون الأخبار في متناول الجميع، وبهذه الوظيفة يتمكن المجتمع من التكيف مع الظروف المتغيرة، وتسهيل عملية اتخاذ القرارات.

وتعتبر الوظيفة الإخبارية من جمع وتخزين ومعالجة ونشر مختلف المعلومات، من أهم وظائف وسائل الإعلام والاتصال. حيث يبين أحد البحوث التي أجريت في الولايات المتحدة على عينة من البالغين والتي انطلقت من السؤال الآتي: من أين تحصل على المعلومات حول ما يجري في العالم؟ تبين أن 95 % من

المستجوبين يحصلون على معارفهم عبر وسائل الإعلام، وقد بين 64 % منهم التلفزيون على وجه الخصوص.

ث. الترابط: وتعني التحليل والتفسير والتعليق على الأحداث في البيئة وتوجيه السلوك كرد فعل لهذه الأحداث، فالاتصال هو الذي يوجه الرأي العام، وبدون الرأي العام لا تستطيع الحكومات أداء مهامها في المجتمعات الديمقراطية، ولذلك فمن الضروري وجود قدر من الإجماع أو الترابط في المجتمع تجاه القضايا الأساسية، ولا يمكن لهذا الترابط أو الإجماع أن يتحقق بدون اختيار وتقييم وتفسير الأنباء بواسطة وسائل الإعلام مع التركيز على ما هو أكثر أهمية في المجتمع.

ج. نقل التراث الاجتماعي: يعتمد التراث الثقافي أساساً على توصيل المعلومات والقيم والمعايير من جيل إلى آخر ومن أعضاء في الجماعة إلى أعضاء جدد انظموا إليها، وهو ما يعرف بالنشاط التعليمي، وهذا النشاط الآن في العصر الحديث أصبح ضمن مهام مختلف التكنولوجيات الحديثة للإعلام، ويقوم هذا النشاط بتوجيه المجتمع عن طريق إعطائه قاعدة أوسع من القواعد الشائعة والقيم والخبرات الجماعية التي يتقاسمها أعضاء المجتمع.

وقد أضاف "شارلز رايت" مهمة رابعة إلى هذه المهام وهي: الترفيه. أما "دي فليز" فقد أضاف إلى هذه الوظائف وظيفة أخرى وهي وظيفة الرقابة الاجتماعية وتوزيع الأدوار وتنسيق الجهود والاقناع⁽¹²⁾.

1. الوظيفة التنموية: يؤدي الإعلام دوراً مهماً في عمليات التنمية بمجالاتها المختلفة، وتمثل التنمية بأبعادها كافة أحد الدوافع الأساسية لإنشاء وسائل الاتصال الجماهيري، من أجل تفعيل المشاركة في التنمية، ذلك إن الدول النامية لا تستطيع أن تحقق أهداف التنمية دون أن تولي اهتماماً بأفرادها في مجتمعاتهم المحلية.

2. الوظيفة التعليمية: تضطلع وسائل الاتصال الجماهيري بدور كبير في تعليم الأفراد. وبالرغم من اختلاف وسائل الإعلام عن عدد كبير من وسائل التربية والتعليم، إلا إن أهداف التربية والإعلام تتقاربان في معظم الوجوه في مجتمعاتنا المعاصرة، عن طريق نشر المعرفة على نحو يعزز النمو الثقافي وتكوين الشخصية واكتساب المهارات والقرارات في مراحل العمر كافة.

3. الوظيفة الثقافية: تكمن أهمية هذه الوظيفة بتعريفها بالمنتج الثقافي ودورها في تثبيت الذاكرة الجماعية والهوية الخصوصية وترسيخ التاريخ المشترك، والربط بين الموروث الثقافي والإبداعات الحديثة لبناء المستقبل، وتنشيط الحياة الثقافية بالاستجابة للرغبات الفردية، وتطوير الطموحات الذاتية لتحقيق النسيج الاجتماعي المتميز.

4. الوظيفة التسويقية الإعلان أو الترويج: وهي وظيفة مهمة بالنسبة للبائع والمنتج، وقد تعود المتلقي أو المتصفح للإعلانات المنشورة في الصحف والإذاعات والتلفزيون والانترنت... إن الإعلان صار من بين الوظائف الأساسية للاتصال في المجتمعات الحديثة.

5. وظيفة الخدمات العامة: وتتمثل في النشرات الجوية بأحوال الطقس وفي نشر مواقيت الصلاة وبث الأذان، وفي الاستشارات الطبية والشرعية والقانونية والاجتماعية.

6. وظيفة خلق الدوافع وتكوين الآراء والاتجاهات: إذ يقوم الإعلام بدعم الأهداف المباشرة وغير المباشرة والرئيسية لكل مجتمع، وتشجيع الاختيارات الشخصية ودعم الأنشطة المختصة بالأفراد والجماعات وتشجيع الذات الفردية باتجاه تحقيق الأهداف المتفق عليها ضمن الإطار الجماعي، كما إن من الوظائف التي يؤديها الإعلام في هذا النطاق، تكوين الآراء والاتجاهات، إذ إن له دوراً مهماً في تكوين الرأي العام،

وهي وظيفة لا يمكن عزلها عن بقية الوظائف التقليدية في الإخبار والتعليم.

وبشكل عام فإن وسائل الاتصال الجماهيري تقوم بعمليات إعلامية لا تخرج عن إطار⁽¹³⁾.

- ✓ توفير المعلومات عن الأوضاع المحيطة بأفراد المجتمع.
- ✓ الإسهام في نقل التراث الثقافي عبر الأجيال، والإسهام في تنشئة الأجيال الجديدة، وصهر الوافدين الجدد في المجتمع الوافدين إليه.
- ✓ الترفيه عن الجماهير وتخفيف أعباء حياتهم.

ورغم أن "ولبر شرام" يرى إن وظائف الإعلام الرئيسة كانت موجودة بشكل آخر في المجتمع البدائي، وإن الانجازات الحضارية والعلمية لم تغير من جوهر عملية الاتصال، إلا إن الواقع الموضوعي، وانتشار تقنيات الإعلام الرقمي والالكتروني التفاعلي يستدعي إعادة النظر بوظائف الإعلام ومضامينها بطريقة نقدية ورؤى معاصرة، تأخذ بعين الاعتبار القدرات الهائلة التي تتمتع بها تقنيات الإعلام وتغطياتها لمجالات كثيرة، فاقت حدود التصور إلى درجة مذهلة ومثيرة... وهو ما أسهم بدوره في تحويل الإعلام ووسائله إلى نظام جامع يؤدي إلى التكامل مع التوجه الجديد.

لذلك أصبح من الضروري التعايش مع المحيط الالكتروني المستقبلي، ومع الكم الهائل من المعلومات الضرورية لتماسك النظام الاجتماعي والعلاقات الإنسانية، فضلاً عن المتغيرات والمعطيات السياسية والاقتصادية والعسكرية التي وسعت من مجالات الاستفادة من الإعلام بشكل عام.

الوظائف السياسية للإعلام:

ويجد آلوندي إن وسائل الإعلام بدأت تؤدي دوراً مهماً في بث التوجهات والقيم السياسية الحديثة إلى الأمم، فعلاوة على تقديمها معلومات دقيقة ومحددة

وفورية عن الأحداث السياسية في العالم، فإنها تنقل - سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - القيم الأساسية التي يقرها المجتمع الحديث "الغربي"، إذ إنها تنقل عنه بعض الشعارات بطريقة مثيرة للعاطفة. كما إن الأحداث التي يتم وصفها مع هذه الشعارات يكون لها لون عاطفي محدد، وهو ما جعل من وسائل الإعلام أداة قوية تسهم في تشكيل المعتقدات السياسية⁽¹⁴⁾.

إن العلاقة بين العملية الاتصالية والعملية السياسية وثيقة للغاية، فكلما النظامين يؤثر ويتأثر في الآخر، إلا أن حجم التأثير الذي مارسه النظم السياسية على الاتصال في الدول النامية كان أكبر، ويقول آلوند إن الأنظمة السلطوية الحديثة اكتشفت بان السيطرة الأكثر كفاءة وفاعلية يمكن تحقيقها عن طريق استخدام ثلاثة عناصر ببراعة في وقت واحد، يكون للإعلام دور بارز فيها، وهي⁽¹⁵⁾.

▪ التأهيل السياسي: الجهود التأهيلية لزرع الولاء.

▪ التوظيف السياسي: توظيف الموالين السياسيين، وإعلان هذا الولاء أمام الملأ لإضفاء الشرعية الشكلية على النظام.

▪ الاتصال السياسي: تحديد وتنظيم تدفق المعلومات.

إن التأهيل السياسي - بوصفه جزء من التأهيل الاجتماعي، الذي يعني الطريقة التي يتعرف بها الفرد على قيم وتوجهات مجتمعه - هو الذي يعطي التوجهات السياسية شكلها المطلوب من قبل النظام، إذ يكتسب معظم الأفراد أنماطاً سلوكية وتوجهات سياسية أولية، لكنها مميزة، في مرحلة مبكرة نسبياً من حياته، وقد تتبلور هذه التوجهات أو يعاد النظر فيها، غير أن القسم الأكبر منها يبقى في الذات السياسية له طيلة حياته، ويجري التأهيل السياسي عن طريق عدد من القنوات من بين أهمها وسائل الاتصال الجماهيري، إلى جانب العائلة والمدرسة والمنظمات الدينية والمهنية والأحزاب السياسية.

إن تلك العناصر لا تعني أن الأنظمة السلطوية هي وحدها من وظفت وسائل الاتصال الجماهيري في الاستخدامات السياسية، إذ يأتي هذا التوظيف ضمن سياق الاتصال السياسي" للدول كلها، الذي هو أحد وظائف العملية السياسية الحديثة بشكل عام، التي ستقرر ما إذا كان النظام السياسي سيتغير، أم سيحافظ على موضعه، وما إذا كان القرار سيستمر محكوماً بحزب وحيد متسلط أو مجلس عسكري، أم إن أحزاباً تنافسية هيئة تشريعية فاعلة ستحل محلها، وهو يرمي إلى تدعيم مفهوم التماسك السياسي وخلق الرضا القومي، معتمداً على ثلاثة عناصر، تسهم مجتمعة في تشكيل الظاهرة السياسية للمجتمع⁽¹⁶⁾.

✓ العناصر المادية: التي تتألف من الإقليم والمناخ والمجتمع.

✓ العناصر النظامية: التي تتألف من الدستور المؤلف لهيكل الدولة والحريات العامة.

✓ العناصر المعنوية: التي تشير إلى الدائرة الوسطى للظاهرة السياسية، وتشمل الإيديولوجيات السائدة والدين وروح الشعب.

وتأسيساً على ذلك يمكننا القول إن وسائل الإعلام استخدمت في الحياة السياسية لأغراض منها:

1. استخدمت وسائل الإعلام لبيان ما هو مهم وما هو غير مهم، وما الذي يستحق أن يكون ذو صلة سياسية بحياة المواطنين، وترتيب الأجندة السياسية لهم.

2. أداة لتحريك الرأي العام: وقد مكنت تلك الوسائل من خلق رأي عام مساند واستغلال تأييد المتفعين من قضية ما، ومخاطبة اهتمامات الفئات المعارضة بهدف كسب تأييدهم ودعمهم للقضية، عن طريق:

أ. التنويه، الذي يتحقق بتقديم المعلومات الملائمة لتحقيق الأهداف.

ب. التحفيز على التغيير، وخلق الطموحات الممكنة لدى الأفراد المستهدفين.

ت. الدعوة للمشاركة، والمشاركة هنا هي المطلب الأساس في إحداث التغيير.
3. استخدمت مصدراً للمعلومات لأولئك الذين لديهم خطط وطموحات، إذ إن الإعلام يقوم بدور حيوي في جذب الشركاء وتكوين جمهور من الأنصار والمساندين، وإنشاء اتصالات وثيقة وآليات للتنسيق بين المنظمات والأفراد.

4. مواجهة السلطة للإعلام المضاد: وظفت السلطات السياسية الإعلام لمواجهة الإعلام المضاد الذي تتعرض له، عن طريق تحصيل مواطنيها عبر وسائل الاتصال الجماهيرية المحلية باستخدام أساليب مختلفة منها:

✓ ربط معتقداته بأشياء أخرى يعرفها وبالقيم المشتركة المقبولة، التي تجعل من المتلقي أكثر مقاومة للإعلام المضاد، وربط هذا الاعتقاد بجماعات مرجعية تحظى بالاحترام العام.

✓ إثارة الخوف والقلق وزيادة التوتر عند المتلقي، من نتائج غير مرغوبة لديه، مما يجعله يقاوم الرسائل الإعلامية المضادة.

5. أداة سياسية للإشهار عن مواقف للدولة: ويقوم الإعلام بوظائف محددة يؤديها تنفيذاً للدور الذي تفرد له السياسات العامة للدولة، تتمثل بالاتصال بالأفراد والشرائح الاجتماعية والجماعات والكتل السياسية والمنظمات، والحوار مع القوى المؤثرة في اتخاذ القرار السياسي، من شخصيات وأحزاب وكتل برلمانية، للوصول إلى الحد الأقصى من الفاعلية، التي تخدم سياسات معينة للدولة.

الوظائف الديمقراطية للإعلام:

أصبحت مشاركة المتلقي العادي في العملية الإعلامية ميسرة بفضل ما يسمى بظاهرة الاندماج، التي تشير إلى الاستعمال الشامل للرقمية في الوسائل والتقنيات الاتصالية كافة، مما سمح بتشبيك تلك الوسائل التي كانت تعمل بشكل

منفصل، ومن الناحية التقنية أتاحت عملية التشبيك بين التلفزيون والاتصالات إمكانية ربط أجهزة ووسائل إعلامية كانت تاريخياً مختلفة الوظائف.

كما أتاح التدوين الإلكتروني لفئات وجماعات خارج النخب الحاكمة إيصال صوتها للآخرين، عبر مواقع الصحف الافتراضية الجديدة والمواقع الإخبارية والمنتديات والقوائم البريدية والمواقع الشخصية لبعض السياسيين ورجال الدين والأفراد العاديين، ومكثتهم من أن يكونوا كتاباً وصحفيين ومنتجين للمعلومات، وليسوا مستهلكين لها فقط، متجاوزين قيود استخدام وسائل الإعلام التلفزيونية كلها وعوائقها، وكان وصول عدد المدونات إلى 70 مليون مدونة، قد دفع إلى تسميتها بإعلام المواطن وهناك من أطلق عليها صحافة الهواة، وهو ما يساعد على إيجاد نوع من المواطنة الرقمية والتجول في مجال الديمقراطية الافتراضية (17)

وقد زادت من أهمية التدوين الإلكتروني في المجال الديمقراطي استعانة كبريات الصحف والمحطات الإخبارية بهذه المدونات أو استئجار مدونين بارزين، فقد توصلت دراسة أمريكية إلى تزايد اعتماد الصحفيين والكتاب ورؤساء تحرير الصحف على المدونات السياسية، حتى أصبح الاستعانة بهذه المدونات جزء من الروتين اليومي لجمع الأخبار، ويلجأ عدد من الصحفيين إليها ويعتمدون عليها كمصدر للمعلومات السياسية.

وكان من نتاج ذلك تعزيز وظائف الإعلام الديمقراطية في المجتمعات، وهو ما ساعد في توسيع دائرة مسؤولية الفرد في صناعة القرارات الوطنية، وفي إدارة شؤون البلاد، كما إن نشر المعلومات وتبادل الأفكار والحوار حول القضايا المهمة من شأنه أن يثير حماس الناس للمشاركة في الحياة العامة، وأن يدفعهم للتفكير في الحلول السليمة لمشاكلهم العامة.

وتشير الدراسات الحديثة إلى أن استعمالات الانترنت في الدول التي تصنف بأنها غير ديمقراطية ساعدت في كسر الطوق على عدد من الجماعات السياسية، مما دفع قسم منها إلى الاعتقاد بان التكنولوجيا الحديثة لوسائل الاتصال ومنها

الانترنت أصبحت عدو النظم السياسية التي تنتهك حقوق الأفراد، لأن وسائل الإعلام التقليدية تدعم الحكومات وليست الأفراد، ولكن الانترنت أصبح يعطي القوة للأفراد والجماعات، وأن مدونات الانترنت تمتلك القدرة على نشر أي تفسير سياسي، دون الاضطرار للتعامل مع حراس البوابة في الإعلام التقليدي، مما جعل التدوين السياسي يؤثر على الحياة السياسية العامة في المجتمعات، كما أضحى عالم التدوين يساعد في بناء أفراد يمتلكون مستويات عالية من الديمقراطية والمشاركة السياسية.

وقد وجدنا إن الوظائف التي يمكن أن تؤديها وسائل الاتصال الجماهيري، والاستخدامات الإعلامية للانترنت، لتعزيز الأهداف الديمقراطية في المجتمعات المعاصرة، التي تأثرت بشكل أو بآخر بالمتغيرات الدولية، وهي⁽¹⁸⁾:

1. الشفافية الحكومية: تعد الشفافية أمراً ضرورياً لسلامة الفعاليات الحكومية والقطاعات الأخرى المهمة في المجتمع، وفي حسن الإدارة والنزاهة في المجالات المختلفة، إذ ترتبط الشفافية الحكومية أو السياسية بالانفتاح على الجمهور، فيما يتعلق بالهيكل والوظائف التي تقوم بها الحكومة وأهداف السياسات العامة والقرارات التي تتخذها الدولة، وهي تنطوي على وصول فوري للمعلومات الموثوق بدقتها، ليتسنى فهمها ومقارنتها ومتابعتها.

2. الاتصال بالسلطة: تختلف النظم السياسية في طريقة تنظيمها وتوزيعها للسلطات، ويتطلب وصول مطالب الأفراد العاديين إلى إحدى أجهزة سلطاتها، قنوات أو وسائل اتصال معينة، قسمها خبراء الاتصال السياسي إلى مجموعتين:

أ. قنوات الدخول السياسي: ومنها وسائل الاتصال الجماهيري والأحزاب والهيئات التشريعية والقضائية والدوائر الحكومية، فضلاً عن تظاهرات

الاعتراض والإضرابات السلمية، وغيرها من المظاهر المعلنة، التي لا تحمل مضامين عنف.

ب. قنوات الدخول القسري: ومنها إضرابات المجموعات الساخطة التي تلجأ إلى العنف.

إن وسائل الاتصال الجماهيري تشكل قناة مهمة للاتصال بالسلطة من جانبيين، فضلاً عن إمكانية بيان وجهات نظر ومطالب الجماهير إلى السلطة، فإن هذه الوسائل تكسب الرسائل التي تنقلها وزناً إضافياً، كما إنها يمكن أن تحشد التأييد العاطفي والشعبي والمالي للمطالب الإنسانية أو المهمة، وقد وفرت وظيفة الاتصال بالسلطة فرصة أكبر لعرض المطالب على الملأ، لكي تصبح معروفة لدى أغلب أجزاء المجتمع، وقد شجع عرضها على ظهور مطالب جديدة، طالبت بها أجزاء من السكان، لم تكن تطالب - نسبياً - بأية مطالب في السابق. فالإيمان في إمكانية تحقيق مطلب ما، يشجع على إفصاح أكثر عن المطالب الأخرى، ويحث كذلك على الإلحاح بقوة أكبر على تلبيتها.

3. تقليص صلاحيات السلطة: إن تطور وسائل الاتصال الجماهيري أفقد العديد من الدول واحدة من أهم الوسائل والأدوات الفاعلة للحكم السلطوي، وعن طريق السيطرة على تدفق المعلومات، وأصبحت هذه الدول غير قادرة على مواجهة تأثير تكنولوجيا الاتصال الجماهيري التي تدعم الاتصال الحر المتدفق، كما يعد التدفق السريع للمعلومات والتعرض المتواصل للثقافات المختلفة تشكياً جديداً لآراء المواطنين ومفاهيمهم وادراكاتهم في المجتمعات المختلفة.

4. نشر الوعي بالحقوق وصيانتها: ينظر إلى قضية نشر الوعي بالحقوق المدنية والسياسية، وتوفير حريات الإنسان الأساسية على أنها من بين أهم القضايا المعاصرة المطروحة على المستوى الدولي، وتؤكد اليونسكو على أنه ينبغي لواقعي سياسة الإعلام والاتصال أن يوجهوا اهتماماً أكثر لأوضاع الديمقراطية، إذ إن حريات القول والصحافة والإعلام والتجمع

من الحريات الأساسية لممارسة حقوق الإنسان. وأن توسيع هذه الحريات المتعلقة في مجملها بالاتصال مبدأ من المبادرة المتطورة في مفهوم الديمقراطية وفي حقوق الإنسان التي ينبغي تأكيدها، ويعد الدفاع عن جميع هذه الحقوق واجباً من الواجبات الأساسية لوسائل الإعلام.

5. تحريك مطالب الإصلاح: تعد وسائل الاتصال الجماهيري فاعلة في بناء قضايا سياسية مهمة لدى الجمهور، إذ تقوم بتجهيز المسرح السياسي للمناقشة، وغالباً ما نجد الناس يتحدثون بانسجام مع الخطوط التي ترسمها هذه الوسائل، لاسيما إنها تتمكن من تحفيز الاتجاهات الساكنة وتحريكها في أوقات معينة، إذ إن لكل فرد اتجاهات نحو العديد من الأشياء، فقد تكون له اتجاهات ايجابية نحو: الوطن والتفكير المنطقي والديمقراطية والإصلاح، واتجاهات محايدة نحو: السلطة والأجانب، واتجاهات سلبية نحو: الدكتاتورية والفساد والاعتقال والقتل والعدوان والتخلف الحضاري. ومن الممكن أن تكون لديه اتجاهات مختلفة نحو أشياء متنوعة، إلا أنه لا يشعر بأي نوع من عدم التآلف أو الضغط لتغيير الاتجاه، طالما لم يتم الربط بين الموضوعات التي لديه اتجاهات متناقضة نحوها.

6. التعامل مع الأفكار المستحدثة: ولدت المتغيرات الدولية المتسارعة، وما صاحبها من مفاهيم ومصطلحات واستخدامات متجددة، الحاجة المتزايدة لدور وسائل الاتصال الجماهيري في التعامل مع الأفكار المستحدثة، وشرح مضامينها وأبعادها أمام الجمهور، وأن لا تتحكم السلطة وحدها في نشر هذه الأفكار أو منع ترويجها في مجتمعاتها، إذ إن الديمقراطية تقتضي أن لا يكون تنظيم وسائل الإعلام خاضعاً لسيطرة بيروقراطية أو مركزية، لاسيما أن الاتصال هو العملية التي بواسطتها ينتقل تجديد معين، وينتشر انتشاراً واسعاً ويعمل أيضاً على إحداث

التفاعل الإنساني، الذي تنتقل الأفكار الجديدة بمقتضاه من شخص لآخر.

وتزيد أهمية ذلك مع تلك الأفكار التي يجد فيها المتلقي إن الفكرة المستحدثة صعبة- نسبياً- على الفهم الأمر الذي قد يولد صعوبة الإفادة منها، إذ يمكن أن توفر هذه الوسائل إمكانية الملاحظة التي تكون بموجبها نتائج الأفكار المستحدثة المحتملة مرئية للجمهور.

الخاتمة:

تناول هذا البحث موضوع الإعلام الجديد واستعراض بداية وتطور هذا المصطلح، واتضح من خلال هذا الإستعراض أن هناك تغيرات جديدة في بيئة الإتصال الجماهيري تبرر البحث عن نظريات اتصالية جديدة لدراسة هذه الظاهرة. فهناك حاجة لدراسات جديدة تأخذ بعين الإعتبار الخصائص الجديدة المرتبطة بالإعلام الجديد والتي من أهمها التفاعلية والاندماج والإنتحاح وغيرها من الخصائص الهامة. وهناك حاجة أيضاً لدراسة مختلف الظواهر الإعلامية والإجتماعية الأساسية والوظائف التي لا زالت تشغل بال المجتمعات.

❖ هوامش البحث:

- (1) رضا عيد الواجد أمين: استخدامات الشباب الجامعي لموقع يوتيوب على شبكة الانترنت، المؤتمر الدولي للإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، جامعة البحرين، 09_07 ابريل 2009، ص 512.
- (2) رضا عيد الواجد أمين، نفس المرجع، ص 516.
- (3) خالد بن عبد الله الحلوة: "الإعلام الجديد وتأثيراته في تشكيل الرأي العام: بحث في الإطار النظري"، بحث مقدم في المنتدى السنوي السادس للجمعية السعودية للإعلام والاتصال الإعلام الجديد..التحديات النظرية والتطبيقية، جامعة الملك سعود - الرياض، 23 - 24 جمادى الأولى 1433هـ الموافق 15 - 16 أبريل 2012م، ص 04.
- (4) خالد بن عبد الله الحلوة، نفس المرجع، ص 05.
- (5) سعود صالح كاتب: "الإعلام الجديد وقضايا المجتمع: التحديات والفرص"، المؤتمر العالمي الثاني للإعلام الاسلامي، 13-15 ديسمبر 2011، ص ص 6-7.
- (6) سعود صالح كاتب، مرجع سابق، ص ص 9-10.
- (7) خالد بن عبد الله الحلوة: "الإعلام الجديد وتأثيراته في تشكيل الرأي العام: بحث في الإطار النظري"، بحث مقدم في المنتدى السنوي السادس للجمعية السعودية للإعلام والاتصال الإعلام الجديد..التحديات النظرية والتطبيقية، جامعة الملك سعود - الرياض، 23 - 24 جمادى الأولى 1433هـ الموافق 15 - 16 أبريل 2012م، ص ص 7-8..
- (8) سميرة شيخاني: "الإعلام الجديد في عصر المعلومات"، مجلة جامعة دمشق - المجلد 26 - العدد الأول+الثاني 2010، ص 443.
- (9) حسن عماد مكاوي، سامي الشريف: نظريات الإعلام، القاهرة، دون ذكر دار النشر، 2004، ص 68.

- (10) فضيل دليو: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص 69.
- (11) محمد منير حجاب: الإعلام والتنمية الشاملة، مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 1998، ص 133.
- (12) المرجع السابق، ص 48.
- (13) إنتصار إبراهيم عبد الرزاق، صفا حسام الساموك الإشراف العام موسى جواد الموسوي: الإعلام الجديد..تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، بغداد، 2011، ص 50.
- (14) المرجع السابق، ص 51.
- (15) المرجع السابق، ص 53.
- (16) المرجع السابق، ص 54.
- (17) المرجع السابق، ص 56.
- (18) المرجع السابق، ص ص 57 - 63 .

الدراسات التاريخية

أسلوب السياسة الاستعمارية الدموي في احتلال الغرب الجزائري

مجزرة أولاد سيدي منصور بتيارت 1864 م أنموذجا

الدكتور: كمال صحراوي، جامعة تيارت، الجزائر

الملخص:

خلال عمليات التوسع الاستعماري الفرنسي باتجاه الجنوب الغربي الجزائري اصطدمت القوات الفرنسية بمقاومة شديدة عطلت مشروعها زمنًا طويلاً، ومنها مقاومة أولاد سيدي الشيخ التي اندرجت ضمنها مقاومة أولاد سيدي منصور بتيارت، حيث رفضوا ترك أراضيهم وساهموا في مقتل ثلاث فرنسيين بغصني، ولذلك قررت فرنسا الانتقام منهم فهاجمتهم على يد الجنرال مارتينو في سبتمبر 1864 وقتلت منهم (500) فارس شديد حسب روايات الفرنسيين وإحصاءاتهم، ورغم ذلك ظل النسيان يكتنف هذه القضية فقررنا البحث فيها وحصلنا على مجموعة من الوثائق الأرشيفية التي تميظ اللثام عنها لعلّ الباحثين يهتمون بها.

Abstract:

During the extending operations of the French colonization towards the Algerian south-west the French forces confronted a hard resistance that stopped their project for a long time, and one of them was the resistance of “ oulad sisi Cheikh ” that included “ oulad sisi Mansor ” resistance in Tيارت, where they refused to leave their lands and contributed in killing three French at Ghosni, therefor General Martineau decided to attack them in September 1864 and killed 500 tough knights according to the French reports and statistics, even so this incident stays forgotten so we decided to look in it and we’ve got some archive documents that can encourage researchers to seek its truth.

مقدمة:

ساهمت قبائل ناحية تيارت منذ عهد الأمير عبد القادر في تعطيل المشروع الفرنسي القاضي باحتلال الجنوب الغربي الجزائري، حيث شكلت قبائل الأحرار وأولاد خليف وأولاد سيدي منصور وغيرها السد المنيع الذي اعتمدت عليه مقاومة أولاد سيدي الشيخ فيما بعد. وفي هذا الإطار تدرج قضية مذبح أولاد سيدي منصور التي راح ضحيتها 500 من الرجال الأشداء ونقل الأطفال والنساء أسرى إلى مدينة تيارت وتم الاستيلاء على الممتلكات. وقد برز في هذه المجزرة الجنرال مارتينو⁽¹⁾، والكولونيل بيشو⁽²⁾.

وتناولت أخبارها الصحافة الفرنسية آنذاك مشيدة بدورها في فتح أبواب الصحراء أمام الفرنسيين، وكثَبَ حولها بعض العسكريين الفرنسيين. والغريب أننا رغم كل هذا لا نجد عند الباحثين الجزائريين شيئا كثيرا حول المجزرة رغم دمويتها ورغم أهميتها في فتح باب الصحراء أمام القوات الاستعمارية. وقد كان هذا النقص مشجعا لي لأبحث في الكتابات الفرنسية (ق 19) محاولا إمطة اللثام عن بعض الحقائق المرتبطة بها وأثرها في تسهيل التوغل نحو الجنوب الغربي.

قبل العملية:

في أعقاب قضية بوبراتر⁽³⁾، سارت قبائل عديدة خلف أولاد سيدي الشيخ وقائدهم سي محمد بن حمزة كالمخادمة⁽⁴⁾ والشعانية⁽⁵⁾ وكثير من قبائل الأحرار⁽⁶⁾، وكان يدعمه عمه سي الأعلى. وقد هاجم فرندة على رأس 2000 من أتباعه بداية من 12 جويلية 1864⁽⁷⁾.

لكن أحمد ولد القاضي آغا فرندة جمع كثيرا من القبائل بما فيها بعض الأحرار ودافع عن الآغاليك.

وكان هذا الحاجز قد دعا سي محمد بن حمزة إلى المرور نحو واد سوسلم جهة جبل الناظور فساندته قبائل ووقفت ضده أخرى. ومثل هذا التجاذب فرصة لقبائل الأحرار لتثور خصوصا وأن فرنسا ركزت عليها جهودها لتعزلها عن

المقاومة من خلال إفقارها، وهو ما يتضح جليا من خلال التقرير الذي ذكره Courrier de la Drôme et de l'Ardèche في عدده الصادر يوم 12 ماي 1864 متحدثا عن الاستعدادات الفرنسية لغزو جهة تيارت:

"من الجنرال Deligny إلى السيد الحاكم العام بالجزائر، في 05 ماي عام 1864 على الساعة الواحدة والنصف زوالا:

لقد كان انضمامنا بالأمس أنا والجنرال مارتينو بالقطيفة حيث نحن اليوم، وغدا سنفترق؛ هو يتوجه نحو فرنده ومن هناك إلى تيارت. وأنا سأقدم نحو الأمام وأترك له بعض التوصيات المتعلقة بدوره: أن يمنع بالقوة حركة قبائل اليعقوبية وزدامة وتل تيارت، وأن يأكل شعير الأحرار (manger les orges des Harars) ويفرغ مطايرهم ويراقب التموين بفرنده وتيارت، وأن يستعد لبيعث إليّ قبل 25 من هذا الشهر 50000 وجبة إلى خنق الصوف حيث سأكون يوم 07، وأن يتصل أخيرا بالجنرال Liebert.

وكان أولاد خليف بما فيهم أولاد سيدي منصور⁽⁸⁾. قد عانوا من السياسة الاستعمارية فعندما سيطر الفرنسيون على تيارت أول مرة فر أولاد خليف نحو الجنوب مفضلين ترك أراضيهم على الخضوع للعدو، وحين أعلن الأمير عبد القادر ثورته ساندوه، ولكن يبدو أنهم لم يعودوا قادرين على الاستمرار على التمرد على السلطة الفرنسية لظروف استجدت، حيث أعلنوا الطاعة للاموريسيير بعد أن سيطر الفرنسيون على زمالة الأمير عبد القادر بطاقين. ولم يشفع لهم ذلك، فقد فرض عليهم هذا الجنرال - هم والأحرار - ضريبة ثقيلة. ثم قرر أولاد خليف الثورة تحت لواء بومعزة ونزحوا نحو الجنوب مع الآغا الذي كانوا تحت مسؤوليته ليطلبوا الأمان بعد ذلك من الفرنسيين⁽⁹⁾.

وواضح أن الظروف التي كان يعيشها أولاد خليف خلال سنوات الاستعمار الأولى كانت ملائمة جدا قبل أن تتغير بسبب السياسة الفرنسية في الجزائر، وهذا ما أشار إليه Victor Bérard عام 1858 متحدثا عن أولاد خليف: "أولاد خليف الذين يقطنون شرق الدائرة (وهو يقصد دائرة تيارت Cercle de

(Tiaret) قبائل أضحت متشردة منذ فترة قصيرة، وكانوا قد أنشأوا في واد سوسلم سدودا لسقى مزرعاتهم، وعلى الطريق المؤدية إلى جبل العمور حفروا ثلاث مجموعات من الآبار. لقد صاروا يعيشون في ظلال يحافظون عليها بعناية⁽¹⁰⁾.

ويبدو من التقرير التالي أن هذا الزحف الفرنسي المصحوب بالوحشية التامة قد أثر على سكان جنوب تيارت عموما حتى أجبروا على طلب الأمان، فقد جاء في جريدة L'Impartial Dauphinois يوم 26 جوان 1864: [نقرأ في جريدة Le Moniteur: يعطي آخرُ الأخبار القادمة من الجزائر تفصيلات حول النتائج المحققة من قبل الجنرال Deligny جنوب مقاطعة وهران ، فقد قرر يوم 9 جوان الذهاب إلى الأبيض سيدي الشيخ آملا السيطرة على التمرد في مهده ... وطلب أولاد سيدي الناصر وأولاد سيدي منصور الأمان]

العملية:

كتبت جريدة Journal de la Savoie في عددها الصادر يوم 14 سبتمبر 1864 متحدثة عن النتائج "الطيبة" التي حققها الجنرال مارتينو والكولونيل بيشو مستندة في ذلك إلى الأخبار التي نقلها Le Moniteur Algérien بتاريخ 1864/9/08: [أرسل حاكم مقاطعة وهران معلنا عبر برقية وصلت إلى معسكر يوم 06 سبتمبر أن الحركة المشتركة التي قادها الجنرال مارتينو والكولونيل بيشو في الناظور آتت نتائجها المنتظرة.

لقد تم التمكن من أولاد سيدي منصور - مرابطي أولاد خليف - الذين استقدموا عناصر عدوة من التل، قسم من الأحرار، وأغلبية المتمردين في دائرة عمي موسى - حتى صارت حيواناتهم وخيامهم و400 من نسائهم بين يدي الجيش، وتم القضاء على 500 مسلح كانوا قد لجأوا إلى الجهات الجبلية الوعرة، وذلك بعد أن حاصرتهم قواتنا.

لم تكن خسائرننا ذات دلالة وذلك بفعل الإجراءات المتخذة استعدادا للعملية رغم المسافة والصعوبات المختلفة، حيث انحصرت في 03 قتلى؛ رام وفارسين من الحشم، و03 جرحى؛ 01 من الزواف وفارسين من زدامة]

ويبدو أن كلمة succomber التي استخدمت في الخبر الذي نقلته الصحيفة متحذثة عن المقاومين الخمسمائة للدلالة على مصيرهم قد أشكلت على الباحثين حيث احتملت معنيين؛ الأول يفيد التراجع والاستسلام والثاني يفيد الموت، غير أن Fabre قد أزال هذا الإشكال عام 1902م حين وصف النساء والأطفال بالناجين "وفي أوت 1864 تم تطويق أولاد سيدي منصور بإحدى قمم جبل الناظور من قبل القوات المشتركة لبيشو ومارتينو، وقد قاوموا لكن جميع محاربيهم قتلوا بينما أخذ الأطفال والنساء (وهم وحدهم الذين ظلوا أحياء) أسرى إلى تيارت وغنم الفرنسيون جميع مواشيهم⁽¹¹⁾.

وما يمكن فهمه من حديث فابر هو أن القبيلة تعرضت للحصار منذ شهر أوت واستعصى على الفرنسيين القضاء عليها حتى بداية شهر سبتمبر وهذا بناء على تاريخ المجزرة الذي ذكره تروملي وهو يوم 06 سبتمبر 1864⁽¹²⁾.

وجريدة Le Moniteur Algérien بتاريخ 08/9/1864. ولم تأل فرنسا جهدا للقضاء على هذه القبيلة المقاومة بل لم تستثن وسيلة من وسائل القمع لإخضاع الثوار، فقد بدأ الهجوم المباشر حيث بُقِرَتْ حوامل النساء فكانت تُقتل المرأة الحامل وجنينها أبشع قتلة، وُرمى الأخرى من أعلى سفح الجبل العالي، كما كانت بعض النساء يرمين بأنفسهن من أعلى الجبل حفاظا على شرفهن⁽¹³⁾.

وفي ذات الإطار يشد انتباه الباحث ما ذكرته جريدة Journal de L'Ain في عددها الصادر يوم 12 سبتمبر 1864 بخصوص العملية مشيرة إلى وحشيتها: "500 مقاتل حوصروا في الجبل وقُطِعوا أشلاء" (Cinq cents combattants ont été entourés dans la montagne et taillés en pièces)

لماذا المجزرة ضد أولاد سيدي منصور؟ يجيبنا Trumelet بأن قبائل جنوب تيارت العاصية والتي تركزت جنوب جبل الناظور تجمعت حول 03 عيون هامة هي عين الوسخ، عين القطيفة وعين الرقاي، لذلك قررت السلطات الفرنسية ضم قوات الجنرال مارتينو والكولونيل بيشو ضمن عملية كبيرة يساندهما الجنرال Liebert. وكان الهدف هو طرد هذه القبائل من الجهات المذكورة وحرمانها من الماء إجبارا لها على الخضوع، وهذه المسألة في أساسية للدلالة على أهمية الماء في الاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية⁽¹⁴⁾.

أما Fabre فيعطينا تبريرا أدق لما قامت به فرنسا موضحا أن المجزرة كانت انتقاما من أولاد سيدي منصور لارتباطهم الواضح بالمقاومة:

"وفي 1864 صار أولاد خليف يقاتلون في صفوف الفرنسيين حيث قاوموا ثورة أولاد سيدي الشيخ والأحرار باستثناء فرقة واحدة وهي أولاد سيدي منصور التي ساندت الثورة. ذلك أنها هاجمت مركز غصني (Krosni) وقتلت فارسين وأخذت حصانا. وأولاد سيدي منصور هم الذين عملوا بطرق خفية على إنجاح الغارة التي شنها سي محمد بن حمزة على الأغا الدين بطاين⁽¹⁵⁾.

وتدعيما لهذا نشير إلى أن الذاكرة الشعبية قد حفظت لأولاد سيدي منصور مشاركتهم في معركتين قبل التي نعالج بالدراسة أحداثها، وهما معركة مركونة بضواحي عين دزاريت غير بعيد عن واد سوسلم، وكمين منطقة بولوعال ما بين الفايحة وسي عبد الغني على خط واد سوسلم دائما⁽¹⁶⁾.

ثم هل أجرم أولاد سيدي منصور حتى تُرتكب ضدهم هذه المجزرة الرهيبة؟ حتما لا، لكن لنقرأ ما كتبه Alexandre Duvernois وهو يجيبنا في كتاب له طبع عام 1865 بطرح فرضيتين اثنتين، مكتفيا بذكر الثانية دون كثير من التعليق رغم أنه كان معاصرا للمجزرة وكان حتما يملك من المعطيات الكثير، غير أنه اكتفى بالتلميح حتى لا يُخرج كثيرا من القيادات العسكرية الفرنسية الضالعة آنذاك في هذه المجزرة الرهيبة.

الفرضية الأولى: أن يكون المقاتلون الخمسمائة - الذين لم يكن واجبا عليهم الدفاع فقط عن أنفسهم ولكن عن أبنائهم وعن ممتلكاتهم - مسلحين بشكل جيد وقد لجأوا إلى المناطق الأكثر وعورة في الجبال وماتوا وأسلحتهم في أيديهم، وهنا يجب الاستخلاص بأن (العرب) مقاتلون أشداء".

الثانية: أن يكون الجنرال مارتينو والكولونيل بيشو قد حَصَرَ ببساطة شيئا يشبه المجزرة بشكل كبير⁽¹⁷⁾.

بعد العملية:

رغم أن مقاومة قبائل جهة تيارت لم تتوقف باعتبارها اندرجت ضمن مقاومة أولاد سيدي الشيخ فإن الصحافة الفرنسية حاولت شن حرب نفسية على الجزائريين حين ادعت أن تحركات الجنرالات صارت تؤتي أكلها حتى أن الإدارة الفرنسية لم تعد بحاجة إلى بعث مزيد من القوات، وهو ما سلحظه من خلال بعض التقارير التي سندرجها لاحقا والتي تصور المنطقة هادئة حتى يُخيل إلى القارئ أن المقاومة أخذت نهائيا، وهو ما يجانب الحقيقة، فمقاومة أولاد سيدي الشيخ مثلا استمرت بعد ذلك زمنا طويلا.

ولسنا - رغم كل هذا - ننكر تأثير هذه الجريمة التي ارتكبتها فرنسا على معنويات الجزائريين، فإذا كان كثير منهم قد تحملوا وظلوا في أراضيهم فإن بعضهم صار ينتقل من جهة إلى أخرى خصوصا أولئك الذين صممت القوات الفرنسية على ملاحظتهم كبعض الدواوير من الأحرار. وستتبع ما ذكرته الصحافة الفرنسية عن تنقلات القوات الاستعمارية جنوب تيارت وما حققته خصوصا وفود القبائل عليها لطلب الأمان:

1- أشارت جريدة L'Impartial Dauphinois يوم 14 أكتوبر 1864 ضمن مجموعة عناوين متعلقة بالرسومات إلى رتل تحت قيادة الكولونيل Pechot قام بعملية ضد أولاد سيدي منصور.

2. وفي العدد الصادر يوم 20 أكتوبر 1864 كتبت جريدة Courrier de la Drôme et de l'Ardèche في الصفحة الثانية نقلا عن Le Moniteur de l'Algérie الصادر يوم 13 أكتوبر أن الجنرال Jolivet الذي يلاحق سي الأعلى تمكن من هزيمته جنوب الضاية يوم 11 أكتوبر وتم طرده من جميع النقاط التي كانت تحت سيطرته، كما تمت ملاحقته على مسافة 03 مراحل ... التحقت به قبائل كثيرة فصارت قواته 3000 بين المشاة والفرسان، أما خسائره فكانت 200 بين قتيل وجريح، بينما "خسائرنًا" قتيل واحد و07 جرحى، وقد فتح الجنرال Jolivet واد مكرة. أما الجنرال Deligny فكان يوم 10 أكتوبر قرب جيريفيل (الببيض) حيث قدم عليه قسم من مرابطي الأحرار لطلب الأمان.

3. في 19 نوفمبر 1864 كتبت جريدة Courrier de Alpes: [نشرت جرائد مدينة الجزائر بتاريخ 11 نوفمبر خبرا رسميا هذا نصه: لقد كتب الجنرال ديليني Deligny من الخيثر يوم 06 نوفمبر أن قبائل مختلفة قدّمت له طلب الأمان. حتى هذا التاريخ كان قد أعاد تثبيت أولاد سيدي خليفة على أراضيهم، بينما كان بنو مطهر قد تحركوا للعودة، وكان 30 من أمهر فرسانهم في معسكر الجنرال حيث كان مقررا وصول الأنقاد الذين أعلنوا الخضوع.

وقد كتب الأغا الدين إلى الجنرال Deligny أنه بانتظاره لإعادة تنظيم جبل العمور، وأعلن هناك أن أولاد يعقوب الغرابة طلبوا الأمان...

وجاءت برقية من بوغار بتاريخ 07 نوفمبر معلنة أن 1600 خيمة تابعة لقبائل هذه الدائرة سُمح لها بالعودة إلى أراضيها، وهي من الرحامنة الغرابة والشراقة، المويدات الشراقة وبني عايش الذين كانوا حتى هذا اليوم مع المتمردين. كما عادت أيضا 20 خيمة من أولاد خليف التابعين لدائرة تيارت مع سكان دائرة بوغار].

4. في 24 نوفمبر 1864 تحدث Courrier de la Drôme et de l'Ardèche في الصفحة الأولى عن أخبار المنطقة الغربية التي اضطرت كثير من قبائلها إلى طلب

الأمان، فقد علم الجنرال مارتينو الذي وصل يوم 11 نوفمبر إلى عين ماضي قادما إليها من بريزينة أن الأحرار يسيرون نحو تاجرومة بهدف طلب الأمان.

إن جميع القبائل التي تعلن الآن خضوعها تعيش في بؤس بسبب تنقلاتها المستمرة التي تقوم بها هروبا من قواتنا.

ثم تحدثت الجريدة عن نقل الفرنسيين لمؤونة كبيرة من الخيش يوم 06 نوفمبر تحت قيادة الجنرال Deligny نحو عين ماضي لدعم الجيش هناك، ليختم الحديث بما يلي: "إن عملياتنا - باختصار - مستمرة في الجنوب بنجاح، فالمعنويات مرتفعة والوضع في التل لا يدعو من الآن إلى القلق"

5. كما كتبت جريدة Courrier de la Drôme et de l'Ardèche يوم 18 فيفري 1865 على صفحتها الأولى: [تلقت وزارة الحربية من حاكم الجزائر العام يوم 11 فيفري معلومات مفصلة: في الرابع من نفس الشهر تواجد الجنرال Deligny بـ"غارة سيدي" (هكذا) على بعد 08 مراحل غرب الواد الغربي أين لقي المتمردين بقيادة سي محمد ابن حمزة. وكان مع الجنرال 700 فارس من القوم" و03 سرايا من الفرسان (النظاميين).

ونظرا لأنه كان على يقين من الأهمية السياسية التي سيحدثها هذا النصر لو تحقق على يد القوم" وحدهم أقحمهم واحتفظ بقواته النظامية...

لقد جددت وفاة المرابط (18) طاقة المقاومة لدى العرب ولكنهم أجبروا تحت ضغط القوم" على ترك أراضيهم التي فيها خيامهم المبنية ومتاعهم وحيواناتهم. كانت الغنيمة هائلة، وقد قدمت على الجنرال عند عودته أعداد هائلة من الدواوير التي أعادها إلى أراضيها بينما ظلت دواوير أخرى هاربة.

كانت الخسائر من سلاح القوم" 50 قتيلا و17 جريحا أما خسائر العدو (يقصد الجزائريين) فكانت أكثر بكثير، وقد سُرَّ الجنرال Deligny كثيرا بسلاح القوم" الذي كان يشرف عليه الرائد Dastugues مدير الشؤون العربية بمقاطعة وهران، والنقيب Pan Lacroix رئيس المكتب العربي بوهران].

6. وفي 10 نوفمبر 1865 جاء في Journal de l'Ain أن الفرقة العسكرية التي يقودها كل من الجنرال Lacretelle، الجنرال Martineau- Dechenetz والعقيدان Pechot وColomb بحالة جيدة ولن يتم إرسال قوات إضافية إلى الجزائر.

7. ويعزز هذا الخبر ما نشرته جريدة Courrier des Alpes في صفحتها الأولى يوم 14 نوفمبر 1865: [يقولون في La Patrie إن أخبار "جيش إفريقيا" الذي يقوده الجنرال Lacretelle والجنرال Martineau – Deschenetz والعقيدان Pechot وColomb جيدة ولا حاجة إلى بعث تعزيزات إلى الجزائر]

ولعل الباحث يجد نفسه أمام مسألة تقتضي التساؤل عن مدى تميز هذه الكتابات الفرنسية بالموضوعية، حيث إن خبر المجزرة التي تعرض لها أولاد سيدي منصور في 06 سبتمبر 1864 ذكره أول مرة Le Moniteur Algérien في عدده الصادر يوم 08/09/1864 ثم تناقلته جرائد أخرى بعد أيام من ذلك، ليعمد الكتاب إلى تكراره بألفاظه أو بمعناه مع الإشارة أحيانا إلى مصدره ودون الإشارة إليه أحيانا أخرى، دون إعطاء مزيد من التفاصيل ودون تقديم شهادات معاصرة كان الحصول عليها آنذاك ممكنا للغاية، ومن ذلك مثلا:

- Duvernois, Alexandre. Le Régime civil en Algérie, urgence et possibilité de son application immédiate, précédé d'une lettre à MM. les membres du Corps législatif, défenseurs des intérêts algériens, Paris, J. ROUVIER, 1865, p 41
- Trumelet, Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Ech-Chikh (sud-algérien) de 1864 à 1880, Alger, Adolphe Jourdan, Imprimeur, Libraire, 1884, p 55

- Fabre, «Monographie de la commune mixte indigène de Tiaret-Aflou», Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, 1902, T 22, p 290.
- Journal de la Savoie, date du 14/09/1864, p 01.
- El Contemporaneo, date du 18/09/1864, p 03.

ثم إن الدارس لتاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية يدرك لا محالة أن الفرنسيين كتبوا في كل شيء، واهتموا بمسائل تبدو - على أهميتها البالغة - "تافهة" إذا ما قورنت بدماء الجزائريين، فقد ألفوا حول العادات والتقاليد ودرسوا الشعر الشعبي وحققوا بعض المخطوطات وكتبوا عن جهات الوطن المختلفة وساهموا في بيان أهميتها الاقتصادية، فكيف يهملون الحديث عن مجزرة كهذه؟ إن النظر في هذه المسألة يجعلنا نفترض وجود نية مبيتة لتوجيه كتابات القرن التاسع عشر بعيدا عن جرائم فرنسا. والهدف من هذا كله هو عدم تعطيل المشروع الاستعماري الفرنسي.

وإذا كنا قد أشرنا إلى حقيقة مفادها أن بعض الجزائريين تركوا أراضيهم خوفا من القوات الفرنسية، وآخرين طلبوا الأمان، وأن مجموعات أخرى انضمت إلى القوات الاستعمارية بفعل الضغوط المستمرة فإن علينا تأكيد حقيقة الاستمرارية، ذلك أن المقاومة لم تتوقف سواء في ذات الشهر الذي ارتكبت فيه مجزرة أولاد سيدي منصور أو بعده.

"فقد هاجم الثوار⁽¹⁹⁾ قوات لبيير في (بئر أوقلت الزعفران) يوم 09 سبتمبر 1864، ثم انسحب سى محمد ولد حمزة إلى آفلو، وانسحب آخرون إلى جهات أخرى، وتقدم سى الأعلى وابن عمه سى محمد على الشط الشرقى، وإلى أولاد النايل ونشطا في كتابة الرسائل وإرسال مبعوثين إلى الجهات المختلفة للدعاية لصالح حركتهما ولتجنيد المزيد من الرجال المسلحين وجمع المؤن والذخائر،

وتمكن أنصارهما من احتلال صفيد وعين البيضاء شمال الخيثر قرب الشط الشرقي، والتحق سي الأعلى بهم يوم 29 سبتمبر⁽²⁰⁾.

وإذا كنا قد عملنا على جمع بعض المعطيات حول مجزرة أولاد سيدي منصور في كاف السكومة فإن البحث لم يصل بعد إلى إجلاء حقيقة ما جرى وملابساته، بسبب شح المادة المتعلقة بالمجزرة، وهو ما يستوجب البحث مجددا سواء في الوثائق الفرنسية أو في التراث المحلي بغية الوصول إلى معطيات جديدة توضح أبعادها وتبين علاقة أولاد سيدي منصور بمقاومة أولاد سيدي الشيخ ودورهم الحقيقي فيها.

❖ هوامش البحث

(1) شارك في بسط نفوذ فرنسا في الهضاب العليا الغربية وهوامش الصحراء، وخلدت الصحافة الفرنسية المكتوبة آنذاك ذكره من خلال رصد تحركاته على رأس القوات الفرنسية.

(2) كان بيشو واحدا من أربعة ضباط شاركوا الكولونيل Canrobert هجومه على الزعاطشة، اثنان قتلا للتو، بينما أصيب Besson و Pechot إصابات بليغة جدا، وبيشو خريج المدرسة متعددة التقنيات، وقد تخصص في سلاح الهندسة، وحين قدم إلى الجزائر صارت له مكانة في مصلحة شؤون الأهالي حتى أصبح مسؤولا عن المكتب العربي بمدينة الجزائر، يقابله الكاتب Barail في ذات المسؤولية على مستوى البلدية، ولهذا صار كل منهما يعرف الآخر جيدا حتى أنه يصف بيشو بالعالم المتمكن والفارس الشجاع الذي بكنه عيون جميلة حين مات.

Barail, (François-Charles Du), Mes souvenirs, T 03 (1864-1879), Paris, Librairie Plon, 1898, pp 273-274

(3) العقيد بوبراتر Beauprêtre القائد الأعلى لمنطقة تيارت قتله أولاد سيدي الشيخ بقيادة سي سليمان هو وجنوده في معركة عوينة بوبكر على بعد 20 كلم شرق البيض يوم 1864/04/08 وقد صار مشهورا بسبب شدة وحشيته. وقبل التحاقه بالجيش الفرنسي كان يشتغل بصقل الحجارة بالدويرة. وقد كان معه بعض من الأحرار غير أنهم انضموا إلى سي سليمان قبل أن يهجم على الجيش الفرنسي وهو ما ساهم في هزيمة بوبراتر ومن معه. يراجع:

يحيى بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009، ص 183

Idir Azwaw, Chronologie de la Kabylie, 2013, p107.

Hérisson (le Conte d'), La chasse à l'homme, Paris, 1891, p 349.

Narcisse Faucon, Livre d'Or de l'Algérie, Paris, 1889, p 56 et suite

(4) فرع من سعيد عتبة جاؤوا من إفريقية في حدود 1050هـ، اسمهم مشتق من كلمة خادم وهم من المواليين لأولاد سيدي الشيخ، عرفوا بفرسانهم ذوي البأس الشديد وتميزوا بالترحال الدائم بهدف الرعي، حيث يقطنون بواحات ورقلة فصلي الصيف والخريف وبعد جني التمور يتوزعون حول آبار الجنوب الغربي لورقلة، بينما يقضي بعضهم الصيف كله بسهولة السرسو، كما يقصد آخرون واد زرقون وواد سرور حيث يلتقون بقبائل البيض كبنو ثور وأولاد أحمد ابن حسان. يراجع:

فاطمة حباش، سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ (1820-

1896)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2004-2005، ص 29

(5) عرب استوطنوا متليلي ثم توزعوا في جهات ورقلة، من أهم عشائرتهم: شعانية هب الريح في

جنوب ورقلة، شعانية بوروية أو شعانية شفة استقروا بورقلة، شعانية متليلي (البرازقة) واستقروا

غرب ورقلة، وشعانية القبالة الذين استقروا بالمنيعة، إضافة إلى عشائر أخرى نزحت باتجاه العين

الصفراء، بشار وتندوف في الجهة الغربية. يراجع:

فاطمة حباش، مرجع سابق، ص 32.

(6) الأحرار: مجموعة قبائل تعيش جنوب تيارت، وتنقسم إلى قسمين:

الأحرار الشراقة، وهم أولاد الزواي، أولاد بوعفيف، الكعابرة، الشاوية، أولاد عزيز، أولاد

بلحصين. وكان عددهم 12000 في أربعينيات ق 19م.

الأحرار الغرابة وهم أولاد زيان الشراقة، أولاد زيان الغرابة، أولاد حدو، الدهالسة، الغوادي.

وقد قدر كاريت عددهم في أربعينيات ق 19م بـ 14800 نسمة. يراجع كل من:

Fabre, «Monographie de la commune mixte indigène de Tiaret-Aflou», Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, 1902, T 22, p 262

Carette (E), *Origines et migrations des principales tribus de l'Algérie*, Paris, Imprimerie Impériale, sans date, p 476.

(7) Trumelet, *Histoire de l'insurrection des Oulad-Sidi-Ech-Chikh (sud-algérien) de 1864 à 1880*, Alger, Adolphe Jourdan, Imprimeur, Libraire, 1884, p 05.

(8) كان أولاد سيدي منصور يعيشون ضمن 08 دواوير حسب بعض المعطيات التي جمعها

الفرنسيون سنة 1843. يراجع:

Renseignements historiques sur la zmla d'Abdel-Kader, tombée au pouvoir de S. A.

R. Mgr le duc d'Aumale dans la ghazia exécutée le 16 mai à Taguine. 1843, p 08.

(9) Fabre, Op.cit, pp 289-290

(10) Indicateur général de l'Algérie ou Description géographique, statistique et historique de toutes les localités dans ses trois provinces, Paris, Challamel, 1858, p 592 .

(11) Les femmes et les enfants, **seuls survivants**, sont amenés prisonniers à Tiaret Fabre, Op.cit, p 290

(12) Trumelet, Histoire de l'insurrection des Oulad ... Op.cit, p 56
Trumelet, Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la Province d'Alger, R.A, № 24, 1880, p 10 .

(13) علي كبريت، مقاومة أولاد سيدي منصور في جبل الناظور وإبادة جبل السكومة جنوب تيارت 1864، وهران: دار القدس العربي، ط 1، 2014، ص ص 79 – 80.

(14) Trumelet, Histoire de l'insurrection des Oulad ... Op.cit, p 55

(15) Fabre, Op.cit, pp 290 – 289

(16) علي كبريت، المرجع السابق، ص ص 107 – 108

(17) Duvernois, Alexandre. Le Régime civil en Algérie, urgence et possibilité de son application immédiate, précédé d'une lettre à MM. les membres du Corps législatif, défenseurs des intérêts algériens, Paris, 1865, p 42 وهذا نص الفقرة نوره لأهميته

« Ou bien les 500 combattants qui avaient à défendre non-seulement leur propre vie, mais encore celle de leurs femmes et de leurs enfants, et leur fortune, étaient bien réellement armés et réfugiés dans les parties difficiles de la montagne, sont morts les armes à la main, et alors il faut en conclure que les Arabes sont des adversaires bien peu redoutables, ou bien le général Martineau et le colonel Péchot ont tout simplement assisté à quelque chose qui ressemble fort à une boucherie».

(18) للتعرف على ظروف مقتل محمد بن حمزة يراجع:

Trumelet, Histoire de l'insurrection des Oulad ... Op.cit, p 195

(19) يقصد ثوار أولاد سيدي الشيخ

(20) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 190. وجدير بالذكر أن الأستاذ بوعزيز لم يأت على ذكر

مجزرة أولاد سيدي منصور.

تقييم التراث الحضري التاريخي كآلية لتحقيق التنمية المستدامة بمدينة تبسة

الأستاذ: علي حجلة، جامعة تبسة ، الجزائر
الأستاذ الدكتور: محمد الهادي لعروق، جامعة قسنطينة، الجزائر.

الملخص:

يشكل التراث العمراني طاقة كامنة يمكن استغلالها ثقافياً وسياحياً، ومما لا شك فيه أن قطاع السياحة أداة فعالة في التنمية المحلية انطلاقاً من مميزاته التي لها علاقة بالاقتصاد الجزئي كالربح والسيولة، وإدراكاً منا لأهمية التراث التاريخي والثقافي المادي في النهوض بالنشاط السياحي على مستوى مدن البلاد ودوره في بعث تحولات اجتماعية واقتصادية تشكل في حد ذاتها قاعدة التنمية على المستوى المحلي، وبالتالي تفعيل نشاط أساسي مدر للأرباح وبطريقة مستدامة كثرة لا تنضب، تأتي دراستنا الهادفة الى تقييم التراث الحضري كآلية من آليات بعث النشاط السياحي وتحقيق تنمية مستدامة في مدينة عريقة كمدينة تبسة.

Abstract:

Urban heritage is a potential can be exploited in the areas of culture and tourism, and no doubt that the latter is an efficient tool for local development from its characteristics related to microeconomics and liquidity, and aware of the importance of historical and cultural heritage in the promotion of tourist activities in cities across the country, and its role in the resurrection of the social and economic changes, in themselves constitute a development database locally, that is to origin of the generator core business profits in a sustainable manner, as an inexhaustible resource, our study aimed to come evaluation of urban heritage as a mechanism for the recovery of tourist activity, and achieving sustainable development in an ancient city like Tebessa, she led us to study the history of the town of Tebessa.

تعتبر مواقع التراث العمراني من أهم روافد السياحة نظرا للعلاقة الوطيدة بينهما في إظهار ثقافة الحضارات المتعاقبة المخددة لذاكرة الشعوب واستنباط المعلومات من خلال ارتياد أفراد المجتمعات المختلفة لهذه المواقع أو المواضع التاريخية. كما تعد السياحة في العديد من الدول من أهم الركائز التي يعتمد عليها الدخل القومي، والسياحة في مفهومها هي الانتقال من مكان لآخر بهدف الاطلاع والتعرف والاستمتاع بمواقع مختلفة ويشمل ذلك السياحة الداخلية والسياحة الخارجية، كما تنقسم السياحة حسب نوعية المنتج السياحي إلى سياحة ترفيهية و ثقافية و دينية و علاجية، والسياحة بأنواعها المختلفة تركز على عدة مقومات تشمل المنتج السياحي والمصادر البشرية والإدارة والتمويل والتسويق⁽¹⁾.

وإذا كانت السياحة بهذه الأهمية فإن المعالم والمواضع التاريخية الأركيولوجية تمثل إحدى أهم أعمدتها فالمعروف ان التنمية السياحية تقوم على عناصر عدة أهمها : عناصر الجذب الطبيعية مثل المناخ والنبات والغابات وأشكال وعناصر السطح أو الطبوغرافيا وعناصر جذب غير طبيعية كالمتنزهات والمتاحف والمواقع الأثرية التاريخية، النقل بأنواعه المختلفة، وأماكن الإقامة كالفنادق والشقق المستأجرة ودور الشباب، وعوامل مساعدة أخرى كالإشهار السياحي والبنوك، وإدارة السياحة، ازدادت أهمية ما يسمى بالصناعة السياحية من خلال تنمية هذه المواقع، وينطبق القول على الدول النامية التي تريد تخليص اقتصادياتها من الاعتماد على تصدير المواد الأولية الخام وخاصة منها المحروقات كما هو الحال في الجزائر.

نظرتنا اليوم الى المدينة المستديمة لاتعني بالضرورة أزلية وجودها كنتيجة لعوامل نشأتها بقدر ماتعني عمليات حماية التراث العمراني واسترجاعه وإعادة تأهيله وهي عملية مستمرة .وهو ما يستوجب جرد هذه المعالم وحسرها وتقييمها بشكل دقيق، كما ينص عليه المخطط التوجيهي للمناطق الأثرية والتاريخية (SDZAH) الذي يندرج في سياق انجاز الخطة الوطنية للتهيئة الاقليمية (2025)

SNAT) المنصوص عليها في القانون 01-20 الصادر في 12 ديسمبر 2001 المتعلق بتهيئة الاقليم وتنميته المستدامة .

لقد تضمن المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير حماية المناطق ذات التراث الثقافي و التاريخي وقد تم التأكيد على هذه الحماية في النصوص التطبيقية له أو تلك النصوص القانونية المنظمة لهذا المجال، حيث منعت منعاً باتاً كل الأعمال المتعلقة بالبناء التي تقع في المناطق ذات التراث الثقافي و التاريخي كالحفريات و الآثار التاريخية باعتبارها جزء لا يتجزأ من الثروة الوطنية وذلك على أساس احترام مبادئ وأهداف السياسة الوطنية للتهيئة العمرانية⁽²⁾.

وما بات مؤكداً- وفقاً لعديد التجارب العالمية - أنه من غير الممكن الحفاظ على التراث العمراني ، خارج سياق تهيئة البيئة والمحيط والتخطيط الحضري، كما لا يمكن فصل حماية المباني وصيانة الأماكن الأثرية، ومعالم المدينة ومراكزها القديمة والأنوية التاريخية، عن خطة تطوير المدينة، في إطار التنمية العمرانية المستدامة (développement urbain durable) والتنمية السياحية والاقتصادية والاجتماعية بالمدن القديمة العربية، التي تزخر بعمق حضاري كامتداد للحضارات العالمية القديمة⁽³⁾.

كما أن المخطط التوجيهي للمناطق الأثرية والتاريخية متضمن في المرسوم التنفيذي 05-443 الصادر بتاريخ 14 نوفمبر 2005 م الذي يعرف بصفة عامة الاجراءات الواجب إنجازها لتحضير المخططات التوجيهية القطاعية ، التي يجب أن تتضمن في مقام أول تشخيص عام للقطاع المعني وتطوره مرفوق بمجموع خرائط بمقاييس مناسبة⁽⁴⁾.

وفي هذا السياق يندرج عملنا هذا الذي يرمي أساساً الى إبراز تاريخ مدينة تبسة أو ماضي المدينة العريق، وأهم المعالم والمواضع التاريخية والأثرية الوجه الآخر لجذور المدينة، ان طغيان الاهتمام بالتراث غير المادي كان على حساب نظيره المادي الذي لم يعرف عمليات ملموسة.

كما يفقد لدراسات دقيقة ومخططات وخرائط دقيقة مادفعنا لطرق هذا الموضوع كإضافة ان لم تكن بداية متواضعة لكل متعامل دو صلة نأمل أن تفتح باب الدراسات الجغرافية الأركيولوجية والتاريخية للمدينة والمنطقة عامة على مصارعه المختلفة وكتعريف بمجال الدراسة نتطرق للموقع والمناخ .

أولا (الموقع والمناخ :

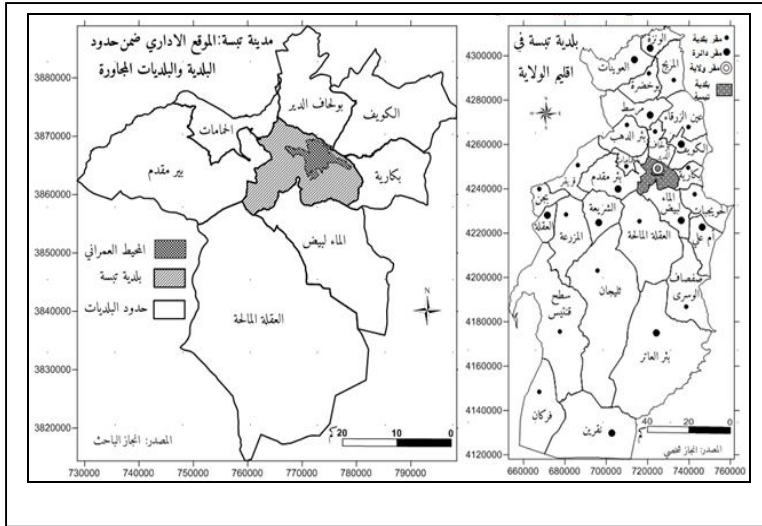
1) الموقع:

جغرافيا: تقع مدينة تبسة في الشرق الجزائري و هي واحدة من مدن الهضاب العليا الشرقية، موقعها متاخم للحدود التونسية التي تبعد عنها بحوالي 39 كيلومتر، و عن العاصمة التونسية بـ : 289 كيلومترا، مما جعلها تحتل موقعا إستراتيجيا مهما، تمر بها عدة طرق وطنية كالطريق الوطني رقم 10 الذي يصل مدينة قسنطينة بها مرورا إلى الجمهورية التونسية. الطريق الوطني رقم 16 الذي يصل مدينة عنابة بمدينة تبسة و وادي سوف جنوبا. و الطريق الوطني رقم 82 الذي يتجه إلى الجهة الشمالية الشرقية ليربط المدينة بالحدود التونسية. إضافة إلى خط السكة الحديدية المار بمدينة تبسة متجها إلى مدينة عنابة ليربطها بمنجم جبل العنق للفوسفات بمنطقة بئر العاتر. كما يتفرع خط آخر للسكة الحديدية من مدينة تبسة إلى الجمهورية التونسية مارا بمدينة الكويف. ويوجد بالجهة الشمالية للمدينة مطارا للخطوط الداخلية.

إداريا : تعتبر مدينة تبسة مقرا لولاية حدودية مند التقسيم الإداري لسنة 1974 و في الوقت نفسه مقر دائرة تضم بلدية واحدة ، هذه الأخيرة أي بلدية تبسة تقع في الجزء الشمالي الشرقي لولاية تبسة تحدها من الشمال بلدية بولخاف الدير، ومن الشمال الشرقي بلدية الكويف، و من الشمال الغربي بلدية الحمامات و من الجنوب بلدية الماء الأبيض و بلدية العقلة المألحة، وشرقا بلدية بكارية وغربا بلدية بئر مقدم. تربع البلدية على مساحة تقدر بـ: 184 كم² وهي واحدة من بلديات ولاية تبسة هذه الأخيرة تحدها شرقا تونس (39 كم عن معبر بوشبكة الحدودي

وعلى مسافة 280 كم عن العاصمة تونس) وغربا خنشلة وأم البواقي وشمالا سوق أهراس وجنوبا الوادي ، تضم 28 بلدية و 12 دائرة .

فلكيا: تقع مدينة تبسة على خط الطول $7^{\circ}.8'$ شرقا ، و خط العرض 35.24° شمالا. والمخطط يوضح لنا الاحداثيات الجغرافية لمدينة تبسة بالتدقيق.



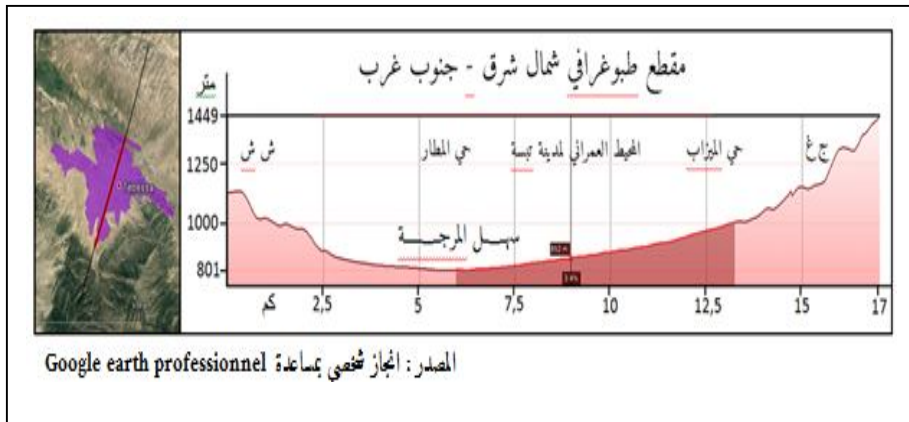
(2) المناخ : تساعد دراسة المناخ التفصيلي للمدن على تجنب توسعها وتفادي توطين مختلف المشاريع في المناطق غير المناسبة ، تبعا لإتجاه الرياح و مصادر الفيضانات و أوقات حدوثها و خطرها على المدينة ومن تم يمكن معرفة قدرة المدينة على استيعاب المزيد من المشاريع في شتى الميادين وكذا معرفة العوامل الطبيعية المشجعة على تحقيق الاستدامة في المدينة من غير ذلك وهو ما يحتاج لعمل اضافي في هذا الشأن ، وتبعا لتقسيم أومبرجي نجد مدينة تبسة ضمن المناخ المتوسطي وبالتحديد في النطاق نصف الجفاف شبه البارد semi aride a hiver frais. أمطارها تسقط بشكل فجائي تسبب فيضانات في معظم الأحيان تلحق أضرارا بالمشات والأشخاص أحيانا . من الجدول ومن الشكل البياني يتبين أن

مناخ مدينة تبسة يمتاز بارتفاع درجات الحرارة الجدول (01) : توزيع متوسطات درجة الحرارة والتساقط على أشهر السنة لمدينة تبسة (1974 - 2003) .

الشهور	ج	ف	م	أ	م	ج	جو	أو	س	أك	ن	د
الحرارة °م	6,5	7,7	10,1	13,2	18	23,1	26,5	26,5	21,6	16,4	11,1	7,7
التساقط مم	2	5	20,64	36,46	28,18	39,04	28,31	13,62	22,7	31,16	22,7	17,77

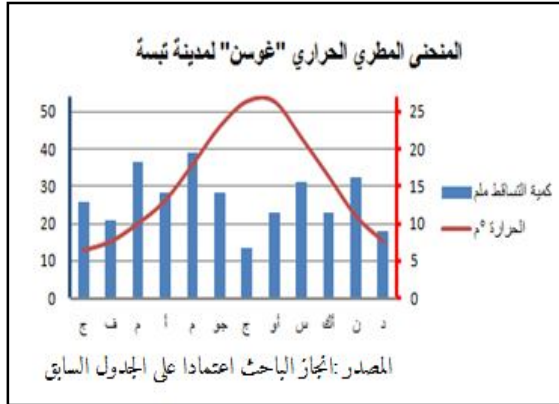
المصدر : محطة الرصد الجوي - تبسة

صيفا وانخفاضها شتاء فالمدى الحراري يصل الى 18,8 درجة مئوية، كما يبدو التدبدب في كميات الأمطار واضحا مع قلتها خلال أشهر السنة فهو مناخ متوسطي تزداد فيه القارية اذ تقدر كمية التساقط سنويا ب 318,76 ملم ومعامل الاختلاف لأشهر السنة يقدر ب 27,22 % دليل عدم الانتظام، وفي دراسة أجريناها بعنوان التهيئة الحضرية ودورها في تنمية السياحة بمدينة تبسة⁽⁵⁾.



وبناء على معطيات سالتزر (1913 - 1938) فان درجة الحرارة الدنيا لابرذ شهر في السنة بالنسبة لمدينة تبسة هي 1,9 °م أما القصوى لأحر شهر في السنة فهي

34,8 °م ومن ذلك نجد معامل اومبرجي يساوي 35,26 وهو ما يجعل هذه المدينة تنتمي للنطاق المناخي نصف الجاف ذو شتاء شبه بارد semi-aride a hiver frais، ومن مميزاته تشكل الجليد بصفة دورية سنويا، رياح شمالية وشمالية غربية (نوفمبر-أفريل) وجنوبية تهب في الفترة من (ماي-جويلية)، الفترة الجافة تشمل معظم شهور السنة 5- 7 أشهر تقريبا. مؤشر المناخ : indice climatique de demartone 1923 : I = P/(T+10) يساوي 12,4031128(6). وهو ما يؤكد انتماء مناخ المدينة للنطاق نصف الجاف . Semi aride



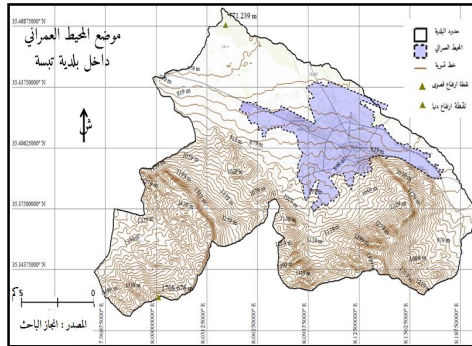
ثانيا : موضع مدينة تبسة :

إن موضع المدينة أو المكان الذي تقوم عليه يلعب دورا هاما في تحديد الوظيفة التي تنشأ من أجلها و خطتها و إتجاهات توسعها. يمتاز موضع مدينة تبسة بأنه استراتيجي يساعد على المبادلات التجارية كما يميزه الانبساط النسبي ترتفع المدينة عن سطح البحر بـ: 850 م⁽⁷⁾ وتتصف بجبالها الجنوبية التي تحميها من زحف رمال الصحراء . تتربع مدينة تبسة على مساحة 3653 هكتار⁽⁸⁾. أي نسبة 19.85% من إجمالي مساحة البلدية و المقدرة بـ: 18400 هكتار. أما النسيج العمراني فيمتد بين 800 م بحي المطار شمال المدينة و 995 م بحي الميزاب جنوب المدينة بفارق ارتفاع 195 م ممتدا على مسافة 12 كم نحو الشرق و 7,5 كم نحو الجنوب، أنظر المقطع الطبوغرافي.

ان الغرض من التطرق للموقع الجغرافي لمدينة تبسة في هذا العمل انما يهدف لابرز دوره المساعد على تواتر الحضارات التي عرفتها، فهي لاتبعد عن العاصمة تونس في الاتجاه شمال شرق سوى بجوالي 289 كم، وعن مدينة القيروان سوى بـ 230 كم وعن مدينة سوسة الساحلية التونسية شرقا بـ 291 كم، وعن مدينة عنابة الساحلية شمالا بـ 226 كم وعن مدينة سيرتـا أو قسنطينة بـ 203 كم في الاتجاه الشمالي الشرقي، هذا الموقع الاستراتيجي ازاء هذه المدن التاريخية جعلها تتأثر بمختلف الحملات التي عرفتها تؤثر وتتأثر بمشهدته من أحداث تاريخية.

ومما زاد من استراتيجية هذا الموقع تواجد المدينة على الطريق بين قرطاجة عاصمة فينيقيا التي سقطت بيد الرومان لاحقا ولاميزيوس المقر الثاني للفيلق الأوغسطي الروماني. هذا الموقع الذي يمتاز بانبساطه النسبي ووفرة المياه الباطنية أو الجوفية في جهات عدة ساعد على استقرار الشعوب والحضارات بها، وهو ما جعل المدينة وجوارها تتمتع بتراث مادي تاريخي غني و ثري بحاجة الى تامين وإعادة اعتبار وبالتالي تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية ترقى بمجتمع المدينة وتُنقله من أوضاع تتصف بالجمود والركود والتخلف الى أوضاع جديدة تتصف بالحركة

والمرونة والديناميكية"⁽⁹⁾. ومن هنا يأتي استعراضنا للمعالم والمواضع التاريخية كل منها على حدى مدعمين ذلك بخرائط ومخططات مع وضع توجيهات بعد تحليل واقعها.



ثالثا) النشأة التاريخية وأصل التسمية

1) النشأة التاريخية: عرفت مدينة تبسة الحياة ووجود الإنسان عليها منذ ما يزيد عن 12000 سنة قبل الميلاد⁽¹⁰⁾ أي مرحلة ما قبل التاريخ فيما يعرف عند المؤرخين بالحضارتين العاترية التي تشير بعض المصادر بأنها تعود لفترة أقدم من ذلك بكثير⁽¹¹⁾. نسبة لبئر العاتر بالجزائر، و القفصية نسبة لمدينة قفصة بتونس والواقع أن التواجد البشري بمنطقة تبسة على الحدود الجزائرية التونسية يرجع فعلا لفترات أقدم من ذلك بكثير حيث بينت الدراسات الأركيولوجية وجود مواضع كثيرة احتضنت حضارات قديمة شهدتها المنطقة زيادة على الآثار الرومانية البيزنطية والنوميديّة غير أن الدراسات التاريخية المتعلقة بهذه الحقبة لدى قدامى المؤرخين لم تحض بالكثير من الاهتمام لأن ذلك يعني عراقة الشعب الجزائري وهو ما يزعج كل محفل⁽¹²⁾.

ومن شواهد ذلك قبور قسطل بعين الزرقاء، الماء لييض، وتازينت بالشرية، ورسوم الكهوف الحمراء بجبل الدكان جنوب المدينة ، ومواقع عدة

متنشرة هنا وهناك . " civilization de la pebble-culture ou de la culture " .
(13) acheuléenne .

وقد أطل فجر التاريخ على المنطقة مع قدوم الفينيقيين لسواحل شمال افريقيا 1200 سنة ق م (عنابة وبجاية) دون حروب الذين أسسوا مملكة قرطاج وتوسعوا باتجاه مدينة تبسة بحكم الجوار، فتمازجوا وتصاهروا مع سكانها الأصليين الذين كانوا يسمون باللبيين ومن ثم أصبحوا يدعون بالبونيقيين بعد امتزاجهم بالفينيقيين وذلك منذ عام 814 ق م بنيت المدينة خلال القرن الخامس قبل الميلاد على غرار مدينة سوق اهراس من طرف الفينيقيين وهي بذلك تعد من أقدم مدن شمال افريقيا. لعبت دورا كمركز تجاري نشط في المبادلات التجارية مع قرطاجة، خضعت تبسة لحكم قرطاجة سنة 250 ق م بعدما عرفت من قبل فترات تحت حكم البونيقيين⁽¹⁴⁾ .

دخلت تبسة في صراعات قرطاجة وروما الى أن وقعت تحت حكم الرومان الغازي بحلول القرن الثاني قبل الميلاد ; ومنذ ذلك وبسقوط قرطاجة اصبحت تبسة مقاطعة رومانية تقيم بها الكتيبة الرومانية الأوغسطية الثالثة أي انها كانت تأوي المقر العام للفرقة الثالثة الرومانية للقيصر أوغست Auguste، التي يتراوح عدد أفرادها بين 5500 - 6000 مقاتل، و فرق أخرى من المشاة والفرسان يبلغ عددها زهاء ثلاثة عشر ألف مقاتل ،نقل مقر هذه الوحدة في عهد الأمبراطور "هدريان" الى مدينة "لامبزيوس" سنة 122 م، تمتعت المدينة بنوع من الاستقرار والأمن بلغ دروته في عهد الأمبراطور الروماني "فسباسيان" (69 - 79 م).

فكانت المدينة الرومانية الثانية بعد قرطاج، استمر هذا الازدهار والدور التجاري الذي لعبته المدينة على طريق قرطاجة - لامبزيوس حتى أواخر القرن الخامس الميلادي، وقد ظلت المدينة تحتل تلك المكانة المرموقة في عهد الأباطرة " دوميتانيس " 81-96 م، "تراجان" و"هارديان" و"سبتيم سيفار" 193-212 م وفي عهد ابن الأخير الأمبراطور أنطونين كاراكلا" 212-217 م الذي أشتهر

بالقوانين العادلة والمساواة ومنحه الحقوق والحريات لجميع مواطني منطقة تبسة شهدت المنطقة الازدهار الاقتصادي، والتقدم الزراعي والرخاء التجاري والأمني، كما عرفت حركة التوسع العمراني مثل شق الطرقات وبناء بوابة النصر المثلثة في قوس النصر L'arc de triomphe كراكلا المعروف، وعمد الرومان إلى تشييد الكثير من المعالم. لا يزال معظمها قائما وشاهدا على منجزاتهم زيادة على قوس النصر ومنها المسرح المدرج L'amphithéâtre، معبد مينارف temple de Minerve، السور القديم أو القلعة la citadelle، الجسور السبعة على واد زعرور⁽¹⁵⁾.

والكنيسة الكاتدرائية الأولى في افريقيا سنة 256 م، وتبسة العتيقة انتشرت الديانة المسيحية في مدينة تبسة وضواحيها مند بداية الاحتلال واعلنت رسمية في بداية القرن الرابع الميلادي وبعد الصراع الذي وقع بين الرومان من المسيحيين وغيرهم الذي أل بالبلاد الى المسيحيين كثر الفساد والتنافس على السلطة وتعددت المذاهب فتمرد الجيش وزحف الوندال بقيادة "جنسريق" على ممتلكاتهم فهدموا مابناه الرومان خلال أربعة قرون ثم عادوا للتشييد بعد ادراكهم فداحة ما فعلوه وهو ماتبين من خلال اكتشافات السيد البيرين⁽¹⁶⁾.

في بئر العائر متمثلة في 45 لوحة عقود بيع وشراء ، وكذا المقبرة المترامية الأطراف بحي دراع الامام وقرب مدرسة الدكتور سعدان " التي تعود لنهاية القرن الرابع وبداية القرن السادس الميلادي وتوجد بها شواهد عن العهد الوندالي الذي واجهته ثورة الأهالي سنة 493 م فخرجت تبسة من تحت سيطرتهم لغاية سنة 532 م .

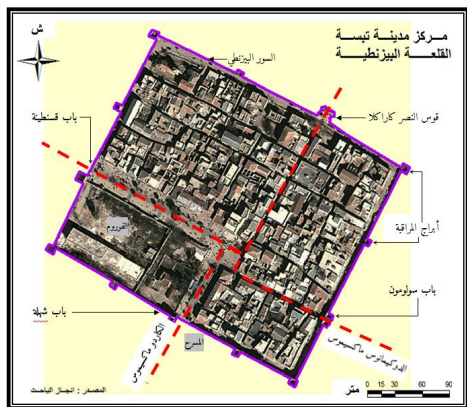
وبعد حكم الوندال كانت بداية العهد البيزنطي بإرسال الامبراطور "جستينيان" جيوشه لشمال افريقيا بقيادة "بليزاروس" الى تبسة وانتصارها على آخر جيوش الوندال الذين غادر قائدهم نحو "بونة" ومنها الى بيزنطة، وحل محله البطريق "صولومون" الذي يعد محتلا كغيره من الغزاة واجهه ملك الأوراس أنداك فدياس مدعما بجوالي ثلاثين ألف مقاتل مادفعه للعمل على بناء أسوار لحماية نفسه

وجيشه معتمدا على العمال أسرى الحرب والأهالي وأحضر المهندسين من قرطاجة فبنى القلعة الحالية بالمدينة العتيقة.

وكذلك أسوارا حول مبنى البازيليك المشيد في العهد الروماني، وحول تبسة القديمة وحوالي 50 برجاً للمراقبة والحراسة من العدو ورغم هذه التحصينات فقد انتهى حكم البيزنطيين بأسر وقتل صولومون سنة 546م على يد الأمير أنطلاس" قائد قبائل الفراشيش والناماشة بصفة وادي زعرور خارج الحصن تحت الأسوار التي بناها صولومون بنفسه.

عرفت المنطقة تعاقب الكثير من الحضارات بداية من عصور ما قبل التاريخ كالحضارة العاثرية تعود لفترة تتراوح ما بين 7500 - 50000⁽¹⁷⁾، ثم الرومانية التي تركت الكثير من المعالم والشواهد فالوندال والبيزنطيين على فترات قصيرة، اعقب هذه الحضارات الفتح الاسلامي سنة 647م وبعد الفتح الاسلامي للمنطقة عرفت حكم الخلافة الاموية ثم العباسية والفاطمية ثم الزحف الهلالي وأخيرا تحت راية الدولة الموحدية وبعد انقسام شمال افريقيا لثلاث دويلات أصبح اقليم تبسة تابعا للدولة الحفصية بتونس لثلاث قرون ومجول سنة 1573م أصبحت تبسة جزءا من بايلك الشرق المنتمي للحكم التركي. وبعد سقوط قسنطينة سنة 1837م ومغادرة الأتراك المدينة نحو تونس.

بقيت مدينة تبسة دون قوة نظامية تحميها وانتهى بها الوضع للوقوع تحت الاحتلال الذي بدأ سنة 1842م على يد الجنرال "دو نيقريبي"، ورغم الحملات الأخرى التي شنّها الجيش الفرنسي مثل حملة الجنرال راندون 1845م إلا أن الاحتلال الرسمي لمدينة تبسة لم يكن سوى سنة 1851م على يد الجنرال "سانت أرنو" في ظل فوضى عارمة كانت تعم أعراش وقبائل المنطقة ورغم المقاومات التي واجهت الاحتلال دون توقف والمجازر التي ارتكبتها جنرالات العدو وانتهاجهم لسياسة التفرقة وبث الخلاف بين القبائل للتمكن منهم.



2) المدينة وأصل التسمية : تبسة مشتق من اسمها القديم "تيفيست" وهو اسم نوميدي أو بربري قديم يتدئ وينتهي بحرف التاء، وقد اطلق عليها الرومان تيفاست Théveste اسمها باللاتينية "تيفستيس"، ويرجح حسب الترجمة اللوبية القديمة بأنها تعني اللبؤة -أنثى الأسد - ولما دخلها الإغريق شبهوها

بمدينة تيبس الفرعونية لكثرة خيراتها والمعروفة اليوم بمدينة طابة المصرية أما العرب الفاتحين فقد أطلقوا عليها اسمها الحالي تبسة بفتح التاء وكسر الباء، وكسر الباء وفتح السين مع تشديدها⁽¹⁸⁾.

كانت مدينة تبسة خلال الستينات تبدو للناظر القادم إليها من طريق قسنطينة أشبه بقلعة بنية لكونها تقع ضمن السور الحجري البيزنطي (أنظر الشكل : مركز مدينة تبسة أو القلعة البيزنطية).

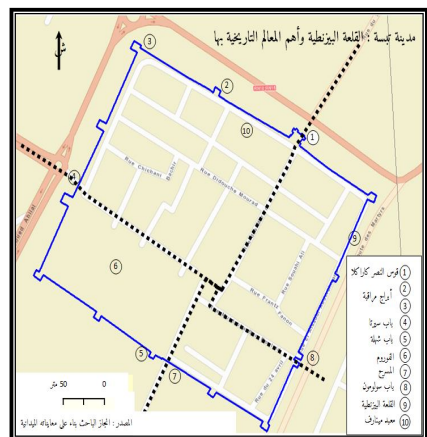
اضافة الى خمسة أحياء خارج السور وهي الزاوية، باب زياتين ، الكنيسة، وحي الفوبرور وحي لاکومين تتوسط المدينة ساحة "cour carnot" أو ساحة الحرية اليوم بوسطها بركة ماء عليها تمثال رخامي أبيض لـ "jeanne d'arc" الفرنسية وشجرة ثوت كبيرة أزيلت فيما بعد كما ورد عن بعض سكانها ، كان بالمدينة مسجداً جامعان وهما الجامع العتيق، وجامع المدرسة إضافة الى مسجد سيدي أبي سعيد ، تتمتع المدينة بسورها وأبوابها الرومانية كباب كراكلا "قوس النصر كراكلا" شمال القلعة و باب صولومون شرقاً وكذا باب شالة بجوار برج تعلوه ساعة حائطية كبيرة جنوباً ، وقد تم استحداث باب قسنطينة غرباً على مستوى السور البيزنطي من طرف الاستعمار الفرنسي.

وعلى صغرها كانت مدينة تبسة تتمتع بأزقة وشوارع ومرافق نظيفة كمبنى البلدية والحديقة المجاورة له وبمدارس ومحال تجارية قليلة غير ان الانفجار

الديموغرافي الذي شهدته على فترات لاحقة جعل هذه المدينة على غرار المدن الجزائرية الأخرى تعرف توسعا عمرانيا غير منسجم ذات نسيج عمراني هجين سواء داخل المدينة القديمة أو خارجها ليفقد المدينة حاليا ذلك البريق والجاذبية الذين كانت تتمتع بهما ويفرض ضرورة الوقوف أمام وضع المدينة الحالي بتناقضاته واشكالاته وتشخيص هذا الوضع سعيا لتنميتها بمايتماشى وتحقيق بيئة سليمة ومستدامة فالبعد التاريخي لهذه المدينة وماتتوفر عليه من معالم تاريخية تنفرد بها احيانا يجعل المدينة قادرة على تحقيق ذلك .

رابعا): المعالم التاريخية لمدينة تبسة : بالنظر لأهمية موقع مدينة تبسة كما أشرنا اليه "على المستوى المغربي فقد كانت معبرا لكل الحضارات المتعاقبة التي عرفها القطر الجزائري سواء تعلق الأمر بتلك الواردة اليها عن طريق البحر كالفينيقية أو الرومانية أو العثمانية أو تلك القادمة من الداخل عن طريق البر كالحضارة العربية الاسلامية ، اضافة الى حضارات ما قبل التاريخ فإنها تزخر بالمعالم التاريخية والشواهد الكثيرة التي تعكس لنا مميزات هذه الحضارات، بلغ عدد هذه المعالم مايزيد عن 500 معلم أهمها :

1) السور البيزنطي (الحصن أو القلعة) : **Muraille de solomon** : أهم وأكبر معالم مدينة تبسة شيد في عهد البطريرق سولومون سنة 535 م لحماية المدينة ومواجهة الأعداء ، تقدر مساحة القلعة البيزنطية ما يقارب 8,1 هكتار كما يبلغ طول محيطها 1364 متر (19)، مزودة بـ 14 برج مراقبة ولها ثلاثة أبواب أحدها في الشمال وهو قوس النصر كارا كلا والثاني في الشرق وهو باب سولومون بين برج مراقبة، الثالث الى الجنوب، وهو باب سري يستعمل للحالات الاضطرارية يدعى "باب شهلة" نسبة الى عين شهلة الروماني المجاور الذي يتغذى اعتمادا على مياه حاجز أقيم على وادي زعرور شرق المدينة الرومانية أو شرق السوق البلدي والمسرح الروماني، وقد استحدث بابا رابعا هو باب سيرتا أو باب قسنطينة يتواجد غربا على الطريق المؤدي الى مدينة قسنطينة



أنظر مخطط القلعة وأهم ما يوجد بها من معالم تاريخية، معظم المراجع تؤكد أن القلعة البيزنطية عبارة عن سور مستطيل الشكل تقريبا بطول 380 مترا وعرض 280 مترا وبالتالي مساحته 8,9 هـ، لكننا نؤكد على أن المساحة لاتزيد عن 8,1 هـ كحد أقصى، عمدت الادارة الفرنسية بعد دخولها المدينة الى تحويل الجزء الجنوبي من القلعة الى ثكنات عسكرية تقدر مساحة هذا الجزء بـ 2,5 هـ بعد مد جدارين حجريين بطابع مماثل للسور البيزنطي الذي أدخلت عليه عمليات ترميم وخاصة على مستوى أبراج المراقبة وفتح ابواب جديدة في الجهة الشرقية من القلعة ازاء السوق البلدي وكذا الجنوبية أنظر المخطط للقلعة البيزنطية وأهم المعالم التاريخية بها". يعيش هذا المعلم وضعية من الاهمال، يلزمه منظر مشوه من جراء رمي الأوساخ وغياب النظافة وحرق جدرانها وانتشار فوضى التجارة غير المقننة حوله وظواهر التسول اضافة الى تدهور حالة الطرقات والشوارع الملازمة له وخاصة من جهته الداخلية يضاف لكل ما ذكر عمليات التجديد الذاتي (Auto rénovation) للبنائيات التي يبادر بها السكان دون مراعاة الميزة التاريخية لهذا المعلم، وقوانين العمران التي تحكم ذلك خاصة المتعلقة بمعامل شغل الأرض (COS) وعلاقته بارتفاع البناء داخل القلعة مقارنة بارتفاع جدرانها، اضافة الى

الطابع المعماري المميز لهذا المعلم التاريخي القديم المصنف وطنيا بتاريخ 19/10/1982 الوارد بالجريدة الرسمية 48 الصادرة بتاريخ 30/11/1982.

(2) المسرح المدرج (السيرك) : تم بناؤه في عهد الامبراطور فسباسيان سنة 73 م أو 89م حسب العربي عقون في ترجمته لكتاب "حوز تبسة"، في حين تشير بعض المصادر الى سنة 77م تحديدا، يتسع لما يزيد عن 7000 متفرج، استعمل كملعب أو مسرح وأحيانا لالعاب المصارعة بين الفرسان واسرى الحرب أو مع الحيوانات المفترسة. يقع هذا المدرج جنوب شرق المدينة على الضفة الغربية لواد زعرور وعلى بعد 150 مترا من باب سولومون شرق القلعة التي بداخلها المدينة العتيقة، تبلغ مساحة موضع المسرح المدرج حوالي 1,26 هـ تتوسطه حلبة دائرية بقطر 45 مترا⁽²⁰⁾. وحول هذه الحلبة مدرج من 15-16 درجة له مدخلين أحدهما للحيوانات الضارية والأخر للمصارعين ، بعد عمليات البحث التي أجريت سنة 1859م ، القائد أو النقيب الفرنسي "مول" يصف هذا المعلم⁽²¹⁾.

أنظر الشكل أو المخطط الذي يمثل "موقع المسرح المدرج بالنسبة للمدينة"، صنف كمعلم قديم وطنيا بتاريخ 19/10/1982 تضمنته الجريدة الرسمية رقم 48 الصادرة بتاريخ 30/11/1982م ، لا تزال معالم المدرج غير مكتملة أي ان جزء منها مغمور بالتراب وهو بحاجة لابرز معاملة كاملة . يعاني هذا الموضع على غرار معظم المواضع التاريخية الأثرية في المدينة من الاهمال بفعل مجاورته للسوق البلدي غربا وواد زعرور شرقا ماجعله معرضا لرمي النفايات أو مكبا لها، رغم أنه محاطا بسيج حديدي لم يسلم هو الآخر من مظاهر التشويه .

(3) قوس النصر كاراكلا: على مسافة أفقية تقدر ب 400 متر انطلاقا من المسرح المدرج الى الجهة الشمالية الغربية ، أثناء حكم الأباطرين الأخوين "كاراكلا" و"قينا" بعد وفاة أبيهما "سبتيم سيفار" بدأت عملية تشييد المعلم سنة 211 / 212 م وانتهى العمل منه العام 214 - 215 م يعتبر قوس النصر كاراكلا تحفة معمارية فريدة من نوعها في العالم بعد قوس "جانوس" المتواجد بروما الايطالية غير أن قوس النصر الموجود بتبسة أفضل تصميميا له أربع واجهات أو مداخل



معبد مينارف

أساسية تزين كل منها أربعة أعمدة أسطوانية محمولة على قواعد حجرية كما أن كل جهة مهداة إلى أحد افراد العائلة الحاكمة آنذاك عائلة (سبتيم سيفار) ، الواجهة الغربية مهداة لزوجـة سبتيم سيفار "جوليا دومنا" والشرقية مهداة الى الأمبراطور سيبتيم سيفار الواجهة الجنوبية لابنه "كاراكلا" باني القوس وواجهة

رابعة شمالية للأمبراطور "فيتا" الذي قتل أثناء بناء القوس، بني قوس النصر كاراكلا بناء على وصية أحد اثرياء المدينة "كاوس كورنيليوس ايجريليانوس" قائد الفيلق 14، والقاضية بتقسيم ثروته الضخمة بين شقيقه المقيم في المدينة - لعدم وجود ابناء له- مع تنفيذ شروطه ومنها بناء حمامات في كامل المدينة، انشاء نصب كبير للآلهة مينارف آلهة الحكمة، وتخصيص مبلغ مالي للفقراء. تم انشاء قوس كاراكلا بطريقة فريدة على شكل مكعب بضلع ارتفاعه 11 م وفي كل واجهة يوجد قوس، ويرفع فوقه قبة أنظر الشكل "قوس النصر كاراكلا كما كان عند انشائه" ويعد ملتقى لعدة طرق .

أجريت عليه أكثر من عملية ترميم خلال الحقبة الاستعمارية . ما زال إلى اليوم يحافظ على طابعه المعماري رغم زوال ثلاثة اعمدة بسبب الحروب القديمة. صنف قوس النصر كاراكلا كمعلم قديم وطني بتاريخ 19/10/1982 تضمنته ج رج ج دش 48 لـ 30/11/1982 م .

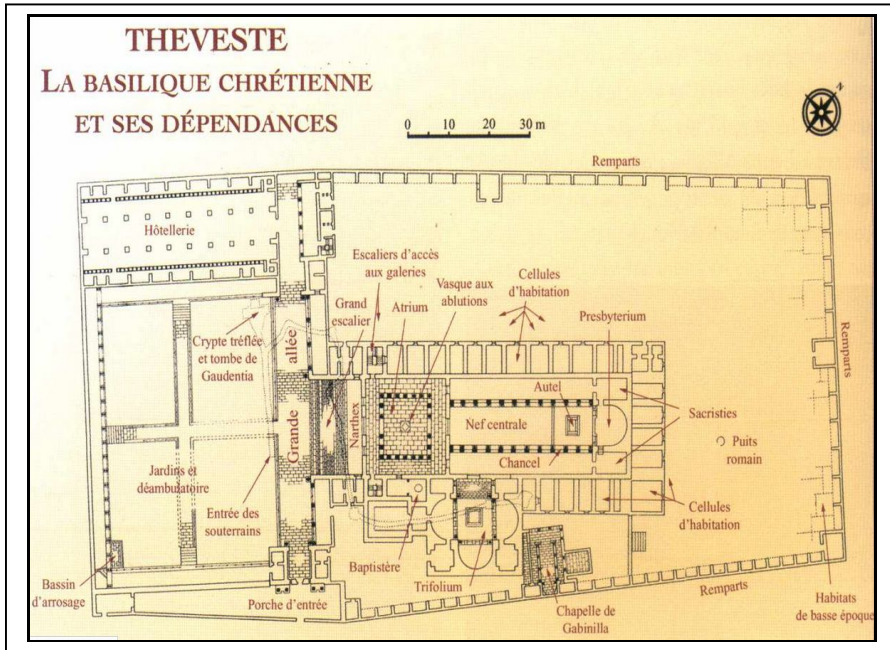
4) معبد مينارف: بني هذا المعلم بعد قوس النصر كاراكلا سنوات (79- 69م)



قوس النصر كاراكلا كما كان عند انشائه

في عهد الامبراطور فسباسيان ويقع على مسافة غير بعيدة عنه (55م) في فترة كانت تعرف مدا قويا للديانة المسيحية، تزين واجهته الأمامية أربعة أعمدة ذات تيجان

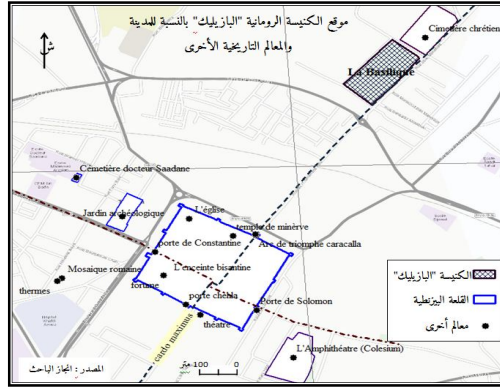
كورنثية، يعلو المعبد عن الأرضية المجاورة بـ 4 أمتار يتم الصعود اليه بسلم من 20 درجة، يتكون من قسمين قاعة للصلاة (Cella) ومقدس (Sanctuaire) فهو معبد الألهة مينارف ألهة المعرفة⁽²²⁾.



والحكمة حسب الميثولوجية الاغريقية الوثني يمتد على 19 مترا طولا و9 أمتار عرضا توجد بداخله فسيفساء رومانية وأواني فخارية متقنة الصنع تعكس الممارسات والطقوس والمعتقدات التي كانت سائدة آنذاك، ويمثل اليوم متحفا لمدينة تبسة، صنف هذا المعلم ضمن التراث الوطني مند سنة 1902 وتضمنت ذلك ج رج ج دش رقم 07 الصادرة بتاريخ 23/01/1968 ..

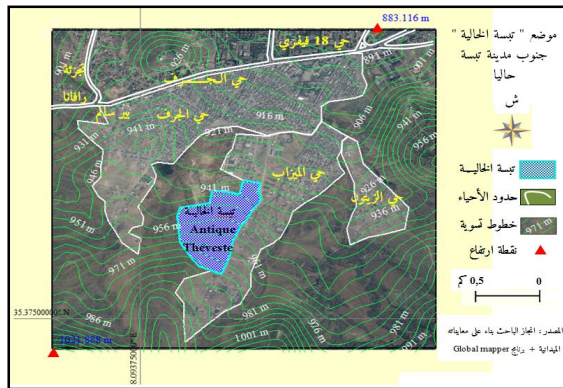
5) البازيليك: La basilique الكنيسة الرومانية البيزنطية: تقع على بعد 620 متر شمال قوس النصر كاراكلا في نهاية محور الكاردو ماكسيموس أنظر الخريطة التالية لموقع هذا المعلم ازاء المدينة، تقدر مساحته 1,8 هكتار فهي بذلك تعد من أكبر معالم مدينة تبسة التاريخية، كما تعتبر مرفقا عاما شيد ليكون محكمة وساحة أو ملتقى عمومي Forum Populaire. يحتضن الكثير من الأنشطة ذات الشأن العام، التجارية والقضائية مفتوحا أمام الجميع من تاجر وصيرفي و محامي وقاضي ومتقاضي .

يبدو هذا المعلم كبناء فخم مكون من مساحات خضراء مستطيلة يتوسطها شكل صليب يتلوها رواق أو مدخل كبير يتبعه سلم كبير أيضا مفضي الى داخلها، ويأتي بناء الكنيسة مع نهاية القرن الثالث الميلادي حين ظهرت المسيحية واعتنقها الكثير من الرومان، انشاء الكنيسة يعود لمراحل عدة فبعضهم يرى أنها بنيت مع بناء قوس النصر كاراكلا سنوات 211- 214 م والبعض الآخر (النقيب مول) يرى أنها أقيمت في العهد البيزنطي وأنها كانت ديرا محصنا أما أقفال فيرى" أنها ترجع لنهاية العهد الامبراطوري المتأخر الذي شهد انتصار المسيحية وأنها أقيمت على قبو تحت أرضي للعبادة ويذهب البعض الآخر للقول بأنها تعود لعهد القديس أوغستين⁽²³⁾ .



وأنها أقيمت من طرف القس بالاديوس، تتكون الكنيسة إضافة لما سبق من مجموعة عمارات محصنة بسور بيزنطي وهي مركبة من ثلاثة كنائس أولاها أقيمت تحليدا للقديسة "كريسين" فوق قبو عبادة، كنيسة القديسة "جاينيللا"، الكنيسة الكبيرة. اتخذت الكنيسة الرومانية شكلها النهائي مع نهايات القرن الخامس الميلادي. والمهم في ذلك أنها أحد المعالم التاريخية النادرة في العالم بقيت محافظة على طابعها المعماري الاصيلي، كانت محل دراسة الكثير من الباحثين من أمثال ستيفن قزال، ليون الافريقي، سيرري دوروش، صنف كمعلم قديم وطنيا بتاريخ 19/10/1982 تضمنته الجريدة الرسمية رقم 48 المؤرخة في 30/11/1982م. أنظر الشكل : البازيليك المسيحية وتوابعها.

6) تبسة العتيقة (الخالية): L'antique Théveste وهي عبارة عن بناءات متداخلة، تعود للفترة الرومانية متواجدة على الطريق المؤدية إلى جبل الدوكان جنوب المدينة عبر حي الجرف ولا تبعد كثيرا عن حي الميزاب أنظر الشكل الذي يوضح الموضع الأثري "تبسة الخالية" كما تبعد بمسافة مستقيمة تقدر ب 2,9 كم عن باب شهلة الواقع جنوب السور البيزنطي ، تقدر المساحة الاجمالية لهذا الموضع المحاط بسياج اسمنتي وحديدي انشئ لحماية تقدر ب 23,14 هكتار⁽²⁴⁾.

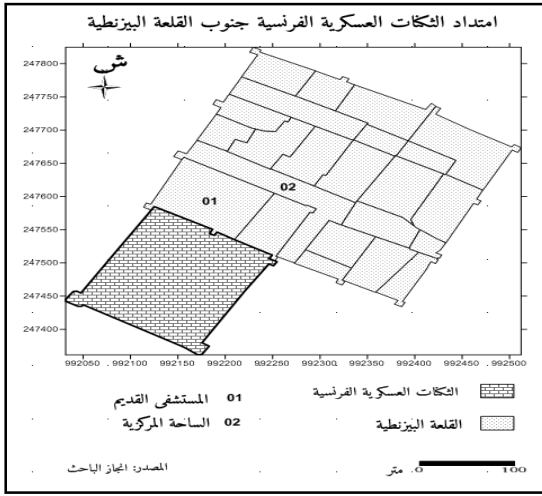


وتدل المعطيات المتوفرة على مستوى الولاية أن المساحة الاجمالية لتبسة الخالية تصل الى 57,53 هكتار (25). استعمل الاستعمار الفرنسي أنقاض مدينة تبسة الخالية "حجارتها" في بناء الثكنات العسكرية التي جعلها امتدادا جنوبيا للقلعة البيزنطية بوسط المدينة الحالية وهي تأوي حاليا عمارات سكنية تابعة لهذا لاستخدام، وبالتالي تزداد مساحتها بحوالي 2,5 هكتار. أنظر مخطط امتداد الثكنات العسكرية الفرنسية جنوب القلعة البيزنطية. ذكر المؤرخ "سيري دوروش" مدينة تبسة الخالية على أنها بانوراما محاطة بسور بها معبد بشكل دائري يتركز على 16 عمودا وبجھتها الجنوبية الشرقية معصرة للزيتون، وشرقا يوجد بها مربعا تتوسطه دائرة يعد مخرجا للفرق المقدسة.

كما توجد بها اسطبلات وقنوات لإيصال المياه ، ثم تصنيف هذا المعلم الأثري المتمثل في مدينة تبسة الخالية ضمن التراث الوطني مند سنة 1902 وتضمنت ذلك الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية رقم 07 الصادرة بتاريخ 1968 /01 /23 . وبحكم موقعه المنعزل فان هذا المعلم المتطرف بجنوب المدينة الحالية يعاني من الاهمال، وقد ساعد احاطته بسياج يمتد على طول 2,23 كم على منع التوسع العمراني العشوائي الذي كاد يأتي عليه (25).

7) الحمامات العمومية : Les thermes : يتوافق وجودها سابقا بالجهة الغربية من المدينة في المكان الذي أقيم به ملحق الهندسة العسكرية غرب مستشفى خالد

عزوز بوسط المدينة وهو ما يمكن ملاحظته من خلال المخططات السابقة (موقع الكنيسة الرومانية أو موقع المسرح المدرج) تعد الحمامات من مستلزمات جند الفيلق الأوغسطي وتتوفر على كل المرافق على غرار ما هو موجود في روما، فهي تتوفر على غرف استحمام بالماء الحار (Caldarium) وغرف استحمام بالماء الفاتر (Lepidarium) وغرف بالماء البارد (Frigidarium) (26).



8) الحضيرة الأثرية: Le jardin archéologique: تتواجد بوسط المدينة مقابل البريد المركزي حالياً، وتضم الكثير من المواد الأثرية التي تعود لفترات رومانية بيزنطية تم تجميعها بهذا الموضع بغية حمايتها، وإضافة إلى المعالم التاريخية الرومانية البيزنطية هناك معالم أخرى ترجع للفترة العثمانية والفرنسية.

9) الكنيسة: L'église moderne: بني هذا المعلم مع بدايات الاحتلال الفرنسي للمدينة سنة 1845م ويقع داخل السور البيزنطي بالقرب من الركن الشمالي الغربي، استعملت في بناء الكنيسة مواد مشابهة لتلك المستعملة في بناء السور،

وبطابع مماثل، وتمثل اليوم واحد من متاحف مدينة تبسة الأثرية الذي يضم هو الآخر مواد أثرية تعود لفترات مختلفة من تاريخ المدينة خاصة والولاية عامة.

10) المسجد العتيق: يقع بمركز المدينة يعد هذا المسجد أقدم مسجد في افريقيا بعد القيروان بتونس بني بعد الفتح الاسلامي، وجدد بناءه من طرف باي قسنطينة "صالح باي" سنة 1798 م ; إضافة الى المعالم التاريخية السابقة التي تتواجد على مستوى المدينة توجد معالم أخرى في جهات عدة من ولاية تبسة وهي كثيرة منتشرة في أكثر من 500 موقع أثري لايسعنا التطرق اليها جميعا لأن ذلك يتطلب مزيد من الدراسات في مختلف التخصصات ذات الصلة، تجدر بنا الاشارة الى احد أهم هذه المعالم أيضا ألا وهو المعصرة الرومانية برزقان ببلدية صفصاف الوسرى الواقعة على بعد 39 كم عن مدينة تبسة ان هذا المعلم وغيره بحاجة لدراسة شاملة لا تقتصر على ماتوفر منها بالمدينة بل تمتد لتأخذ بعدها الاقليمي.

خامسا: مشاكل التراث المادي التاريخي بمدينة تبسة :

إن أمر حماية المواقع التاريخية، على الصعيد الفردي، قديم جداً، أما على الصعيد



جانب من الآثار الرومانية بموقع تبسة الحالية وامتداد العمران حوله شرقاً

الشعبي والرسمي فقد برز منذ أوائل القرن التاسع عشر. ومنذ النصف الثاني من القرن 19 برزت أهمية المدينة القديمة، بمجموعها وليس فقط بمعالمها الهامة، وأصبحت تشكل بأبنيتها التاريخية مع المناطق التي تحيط بها ؛ الجزء الأكثر قيمة من الثروة الثقافية للأمة⁽²⁷⁾.

في الجزائر و رغم العودة الأخيرة لإعادة الاعتبار لهذا القطاع من خلال المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية 2025 (SDDAT) في مسعى شامل ومنسجم في تنمية الإقليم الجزائري ويستهدف هذا الميثاق تسهيل بروز سياسة حقيقية للتنمية

السياحية المستدامة، الا ان اشارات هذه السياسة في مدينة تبسة لاتبدو بارزة للعيان .

1 التحديات المرتبطة بالعالم الأثرية: يمثل التراث الثقافي المادي المادة الأولية لتنشيط مانسميه بالسياحة الثقافية وسياحة المواقع الأثرية⁽²⁸⁾، وكتقييم مبدئي اعتمادا على تحقيقنا الميداني الشامل نجد أنه بصورة جزئية أو كلية تعرف المواضع الأثرية رغم غناها في مدينة تبسة على غرار معظم المدن الجزائرية حالة من التدهور ومن أسباب ذلك نذكر :

_ التعمير الفوضوي الذي تفاقم مع الانفجار الديموغرافي للسكان وعدم تطبيق القوانين المتعلقة بحماية المواقع والمعالم الأثرية التاريخية ونقص الموارد البشرية المؤهلة والمختصة لتأمين حماية هذه المواقع مما أتاح الفرصة أمام عملية البناء التي تأتي أحيانا على هذه المواضع، وهو ما ينتشر كثيرا في أرجاء مدينة تبسة، ولعل موضع مدينة تبسة الخالية L'antique Theveste جنوب المدينة الحالية بالقرب من حي الميزاب مثال على ذلك، فهذا الموقع الذي يمتد على مساحة تزيد عن 23 هكتار كادت تشمله عملية البناء الفوضوي المنتشر بهذه الجهة لولا مسارعة الجهات المعنية لإنشاء سياج يحيط بالموقع حال دون حدوث الأسوأ وتشهد على ذلك علامات بداية أشغال البناء على مساحة معتبرة داخل الموقع وخاصة منها القضبان الحديدية المنتصبة الخاصة بأعمدة البنايات وهو منظر مشوه للموقع ومسيء لمثل هذه المعالم التي من شأن حمايتها أن يسهم في بعث سياحة ثقافية مستدامة⁽²⁹⁾.

نقص الوسائل المادية والبشرية لحماية المعالم التاريخية وإعادة ترميمها : الأمر يتعلق بنقص المختصين في ميدان الأركيولوجيا على مستوى الولاية، وطغيان العنصر الإداري غير المختص على متاحف الولاية، والملاحظ أيضا عدم وجود عمليات استرجاع أو حماية المواقع الأثرية سواء على مستوى الموقع الأثري تبسة العتيقة، فهو بحاجة لاتمام الجدار المحيط به شرقا بموازة الطريق المؤدي الى الموقع الذي يصله بحي الجرف شمالا، وتفاديا للتوسع العمراني على حسابه والأمر يتعلق بالجزء

الغربي منه الذي تقتصر حمايته على سياج فقط رغم مساهمة هذا الأخير في حماية هذا المعلم ومنع عمليات التعمير الفوضوي من الاتيان عليه . كما أن السبيل للوصول الى هذا المعلم هو طريق أو درب غير معبد في حالة سيئة جدا خاصة وأن الأرضية التي يمتد عليها يزداد انحدارها بالاتجاه جنوبا وتمتد بين (936 - 976 مترا) على مسافة مستقيمة (810 مترا) ومنه يقدر ميل أرضية الموقع في المتوسط

بـ 5% ولذا فان اعادة الاعتبار لهذا المعلم تقتضي استصلاح هذا الطريق كحد أدنى على مسافة 1,3 كم بداية من الجسر شمال متوسطة سعدي عثمان الى أقصى جنوب الموقع التاريخي.



موضع المسرح المدرج تبدو لنا كتشان التفايات الهامدة التي ترمى بوادي زغرور شرق الموقع

_ التدهور الناتج عن اللامبالاة كسبب مرتبط بالإنسان، وتلمس ذلك في معظم المواقع الأثرية بمدينة تبسة ابتداء من الحصن أو السور البيزنطي الذي كانت الكثير من أجزائه منهارة وقامت السلطات الفرنسية بترميمها، وعرف عملية تنظيف

وترميم بالرمل مرة واحدة بعد الاستقلال سنة 1980، الملاحظ انتشار عملية البناء وتجديد البنايات داخل الحصن بطابع معماري لايمت



جانب من السور البيزنطي قرب باب سيرتا يظهر لنا ارتفاع المباني السكنية مقارنة بمستوى السور وأبراج المراقبة



جانب من السور قرب برج المراقبة الشمالي الشرقي تبدو عليه آثار عمليات الحرق

بصلة لمواصفات المدينة القديمة (من الناحية الهندسية وكذا من حيث مواد البناء) إضافة الى ارتفاع البناء دون مراعاة البعد والقرب من السور البيزنطي أو عرض الطريق الفاصل بين السور وعمران المدينة الداخلي الذي كان يفترض أن يعتمد طابعا تقليديا من العمارة الاسلامية ويعتمد مواد البناء المحلية مع مراعاة القواعد العامة للتهيئة والتعمير في هذا الميدان كما تنص عليه المادة 07 من المرسوم التنفيذي 91-175 الصادر بتاريخ 28 /05 /1991

المتضمن القواعد العامة للتهيئة والتعمير، للحفاظ على خصوصيات المكان. يعيش هذا المعلم حالة من التدهور الناجم عن رمي الأوساخ و تعرض جدرانه لعمليات حرق زادت من تشوهه، وانتشار الباعة والمتسولين حوله، واتخاذ ابراجه مكانا لرمي قنينات النبيد المكسورة التي تنتشر في مختلف أرجاء المدينة وهو ما يسيء لسمعة المدينة وتاريخها، وعلى ذات الشاكلة نجد المعالم الأخرى ومنها المسرح المدرج الذي يعرف حالة مزرية للغاية ناتجة عن عمليات رمي البقايا والأوساخ بصورة يومية من جراء سوق الخضار اليومية المجاورة له غربا وسوق القماش والألبسة المستعملة من جهته الجنوبية و امتداد "وادي زعرور" شرق الموقع الذي اتخذ مكانا لرمي النفايات الهامدة و النفايات المنزلية أحيانا والأوساخ، ورغم كل ذلك نجد أن عمليات الاساءة اليه لم تترك حتى السياج الحديدي الذي بفعل مثل هذه الممارسات أصبح عامل تشويه للمعلم، ويضاف لما ذكرناه أن هذا المعلم مغطى بالأثرية وهو بحاجة لإتمام عملية الكشف عن أجزائه المطمورة .

قوس النصر كاراكلا يعاني من الإهمال هو الآخر وانعدام النظافة واتخاذ أرض مجاورة له كمكان لرمي النفايات المنزلية بطريقة فوضوية كما يتعرض لركود المياه وتشكل البرك المائية أثناء سقوط الأمطار التي عادة ماتكون بكية معتبرة وتسقط خلال فترة وجيزة، نمو بعض الشجيرات كشجرتي الزيتون على الجدار ما يؤدي لتفتت صحوره بفعل جذور النبات.

سادسا: تنظيم عملية التدخل توجيهاً وحلول:

1) التدخل على مستوى مركز المدينة أو القلعة البيزنطية: من شأن تهيئة المركز التاريخي لمدينة تبسة المتمثل في القلعة البيزنطية، والعمران الذي تحتضنه دو الطابع الاسلامي أن يبعث حيوية في المدينة مستقبلا ويدر عليها الكثير، ويجعلها قطبا سياحيا بالمنطقة فمؤهلاتها كما لاحظنا من قبل من التراث الثقافي الحضري كثيرة، تنظيم عملية التدخل في هذا الجزء كنواة تاريخية يجب أن يؤدي الى ازالة المشاكل والمعوقات التي تحول دون تحقيق تنمية مستدامة يسهم فيها النشاط السياحي بنصيب أكبر ويقتضي ذلك :

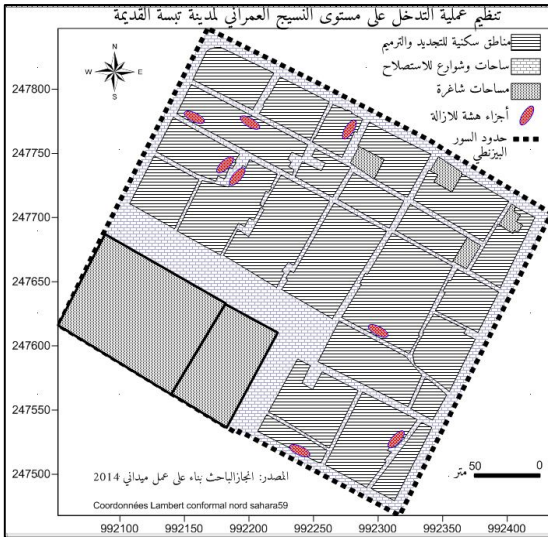
-القيام بعملية تجديد للنسيج العمراني بمركز المدينة "rénovation urbaine":
عملية التجديد الحضري تقتضي الهدم وإعادة البناء. في تعارض مع عملية استعادة أو استرجاع العقار "restauration immobilière" التي تتم فيها استعادة المباني القائمة. لا يمكن أن تكون عملية التجديد الحضري متوازنة ماليا إلا إذا كانت سوق العقارات جذابة بما فيه الكفاية، نظرا لارتفاع تكاليف البيع أو التخلي عن أرض مبنية⁽³⁰⁾.

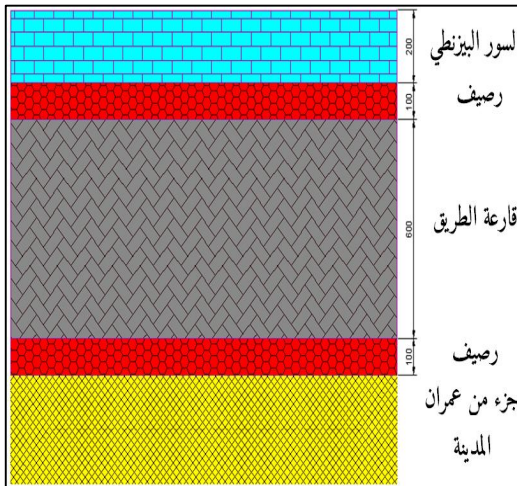
يمكن التدخل بهذه العملية مثلما نص عليه المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير للمدينة PDAU1995 وكذا وفقا لمراجعة المخطط التوجيهي للتعمير لما بين البلديات لسنة 2012

Révision du PDAU intercommunale « Tébessa -Hammamet-Bekkaria- Boulhafeddir-Elkouif » مع الحفاظ على السمات الأساسية للعمران بمركز المدينة

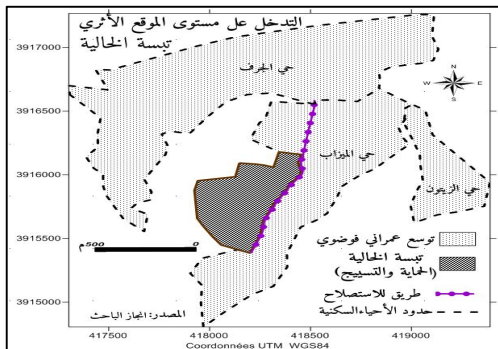
القديم داخل السور، ونحن ندعو في عملنا هذا الى اعتماد التجديد الحضري وكذا عملية استرجاع أو استعادة (Restauration) بعض البنايات وترميم البعض منها وإعادة تأهيل (Réhabilitation) التي تتضمن لبعضها الآخر أي تدخلا نقطيا تغلب عليه عملية التجديد ويشمل هذا مساحة 4,49 هكتار من مجموع 8,0567 هكتار أي بنسبة 55,73 % والواقع أن التجديد يتم بشكل ذاتي أو مانسميه حاليا بالتجديد العمراني الذاتي

Autorénovention تحت وقع عدم تحكم أجهزة مراقبة التعمير في عمليات البناء التي تعرفها المدن الجزائرية لذا فالمطلوب أولا هو تأطير العملية بمراقبة عمليات البناء وفقا لهذه الآلية داخل الأنسجة العمرانية لأنوية المدن القديمة باتباع سياسة تشاركية تجمع المعنيين بالعملية من سكان قاطنين كمجتمع مدني وجماعات محلية وأجهزة الدولة المركزية باعتبار ذلك يمس بالتراث التاريخي الثقافي الوطني كذلك الشأن بالنسبة للبنايات المعنية بالاستعادة أو إعادة التأهيل .





-القيام بعمليات استصلاح لشوارع وساحات المدينة: داخل القلعة على أن تشمل هذه العملية مساحة 2,19 هكتار فالملاحظ بوضوح لأي زائر لمركز مدينة تبسة أن علامات التدهور في شوارعه (ديدوش مراد، بكوش محمد، شهباني بشير، سواحي علي، وفرانس فانون، ومصطفى بن



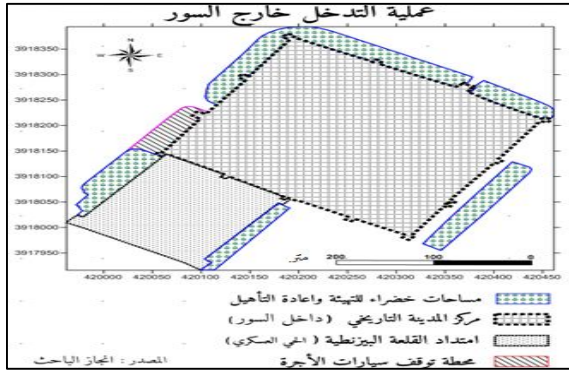
بولعيد، وشارع الشهداء) وساحاته وعلى رأس ذلك الساحة المركزية أول نوفمبر واضحة للعيان فيكفي سقوط الأمطار لفترة وجيزة لرؤية الوجه الحقيقي للساحة المركزية (أول نوفمبر) التي يبدو عليها فعل المياه الجارية، ناهيك عن تأثير ارتفاع الحرارة ويتفاقم الوضع في

الحالتين نتيجة ركود الماء مقابل بنك القرض الشعبي الجزائري CPA، انتشار القمامة وبقايا السلع المتروكة من طرف الباعة الذين يحتلون الساحة باستمرار فيترتب عن هذا انتشار الروائح الكريهة وتشوه صورة المركز التاريخي للمدينة.

- استصلاح الطريق المحيط بمركز المدينة داخل السور باعتباره يتمتع بعرض يتراوح بين 7 و 8 أمتار و يعرف حالة من التدهور تسيء للمدينة بشكل كبير ولتسهيل عملية التنقل وبلوغ المعالم الأثرية من جهة أخرى حيث نجد منها إضافة الى السور البيزنطي وأبراج المراقبة، قوس النصر كاراكلا، ومعبد مينارف، والكنيسة الحديثة، هذان الأخيران يعتبران من متاحف مدينة تبسة، كما نجد من المعالم الدينية اهم

مساجد المدينة كالمسجد العتيق، مسجد سيدي بوسعيد وهذه المعالم بحاجة لعملية تحسين على غرار المعالم الأخرى التي هي بحاجة لعمليات ترميم وتحسين. وعلمنا أن عرض السور البيزنطي في جزئه السفلي يقدر بمترين فإننا نقترح تهيئة هذا الطريق وتعبيده وفق الأبعاد الموضحة في الشكل على ان تسبق ذلك عملية استصلاح كامل الشبكات التقنية.

- ازالة بعض الأجزاء من عمران المدينة القديم



(البنيات التي تعرف حالة متقدمة من التدهور) ونرى أنها مكمّن خطر على قاطنيها وعلى المباني المجاورة وهذه الأجزاء من النسيج العمراني داخل المركز التاريخي مشار لمواضعها في المخطط ونظرا للتصدعات الخطيرة التي تعرفها والتي ساهم في انتشارها قدم المباني السكنية ومواد البناء المعتمدة فيه، لجوء السكان للقيام بعمليات توصيل المياه بطريقة فوضوية وتخزينها في خزانات على الطابق الثاني، أعمال صيانة المباني والشوارع التي تتم بطرق عشوائية مما يزيد من مخاطر انهيارها وهو ما يستدعي تدخلا عاجلا للسلطات المحلية قبل فوات الأوان (ان دراسة خاصة بتهيئة مركز المدينة ضرورة ملحة).

- تهيئة وإعادة تأهيل المساحات الخضراء المحيطة بالسور البيزنطي من جهاته المختلفة شمالا وغربا وجنوبا وحتى الجهة الجنوبية الشرقية بالقرب من سوق الخضر والفواكه، والجدير ذكره أن هذه الجهة في الوقت الحالي عبارة عن مساحة تقدر بـ 0,47 هكتار يشغلها باعة الأقمشة والأدوات المنزلية بصورة يومية وتتوسطها مساحة مخصصة كنافورة كان يفترض أن تساهم في جاذبية المكان ومنحه القدرة على توفير الراحة للسكان غير أن وضعها اتخذ منحى آخر فأصبحت تستقبل النفايات من أصناف عدة وكذا مخلفات التجارة الفوضوية مما جعل المكان مصدرا للروائح الكريهة ومبعث اشمئزاز كل مار بالمكان لذا يجب اعادة تأهيل هذه المساحة بعملية تنظيف وإعادة تشجير المكان (هذه العملية تساهم في توفير غاز الأوكسجين بعملية التركيب الضوئي كما هو معروف .

كما يمكن لبعض الأشجار امتصاص بعض الملوثات في الأوساط الحضرية، زيادة على تلطيف المناخ بها محليا بعملية التبخر التتح (، وتهيئتها وفق مايسمح بتوفير متطلبات راحة المواطن ومرتاد المكان مستقبلا ، تشغل المساحات الخضراء بجوار السور البيزنطي قرابة 2,25 هكتار، وهو مايمثل 22% من مساحة القلعة البيزنطية وامتدادها (الحي العسكري) معا وهي نسبة تفوق المعايير المطلوبة لذا فاننا نلح على تهيئتها وإعادة تأهيلها وفي هذا الخصوص نقترح الأخذ في الحسبان امتداد القلعة البيزنطية الجنوبي أثناء عملية التهيئة علما أن هذا الجزء يشكل 2,5 هكتار من حيث المساحة .

- القيام بعملية تنظيف شاملة لمركز المدينة وخاصة الأجزاء المحادية للأماكن الأثرية، مع اتخاذ اجراءات لمنع الحاق الضرر بهذه المناطق مرة أخرى أو اتخاذها كأماكن لرمي أو حرق النفايات أو أي عمل لايمت للحضرية بصلة .

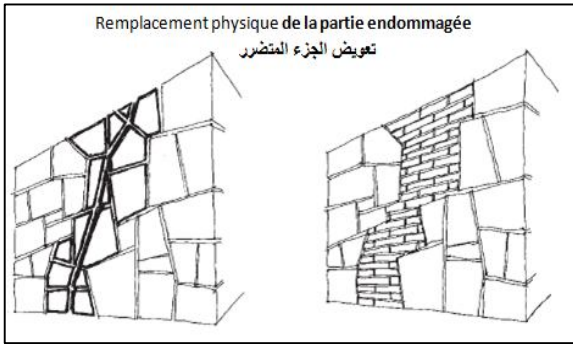
- تغيير استخدام المساحات المخصصة لتوقف السيارات بالقرب من السور التي زادت من كثافة مرور السيارات حوله، وزادت في عملية نغت عوادم السيارات وبالتالي تلوت المعالم التاريخية ومعها البيئة، بزيادة غاز CO₂ في الهواء الجوي بالمدينة .

- أما بالنسبة لقوس النصر كإزالة شجرتي الزيتون التي نمت على المعلم لتفادي تفتت بعض أجزائه فهو بحاجة لعمليات تنظيف محيطه ومنع المتسبين في تلوثه وهذا الأمر ينطبق على كل معالم المدينة الأثرية، كما يحتاج إلى عملية ترميم من طرف مختصين احترافيين في هذا الميدان وعلى معرفة بمواصفات مثل هذه المعالم.

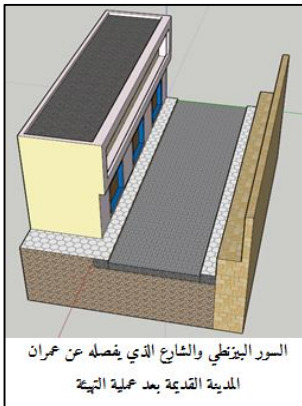
ثانياً: التدخل على مستوى موقع تبسة الخالية يقتضي مايلي:

- ✓ حماية الموقع الأثري بإتمام احاطته بجدار من جهاته المختلفة على غرار الجهة الشرقية منه لمنع التوسع العمراني الفوضوي، وغير الفوضوي على حسابه والذي يكاد يطبق عليه كما يتضح من الخريطة .
- ✓ إزالة بقايا عمليات البناء الموجودة داخل محيط الموقع الأثري لمحو التشوه الذي لحق بالموقع .
- ✓ تعبيد الطريق المؤدي لهذا الموضع الأثري على مسافة 1,3 كم بداية من الجسر شمال متوسطة سعدي عثمان بحي الميزاب إلى أقصى جنوب الموقع التاريخي.

ثالثاً: تكوين المرشدين في الميدان السياحي بأعداد مناسبة بعد القيام بعمليات



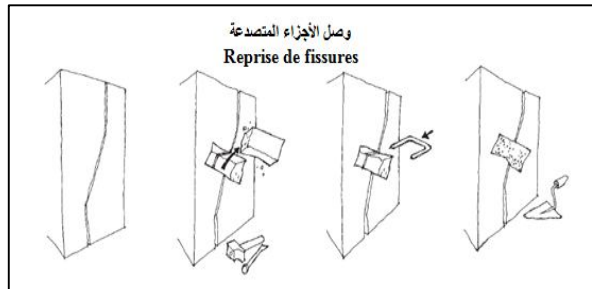
تدخل نقطية على المعالم التاريخية بترميمها أو تجديددها أو استعادتها وبالتالي بعت حركية في السياحة الثقافية و سياحة التراث الثقافي عامة وخاصة المادي منه .



رابعا: استعمال الطرق والتقنيات المناسبة في عملية الترميم والاسترجاع للمعالم التاريخية بصفة عامة فإذا كان السور البيزنطي بمدينة تبسة قد عرف عملية تنظيف وترميم باستعمال مادة الرمل خلال الثمانينات من القرن الماضي مرة واحدة إلا أن هذه التقنية تؤدي لإزالة الطبقة الخارجية للصخور التي تمس بقوام هذه المعالم وبالتالي تساعد في زيادة عملية تعرية هذه المعالم «Augmente le

processus d'érosion»

تحت تأثير عوامل فيزيائية وكيميائية، لذا فمن الضروري الاستنجاد بالطرق الحديثة اقتداء بالدول الرائدة في هذا المجال وهذا مع توفر الامكانيات المالية المخصصة



لهذه العملية.

وفي هذه الحالة فان استعادة أو استرجاع الأجزاء المتصدعة أو تلك المعرضة للانهدام يتم بتعويضها مباشرة ببدايل يتم تحضيرها وصلها من نفس نوع الصخور مع الحفاظ على نفس الطابع دون إلحاق الضرر بالجدار أثناء عملية تبديل القطع المعنية بالترميم أو التجديد، وترجع أسباب تدهور البنى التابعة للمعالم التاريخية الأثرية الى عوامل طبيعية متصلة بعملية التعرية بفعل فيزيائي أو كيميائي من جهة وعوامل بشرية من جهة أخرى مرتبطة بأعمال الانسان.

كما أن عملية استعادة أو استرجاع الجزء المتضرر (Restauration) تتم بالتعويض المادي للجزء المتضرر (Remplacement physique des parties endommagées) أو بحقن الاسمنت المسلح لزيادة مائة الأجزاء المتضررة

(Injections ou Rejointoiements) وخاصة تلك الناتجة عن عمل التعرية الطبيعية وأوالفعل الميكانيكي للنباتات التي تنمو على المعلم الأثري، كما يمكن أن تتم بعملية ربط الأماكن حيث تمتد الشقوق بالمعلم كما تستعمل طريقة تدعيم المعلم بالخرسانة المسلحة (Enduit de renfort à base de mortier ou de béton armé) أو عن طريق دعامات (Contreforts).

تنشأ لهذا الغرض لحماية المبنى من الانهيار وتوزيع القوى المؤثرة فيه على الأرضية موضع الدعامة ونضيف أيضا الى ماذكرناه أن هذه العملية تصحب بتنظيف الجدار من الطبقة السوداء الناتجة عن التلوث بفعل عوادم السيارات والتي زادت في حدتها كثافة السيارات التي تمر بها وخاصة منها السيارات القديمة وكذا بفعل عمليات الحرق المتعمد للنفايات على مستوى الجدران باعتبار أن الكثير من النقاط بها جعلت كأماكن لرمي النفايات المنزلية، تستعمل في العملية أيضا اضافة الى تقنية الرمل أشعة الليزر التي بإمكانها ازالة هذه الطبقة دون المساس بقوام الصخور، وأخيرا عملية غسل الصخور بواسطة الضباب الذي يذيب الطبقة السوداء دون المساس بالجزء المادي من المعلم الأثري وصخوره⁽³¹⁾.

وفي الشكل التالي يبدو لنا السور البيزنطي والشارع الذي يفصله عن عمران مركز المدينة من الداخل بأبعاد ثلاثة كما نتصوره بعد عملية التهيئة باستصلاح الطريق أو الشارع من جهة وترميم وإعادة تأهيل السور البيزنطي من جهة أخرى .

- بغض النظر عن الامكانيات السياحية المتوفرة بمدينة تبسة والمنطقة عامة سواء تلك المتعلقة بالتراث المادي التاريخي أو غيره من الامكانيات ، فانه يجب السعي لتنشيط السياحة بزيادة عوامل الجذب والاستقطاب للسياح وفق سياسة شاملة تخص عوامل تحقيق ذلك بداية بتقييم الامكانيات والتعريف بالمنتج السياحي بها الى توفير المرافق وكذا اعتماد ادارة أعمال رشيدة في الميدان السياحي والسهر على خلق تقاليد جديدة هدفها الرفع من الاستثمارات في هذا الميدان وتأمين مردودية أفضل ، ذلك ان الموارد السياحية الخام على غرار مختلف جهات الوطن متوفرة

محليا غير ان المشكلة تكمن في مدى نجاعة هذا النشاط في رفع الدخل القومي للبلد مقارنة بدول الجوار على سبيل المثال.

الخاتمة:

إننا من خلال هذا العمل حاولنا تقييم جزء من تراث مدينة تبسة وإبراز ذلك في صورة خرائط ومخططات وفق اسقاطات جغرافية دقيقة نعتقد أنها بداية لفتح الباب أمام أعمال أخرى أكثر شمولية وتفصيلا، وهذا باستعمال بعض برامج نظم المعلومات الجغرافية، ونأمل من الجهات القائمة على التراث الثقافي التاريخي انتهاز استراتيجيات هادفة نحو تحقيق سياحة ثقافية مستدامة قوامها الكم الهائل من التراث العمراني الذي تتمتع به المدينة خاصة والولاية عامة وهو مايسمح بتطوير أصناف سياحية عديدة كالسياحة الثقافية والدينية، السياحة الرياضية، سياحة الاسترخاء والترفيه، السياحة المناخية وسياحة الأعمال⁽³²⁾.

تحقيق ماسبق لايتأتى سوى بإعمال سياسة تشاركية يسهم بموجبها الجميع (الجماعات المحلية والسكان والقطاع المعني على المستوى المركزي) في عملية صيانة مركز المدينة وتجديده.

❖ هوامش البحث:

- (1) المهندس/ مرفت مامون خليل: التنمية السياحية في مواقع التراث العمراني/التحديات والمعوقات/ وزارة السياحة و الآثار، المملكة الاردنيه الهاشمية.
- (2) القانون 90-29 الصادر بتاريخ 01 ديسمبر 1990 المتعلق بالتهيئة والتعمير المادة 01 .
- (3) فوزي أبو دقة: التراث العمراني بالمدن القديمة العربية ، تقنيات وتخطيط وهوية ، مخبر التهيئة العمرانية، جامعة هواري ، بومدين للعلوم والتكنولوجيا - الجزائر.
- (4) Ministère De La Culture, Le Schéma Directeur Des Zones Archéologiques Et Historiques Août .
- (5) جلاب سالم - ديرم فريد : التنمية الحضرية ودورها في تنمية السياحة بمدينة تبسة . مشروع مهندس دولة في التهيئة الحضرية معهد علوم الأرض، جامعة تبسة، 2009 ..
- (6) climat tempéré:30<I>20climat semi-aride :20<I>10climat steppique:10<I>7,5 .
- (7) المخطط التوجيهي للتعمير PUD.
- (8) المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير 1985.
- (9) فؤادة عبد المنعم البكري: التنمية السياحية في مصر والعالم العربي،الاستراتيجيات - الأهداف- الأولويات ، عالم ، الكتاب، القاهرة، 2004.
- (10) احمد عيساوي: مدينة تبسة وأعلامها، دار البلاغ للنشر والاشهار، الجزائر العاصمة، 2005، الصفحة 25 .

(11) سمير زمال: صفحات من تاريخ تبسة القديم والحديث، دار هومة - الجزائر 2013
صفحة 27.

(12) بيار كاستل. حوز تبسة دراسة وصفية جغرافية تاريخية لإقليم تبسة وأعراشه، ترجمة
العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، 2010، ص 134.

(13) ملخص مداخلات الملتقى الدولي حول علم الآثار 25-29 أبريل 2009 جامعة
تبسة الصفحة 04 .

(14) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 1، ص 49 و 50 .

(15) سمير زمال: صفحات من تاريخ تبسة مرجع سابق الصفحة 37 .

(16) المرجع السابق.

(17) <http://fr.wikipedia.org/wiki/prehistoire> de l'Algérie.

(18) أحمد عيساوي : مدينة تبسة وأعلامها مرجع سبق ذكره، ص 24 .

(19) حساب الباحث اعتمادا على معاينته الميدانية لبرامج (Arc gis + Google earth prof).

(20) حساب الباحث اعتمادا على معاينته الميدانية لبرامج (Arc gis + Google earth prof).

(21) حلبة دائرية بمحيط يتراوح بين 45 - 50 مترا محاطة بمدرجات من 15 ال 16 صف
من المدرجات .

(22) Dictionnaire encyclopédique édition Aouzou 2005 page 1288.

(23) أنظر بيار كاستال : "حوز تبسة دراسة وصفية جغرافية تاريخية لإقليم تبسة " مرجع
سابق الصفحة 145.

(24) حساب الباحث باستعمال برنامج Global mapper

(25) مديرية الآثار لولاية تبسة .

(26) حسب الرائد "دولافوي" كانت تنظم ألعاب رياضية بهذه الحمامات على نفقة المحسن قايس كورنيليوس أفريليانوس" وفقا لوصيته التي سبق لنا الاشارة لمضمونها أثناء التطرق لقوس النصر كاراكالو الذي أنشئ بمقتضاها .

(27) دومينيك شوفالييه: (المدينة القديمة) بحث مقدم إلى ندوة حلب القديمة 26 – 29 أيلول 1983 – حلب سورية

(28) حسب المنظمة العالمية للسياحة السياحية الثقافية تتمثل في تنقلات الأشخاص المحفزة بالدوافع الثقافية مثل الدراسات، الدورات الفنية، التنقلات من أجل المشاركة في التظاهرات الثقافية وزيارة المواقع والمعالم الأثرية

(29) القانون 01-03 المؤرخ في 17 / 02 / 2003 المتعلق بالتنمية المستدامة للسياحة يعرفها كل نشاط استجمام يكون الدافع الرئيسي فيه هو البحث عن المعرفة والانفعالات من خلال اكتشاف تراث عمراني مثل المدن والقرى والمعالم التاريخية والحدايق والمباني الدينية أو تراث روجي مثل الحفلات التقليدية أو التقاليد المحلية والوطنية.

(30) Une opération de "rénovation urbaine" consiste à démolir pour reconstruire. Elle s'oppose à une opération de "restauration immobilière" dans laquelle les bâtiments existants sont restaurés. Une opération de rénovation ne peut s'équilibrer financièrement que si le marché de l'immobilier est suffisamment porteur, compte tenu des coûts de libération toujours élevés des terrains déjà construits. - Source: études foncières de l ADEF n°136, Joseph Comby.

Voir <http://www.epf-npdc.fr/Glossaire?Lettre=R>

(31) Hana MEDARAG NAROU BOUBIR et Abdallah Farhi. «La ville de Tébessa en Algérie : un patrimoine archéologique entre marginalité et sauvegarde». URBAMAG, 13 juin 2008, <http://www.urbamag.net/document.php?id=354>.

(32) Schéma directeur d'aménagement touristique de la wilaya de Tébessa ; vision 2030 ; mission 3 URBACO, 2014 page 109.

الحركة الاستيطانية في الجزائر و فلسطين بين 1917 -1962 م مقارنة تاريخية للظاهرة وأثرها على هوية الشعبين

الأستاذ: حمودى ابرير
جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

إن الاستعمار الاستيطاني يصدر أساساً عن المصالح الاقتصادية، ولا اعتبارات استراتيجية ظل الحصول على الأرض تحت أشكال الإكراه أو الإغراء المادي يشكل أحد أهم جوانب تاريخ هذا النوع من الاستعمار، فالأرض تشكل القاعدة المادية للاستيطان بينما يشكل المستوطنون قاعدته البشرية، وغالباً ما تمثل الكيانات الاستيطانية أهم الأدوات التي يعتمد عليها استمرار النظام الاستعماري، ومهما كانت مصادر الظاهرة الاستعمارية وتباعدت في زمان ومواقع تطبيقها، فإنها بأساليبها ونتائجها تتشابه بل تكاد تتطابق أحياناً كما هو الحال في الجزائر وفلسطين، فقد تجاوزت الإجراءات الفرنسية والإنجليزية والصهيونية التي كانت تتخذ تحت ذرائع مختلفة وفي ظروف شتى، حدود المصلحة الاقتصادية بعد السيطرة على الأرض والثروات إلى محاولة تغيير المعادلة الديموغرافية القائمة والسعي إلى تزييف هوية الشعبين الضاربة في الزمن بقرون طويلة.

Abstract:

The pursuit of economic interests is the primary factor influencing the colonialist occupation and for strategic reasons, access to new territories of coercion way is one of the most important aspects of the history of colonial occupation . While the settlers are the human element of the colonialist component, the land is the material element. These colonial entities were often the key instrument that helps maintain the colonial regime, this fact is undoubtedly present in all the history of colonialism, while such practice results were always similar and sometimes identical, as was the case of Algeria and Palestine. So after checking throughout the occupied territory and obviously the resources, the measures taken by the French, British and Zionists, for different pretexts and under different conditions, targeted changing demographic data and handling of identity occupied peoples.

تمثل تجربة " الاستعمار الاستيطاني " أسوأ التجارب الاستعمارية ليس في التاريخ الحديث فحسب ولكن في التاريخ الانساني ككل، وظلت ترمز إلى فترة من الاستغلال ومحاولات طمس الهوية المحلية عبر السعي إلى تغيير الواقع المحلي القائم بكل الوسائل أبرزها تمسك المستوطنين بالأرض والثروات، وعرقلة مسار تحرر الشعوب، لقد أنتج الاستيطان الطبقيّة والبؤس في المستعمرات، وفرض نمطا جديدا من الحياة المستوردة، و خلقت صراعا لم ينته مع الاستقلال السياسي لأغلب الشعوب التي كانت ضحية للتجربة بين الدول الاستعمارية والدول المستقلة بدلا من مظاهر التعاون والتعايش، ولان الجزائر و فلسطين كانتا ضحية لهذا النوع من الاستعمار، فان هذه دراسة ستستهدف واحدة من أعقد مراحل الصراع الحضاري بين العرب والمسلمين وكل الشعوب المستضعفة من جهة وبين الأوروبيين المسيحيين واليهود من جهة أخرى، مرحلة أفرزت واقعا لا زالت سلبياته في التعاطم، في غياب حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية.

إن أهمية هذا الموضوع تكمن في تعدد الوقائع التي تعالج فيه، فهو يتطرق إلى فترة حاسمة من تاريخ الجزائر وفلسطين امتدت من سنة 1917 إلى سنة 1962، فهي فترة عسيرة وغنية بالأحداث سواء في الجزائر أو فلسطين، فهي التي شهدت أعظم نكبات العرب والمسلمين عندما اغتصبت فلسطين وضاعت سنة 1948 إلى الآن، وهي التي شهدت أعظم منجزاتهم بانتصار ثورة التحرير الكبرى في الجزائر سنة 1962، ويسمح بالبحث في تفاصيل العلاقة التي تحكم المستعمر بشعوب المستعمرات وانعكاساتها على الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، وذلك من خلال دراسة الظاهرة الاستعمارية الاستيطانية في الجزائر وفلسطين كنماذج واستعراض نتائجها، كما يسمح لنا بتحديد بعض ملامح العلاقة التي كانت تربط الجزائر بفلسطين في كل أبعادها باعتبارهما جزء من العالمين العربي والإسلامي.

وبالتالي فان إشكالية الموضوع ستبحث طبيعة السياسة الاستيطانية الفرنسية- كجزء من الامبريالية الأوروبية- في الجزائر والصهيونية العالمية في فلسطين ومدى تأثيرها على الواقع المحلي للشعبين الجزائري والفلسطيني طيلة الفترة السابقة ؟

فعلى الرغم من أن ظاهرة الاستعمار الاستيطاني قديمة وتعود إلى القرن السابع عشر، إلا أن هذا المصطلح لم يستعمل إلا منذ بداية الستينات من القرن العشرين، ويتفق المؤرخون على أن هذا النوع من الاستعمار يعكس نمطا خاصا قاسيا من أنماط فرض السيطرة على الشعوب، ويؤكدون أنه يمثل حالة من الاستعمار الداخلي حيث يتحول معها إقليم معين بسكانه الأصليين إلى- مستعمرة - لقطاع آخر من سكان وافدين عليه في الغالب من أصول أوروبية، وبالنظر إلى تاريخ "الظاهرة الاستيطانية" فإنه من الواضح أن الاستعمار الاستيطاني لم ينشأ بمعزل عن الاستعمار التقليدي⁽¹⁾ وبينهما ترابط عضوي واضح، فالمستعمرات الاستيطانية أهم الأدوات التي يعتمد عليها استمرار النظام الاستعماري.

ولأن الأفراد والجماعات "المغضوب عليها" أو "الطامحة" يمثلون وقود الاستيطان، فان ظاهرة الهجرة والتهجير مثلت الركن الرئيس في هذا النوع من النظام الاستعماري، وإذا كانت ظاهرة الهجرة الحرة يمكن أن تقودنا للحديث عن العوامل والمبررات التي قد تساق لإضفاء طابع الشرعية على الاستيطان ، فان عدم الخلط بين العوامل التي تحرك الظاهرة وحده يبين طبيعتها، فهناك الهجرة الاستيطانية كحقيقة اجتماعية كفرار الأشخاص بحثا عن الأمن مثلا، وهناك الهجرة الاستيطانية كحقيقة اقتصادية بحثا عن مراكز الرزق أو لتحسين مستوى المعيشة بسبب جفاف يحدث، أو قحط ينزل، أو زلزال يقع أو فيضان يجري أو أمراض فتاكة تحل، أو نحو ذلك من الظروف والكوارث الطبيعية، وهناك هجرة استيطانية كحقيقة سياسية⁽²⁾ بحثا عن المكاسب، وهو الأمر الذي ينطبق على الهجرة الأوروبية إلى الجزائر لأنها لم تكن تخلو من حوافز تحركها المصالح

الاقتصادية والاعتبارات الإستراتيجية، وقد عرفت الجزائر وفلسطين هذا النوع من الاستعمار بعد حركة هجرة استيطانية واسعة في حقب زمنية متقاربة اختلفت في ظروفها وأساليبها بعض الشيء، ولكنها اتفقت في هدف السيطرة على الأرض والعمل لأجل الاحتفاظ بها بكل الوسائل باعتبارها الركن الأساس في الاستيطان.

1- تطور الظاهرة الاستيطانية في الجزائر و فلسطين بين 1917-1962

عمليا كانت الجزائر حتى منتصف الحرب العالمية الأولى قد مرت بما عرف بفترات الإدماج والإدماج الكلي، و"العصر الذهبي للاستيطان" الذي بدأ منذ بداية القرن العشرين. فقد قارب عدد المعمرين 800 ألف بعد أن كان عددهم 600 معمر سنة 1830، وارتفعت مساحة الأراضي الزراعية التي استحوز عليها هؤلاء إلى أكثر من 2،1 م هكتار⁽³⁾، بينما عرفت فلسطين في منتصف الحرب العالمية الأولى -1917- البداية الفعلية لحركة الاستيطان اليهودي بعد أن وصلت إليها طلائع المستوطنين في حدود سنة 1880 في أعقاب انتظام الحركة الصهيونية⁽⁴⁾ واستمرت بشكل بطيء نوعا ما حتى أصبح عدد اليهود فيها يتجاوز 50 ألف في بداية الحرب العالمية الأولى.

وفي جوهر الفروق في تنفيذ مخططات فرنسا واليهود في الجزائر وفلسطين، كان من الواضح أن فرنسا لم تجد عناء كبيرا لتكريس سياستها الاستيطانية، ذلك أنها أرفقت العملية بتحفيز الأوروبيين والفرنسيين المتوجهين إلى الجزائر بإصدار سلسلة من القرارات الإدارية والاقتصادية لصالحهم كان أولها قرار- كلوزيل- بشأن الأملاك العامة الذي صدر في 08 سبتمبر 1830 والذي نص على أن كل الدور والدكاكين والمخازن والحدائق والأراضي والمحلات والمؤسسات مهما كانت يشغلها الدايات والبايات الأتراك أو يشغلها الناس باسمهم والمؤسسات الوقفية يجب أن تستمر لحساب فرنسا، وفي أغرب ما نص عليه القرار إعطاؤه فقط مهلة ثلاث أيام لأصحاب الأملاك لاستظهار إثبات الملكية وإلا فإن السلطات ستصادرهما مباشرة، رغم أن أغلبية هؤلاء كانوا غائبين⁽⁵⁾، ثم توالى بعد ذلك صدور القرارات والقوانين

المغتصبة لأملاك الجزائريين بكل فئاتهم طوال فترة الاحتلال خاصة في القرن التاسع عشر وتحويلها لموجات المعمرين الوافدين عليها أفرادا وجماعات وذلك بهدف تفكير الجزائريين وإجبارهم على الهجرة، وترويضهم سياسيا عن طريق الاقتصاد⁽⁶⁾، ومن أجل المساعدة على زرع المجتمع الاستيطاني في الجزائر ودعم أركانه أرفقت فرنسا قراراتها السابقة بإجراءات تحفيزية لصالح المعمرين شملت القروض البنكية والمساعدات التقنية وضمان تسويق منتجاتهم .

وعكس فرنسا التي اتخذت كل الإجراءات الخاصة بخلق مجتمع استيطاني في الجزائر وهي متحررة من الضغوط الدولية التي قد تمنعها أو تعرقها من المضي في سياستها بعد أن جنحت باقي الدول الأوروبية المنافسة إلى التوافق على مناطق النفوذ في تسويات مؤتمر برلين الثاني سنة 1884، فإن الحركة الصهيونية واجهت مصاعب للاستيطان في فلسطين منذ نهاية القرن التاسع عشر بسبب رفض الإمبراطورية العثمانية أي دور لليهود فيها، حيث لجأت في عهد السلطان عبد الحميد إلى استصدار - فرمانا* سنة 1888 تم بموجبه تنظيم حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين خوفها على مستقبلها .

كما رفض السكان العرب في فلسطين والمنطقة المجاورة هجرة اليهود مؤكدين أنها تخفي وراءها تنفيذ توصيات الحركة الصهيونية الصادرة في مؤتمر بال سنة 1897، وهو ما أظهرته حوادث العنف الأولى التي وقعت سنة 1898 حيث تعرض اليهود لغضب المسلمين في شرق الأردن فقدوا خلالها بعض ممتلكاتهم⁽⁷⁾ ولم يستسلم اليهود للواقع حيث قررت الحركة الصهيونية المضي قدما في جهودها لإيصال أكبر عدد من اليهود إلى فلسطين عبر السعي إلى رفع العراقيين التي تقف في وجه المهاجرين كمرحلة هامة من سياسة الحركة، وتمكنت من إسقاط السلطان عبد الحميد عن طريق نشاط يهود الدونمة الذين أسهموا في تشكيل وتوسيع أنشطة "جمعية الإتحاد والترقي" ودفعها لتنفيذ الخطة فكان قرار خلع السلطان سنة 1909⁽⁸⁾ .

كما نجحت الصهيونية في العمل على محور مواز كان هدفه استصدار قوانين تستطيع بموجبها أوفي ظلها تمرير المزيد من المهاجرين إلى - أرض الميعاد- فقد تقرب زعمائها من بريطانيا باعتبارها دولة تشفق على أمانيتهم ،لدفعها إلى إصدار وعد رسمي يسمح لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين ،وكان لهم ذلك بعد أن وجه - آرثر جيمس بلفور- وزير خارجية بريطانيا رسالة إلى اللورد اليهودي - روتشيلد - جاءت كثمرة اتصالات ومفاوضات بين زعيم الصهيونية- حاييم وايزمن- والحكومة البريطانية⁽⁹⁾. يعلمه فيها قبول حكومة بلاده طلب اليهود وتعاطفها مع أمانيتهم في وطن قومي بفلسطين.

لقد كان أثر هذا البيان كبير جدا بلغت معه حماسة اليهود حد الهوس لأنهم رأوا فيه حدا لآلامهم ومحققا لتنبؤات كتابهم المقدس. معتبرين إياه تحولا هاما في تطور الحركة اليهودية، إذ اجتمعت بعده كلمتهم على وجوب المساهمة الجدية في إقامة الدولة⁽¹⁰⁾ وزاد نشاطهم داخل بريطانيا وخارجها وتوسعوا إلى دعم موقف بريطانيا بعد نهاية الحرب لأجل فرض انتدابها على فلسطين، وكان قرار مجلس الحلفاء الأعلى في مؤتمر- سان ريمو - سنة 1920 بإعطاء بريطانيا فلسطين وشرق الأردن والعراق لإدارة شؤونها مثار تهليل فاق في حجمه وعد بلفور نفسه لدى كافة اليهود في العالم⁽¹¹⁾، وكان ذلك بداية فعلية لتجسيد حلم الصهيونية في فلسطين، خاصة أن بريطانيا شرعته "صك الانتداب" بانتزاعها موافقة عصبة الأمم عليه بعد ذلك.

وبعد أن كان عددهم يتراوح بين عشرون وثلاثون ألف سنة 1903⁽¹²⁾، يمثلون الطلائع الأولى للمهاجرين اليهود إلى فلسطين، سمحت جهود الصهيونية قبل وبعد صدور وعد بلفور بارتفاع مطرد لعدد المهاجرين، خاصة بعد وصول الدفعة الثانية من اليهود الأكثر تعصبا ليهوديتهم والذين بدؤوا في التدفق على فلسطين منذ سنة 1907 وهم في غالبيتهم عناصر فنية انتخبت بدقة ولها قسما وافرا من الثقافة اليهودية⁽¹³⁾، ما رفع أعداد المهاجرين إلى ما بين خمسون وستون ألفا رغم تفاوت التقديرات وذلك بحلول سنة 1917، مقابل نحو 600 ألف

عربي، قبل أن ينتقل العدد إلى أكثر من 83 ألف مستوطن من أصل أكثر من 800 ألف عربي ما رفع نسبة اليهود إلى 11 % من مجموع سكان فلسطين الذين أحصتهم بريطانيا لأول مرة سنة 1922⁽¹⁴⁾.

لقد مثل الانتداب البريطاني غطاء لحكم اليهود في فلسطين، فقد تم تعيين اليهودي البريطاني - صامويل هربرت - رسمياً كمندوب بريطاني سامي في فلسطين تحت ضغوط وجهود اللوبي اليهودي في بريطانيا، وكان عهده خطيراً على مستقبل فلسطين العربية إذ توطد في فترته التي استمرت حتى سنة 1925 نفوذ اليهود وصارت لهم الكلمة الأولى في فلسطين بعد سيطرتهم على مراكز متقدمة في أجهزة حكمها وفي عصب التجارة والصناعة⁽¹⁵⁾.

وهو ما شجع تدفق المزيد من اليهود عليها، ودفع عددهم بشكل تصاعدي وسريع حتى بلغ بحلول سنة 1931 أكثر من 184 ألف مستوطن بنسبة 17 % من مجموع سكان فلسطين الذين بلغ عددهم في نفس السنة نحو 958 ألف نسمة⁽¹⁶⁾، ورغم تأثر الهجرة اليهودية بالأزمة الاقتصادية التي هزت المنطقة كباقي مناطق العالم سنة 1929.

إلا أن جهود اليهود التي دفعت بريطانيا إلى إلغاء كتاب - باشفيلد - الأبيض في فبراير سنة 1931 انعكس إيجاباً على حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين إذ وصلت أعداد المهاجرين سنة 1934 فقط إلى أربعين ألف مهاجر، ثم إلى 62 ألف مهاجر في السنة التي تلتها، وهي أرقام لم تكن سوى في قاموس الحلم الصهيوني آنذاك⁽¹⁷⁾ لقد تضاعف عدد هؤلاء لسبعة أو ثماني مرات في خلال عقدين تلا صدور وعد بلفور حتى وصل عددهم عشية الحرب العالمية الثانية 430 ألفاً مقابل نحو 1.09م عربي⁽¹⁸⁾، ما يؤكد أن نظام الانتداب رغم إصداره لبعض القرارات التي تعرقل حركة الهجرة في مراحل متأخرة على غرار الكتاب الأبيض سنة 1939 وذلك تحت ضغط حوادث العنف التي كانت تسود فلسطين ومطالب العرب بوقف الهجرة اليهودية، إلا أن ذلك لم يكن سوى امتصاص لغضب العرب والفلسطينيين سرعان ما تراجعت عنه بريطانيا بمجرد اصطدامها

بالضغط اليهودي والأمريكي بعد أن تمكنت الحركة الصهيونية من توريث الولايات المتحدة الأمريكية في القضية بعد إقناع إدارة - ترومان - بالتدخل لدى بريطانيا لإلغاء القيود الواردة في الكتاب الأبيض على الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية مباشرة، وكان أن تخلت بريطانيا عن العمل بقرارات الكتاب ومراسيمه.

أما في الجزائر وبعد أن عرف الاستيطان في العقدين الأولين من القرن العشرين عصره الذهبي، عادت حركة الهجرة الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى إلى التباطؤ رغم أن فرنسا سارعت كعادتها إلى توفير كل المغريات الاقتصادية والاجتماعية لجذبهم، ولم يزد عددهم بحلول سنة 1926 عن 833 ألف منهم 79 % من مواليد الجزائر⁽¹⁹⁾ ولم يزد هذا العدد حتى سنة 1930 عن 880 ألف معمر مقابل 5.6 مليون نسمة من الجزائريين المسلمين⁽²⁰⁾.

وقد أظهرت إحصاءات السنة الموالية 1931 أن هذا التباطؤ إذ لم يتجاوز عددهم 885 ألف بينهم 733 ألف فرنسي⁽²¹⁾، وحتى عشية الحرب العالمية الثانية لم يرتفع عددهم عن 900 ألف بكثير ما يعني أن نسبة التزايد السنوي لم تكن تتعدى طوال العشرين سنة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى 06 % وهو مؤشر على أن عهد الاستيطان في الجزائر قد وصل إلى مراحلها الأخيرة .

لقد دخلت الحركة الاستيطانية في الجزائر وفلسطين عهدا جديدا بعد الحرب العالمية الثانية ميزهما اختلاف واضح في المؤشرات والعناصر التي تقوم عليها، فبينما كانت حركة الاستيطان قد بلغت نهاية نموها تقريبا في الجزائر بدليل أن عدد المستوطنين لم يزد حتى اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954، أي بعد نحو تسع سنوات من نهاية الحرب العالمية الثانية عن 1.03م مستوطن مقابل 8.4 م نسمة من الجزائريين، يسيطرون على أكثر من 2.7 مليون هكتار من الأراضي الزراعية، و 11 مليون هكتار من الغابات والمساحات المختلفة وهو ما يمثل ثلثي أراضي الجزائريين قبل الاحتلال⁽²²⁾ ما يؤكد ضعف حركة الهجرة إلى الجزائر بعد

الحرب خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار نسبة نمو المجتمع الأوروبي في الجزائر التي كانت تتراوح بين 1 إلى 1.5 % سنويا.

فإن الذاكرة الفلسطينية تحتفظ بسجل سيء عن تطور كبير لظاهرة الهجرة والاستيطان اليهودي بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة شاملة مناطق فلسطين هذه المرة، ما جعل من تلك الفترة أدق فترات تاريخ فلسطين المعاصر وأخطرها، خاصة أن الصهيونية حظيت بمزيد من العطف الدولي ومن دول الحلفاء تحديدا نظرا للظروف التي مر بها اليهود في أوروبا على يد النازية.

وقد أدت كل تلك التطورات في النهاية إلى إعلان ميلاد دولة إسرائيل التي باشرت خطة شاملة ساهمت - ولا زالت - في إرساء قواعد مجتمع استيطاني يهودي بكل أركانه على أرض الفلسطينيين، بعد أن وضعت موضوع تهجير اليهود إلى فلسطين في أولى اهتماماتها، ووجدت له كل منظماتها وأحزابها وقياداتها وكتابها معتبرة "حلم بناء الدولة" الوليدة سيظل قلبا فارغا وخيالا عابرا بغير هؤلاء المهاجرين⁽²³⁾ فقد كان - دافيد بن غوريون - يؤكد: "إن الهجرة والاستيطان في حد ذاتهما كفيلا بأن يخلقوا الواقع السياسي الذي لا مفر منه والذي سيأتي بنا بالاستقلال"⁽²⁴⁾.

إن ميلاد الدولة العبرية في فلسطين كان بداية لعهد جديد في مسار القضية الفلسطينية مثلما كان احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 بداية عهد جديد في مسار العلاقات بينهما، فقد كانت تلك الولادة بمثابة نفق مظلم وطويل دخله الشعب الفلسطيني لأن إسرائيل شأن فرنسا في الجزائر عمدت في أولى إجراءاتها من أجل تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين إلى تطبيق سياسة الاستيلاء على الممتلكات العربية الفلسطينية من خلال سلسلة من المصادرات - لم تنته بعد- للعقارات والأراضي مدعمة ذلك بسن مجموعة من القوانين منذ أيامها الأولى أهمها:

- قانون أملاك الغائبين الذي أعلنه المجلس التشريعي-الكنيست- بتاريخ 24 مارس 1950 والمعوض لقانون 19 ديسمبر 1949 والذي يخص القضية نفسها،

وقد كان ذلك القانون مشابها في محتواه لقانون 08 سبتمبر 1830 الذي أصدرته فرنسا في الجزائر.

■ قانون مصادرة الأراضي لأجل المصلحة العامة والذي كانت سلطات الاحتلال البريطاني قد أعلنته أثناء فترة الانتداب وقد واصلت السلطات الإسرائيلية العمل به، وسمحت لنفسها بالسيطرة على الممتلكات التي كانت تحت السيطرة البريطانية التي ورثتها بدورها عن الدولة العثمانية صاحبة السيادة على فلسطين قبل الانتداب البريطاني، تماما كما جاء في إحدى مواد قانون 08 سبتمبر 1830 الذي أصدرته فرنسا في الجزائر والذي ينص على استمرار تلك الأملاك التابعة للدولة العثمانية في الجزائر لصالح الدولة الفرنسية.

■ قانون في إطار الدفاع وفي ظل الطوارئ الذي أعلنته السلطات البريطانية والذي تحول للحاكم العسكري إبعاد المواطنين ومصادرة أراضيهم⁽²⁵⁾. وقد استمرت إسرائيل، في العمل به ودعمته بقوانين أخرى تشبه في محتواها قانون الأهالي في الجزائر وقانون مصادرة أملاك الثائرين ضد فرنسا بعد ثورة الشيخ المقراني سنة 1871.

■ قانون الطوارئ الذي يخص استغلال الأراضي البور الصادر سنة 1984 والذي يعطي الحق لوزير الزراعة بمصادرة الأراضي البور إذا تأكد له أن مالكها لا يستغلها، مثلما كانت تفعل وتتحجج فرنسا في الجزائر لأجل تأميم أكبر نسبة من الأراضي البور التي بلغت بحلول سنة 1952 أكثر من 11 مليون هكتار.

إن هذه القوانين وأخرى سمحت لإسرائيل بمصادرة أراضي وممتلكات مئات الآلاف من المواطنين العرب الفلسطينيين، ما وفر لها إمكانية إقامة قاعدة صلبة للاستيطان، ففي مراحل لاحقة صرح نائب إسرائيلي سنة 1964 أن مساحة الأراضي التي صودرت منذ 1948 تصل إلى 418 ألف دونم من الأراضي

الزراعية حسب قانون أملاك الغائبين، وسبعين ألف دونم من أملاك الوقف الإسلامي حسب قانون استملاك الأراضي، و250 ألف دونم حسب قانون مرور الزمن، وعشرين ألف دونم حسب قانون الأحراش⁽²⁶⁾.

إن سياسة التوسيع والاستيطان التي انتهجتها السلطات الإسرائيلية نابعة من طبيعة الدولة التي تبني مخططاتها وفقا لمبدأ السيطرة على الأرض لتحقيق أهدافها الاقتصادية والاجتماعية ومن ثم الإستراتيجية، فمرة تستحوذ على الأراضي والممتلكات باسم الأمن الوطني، ومرة باسم المصلحة العمومية، ومرة بدعوى غياب أصحابها، وأخرى باسم عدم امتلاك أصحابها لوثائق الملكية⁽²⁷⁾، وقد أدت سلسلة المصادرات و توفير قاعدة الاستيطان إلى ارتفاع عدد الوافدين اليهود على فلسطين إلى 679 ألف بحلول سنة 1954 وارتفع بذلك عدد سكان إسرائيل إلى نحو 1.5 مليون نسمة ثم إلى أكثر من 1.9 مليون نسمة سنة 1960. إلى أكثر من 2.2 مليون نسمة سنة 1962، لقد هدفت إسرائيل إلى "جعل فلسطين يهودية بمقدار ما هي المجلتر الإنجليزية، أو ما هي أمريكا أمريكية" كما قال حاييم وايزمن⁽²⁸⁾.

وما سبق يمكن قراءة الاستنتاجات التالية عن الحركة الاستيطانية في الجزائر وفلسطين في الفترة السابقة:

أولاً: أن الحركة الاستيطانية في الجزائر وفلسطين تتقاطع زمانا من حيث قوة التدفق ولكنها تشترك من حيث التدفق نفسه في فترة لا تقل عن ستين سنة. فالحركة الاستيطانية في الجزائر أسبق زمانا وأقل كثافة من تلك التي عرفتها فلسطين حتى الحرب العالمية الثانية، إذ أن الجزائر استوطنها ما يزيد قليلا عن واحد مليون فرنسي و أروبي في خلال قرن وربع تقريبا، بينما استقبلت فلسطين حتى سنة 1954 أي في خلال نصف قرن تقريبا نحو مليون ونصف مليون مستوطن يهودي.

ثانياً: لم تختل المعادلة السكانية أبدا لصالح المستوطنين في الجزائر، إذ ظل الأهالي يمثلون الأغلبية المطلقة عبر كل مراحل الاستيطان حتى سنة 1954 حيث كان

الجزائريين نحو 8.4 مليون نسمة⁽²⁹⁾، مقابل نحو مليون مستوطن، أي بنسبة 01 مستوطن مقابل 08 جزائريين، مقابل تحول سريع في معادلة الوضع الديمغرافي في فلسطين لصالح المستوطنين اليهود - داخل ما يعرف بالخط الأحمر - حول الأغلبية إلى أقلية والأقلية إلى أغلبية، رغم أن سكان فلسطين كانوا يمثلون الأغلبية حتى سنة 1948 بنسبة 6,68 بالمائة من مجموع السكان⁽³⁰⁾، وبعد حرب عصابات ضاغطة اضطر الفلسطينيون إلى مغادرة أراضيهم وممتلكاتهم، ولم يبق منهم بحلول سنة 1949 سوى 300 ألف ممن يعيشون في المدن الكبيرة يمثلون نحو ستين ألف عائلة تحتل فقط نحو ستة آلاف ملكية، أي أن 700 ألف فلسطيني غادروا فلسطين وشردوا وأصبحوا بلا وطن⁽³¹⁾، في ظرف وجيز بفعل الظروف التي خلفتها نتائج حرب 1948 وقيام إسرائيل وقد زادت هذه النسبة اتساعا بمرور الزمن حتى الآن.

ثالثا: تتقاطع الفترة الاستيطانية في الجزائر وفلسطين زمانا من حيث تدفق المهاجرين، فإذا كانت العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين قد عرفت وصول الظاهرة الاستيطانية في الجزائر إلى نهاية عصرها الذهبي، فإن الظاهرة في فلسطين قد دخلت عصرها الذهبي بعد إنشاء إسرائيل في نهاية النصف الأول من القرن العشرين، وعرفت ذروتها في بداية النصف الثاني من نفس القرن عندما كانت الظاهرة تعرف جمودا شبه كامل في الجزائر.

رابعا: تميزت الظاهرة الاستيطانية في الجزائر بتحكم فرنسا وحدها في تنظيمها رغم تأثيرها في بعض الفترات بالأوضاع السائدة في أوروبا عموما وفي الجزائر. بينما تحكمت في الظاهرة الظروف الداخلية التي سادت فلسطين منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين وما بعده والقوى التي كانت تبسط سيطرتها على المنطقة، فحتى سنة 1917 كانت السلطة العثمانية تراقب حركة الاستيطان في فلسطين، وأصبحت بريطانيا هي المتحكمة في الظاهرة حتى نهاية فترة الانتداب سنة 1948، بعدها أشرفت سلطة "الاستعمار الصهيوني" على العملية وبأكثر حدة، لذلك يمكن القول أن فرنسا تورطت بدعم من حلفائها في إرساء قواعد

المجتمع الاستيطاني في الجزائر، بينما تورطت الدولة العثمانية - بضعفها- وبريطانيا - بتواطؤها- والصهيونية -بأساليبها- في بناء قواعد المجتمع الاستيطاني في فلسطين. خامسا: كان العنصر الوافد من أوروبا يمثل أكثر من غيره القاعدة البشرية للمجتمع الاستيطاني في البلدين ، فبينما كان المستوطنون في الجزائر يتشكلون بنسبة كلية تقريبا من الأوروبيين يمثل الفرنسيون أغليتهم المطلقة - عددهم 733 من أصل 885 ألف مستوطن أوروبي في سنة 1931 - ، والباقي من المستوطنين الإيطاليين و الإسبان والمالطيين وبعض اليونانيين والسويسريين والألمان والإسكندنافيين.

فقد دلت الإحصائيات أنه حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كان جل اليهود الوافدين على فلسطين من أوروبا، بل أن نسبتهم وصلت سنة 1948 إلى نحو 90 بالمائة⁽³²⁾ من مجموع الوافدين رغم أن أوروبا كانت تظم إلى غاية تلك السنة نحو 4 ملايين يهودي بما فيهم يهود الإتحاد السوفياتي فقط، مقابل 5.8 مليون في الولايات المتحدة الأمريكية⁽³³⁾ وأعداد أقل قي إفريقيا وآسيا والعالم العربي . ولم تتغير هذه النسبة بعد تلك الفترة إلا بشكل متذبذب لصالح يهود إفريقيا ويهود العرب وأمريكا. وهو ما يعني أن المجتمع الاستيطاني الذي كان قائما في الجزائر وفلسطين هو مجتمع أوروبي لا فرق بينه سوى الصفة الدينية بين المسيحية واليهودية.

سادسا: لقد أفرزت الظاهرة الاستيطانية ظواهر متعددة في الجزائر وفلسطين أدت بسلبياتها إلى رد فعل من السكان المحليين بلغ ذروته في الجزائر سنة 1954 عندما اندلعت الثورة التحريرية الكبرى واستهدفت أول ما استهدفت مصالح المستوطنين وفرنسا الداعمة لهم، بينما كان ميلاد دولة إسرائيل أهم ثمرة لسياسة الاستيطان اليهودي في فلسطين.

سابعا: رغم أن حملة الاحتلال الفرنسية على الجزائر لم تخلو مطلقا من الجانب الديني، إلا أن الحركة الاستيطانية في الجزائر هدفت إلى تذيب الجزائر وجعلها في النهاية جزءا لا يتجزأ من فرنسا، لأنها استهدفت تحقيق مصالح اقتصادية أكثر من

أي مصالح أخرى و ذلك عبر تكوين طبقة غنية من المعمرين تسيطر على ثروات البلاد وتوجهها في خدمة اقتصاد"الإمبراطورية الفرنسية"، أما الحركة الاستيطانية في فلسطين وإن لم تخلو من الأهداف الاقتصادية عبر تأسيس مؤسسات استثمار مختلفة طوال النصف الأول من القرن العشرين خاصة أثناء فترة الانتداب، إلا أنها ركزت على العامل الديني أكثر من أي عامل آخر. مستهدفة في النهاية تأسيس دولة دينية معتصبة لحقوق الفلسطينيين، كمرحلة أولى على طريق تكوين إسرائيل الكبرى".

2- آثار الاستيطان على الهوية الوطنية للشعبين:

إن مخططات الاستيطان التي طبقتها فرنسا وإسرائيل في الجزائر وفلسطين لم تكن سوى بداية لفصول طويلة من سياسات طمس حضارة المسلمين والعرب ومعالم الحضارات السابقة وإخفاء الحقائق التاريخية وتزوير البارز منها أو تغييرها من الأساس، ولأن الأرض والهوية هما أساس وعنوان أية أمة أو شعب، وحيث أن فصول السيطرة على الأرض وتهجير الإنسان الجزائري والفلسطيني وتشريده قد تمت على نحو ما رأينا، فإن فرنسا وإسرائيل وجهتا خططهما صوب قضية الهوية الوطنية للشعبين لتشويه كل ما يمت بصلة لأصل وحضارة الشعب في المنطقتين.

فقد ركزت فرنسا منذ الأيام الأولى للاحتلال جهودها على ضرب اللغة العربية والإسلام في الجزائر لكونهما يعتبران أهم ركائز الهوية الوطنية الجزائرية، وسعت إلى خلق واقع لغوي جديد يستند إلى خلق صراع لغوي بين الجزائريين ومنع تدريس اللغة العربية في المدارس القليلة التي أنشأتها منذ نهاية القرن التاسع عشر لتدريس الأهالي، وعمدت إلى مصادرة معظم معاهد التربية والتعليم بالعربية التي كانت موجودة قبل الاحتلال وتحويل بعضها إلى مستشفيات ومقرات لجيشها والبعض الآخر إلى معاهد التعليم الفرنسي⁽³⁴⁾ وقد ساهمت تلك السياسة في تقهقر اللغة العربية بعد الاحتلال⁽³⁵⁾ تدريجيا، ورغم تزايد مطالب الجزائريين عبر مناضلي الحركة الوطنية بتعليم اللغة العربية وجعلها لغة رسمية بجانب اللغة

الفرنسية في الجزائر، إلا أن السلطات الفرنسية أصدرت سنة 1938 قانونا رسميا اعتبرت بموجبه اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ولم تتوان في محاربة التعليم العربي الحر الذي كانت تقوم به جمعية العلماء المسلمين وبعض المنظمات الوطنية الأخرى بهذه اللغة، فهي تضع شروطا معرقلة للحصول على ترخيص رسمي لرجال التعليم لمزاولة نشاطهم التعليمي وأدى ذلك إلى غلق عدد كبير من المدارس وتهديم بعضها، كما عرفت المساجد التعليمية نفس المصير، وفي المقابل سعت إلى زرع وتعميم اللغة والثقافة الفرنسية وبنيت لذلك المدارس خصوصا في المدن الكبرى ووضعت لها برامج مفرنسة لغة ومضمونا، وأصبحت كل المراسلات والتقارير الإدارية تتم بالفرنسية حتى تلك الموجهة للجزائريين.

أما الجانب الديني الذي لم يكن خافيا على أحد في الحملة الفرنسية على الجزائر منذ ما قبل الحملة نفسها، فقد أكدته تصريحات وأفعال الفرنسيين منذ الأيام الأولى للاحتلال عندما أعلن سكرتير الحاكم العام الفرنسي في الجزائر سنة 1832: "أن آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكننا أن نشك على أي حال بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد" أما العرب فلن يكونوا رعايا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعاً، وقد أعاد المحتلون تأكيد سياسة- التمسيح- في مناسبات عديدة بمناسبة احتفالهم سنة 1930 بمرور مائة عام على احتلال الجزائر حيث قالوا إن المغزى الحقيقي من وراء إقامة هذه الاحتفالات إنما هو "لتشيع جنازة الإسلام"⁽³⁶⁾ في الجزائر.

لقد أطلقت فرنسا يد المبشرين ودعمتهم ماديا ومعنويا لشن حملات تنصير الجزائريين مستغلة حالة البؤس والفقر التي وضعتهم فيها، كما فعل الأب- لافيغري- في منتصف القرن التاسع عشر وآخرون بعده، ولدعم سياسة التمسيح تلك ومحاربة الإسلام في معاقله لجأت فرنسا منذ الأيام الأولى إلى الاستيلاء على المساجد وتحويلها إلى مستشفيات لجنودها وإلى حساب مختلف المصالح الأخرى، بل هدمت بعضها، ولذلك تراجع عدد المساجد بشكل كبير ومتفاوت بين مختلف

مناطق الجزائر رغم تزايد عدد السكان، فلم يبق في مدينة الجزائر مثلا إلا خمسة مساجد من أصل 176 مسجدا كانت موجودة عند الاحتلال⁽³⁷⁾، كما استولت على الأوقاف الإسلامية المشكلة من عقارات كانت تمول مختلف الأعمال الخيرية ولم يبق في مدينة الجزائر أي عقار من أصل ثمانية آلاف عقار كانت مسجلة بها عند الاحتلال⁽³⁸⁾.

لقد اتبعت فرنسا إجراءاتها تلك ببسط رقابتها على شؤون الدين الإسلامي وعدم فصله عن الدولة، رغم أنها دولة علمانية في الأساس طبقا لما نص عليه دستورها وفضلت تطبيق مرسوم 1905 في الجزائر فقط سنة 1907 وعلى الدين المسيحي واليهودي فقط⁽³⁹⁾ وقامت بتقسيم الجزائر إلى نحو 95 منطقة دينية فيها نحو 166 مسجدا وزاوية لا غير يعتبر فيها المفتي رئيسا للمنطقة⁽⁴⁰⁾.

وغالبا ما كان هؤلاء يوالون فرنسا وسياستها سواء مكرهين أو تحت ضغط الإغراءات لإصدار فتاوي تحرم محاربة فرنسا، لقد أدركت فرنسا أيضا أن القرآن يمثل عمود الإسلام الذي يخشى بأسه، فالفرنسيون يعتقدون أن القرآن هو سبب السخط الشعبي العام عليهم في الجزائر فقد أكد أحد النواب في البرلمان الفرنسي أن"-القرآن- هو الذي يحرص المسلمين الجزائريين على إذابة الفرنسيين"، ومن ثم قرروا القضاء عليه وعلى الدين الذي جاء به⁽⁴¹⁾ لأنهم يدركون تماما الإدراك أن الإسلام لا يمثل دينا فقط فهو حضارة كاملة ودين وأدب وفنون وجهاز خلقي و جهاز قانوني أنتج بتفاعله مع الماضي والحاضر الشخصية الجزائرية الحديثة⁽⁴²⁾.

وفي واقع الأمر لم تكن هذه السياسة لتغيب على إسرائيل في فلسطين فيكفي أن يعرف المرء نوع الأسس التي أقيمت عليها تلك الدولة ليستنتج طبيعتها ومن ثم سياستها على أساس أن الفعل عادة ما يكون من نفس جنس الفكرة، فقد سعت دولة إسرائيل الرسمية وقبلها الحركة الصهيونية إلى إعادة إحياء اللغة العبرية المندثرة وتعليمها لناشئتها، وقد نجحت مجهودات اليهود في جعل اللغة العبرية كإحدى لغات فلسطين الرسمية منذ سنة 1907⁽⁴³⁾ في العهد العثماني،

وفي العهد البريطاني سمحت لهم سلطات الانتداب بالكتابة على النقود والطوابع اليهودية عبارة- أرض إسرائيل - بالعبرية أمام كلمة فلسطين⁽⁴⁴⁾.

وعند قيام إسرائيل خططت لتعليم اللغة العبرية على مراحل لكل المهاجرين إلى فلسطين حيث ترسلهم إلى معسكرات خاصة لتعليمهم مبادئ اللغة العبرية وأصولها وما يحتاجونه من مفردات تعينهم على تدبير حاجاتهم اليومية⁽⁴⁵⁾ وأكدت في قراراتها الرسمية على وجوب ممارسة كل العمليات التعليمية بالعبرية حتى التي تتم في بعض المدارس العربية أو المختلطة، ولم تستعمل اللغة العربية في المدارس العربية الابتدائية إلا كمادة ثانوية، فكان أن تخرج عدد كبير من تلاميذها وهم لا يقرؤون ولا يكتبون بالعربية إلا بصعوبة كبيرة⁽⁴⁶⁾، وقد طالت سياسة التضييق على تعليم اللغة العربية لما يعرف بعرب 1948 مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة في مراحل لاحقة.

إن تعصب إسرائيل للغة العبرية على حساب اللغة العربية وسعيها الدؤوب لإحيائها لم يكن أقل من تعصبها للدين اليهودي مظهرة بذلك حقدا كبيرا على الأديان الأخرى خصوصا الإسلام والمسلمين، فقد كانت فكرة إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين قائمة منذ البداية على أساس ديني ينبع من شعار مفاده - أرض الميعاد لشعب الله المختار- ولذلك سعى اليهود بكل الوسائل إلى الاستيلاء على الأماكن المقدسة في فلسطين وتدمير بعضها، كاتخاذهم من حائط البراق - حائط المبكى - معلما ومكانا مقدسا لهم مما تسبب في وقوع أحداث قاتلة حوله مثل تلك التي حدثت سنة 1929، كما أنهم لجأوا في أخطر أعمالهم إلى حرق المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين في سنة 1967، وهي تنفيذ مخطط أنفاق تحت ساحة المسجد بذرائع مختلفة تهدف في حقيقتها إلى هدم المسجد بدعوى أنه بني على ما يعرف ب- هيكل سليمان-** عليه السلام.

إن التعصب الديني الذي يميز مواقف اليهود في فلسطين لم تسلم منه أيضا المقدسات المسيحية، فقد دمرت عدة كنائس قديمة ذات قيمة تراثية ودينية كبيرة ككنيسة القديس - قسطنطين- ودير القديس - يعقوب- واحتلت أديرة أخرى

كديره راهبات "القربان المقدس" والآباء الألمان وقصر القاصد الرسولي، كما نهبت ممتلكات كنسية ونسفت مقرات أخرى، ولم تسلم حتى مقابر كنيسة اللاتين ومقابر اليونان من التدمير على جبل صهيون⁽⁴⁷⁾ إنها أعمال من صميم التعصب الديني الذي أنتج تجاوزات في حق الأديان كلها بما فيها الدين اليهودي نفسه.

لقد كانت إسرائيل ولا زالت دولة دينية لم يفصل فيها الدين قط عن سياستها وأنظمتها، للحاخامات فيها نفوذ واسع⁽⁴⁸⁾، فهم ينشئون الأحزاب السياسية الدينية المتطرفة ويحرمون الزواج والطلاق المدني، ولا مخطط في الدولة يمر بدون موافقة رجال الدين.

❖ هوامش البحث :

- (1) مجدي حماد: النظام السياسي الإستيطاني، دراسة مقارنة إسرائيلية وجنوب إفريقيا، دار الوحدة للطباعة والنشر -بيروت- 1981 ، ط01، ص44-45.
- (2) المرجع السابق: ص 45.
- (3) عبد الحميد زوزو: تاريخ الاستعمار والتحرر في أفريقيا وآسيا: ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر- 1997 . ص 72.
- (4) أنيس الصايغ: الهاشميون والقدس، منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية- بيروت- 1966. ص44.
- (5) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، القسم الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1992. ص 66،67.
- (6) المرجع السابق، ص70.
- * نص ذلك الفرمان على منع الهجرة اليهودية الجماعية إلى أرض الدولة العثمانية ومنها فلسطين، كما منع بموجبه الحجاج اليهود البقاء أكثر من ثلاث أشهر في فلسطين . انظر عماد الدين خليل: هجمات مضادة في التاريخ الإسلامي. ص 22.
- (7) أنيس الصايغ: المرجع السابق: ص 45.
- (8) عماد الدين خليل: هجمات مضادة في التاريخ الإسلامي، الطبعة الثانية - مكتبة النور للإنتاج الإعلامي والتوزيع، قسنطينة، الجزائر 1989، ص 20 .
- (9) هاني الهندي، محسن ابراهيم: "إسرائيل". فكرة..حركة.. دولة..، دار الفجر الجديدة للطباعة والنشر. -بيروت- 1958 . ص 65.
- (10) المرجع نفسه. ص 65.
- (11) ابراهيم أبو لغد: تهويد فلسطين ، ترجمة أسعد زروق: منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الأبحاث- بيروت- 1972- ص71.
- (12) وزارة الدفاع الوطني: منظمة التحرير الفلسطينية، نشر مركز الدراسات العامة والوثائق- الجزائر(دس ط) ص 11.
- (13) هاني الهندي، محسن إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص 56 .
- (14) إبراهيم أبو لغد: مرجع سبق ذكره، ص 157-158.
- (15) هاني الهندي، محسن إبراهيم: المرجع السابق- ص 71،70.

- (16) وزارة الدفاع الوطني: المرجع السابق - ص 10،9.
- (17) آلان - ر - تايلور: مدخل إلى إسرائيل: تعريب شكري محمد نديم: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - 1969. ص 79.
- (18) Jean. paul chagnollaud : **Maghreb et palestine**. Edition sind-bad -Paris.France 1977. P30.
- (19) Charls Robert Ageron : **Histoire de l'Algérie contemporaine 1830-1970**. Presse universitaire de france- Paris-1970. P 77-78.
- (20) René Gallissot (et autres) : **Mouvement ouvrier, communiste et nationalisme dans le monde arabe** : Les- éditions ouvrières Paris 1978. P 128.
- (21) Jean Paul chagnollaud : op.cit. P 30.
- (22) عبد الحميد زوزو.: مرجع سبق ذكره، ص 72.
- (23) إلياس سعد: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية- بيروت، 1969، ص 07.
- (24) إبراهيم العابد: دليل القضية الفلسطينية -أسئلة وأجوبة- مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1969، ص 148.
- (25) L'organisation arabe du travail : **Les implantations israéliennes et leur répercussion sur la conditions des travailleurs arabe en Palestine et dans les autres territoires arabes occupés**. (Bureau de l'organisation Arabe du travail.) P 12 .
- (26) إبراهيم العابد: مرجع سبق ذكره، ص 129.
- (27) L'organisation arabe du travail : op. cit. P12.
- (28) إبراهيم العابد: مرجع سبق ذكره، ص 148.
- (29) Jean paul chagnollaud : op.cit. P30.
- (30) وزارة الدفاع الوطني: مرجع سبق ذكره، ص 9-10 .
- (31) - Mostefa Lachraf : **Algérie et tierre-monde- Agression, résistance et solidarité intercontinentales**-Edition bouchene -Alger 1989. P163.
- (32) إلياس سعد: مرجع سبق ذكره، ص 58 .
- (33) المرجع السابق. ص 248، 249 .
- (34) رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، الجزائر 1981. ص 103.

- (35) مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة و المجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983. ص 417.
- (36) رايح تركي: مرجع سبق ذكره، ص 104. 110.
- (37) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق. ص 74.
- (38) رايح تركي: المرجع السابق. ص 329.
- (39) المرجع نفسه. ص 110111.
- (40) أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، نشر دار الكتاب - البلدية - الجزائر 1963. ط 02، ص 350.
- (41) رايح تركي: مرجع سبق ذكره، ص 330.
- (42) محمد طمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1983
- (43) سيد نوفل: العمل العربي المشترك في مجال الدول، جامعة الدول العربية - معهد البحوث والدراسات العربية - مصر 1971. ص 247
- (44) حسن جليبي: مرجع سبق ذكره، ص 26.
- (45) فلاح خالد علي: الحرب العربية الإسرائيلية 1948-1949 وتأسيس إسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1982، ط 01. ص 333.
- (46) إبراهيم العابد: مرجع سبق ذكره، ص 124.
- * سيدنا سليمان عليه السلام هو الذي بنى ما يعرف بالهيكل الذي كان أبوه داود عليه السلام قد بدأ في بنائه، وهو عبارة عن معبد لحفظ تابوت العهد الذي يحتوي على وصايا موسى عليه السلام، وقد كان ذلك في فترة حكم سليمان ومملكته بين 970-930 ق م. وقد دمر هذا الهيكل لمرات عديدة وأعيد بناؤه حتى العهد الروماني. انظر (سمير جريس: القدس، المخططات الصهيونية... ص 97).
- (47) إبراهيم العابد: مرجع سبق ذكره، ص 134136.
- (48) المرجع السابق. ص 199.

دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة بمنطقة الزيبان

خلال القرن 13 هجري/19 ميلادي

الأستاذ: الأمير بوغدادة

جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

تعدّ منطقة الزيبان معقل من معاقل الطريقة الرحمانية، التي انتشرت بها خلال القرن (13هـ / 19م) بفضل جهود بعض شيوخها، الذين بادروا إلى تأسيس زوايا بهذه المنطقة أصبح لها فيما بعد عدد كبير من الأتباع، وهم الذين يعرفون بالإخوان الرحمانيين. وبعد احتلال بسكرة سنة (1260هـ / 1844م)، هب هؤلاء الإخوان فرادى وجماعات لمقاومة المحتل الفرنسي، إلا أن كل محاولاتهم بأت بالفشل، وذلك راجع لعدة أسباب تطرقنا إليها في الموضوع.

Abstract:

The Alziban area is a stronghold of brotherhood El-Rahmaniya, which spread during the century (13AH / 19 CE) thanks to some elders (sheikhs) efforts, who initiated the founding of Zawias in this region, these Zawias has become later have a large number of followers, and they know as El-Rahmaniya. After the occupation of Biskra (1260 AH / 1844 CE), these Brotherhood individually and collectively try to resist the French occupation, but all their attempts failed for several reasons we talked about it in this study.

مقدمة:

تعد منطقة الزيبان معقل من معاقل الثورات، منذ أن استولى الاحتلال الفرنسي على أرض الجزائر، بالإضافة إلى كونها مركز من مراكز الطريقة الصوفية الرحمانية ممثلة في زوايا: خنقة سيدي ناجي، والشيخ الجروني، والمختارية بأولاد جلال، والعثمانية بطولقة، و سيدي المصمودي بسيدي المصمودي، هذه الزوايا التي كان لها الفضل في تكوين وتخريج عدد من الإخوان، الذين لعبوا دورا بارزا في المقاومة الوطنية بالمنطقة وغيرها من المناطق، أمثال عبد الحفيظ الخنقي، وسي الصادق بن الحاج زعيم ثورة 1275هـ / 1858م، والشيخ الهاشمي دردور، وغيرهم من رموز العلم والمقاومة.

أولا: أسباب ودوافع انخراط الإخوان الرحمانيين في المقاومة:

إن كان الثأر لشرف فرنسا، ولشرف قنصلها بيير دوفال (Pierre Deval) و إرضاء المسيحيين، سبب من أسباب احتلال فرنسا للجزائر، كما جاء في التقرير الذي رفعه وزير حربيتها كليرمون تونير (Clermont Tonnerre) إلى ملكه شارل العاشر (Chales X) إبان حملته على الجزائر، حيث قال: "...كان احتلالنا للجزائر أخذا بثأر الإهانة التي لحقت بممثل فرنسا، وإرضاء للمسيحيين، وذلك بإبادة المسلمين أشد أعدائهم طغيانا⁽¹⁾.

فما هي الأسباب والدوافع الحقيقية التي أدت بالإخوان الرحمانيين إلى الاستجابة لنداء المقاومة، والانخراط فيها فرادى وجماعات؟

معظم الكتابات الغربية الموالية لسلطة الاحتلال الفرنسي، اعتبرت انخراط الإخوان الرحمانيين في المقاومة الوطنية بشكل عام، خلال القرن 13هـ / 19م جاء نتيجة تعصبهم الديني والعرقى، ونتيجة انقيادهم لأوامر أطراف خارجية قدمت من مكة للتشويش على أمن البلاد.

فاوتيي (fawtier) مثلا يرى أن النيران التي اشتعلت في كل أرجاء الجزائر، كانت مدعمة برياح التعصب الديني للإخوان الرحمانيين الذين انتشروا في مصيف جرجرة، ومن حدود المغرب الأقصى إلى حدود تونس، وأنهم جاءوا من مكة لزرع التشويش الديني في الجزائر⁽²⁾.

وإدوارد دونوفو (Edward de neveu) يقر بأن إخوان بن عبد الرحمان أكثر تعصبا، فعلا يبدوون أكثر نفورا من الفرنسيين عن إخوان الطرق الأخرى، و أصبح من السهل تصور الاهتمام الذي يولونه للكفاح الطويل الذي جمعنا بأخيهم عبد القادر⁽³⁾.

وكذلك فيالا شارون (F. Charon) الحاكم العام الفرنسي في الجزائر، فقد أرسل سنة 1261هـ/ 1845م تعليمة توضيحية ذات مغزى للجنرالات قادة المجموعات، جاء فيها " فبالدراسة المتأنية للأسباب التي أدت إلى الانتفاضات المتعددة التي كان علينا أن نحاربها، نجد أن السبب الرئيس هو التعصب الديني الذي كان من السهل استثارته في شعب جاهل كالشعب العربي، ومستعد أيضا لاحتضان كل ما من شأنه أن يناهض سيطرتنا عن طريق الحقد الذي يغذيه عند المسيحيين⁽⁴⁾.

أما الكتابات والدراسات التي تحرى فيها أصحابها الموضوعية لاسيما الجزائرية منها، ترى أن اندفاع هؤلاء الإخوان للمقاومة لم يكن بسبب العاطفة الدينية المتعصبة، وإنما كان بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المزرية التي كانوا يعيشونها، وجاء العامل الديني ليدعمها، بالإضافة إلى السلوك السيئ الذي اتبعه الشيوخ والقواد والموظفون، وضباط الجيش الفرنسي تجاه الأهالي عامة، وتجاه أتباع الطريقة الرحمانية خاصة⁽⁵⁾.

لكن وإن كنا نقر بهذه الأسباب الأخيرة، ونرى أنها كافية لتدفع بهؤلاء الإخوان للانخراط فرادى وجماعات في المقاومة الوطنية، إلا أن ذلك لا يمنعنا القول بوجود أسباب أخرى خفية ساهمت بقدر كبير في تأجيج روح الجهاد وحب النصر أو الشهادة في سبيل الله عندهم، ودفعتهم للمشاركة بأعداد غفيرة في جل الانتفاضات الشعبية التي عرفتها الجزائر خلال القرن 13هـ/ 19م. وهذه الأسباب نلخصها في النقاط التالية:

1 - تواجد الطريقة الرحمانية واستفحالتها بصورة خاصة في معظم المناطق التي كانت مسرحا للأحداث بين رجال المقاومة الوطنية، وبين جيوش المحتل الفرنسي، كمنطقة الزيبان والأوراس وجرجرة⁽⁶⁾. والمعروف عن هذه الطريقة أنها ناصبت العداء للمحتل الفرنسي منذ أن وطأت قدماه أرض الجزائر سنة 1246هـ/ 1830م، وهذا العداء لم يكن بسبب التعصب الديني لإخوانها، وإنما هو نتيجة تكوينهم الروحي الرافض لكل ما يهدف إلى سلخهم عن هويتهم الإسلامية، أو يهدف إلى استغلالهم واسترقاقهم، ولذلك نجدهم يندفعون بقوة فرادى أو جماعات ليشاركوا في أغلب ثورات ذلك القرن، ويقومون بأدوار فعالة فيها⁽⁷⁾.

رغبة الإخوان الرحمانيين في المبادرة بإعلان الثورة على المحتل، والانخراط في كل مقاومة تعلن ضده، حتى يكون لهم فضل الأسبقية على بقية إخوان الطرق الأخرى في الجهاد والفوز بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة. لذلك نجدهم يندفعون اندفاعا فرادى أو جماعات للمشاركة في المقاومة حتى وإن كان قادتها من أتباع طرق صوفية غير رحمانية، مثلما حدث في مقاومة الأمير عبد القادر حيث شاركوا بقوة و بأعداد غفيرة⁽⁸⁾.

التوجه المعادي للعروبة والإسلام في السياسة الفرنسية بالجزائر، ويتجلى ذلك من خلال استهداف إدارة الاحتلال لشيوخ الزوايا في المناطق التي يتواجد بها

العنصر الأمازيغي كجرجرة والأوراس والزيان، وذلك في محاولة منها لإيجاد واقع رافض للانتماء الحضاري العربي الإسلامي.

ولأجل ذلك سلطت العقاب على مريدي الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا الذين انتفضوا ضدها في تلك المناطق، فأعدمت بعضهم كالشيخ بوزيان زعيم ثورة الزعاطشة، وسجنت بعضهم الآخر أو نفتته كما فعلت مع الشيخ سي الصادق بن الحاج مقدم الطريقة الرحمانية بجبال أهر خدو، والشيخ الهاشمي دردور مقدم الطريقة الرحمانية بمنطقة وادي عبدي بالأوراس⁽⁹⁾.

وكان نصيب الإخوان الرحانيين من هذا العقاب هو الأكبر مقارنة بغيرهم، لكونهم انتبهوا لما يراد لهم و يخطط لأبنائهم، فأعلنوها في وجه المحتل مقاومة إسلامية وانتفاضة وطنية.

وقد يكون ما ماورد عن ادوارد دونوفو (Edward de neveu)، من أن الطريقة الرحمانية، هي الطريقة الوحيدة التي استطاعت أن توحد العرب والأمازيغ تحت راية دينية واحدة⁽¹⁰⁾، هو أحد الأسباب التي دفعت بالاحتل الفرنسي إلى أن يجعل من هذه الطريقة، ومن إخوانها هدفا لآلته التدميرية.

4 - خطط الاندماج والتنصير، التي كان يدبرها جنرالات فرنسا وغلاة المثقفين من رجال الكنيسة والتعليم، وتوضح جلية من خلال تصريحاتهم، فالجنرال بيجو (Bugeau) أدلى بتصريح أمام الأب بريمو (Brimo) عندما سلمه أطفالا جزائريين ليعمدهم جاء فيه: " حاول يا أبي أن تجعلهم مسيحيين، وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار"⁽¹¹⁾.

كما أوضح أيضا الفائدة العظيمة لسياسة الاندماج والتنصير على الاستعمار الفرنسي بقوله " إن العرب لا يقبلون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين"⁽¹²⁾.

أما الكاردينال لافيغري (lavigerie) لم يخف نواياه ضد الإسلام والمسلمين في أول تقرير أرسله إلى الحكومة الفرنسية بعد تعيينه مطرانا على أسقفية الجزائر سنة 1281هـ / 1867م، وجاء فيه " إن إدخال الأهالي للديانة المسيحية واجب مقدس ينبغي أن نرقي هذا الشعب، ولنضرب صفحا على غلطات الماضي، فأول ما يجب علينا معهم هو الحيلولة بينهم وبين القرآن، بدلا من غلطات أخرى كإحياء مملكة عربية. ينبغي لنا على الأقل أن نهتم بالصبيان، فندخل في عقولهم تعاليم جديدة ألا وهي تعاليم الإنجيل، فبعد ذلك يمكننا الاختلاط بهم وإلا فلنبعدهم إلى الصحراء، بعيدين عن الشعب المتمدن⁽¹³⁾ .

ومن أجل تحقيق هذه الخطط سعى هؤلاء المنصرون إلى تسيح الوسط قبل تسيح الروح، فحاولوا محو مظاهر الديانة الإسلامية من المجتمع الجزائري، إذ قاموا ببناء كنائس وأسقفيات أسندوا لها مهمة نشر تعاليم المسيحية، كما قاموا بتسيح بعض المؤسسات الدينية الإسلامية كالمساجد و الزوايا، وتدمير بعضها الآخر أو تحويلها إلى أغراض أخرى. كما تم نفي علماء الدين وأبطلت شرعية المواسم الإسلامية، وأرغم الأئمة على إلقاء خطب الجمعة باسم فرنسا، إضافة إلى إخضاع القضاء الإسلامي للقضاء الفرنسي، وقد تم ذلك بعد قرار سنة 1246هـ / 1830م في عهد الجنرال كلوزيل⁽¹⁴⁾ .

وقد تفتن الإخوان الرحمانيون لهذه الخطط والمشاريع، التي كانت تستهدفهم قبل غيرهم لأن المناطق التي وقع عليها الاختيار لتنفيذ فيها، كانت بمثابة معاقل للطريقة الرحمانية، كجرجرة والأوراس والزيان، لذلك أعلن هؤلاء الإخوان المقاومة وانخرطوا فيها، حتى يتصدوا لهذه الخطط والمشاريع ويوقفوها.

5 - إدعاء وانتحال شخصية المهدي المنتظر، الذي بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم، من قبل بعض زعماء المقاومة الوطنية، الذين يتمون أو يدعون الانتماء

للطريقة الرحمانية، كان أحد الأسباب التي دفعت بالإخوان الرحمانيين للارتقاء والانخراط فرادى وجماعات، وبأعداد غفيرة في تلك المقاومة.

وكمثال عن هؤلاء الزعماء الشيخ محمد أمزيان مقدم الطريقة الرحمانية بمنطقة الأوراس، وزعيم ثورة 1296هـ / 1879م، الذي بعث برسالة إلى شيخ الطريقة الرحمانية بمنطقة عين مليلة، يدعوها فيها إلى استنفار الإخوان بالمنطقة، للجهاد والمشاركة في ثورته التي يقودها بصفته المهدي المنتظر⁽¹⁵⁾.

ثانيا: دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة:

بعد سقوط مدينة قسنطينة في يد القوات الفرنسية، خلال سنة 1253هـ / 1837م، قرر الحاج أحمد باي - بإيعاز وضغط من خاله بوعزيز بن قانة - أن يتوجه إلى الجنوب وبالضبط إلى بسكرة، لمحاربة شيخ العرب - المعزول - فرحات بن سعيد، والتخلص منه بدعوى أن هذا الأخير يهددهم من مكان تواجد، ثم التفرغ بعد ذلك لمحاربة الفرنسيين واسترجاع قسنطينة⁽¹⁶⁾، هنا بدأ يبرز دور الإخوان الرحمانيين في هذا الصراع وفي المقاومة بالمنطقة فيما بعد، حيث انقسموا بين مؤيد لفرحات بن سعيد، مثلما هو الحال بالنسبة للحسن بن عزوز الذي هو من أسرة صوفية تنتمي إلى زاوية الدراج الرحمانية، التي جمعت بين المهام العلمية والطرقية المرابطية⁽¹⁷⁾، وكان يشغل منصب كاتب خاص لفرحات بن سعيد⁽¹⁸⁾.

وبين مؤيد للحاج أحمد باي كما هو حال البوازيد، الذين هم من أتباع الطريقة الرحمانية و اختاروا الانضمام إلى هذا الأخير. وقد يكون اختيارهم هذا، جاء نتيجة كون الحاج أحمد باي يمثل مشروع المقاومة والجهاد ضد الغزاة الصليبيين، وهو ما يتلاءم مع مبادئ الطريقة الرحمانية، التي رفعت لواء هذا المشروع منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر سنة 1246هـ / 1830م، عكس فرحات بن سعيد الذي لم يكن في نظر هؤلاء إلا شخصا أنانيا يبحث عن

المصلحة الشخصية، والآنية، والحفاظ على منصبه، لا سيما و أنه راسل القائد العام الفرنسي دوروفيكو عام 1248هـ / 1832م، عارضا عليه المساعدة لمحاربة الحاج احمد باي⁽¹⁹⁾. كما سبق له أيضا أن بعث برسالة إلى الجنرال فوارول مكتوبة بلون الدم، دلالة منه على استعداده الكامل للتضحية في سبيل إعلاء مجد فرنسا وقهر الحاج أحمد باي⁽²⁰⁾.

وعليه فحينما قرر الحاج أحمد باي التعسكر بزاوية سيدي رحال بين فوغاله والعامري، استعدادا لمواجهة فرحات بن سعيد وقام هذا الأخير بالاستنجد بأولاد نايل لدعمه، فأمدوه بجوالي خمس مائة رجل، تحرك البوازيد وقطعوا الطريق أمام هؤلاء الرجال وهاجموهم فقتلوا منهم حوالي خمسون رجلا، وقد جاء تحركهم هذا نجدة للحاج أحمد باي، الذي تمكن بفضل هذه المساعدة من هزم فرحات بن سعيد، وقتل حوالي ست مائة من أتباعه، مما دفع به إلى طلب الدعم والمساعدة من الفرنسيين لملاحقة الحاج أحمد باي، غير أن الفرنسيين ماطلوه ولم يجيبوه⁽²¹⁾.

وبطلبه الدعم والمساعدة من الفرنسيين، يكون فرحات بن سعيد قد أكد شكوك البوازيد فيه، وأبان عن نيته وشخصيته اللا وطنية، التي جعلت معظم أتباع الطريقة الرحمانية يفضلون الانضمام إلى الحاج أحمد باي بدلا من الانضمام إليه، وربما حتى أقرب المقرين منه انفضوا من حوله، وانقلبوا عليه بسبب تصرفه هذا مثلما فعل كاتبه الخاص الحسن بن عزوز، الذي طلب من الأمير عبد القادر أن يعينه خليفة له على منطقة الزيبان، بدلا من أن يطلب ذلك لفرحات بن سعيد الذي أرسله رفقة أخيه الحاج باي إلى الأمير عبد القادر من أجل هذا الغرض⁽²²⁾.

حتى وإن علمنا أن الحسن بن عزوز كان هو رسوله وسفيره إلى الدوق دوروفيكو (duc de Rovigo) سنة 1248هـ / 1832م⁽²³⁾. غير أن ذلك لا يعني بالضرورة أنه كان موافقا وراضيا على ما يقوم به فرحات بن سعيد، إذ أن قبوله

تولي هذه المهمة، قد يكون ناتجا عن خوفه من بطش فرحات بن سعيد ضده وضد أفراد عائلته في حالة رفضها، أو ناتج عن خطأ وقع فيه هذا الشخص الذي هو بشر كبقية البشر غير معصوم عن الأخطاء، لكنه قرر أن يتوب عن خطئه لاسيما وأنه سليل أسرة صوفية رحمانية تخرج على يدها كثير من أبطال المقاومة الوطنية. وما يؤكد توجهنا هذا هي تلك المهمة التي حملها على عاتقه بمجرد تعيينه خليفة للأمير عبد القادر على منطقة الزيبان، والمتمثلة في محاربة الفرنسيين وأعدائهم⁽²⁴⁾. وحتى بعد أن عزله الأمير عبد القادر من منصبه هذا، ونصب مكانه فرحات بن سعيد الذي قتل في ظروف غامضة⁽²⁵⁾.

لم يستسلم الحسن بن عزوز للقوات الفرنسية، ولم يعرض عليها التعاون معها لمحاربة الأمير عبد القادر والانتقام منه، بل ظل معتصما بالمناطق الشمالية الجبلية حول المسيلة، يشن الهجمات على هذه القوات، إلى أن ألقى عليه القبض من طرف قبائل المنطقة، التي سلمته للخليفة أحمد المقراني بمجانة، فسلمه بدوره إلى السلطة الفرنسية، التي نفته إلى جزيرة سان مارقوريت (Saint Marguerite) التي وصل إليها سنة 1257هـ/ 1841م، وبقي فيها حتى مطلع عام 1260هـ/ 1844م، أين أعيد إلى مدينة عنابة بالجزائر، وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى توفي عام 1263هـ/ 1847م⁽²⁶⁾.

غير أن إلقاء القبض على الحسن بن عزوز ونفيه، لم يمهله دور ونشاط الإخوان الرحمانيين، الذي أضحي في وتيرة متزايدة ومتسارعة، بتزايد وتسارع الأحداث والمخاطر المحدقة بالمنطقة، فقد استعان بهم الأمير عبد القادر مرة أخرى بعد مقتل فرحات بن سعيد الذي لم يكن من أسرة صوفية⁽²⁷⁾. وقام بتعيين محمد الصغير بن أحمد بن الحاج مقدم الطريقة الرحمانية بسيدي عقبة، خليفة له على منطقة الزيبان سنة 1257هـ/ 1841م⁽²⁸⁾.

وقد كانت هذه الاستعانة من الأمير عبد القادر بالرحمانيين لاستعدادهم وتأهبهم للجهد أكثر من غيرهم⁽²⁹⁾.

وبعد أن انسحب محمد الصغير بن أحمد بن الحاج من مدينة بسكرة، قبيل احتلالها من طرف القوات الفرنسية بقيادة الدوق دومال (Duc d'Aumale) عام 1260هـ / 1844م اتجه صوب قرية مشونش⁽³⁰⁾، التي تقع شرق شمال بسكرة وتبعد عنها بحوالي 30 كم⁽³¹⁾، أين استقبله سكانها الذين هم من أتباع الطريقة الرحمانية بجفاوة، وعاهدوه على الجهد إلى جانبه لا سيما وأن العدو واحد ومشترك بينهما، ويستعد لد سيطرته إلى الواحات المجاورة لبسكرة، وفي مقدمتها واحة مشونش، التي هي بوابة الأوراس من الناحية الجنوبية، مما يعني للعدو إحكام سيطرته على هذه المنطقة، بعد أن يكون قد أحكم سيطرته على منطقة الزيبان بأكملها⁽³²⁾.

وحيثما قرر الدوق دومال (Duc d'Aumale) تعقب محمد الصغير بن أحمد بن الحاج، واقتحام قرية مشونش، سارع الشيخ الصادق بن الحاج مقدم ومؤسس الزاوية الرحمانية بجبل أحمد خدو إلى نجدته ونجدة الأهالي هناك⁽³³⁾، مما مكنهم من صد هجوم القوات الغازية، وإلحاق الهزيمة بها بعد أن كبدها خسائر فادحة في معركة دامت يوما كاملا⁽³⁴⁾، في الوقت الذي كان فيه الدوق دومال (Duc d'Aumale) يظن حسب تكهناته الواهمة، أنها لا تتجاوز بضع ساعات⁽³⁵⁾.

لقد زاد هذا الانتصار من عزيمية الإخوان الرحمانيين، ورفع معنوياتهم كما أكسبهم ثقة كبيرة بأنفسهم، فراحوا يلعبون أدوارا رئيسة في كل الثورات التي تلت هذه المعركة. ففي سنة 1262هـ / 1846م قام الشيخ المختار الجليلي، شيخ زاوية أولاد جلال الرحمانية باستقبال وإيواء الشيخ الشريف بومعزة زعيم ثورة 1260هـ / 1844م بمنطقة الونشريس، وأعلن عن مساندة المطلقة له، ووقوفه بجانبه في ثورته ضد المحتل الفرنسي، وأخذ يقوم بتعبئة السكان ويحثهم على الجهد.

مما جعل السلطات الفرنسية ترسل حملة عسكرية إلى أولاد جلال بقيادة الجنرال هيريون (Général Herbillon) سنة 1263هـ/ 1847م انطلاقاً من مدينة باتنة، غير أن هذه الحملة لقيت مقاومة شديدة من قبل السكان، تكبدت القوات الفرنسية خلالها خسائر كبيرة أبرزها الرائد بيون (Commandant Billon)، مما دفع بقائد الحملة إلى إعطاء الأوامر لقواته باستعمال كل ما تملك من الوسائل، لمواجهة هذا الموقف وإنهاء الانتفاضة بأقصى سرعة قبل أن تنتقل شرارتها إلى أماكن ومناطق أخرى. ولم يطلع فجر اليوم السابع للحملة، حتى كانت القوات الفرنسية قد حسمت المعركة لصالحها⁽³⁶⁾.

إلا أن هناك من الباحثين من يرى أن المنطقة ظلت صامدة، وبقيت مستعصية على الغزاة حتى قيام ثورة الزعاطشة عام 1265هـ/ 1849م⁽³⁷⁾. هذه الأخيرة التي تولى تفجيرها وزعامتها أحد الطرفين بالمنطقة وهو الشيخ بوزيان، الذي قال عنه بعض المؤرخين أنه كان رحمانياً في حين يرى آخرون أنه درقاوياً⁽³⁸⁾، وقد ثار في وجه السلطة الفرنسية بسبب الضرائب الباهظة التي فرضتها على النخيل، وبسبب ما يقوم به ضباط المكاتب العربية والقيادات العملية من إحصاء للسكان والأملاك، ومراقبة التجارة والأسواق، وتنقل الأشخاص ومراقبة الزوايا، وزيارات الإخوان، والتدخل في شؤون القضاء والإسلام والتعليم⁽³⁹⁾.

وقد لبي الرحمانيون نداء الجهاد الذي أطلقه الشيخ بوزيان، وكانوا من الأوائل الذين شاركوا في هذه الثورة، يتقدمهم الشيخ المختار الجيلالي والشيخ عبد الحفيظ الخنقي مقدم الطريقة الرحمانية بخنقة سيدي ناجي، الذي دعا بدوره إلى الجهاد وشارك في الثورة رغم تقدم السن به واستشهد أثناءها⁽⁴⁰⁾، كما شارك في هذه الثورة الشيخ الصادق بن الحاج، مؤسس زاوية لقصر بجبل أحمردو ومقدم الطريقة الرحمانية بها، الذي استنفر بدوره جميع أتباعه ومريديه وحثهم على الجهاد إلى جانب الشيخ بوزيان⁽⁴¹⁾.

ولما انتهت ثورة الزعاطشة بالفشل تأثر كثيرا الشيخ الصادق بن الحاج، وتأسف لمصيرها المؤلم، كما تألم أيضا لاستشهاد الشيخ بوزيان الذي قتل بطريقة وحشية، حيث قطع رأسه ورأس ابنه الصغير، وخربت واحته عن آخرها⁽⁴²⁾، مما زاد في كراهية وعداء الشيخ الصادق بن الحاج لفرنسا، وجعله يحس بروح الانتقام لشهداء الزعاطشة وغيرهم، فراح يهيئ الظروف والأسباب، ويعد العدة، ويشحذ الذمم لإعلان الجهاد والثورة على فرنسا، وكان يخطب في أتباعه ومريديه الذين هم من الإخوان الرحمانيين، خطبا مستلهمة من الوازع الديني، يدعو من خلالها إلى الجهاد ضد الكفار الذين استولوا على أرض الإسلام بقوة الحديد والنار، واعتدوا على المسلمين وقتلوهم وشردوهم وانتهكوا حرمتهم، وسلبوا أموالهم وأعراضهم⁽⁴³⁾.

وكان ابنه إبراهيم يكتب الرسائل باسم أبيه، ويبعث بها إلى أهل المناطق المحيطة بجبل أحمردو، يدعوهم فيها إلى الاستعداد للجهاد والانضمام للثورة التي سيعلمها والده، وحدث أن بعث برسالة مع أحد مريدي والده يعرف باسم بوغريب إلى قرية سيدي عقبة، وعندما حاول هذا الأخير أن يقرأ الرسالة أمام الناس في سوق القرية، اعترض سبيله مجموعة من الناس، وحاولوا الاعتداء عليه مما جعله يفر إلى دار مقدم الزاوية الرحمانية بسيدي عقبة ويحتمي بها، هنا انكشف أمره وأمر سيده سي الصادق بن الحاج، فقررت فرنسا القضاء على الثورة في مهدها، فأرسلت الجنرالين قاستو (Gasto) وديسفو (Desvaux) في حركة منسقة، مكنتهم من الالتفاف بالثوار الذين لم يستكملوا بعد تنظيمهم، فكان اللقاء بين الطرفين في قرية مشونش، أين جرت المعركة الحاسمة التي كان الانتصار فيها من نصيب الفرنسيين⁽⁴⁴⁾.

أما عن نتائج هذه الثورة فقد كانت وخيمة جدا على أهل المنطقة بصفة عامة، وعلى الشيخ سي الصادق بن الحاج وأبنائه ومريديه من أتباع الطريقة

الرحمانية بصفة خاصة، حيث تعرضت زاويته للهدم والتدمير، كما تعرضت قرية لقصر التي تقع بها الزاوية إلى التخريب، بعد أن استولى الغزاة على كل ما كان بها من مؤن وغنم وبقر وخيول، بالإضافة إلى ما سلطوه على الشيخ سي الصادق وأبنائه من تعذيب وسجن ونفي وتشريد داخل الوطن وخارجه⁽⁴⁵⁾.

إلا أن هذا الأسلوب الوحشي الذي استخدمه المحتل وتعامل به مع الثوار، لم يمنع من اندلاع ثورة أخرى سنة 1290هـ/ 1876م في واحة العامري، التي تقع على بعد 48 كلم جنوب غرب مدينة بسكرة⁽⁴⁶⁾، وكانت بزعامة المقدم الرحماني أحمد بن عياش⁽⁴⁷⁾، شيخ آل جابري أو الجبابرة، والشيخ أحمد يحيى بن محمد شيخ أولاد إدريس⁽⁴⁸⁾، وأبدي السكان خلالها بطولة وشجاعة رغم قلة إمكانياتهم المادية والبشرية⁽⁴⁹⁾.

وكادت أن تتحول إلى حرب طويلة المدى لولا تدخل القوات الفرنسية بسرعة وبأعداد كبيرة لتطويقها وإخمادها، لاسيما بعد أن تمكن الشيخ أحمد بن عياش من ربط اتصال بشيوخ آخرين لهم وزنهم بالمنطقة وأقنعهم بدعم الثورة، كالشيخ بن بريقة شيخ أولاد مسعود، والشيخ بلحاج بن محمد بن سالم شيخ أولاد أيوب، بالإضافة إلى شيخ زاوية متليلي بالشعابنة⁽⁵⁰⁾.

ولكن مصيرها كان الفشل كبقية الثورات التي سبقتها، حيث قتل الشيخ أحمد يحيى بن محمد وأسر الشيخ أحمد بن عياش مع مجموعة من الثوار، وقدموا للمحاكمة فحكّم عليهم بالإعدام ثم عوض بالمنفى، وفرضت عليهم غرامة مالية تقدر 192.200 فرنك فرنسي، وصودرت جميع ممتلكاتهم. أما الواحة فقد خربتها قوات الجنرال كارتيري (Carteret) وهدمت دورها، وهجرت أهلها إلى التل الوهراني أين تعرضوا إلى مجاعات فضيعة، ونكبات اقتصادية واجتماعية حادة⁽⁵¹⁾.

وفي سنة 1293هـ / 1879م، ثار الشيخ محمد أمزيان بن عبد الرحمان في الجهة الغربية من جبال الأوراس، وأعلن الجهاد المقدس ضد السلطة الفرنسية وأعوانها، وكان هذا الشيخ إماما بجامع قرية الحمام⁽⁵²⁾، وشيخا للزاوية الدينية بها، وهو من مقدمي الطريقة الرحمانية بالمنطقة، وتلميذ الشيخ إبراهيم بن سي الصادق بن الحاج، كما كان يكثر من زيارته لزاوية تيرماسين الرحمانية التي أسسها الشيخ إبراهيم بعد خروجه من السجن⁽⁵³⁾، مما يجعلنا نعتقد أن يكون قد تأثر بما لحق بشيخه وأفراد عائلته وزاويتهم الأصلية بلقصر عقب ثورة 1275هـ / 1858م، فقرر أن ينتقم لهم جميعا.

مهما تكن الأسباب التي من أجلها أعلن الشيخ محمد أمزيان ثورته، فإنه عمل جاهدا ليمد رقعتها إلى المناطق المجاورة، لا سيما منطقة الزيبان وعليه قام بمراسلة مقدمي الطرق الصوفية، وبالأخص الطريقة الرحمانية في هذه المنطقة يحثهم على الانخراط في الثورة، والجهاد ضد فرنسا، وتمكن من حشد عدد كبير من الثوار، وبالأخص من جبل أحمر خدّو الذي هب سكانه للمشاركة في الثورة، وفي مقدمتهم أولاد سيدي محمد⁽⁵⁴⁾، كما تمكن أيضا من أن يمد رقعتها إلى منطقة الزيبان، على اعتبار أن الثورة وصلت إلى قرية تكوت وما جاورها، وتكوت كانت آنذاك تابعة إداريا لدائرة بسكرة العسكرية⁽⁵⁵⁾.

لكن رغم هذا التوسع، ورغم الإمدادات التي وصلت إلى الثوار من قبل سكان المناطق المجاورة، ومن قبل الإخوان الرحمانيين بالدرجة الأولى، فإن الثورة كان مصيرها كمصير بقية الثورات التي سبقتها، وهو الفشل نظرا لعدم تكافؤ القوة بين الطرفين.

ثالثا: تقييم دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة:

لقد رمى هؤلاء الإخوان بكل ثقلهم فرادى وجماعات في المقاومة الوطنية بمنطقة الزيبان خلال القرن 13هـ / 19م، وكان انخراطهم على هذا الشكل حدثا

بالغ الأهمية بالنسبة للمقاومة نفسها، وبالغ الخطورة بالنسبة لسلطات الاحتلال الفرنسي، بحيث تحولت إستراتيجية الحرب وأساليبها وتغير طابعها. إذ كانت في البداية عبارة عن امتداد لمقاومة الحاج أحمد، ثم مقاومة الأمير عبد القادر، لكن سرعان ما تحولت من بعدهما إلى انتفاضات شعبية عارمة، يقودها طرقيون وشيوخ زوايا لا صلة لهم بالنظم الإدارية الحديثة، ولا بالمظاهر الأوروستقرائية، ولا يفقهون في السياسة سوى فقه المقاومة، التي يرون فيها واجب مقدس لا بد من الإتيان به، لأنه يفضي في النهاية إلى الفوز بأحد الحسنين النصر أو الشهادة.

وكان من المفروض، أن تكون النتائج في مستوى هذه الخطورة من الجانب الايجابي للوطن ومستقبله بصفة عامة، وللمنطقة بصفة خاصة. لكن الذي حدث هو العكس، إذ أن إخفاقات الإخوان كانت تأتي بصورة سريعة شبيهة بطريقة انخراطهم في المقاومة عقب كل ثورة يعلنونها في وجه المحتل، وذلك من الأمور التي عجلت بوضع حد لدورهم و نشاطهم في المقاومة بمنطقة الزيبان، فما هي الأسباب يا ترى؟.

للإجابة عن هذا السؤال فلا يمكن أن نكتفي بما يتداول في كتب التاريخ، من أن سبب الإخفاق في جميع الانتفاضات يعود إلى جملة من العوامل المتشابهة، كتفوق العدو في العدة والعتاد، وامتلاكه لخطط حربية مرنة تسمح له بالمناوره عند اللزوم، بالإضافة إلى التأطير والتنظيم المحكم لجميع وحداته العسكرية على خلاف الثوار الذين يفتقرون لكل ذلك. إذ توجد عوامل أخرى ربما تكون جزءا من الإجابة، وسنلخصها في النقاط التالية:

1 - الإخوان الرحمانيون انتفضوا انتفاضة الجريح في دينه وكرامته ووطنه، ولكن بدون نظام، وكان على رأسهم مرابطون وطرقيون يدعون أنهم من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك تسموا باسمه محمد بن عد الله، أو يدعون أنهم رأوه

في المنام وبشرهم بالنصر على المحتل الكافر، كما ادعى بعضهم أنه المهدي المنتظر وأن النصر حليفه⁽⁵⁶⁾.

فحملوا راية الجهاد لكي يتبعهم الأتباع ويتحمسون للشهادة وقاتل العدو، إلا أنه بمجرد ما أن يقتلوا أو يؤسروا ويسجنوا، حتى يتفرق شمل الإخوان ويتشتت صفهم وتنهار قواهم وتتشط عزائمهم، لأنه كان من المفروض أن لا يكون هذا هو مصير زعمائهم، الذين بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم - حسب زعمهم - بالنصر.

2 - انعدام التكوين العسكري عند معظم الإخوان، وافتقارهم إلى الخبرة القتالية التي تسمح لهم بقيادة المقاومة، أو الانخراط فيها ومواجهة عدو يمتلك خططا حربية متطورة، ويمتاز بالتنظيم المحكم و التأطير الجيد.

3 - إلقاء الإخوان الرحمانيين بكل ثقلهم في معركة واحدة، واعتمادهم على أسلوب المواجهة مع عدو يفوقهم عددا وعدة وتنظيما، مما كان يحدث خسارة كبيرة في صفوفهم، ويؤدي إلى انهيار معنوياتهم، ويسرع من إخفاقهم في مواصلة المقاومة.

4 - عجزهم عن إيجاد، وتعيين قائد بديل عن مفجر الثورة في حالة ما استشهد في المعركة، أو أسر من طرف العدو.

الخاتمة:

ما تقدم نخلص إلى القول أن الأسباب الحقيقية التي دفعت بالإخوان الرحمانيين إلى المقاومة، تتمثل في التوجه المعادي للعروبة والإسلام في السياسة الفرنسية بالجزائر، وخطط الاندماج والتنصير، التي كان يدبرها جنرالات فرنسا وغلاة المثقفين من رجال الكنيسة والتعليم.

وقد لعب هؤلاء الإخوان دورا هاما في هذه المقاومة، حيث كانوا كالوقود الذي يمدها بالطاقة اللازمة كلما كانت بحاجة إليه، مما جعل نارها تفضل مشتعلة في وجه المستعمر، و يتعطل بذلك تقدمه بمنطقة الزيبان لعدة سنوات، وتفشل جميع مشاريعه وخطته الاندماجية والتنصيرية.

وإنني لا أحسب نفسي على خطأ إن قلت، فالدور الأكبر في هذه المقاومة بشقيها العسكري والفكري، كان على عاتق هؤلاء الرجال، الذين كانوا يستمدون قوتهم من الدين الإسلامي، وكانت وسيلتهم التعليم والقيام بالجهاد. وأنه كلما زاد ضغط الاحتلال عليهم، وتمعنّت قواته في اضطهادهم وتشريدهم، كلما ولد ذلك عندهم رد فعل وطني، انعكس في تلك الثورات التي قادوها ضده خلال ذلك القرن، أو شاركوا فيها في القرن الموالي له. حتى وإن لم تكن هذه الثورات لتفضي إلى نتائج إيجابية على مستقبلهم، ومستقبل المنطقة والوطن بصفة عامة، إلا أنها كانت تربك العدو وتقلقه وتؤخر عليه مشاريعه، كما أنها كانت تبعث روح الجهاد وتجده في نفوس الأتباع كلما أصابهم ضعف ووهن.

(1) نقلا عن: أحمد إسماعيل راشد، المقاومة الوطنية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، البيان، مجل.3، العدد4، جامعة آل البيت، عمان - الأردن، 1423هـ/ 2002م، ص - ص. 138 - 139

(2) Fawtier , L Autonomie Algerienne Republique et Federale, Constantine, Marl, 1871, P - P. 3 - 8.

(3) دوارد دونوفو، الإخوان، ترجمة وتحقيق كمال فيلاي، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2003، ص.72.

(4) نقلا عن: ايفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (المدارس و الممارسات الطبية و الدين 1830 - 1880)، ترجمة: محمد عبد الكريم أوزغلة، المراجعة والإشراف: مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص.144

(5) يحي وعزيز، المرجع السابق، ص - ص. 257 - 265

(6) إسماعيل حنفوق، دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844-1931، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2010 - 2011، ص.78

(7) الجلالي سلطاني، " دور الرحمانيين في المقاومة الوطنية "، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص. 187.

(8) شارك الإخوان الرحمانيون بالنفس والنفيس في مقاومة الأمير عبد القادر، فقدموا مساعدات من المال والرجال. يراجع: ادوارد دونوفو، مصدر سبق ذكره، ص. 72.

(9) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص - ص. 63 - 69.

- (10) ادوارد دونوفو، المصدر السابق، ص. 73
- (11) نقلا عن: صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992، ط . 2، ص. 208
- (12) نقلا عن: سعيد علوان، التنصير و موقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر، دكتوراه دولة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر، 2001، ص. 112.
- (13) نقلا عن: المهدي البوعبدلي، " الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي، " الأصالة، العدد8، الجزائر، ماي/ جوان 1972، ص. 312
- (14) أمحيدة عميراوي، سليم زاوية، محمد السعيد قاصري، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844 - 1916، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، 2009، ص. 105.
- (15) مسعود عثمانني، أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، 2008، ص. 130.
- (16) محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص - ص. 76 - 78
- (17) أمحيدة عميراوي، من تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، 2004، ط. 2، ص. 162.
- (18) إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837 - 1934، دار هومه، الجزائر، 2005، ص. 31.
- (19) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ط. خ، ص. 96 ويراجع أيضا:

نشير هنا إلى أن الأمير عبد القادر ذاته لم يكن يثق في شخص فرحات بن سعيد، وفي ولائه له بدليل أنه حينما عينه خليفة له على منطقة الزيان خلفا للحسن بن عزوز سنة 1840م، إشرط عليه أن يترك أفراد عائلته عنده كرهائن حتى يضمن عدم خداعه له، وإستسلامه للفرنسيين مرة أخرى. يراجع: إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص.56

(20) للاطلاع على هذه الرسالة ينظر: عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر (دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة)، دار هومة، الجزائر، 2004، ص.128.

(21) إبراهيم مياسي، "خلفاء الأمير عبد القادر بالزيان"، المجلة الخلدونية، العدد 03، الجمعية الخلدونية، بسكرة - الجزائر، 2004، ص.65.

(22) إبراهيم مياسي، "خلفاء الأمير عبد القادر بالزيان"، ص.66.

(23) Cahrls FERAUD, *op.cit*, p.299.

(24) فيما يتعلق بتعيين الحسن بن عزوز خليفة على منطقة الزيان، والمهام التي كلف بها يراجع: يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج.1، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، 2009، ص.461 - 462.

(25) محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972، ص.21 - 23.

(26) أمحمده عميراي، من تاريخ الجزائر الحديث، ص.164. ويراجع أيضا: يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ص.463.

(27) محمد شرقي، الطريقة الرحمانية ودورها في المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي مع بعض الطرق الأخرى (1830-1881م)، ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية - قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1996 - 1997، ص.221 - 222.

(28) إبراهيم مياسي، "خلفاء الأمير عبد القادر بالزيان"، ص.76.

- (29) محمد شرقي، مرجع سبق ذكره، ص. 221
- (30) فوزي مصمودي، "معركة مشونش بيسكرة 1844 الخالدة"، المجلة الخلدونية، العدد 03، الجمعية الخلدونية، بسكرة - الجزائر، 2004، ص. 136
- (31) محمود الواعي، تُبذة عن حياة الشيخ الصادق بن الحاج وبعض معاركه الحربية ضد الاحتلال الفرنسي، تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837-1954، جمعية أول نوفمبر، دار الشهاب، باتنة - الجزائر، (د.ت.ط)، ص. 191
- (32) محمد العيد مطمر، الاحتلال الفرنسي للأوراس، أضواء الأوراس التاريخية، 2006، ع.ت، ص. 39.
- (33) عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ الزيان، مطبعة سوف، الوادي - الجزائر، 2000، ص. 53.
- (34) محمود الواعي، مرجع سبق ذكره، ص. 191
- (35) شهرزاد شلي، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيان في القرن التاسع عشر، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2008 - 2009، ص. 33.
- (36) محمد العربي حرزالله، مرجع سبق ذكره، ص. 224 - 230.
- (37) إسماعيل حنفوق، مرجع سبق ذكره، ص. 62.
- (38) هناك من يقول أن الشيخ بوزيان، الذي كان يشغل منصب شيخ واحة الزعاطشة ضمن موظفي إدارة الأمير عبد القادر بمنطقة الزيان، كان مقدا للطريقة الرحمانية بذات الواحة. يراجع: محمد شرقي مرجع سبق ذكره، ص. 231.
- (39) إسماعيل حنفوق، مرجع سبق ذكره، ص. 63.

- (40) عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت.ط)، ص - ص. 131 - 130.
- (41) محمود الواعي، نبذة عن حياة الشيخ الصادق بن الحاج ...، ص. 192.
- (42) محمود الواعي، نبذة عن حياة الشيخ الصادق بن الحاج ...، ص. 193.
- (43) مسعود عثمانى، مرجع سبق ذكره، ص. 84.
- (44) مسعود عثمانى، مرجع سبق ذكره، ص. ص. 84. 85.
- (45) صلاح مؤيد العقي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر، 2009، ط.خ، ص. 280.
- (46) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة - الجزائر، 1980، ص. 226.
- (47) يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون - الجزائر، 1999، ص. 181.
- (48) محمد العربي حرزالله، مرجع سبق ذكره، ص. 372.
- (49) يحي بوعزيز، "نماذج من مقاومة سكان الواحات"، الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1977، العدد 41، ص. ص. 117 - 134.
- (50) محمد العربي حرزالله، مرجع سبق ذكره، ص. 372.
- (51) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص. ص. 232 - 234.
- (52) قرية الحمام تقع جنوب غرب مدينة باتنة، وتبعد عنها بحوالي 60 كلم، وهي تابعة حاليا لدائرة إشمول ولاية باتنة.
- (53) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص. ص. 238 - 239.

(54) عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي-التطورات السياسية الاقتصادية والاجتماعية (1937/1837)، ترجمة مسعود حاج مسعود، ج.1، دار هومه، الجزائر، 2005، ص - ص. 173 - 172.

(55) للمزيد من المعلومات حول التنظيم الإداري للإقليم مسرح الأحداث يراجع: مسعود عثماني، مرجع سبق ذكره، ص - ص. 116 - 119 .

(56) صلاح مؤيد العقي، مرجع سبق ذكره، ص.27.

الدراسات باللغة الأجنبية

Revue des Sciences de l'homme et de la Société



**Périodique international à comité de lecture Publié par
la Faculté des Sciences Humaines et Sociales**

Université Biskra- Algérie

ISSN 2253-0347

Dépôt Légal 1695-12

Juin 2015

N°15

L'éducation de la fille dans la famille Algérienne traditionnelle

Dr .Rajia BEN ALI
Université de Batna, Algérie

Résumé :

Dans le cadre de la problématique du changement social en Algérie, l'éducation familiale nous a paru être un sujet très important, elle est même le centre de la confirmation de ce changement et de la rupture avec le modèle traditionnelle. Par cet article nous voulons aborder quelques détails de l'éducation de la fille dans la famille algérienne traditionnelle. Une éducation basée sur la reproduction du système social existant, et qui transmis aux filles comme aux garçons des rôles et des statuts bien définis, qu'ils ne doivent pas transgresser. La famille traditionnelle, à travers l'éducation, inculque à la fille, dès sa naissance, des qualités, des valeurs et des comportements complètement différents de ceux du garçon, comme nous allons le montrer.

الملخص:

تعد التربية الأسرية، في اطار اشكالية التغير الاجتماعي في الجزائر، موضوعا جد مهم. حيث تعتبر احد اهم المؤشرات الدالة على تأكيد التغير و على حدوث القطيعة مع النموذج التقليدي. سنحاول من خلال هذا المقال ان نتناول بعض حيثيات تربية الفتاة في الاسرة الجزائرية التقليدية. هذه التربية المبنية على اعادة انتاج نسق اجتماعي ينقل للفتاة كما للذكر مكانات و ادوار مختلفة لا يسمح لهما بتجاوزها. تربية تقوم على غرس مجموعة من الصفات، القيم و السلوكات و على صقل شخصية الفتاة بطريقة جد خاصة تجعلها تتوافق و متطلبات و خصائص المجتمع الابوسي القائم في الفترة التي تلت الاستقلال كما سنعرضه فيما يلي.

Introduction :

Parler ou décrire l'éducation de la fille au sein de la famille algérienne traditionnelle peut paraître un sujet peu intéressant, du fait des différents changements qu'a subit la société algérienne. Aujourd'hui, la vie familiale a beaucoup changé et la société a évolué vers plus de mixité, à commencer par l'école qui est obligatoire pour les deux sexes et au sein de laquelle les garçons et les filles sont contraints à occuper le même espace et à recevoir la même instruction. Mais puisqu'il s'agit de changements, la démarche classique est de se doter d'un repère par rapport auquel nous pouvons appréhender la différence, d'où l'importance de cet article.

En outre, nous voulons mentionner ce que nous essayerons de décrire et d'analyser ci-dessous pourra paraître caricatural, excessif pour certains traits mais c'était l'éducation conçue aux filles et mise en œuvre dans la famille algérienne des années soixante, et qui persiste pour certaines pratiques jusqu'à nos jours. Cette éducation s'appliquait en ville comme à la campagne, elle peut parfois sur certains traits ou dans certaines régions être différente de l'image retracée, mais les écarts ne sont pas très importants.

1- La naissance d'une fille :

La naissance d'une fille dans la famille algérienne traditionnelle est ressentie avec moins de joie par les parents que celle du garçon. Si la naissance de ce dernier s'accompagne de

youyous et de fêtes, celle de sa sœur se fait dans le silence. Le sexe de la fille est assimilé, selon les régions d'Algérie par des qualificatifs peu flatteurs, voire vexatoires de : "citrouille" à Constantine, "cloporte" à Saïda, "navet" à Tlemcen, "ténèbres" dans le Sétifois où il est dit que les ténèbres ont envahi la maison.

Au fait, son accueil dépend de son rang de naissance et du nombre de garçons dans sa famille. Si elle est la première ou si elle a des frères en nombre jugé suffisant, sa naissance sera mieux acceptée, sans que la famille manifeste aucun signe de joie. Autrement, la mère doit supporter en silence la commisération des proches, le ressentiment et l'hostilité du mari et des beaux-parents, l'humiliation de s'entendre renvoyer l'impuissance à engendrer des enfants mâles.

Nombreuses sont les mères qui ont vécu avec souffrance, culpabilité, mépris envers elles-mêmes, envie pour les autres plus « chanceuses » l'absurde drame de ne réussir à mettre au monde que des filles. Il n'est pas rare de voir des femmes enchaîner grossesse après grossesse dans l'espoir d'avoir un garçon.

L'attente de l'heureux événement par le père se fait dans l'angoisse ; s'il n'entend pas les youyous saluant la naissance de son bébé il doit s'attendre à des consolations de la part de son entourage. Surtout s'il n'a pas du tout de garçon et que cette dernière naissance vient après celle d'autres filles. Un sentiment de honte l'envahit et il n'est pas étonnant de le voir se cacher des regards des autres. Dans

certains cas, il arrive même qu'il répudie sa femme le jour même de l'accouchement, la rendant génétiquement responsable du sexe de l'enfant, celle qui ne peut avoir de garçons.

Bien que ces attitudes soient fortement réprimandées dans le Coran verset (16-58 et 16-59) : « *Et lorsqu'on annonce à l'un d'eux une fille, il se cache des gens, à cause du malheur qu'on lui a annoncé. Doit-il la garder malgré la honte, ou l'enfouira-t-il dans la terre ? Comment est mauvais leur jugement !* ». La culture patriarcale prend le pas sur la religion sur ce point.

L'accouchement qui devrait être un événement heureux dans la vie du couple se transforme alors en une sorte de fatalité qu'il faut éviter d'évoquer. Il arrive que le père taise l'accouchement « raté » de son épouse de peur d'entendre le mot *Meskine* (pauvre). Les gens se lamentent ouvertement sur leur sort en utilisant des expressions telles que : "*les pauvres ils n'ont pas d'enfants, ils n'ont que des filles; que Dieu leur donne de la patience*"', comme si les filles n'étaient pas comptées comme des enfants. Dans la pensée patriarcale seuls les garçons comptent.

Dès l'enfance le bébé fille vit une sorte de discrimination. Si bébé elle vit une relative symbiose avec sa mère et l'entourage familial féminin comme tout petit enfant, et elle fera l'objet de soins assidus, de jeux fréquents, de berceuses, de rengaines et de mots câlins ; les études ont montré que le sexe du bébé module le comportement et les attitudes de la mère. Sa relation avec ses parents

n'est pas aussi intense que celle de son frère, comme si son sexe limitait ou freinait l'élan maternel sans parler des rapports avec le père ou l'entourage masculin.

Sylvie Garnero ⁽¹⁾ (1982) lors de ses observations algéroises a remarqué une différence très nette de traitement par les mères de bébés filles et par les mères de bébés garçons. Ainsi les bébés filles sont souvent plus emmaillotés que les bébés garçons. De plus on serre plus lorsqu'on emmaillote les bébés filles comme si on leur appliquait volontiers au berceau les contraintes qui les prédisposaient à la dépendance et à la soumission. Même l'allaitement est différemment donné aux bébés; il est moins fréquent et souvent artificiel ⁽²⁾ .

lorsqu'il s'agit des filles ; mieux encore il dure généralement moins longtemps. F. M'rabet ⁽³⁾ affirme que dans le cas où la mère donne naissance à des jumeaux de sexes différents, le garçon serait toujours allaité en premier, la fillette sevrée la première. Il est aussi prouvé que les filles sont moins portées par leurs mères et facilement laissées aux autres femmes de la famille. C. Lacoste Dujardin⁽⁴⁾ parle d'un lien très fort entre mère et fils et beaucoup plus durable, plus étroit qu'entre mère et fille ; plus tôt sevrée et facilement confiée à d'autres femmes ou fillettes.

De même, l'éducation des fillettes, laissée à la seule responsabilité des femmes les défavorise en cas de maladie et de soins à leur apporter notamment à l'extérieur : en effet un petit

garçon malade attire la sollicitude des hommes qui s'en soucient davantage et l'emmènent plus volontiers que la fille à la consultation médicale. Quant aux petites filles, elles sont souvent réduites aux seules ressources de soins traditionnels des femmes.

Ce n'est pas par hasard si le taux de mortalité des filles était plus élevé que celui des garçons. C. Lacoste Dujardin⁽⁵⁾.rapporte que dans les villages qu'elle a fréquentés et étudiés en quatre ans de 1968 à 1971, les petites filles mouraient encore deux fois plus que les petits garçons dans les premières années de leur vie : un garçon sur treize et une fille sur six. Cependant, il faut noter que cette différence dans les premières années n'est pas spécifique à la famille algérienne. E. Gianini Belotti décrit des phénomènes similaires dans son livre " Du côté des petites filles" publié en 1974 dans la sphère méditerranéenne.

2- Les principes de l'éducation :

Dans une famille qui se replie sur elle-même, qui a peu de rapport avec les individus qui n'appartiennent pas au cercle familial et où il est de principe que: *« les fils de nos fils sont nos fils, les fils de nos filles sont des étrangers »*, la fille est elle-même perçue comme un étranger, un passager qui ne tardera pas à repartir. Il est souvent dit lors de sa naissance : *il est né un membre de plus dans la famille qui n'enrichit pas la maison, mais enrichit celle des autres.* Destinée à la procréation dès qu'elle est pubère, la fille ne demeurera dans la maison parentale que pour un court moment. Elle quittera

jeune sa famille pour passer le reste de sa vie dans une autre famille. Ce genre de perception joue sur la nature des relations entre la petite fille et ses parents. Contrairement au garçon, les parents savent dès la naissance de leur enfant que leurs relations avec elle seront peu durables, temporaires et moins fortes. Pour cette famille où elle ne vit qu'à titre provisoire, la fille représente un grand danger, elle est l'élément fragile sur lequel repose le fameux honneur familial. De même que, destinée à sortir de sa famille pour être intégrée à une autre, elle sera une sorte d'ambadrice, de représentante de tout un lignage, qui sera jugé à travers elle. Pour cela, son éducation est estimée capitale et le peu de temps qu'elle va vivre dans sa famille sera consacré à faire du bébé qu'elle est une femme dont on garantit tous les comportements. Ne l'élève-t-on pas pour les autres ?

Ainsi, l'éducation de la fille dans la famille algérienne traditionnelle, est perçue comme étant très dure, pénible. Savoir la gérer suppose beaucoup de tact, même de force. Les répercussions d'une mauvaise éducation retomberont fatalement sur toute la famille, c'est la raison pour laquelle la mère est très exigeante et plus vigilante avec sa fille qu'avec son fils. Elle doit lui adresser matin et soir des recommandations et lui ressasser à longueur de journée des conseils afin de parfaire son éducation.

Elle aura très vite une enfance différente du garçon. Son éducation sera totalement prise en charge par les femmes qui s'investissent dès sa prime enfance à lui inculquer la façon d'être une

femme accomplie. Pour cela, elles lui inculquent que l'objectif de sa vie doit être le mariage puis la procréation. Elles lui donnent la meilleure formation possible dès la prime enfance pour qu'elle devienne une épouse et une mère rêvée. Cet apprentissage se fait volontairement à travers leurs pratiques et comportements à son égard, les discours et les paroles qu'elles lui adressent ; ou inconsciemment, à travers les dictons, les contes, les proverbes et les prescriptions qui forment une base très importante dans l'éducation de la fille.

S'exerçant principalement dans la sphère domestique, l'éducation transmise -dans la famille traditionnelle- aux fillettes est en grande partie un processus d'intériorisation des comportements et des valeurs, au cours duquel, elle va acquérir peu à peu son rôle de femme. Elle s'identifie à ce monde, en imitant les gestes qu'elle voit faire, enregistrant les interdictions qui composent les conceptions familiales, participant au déroulement de tous les rites et les fêtes qui se passent à la maison. Elle partagera les soucis, les angoisses, les secrets et les rites des femmes. Ainsi, son esprit sera modelé insensiblement sur la mentalité des femmes et elle empruntera leurs réactions.

On lui inculquera aussi la soumission. Celle-ci est une vertu dans l'éducation de la fille, il s'agit d'un véritable conditionnement qui s'applique à la fille durant toute sa vie. Si la virilité est le principe de l'éducation du garçon, la soumission avec tout ce qu'elle

implique est celui de la fille. On lui apprend la soumission comme un précepte indiscutable. Elle doit obéir aux recommandations de son père, de sa mère, de ses aînées et des hommes sans réplique. Dans certains cas elle doit être soumise à des prescriptions injustifiables, telle que celle rapporté par N, Zerdoumi(6).

« j'ai toujours été soumise à des interdits sans qu'on prenne la peine de me les expliquer. Du reste, je ne m'aventurais jamais à poser des questions : « tu oses lever la tête devant ton père ? » me lançait ma mère ».

Celles qui respectent ces enseignements, on dit d'elles «*Taiâ, Mardhia*» (soumise, bénie). Le plus grand éloge que la mère fasse de sa fille est de dire d'elle : ma fille a peur de son ombre, elle ne rentre ni ne sort et elle fait tout ce que je lui demande. Pour mériter ces qualificatifs, la fille doit donc adopter le modèle des femmes de son groupe (sa mère, ses tantes, ses cousines etc....) et apprendre à intérioriser et à intégrer, au plus profond d'elle-même, qu'obéir pour une fille est une qualité principale. « *Obéir est pour la femme une vertu capitale et se taire une sauvegarde que toutes n'ont pas le privilège de savoir utiliser*» (7).

explique N.Zerdoumi.

L'apparence que donnera la fille au sein même du monde féminin est strictement contrôlée par la mère, que ce soit par la parole ou par les gestes, il n'est pas rare de voir des mères

discrètement corriger soit par des gestes soit par des signes d'éventuelles erreurs de comportement, de gestuelle ou de parole afin que leur fille donne une bonne image à l'extérieur. Au fait, ces mesures sont prises dans le but de préparer la fille à ce qui l'attend dans le futur une fois mariée et vivant dans un autre foyer que celui des ses parents ; là où elle sera mise sous le regard critique de sa nouvelle famille, mais et surtout sous celui de sa belle-mère et ses belles sœurs, c'est là qu'elle doit prouver qu'elle est une bonne représentante de sa famille. D'ailleurs un dicton populaire un peu fataliste dit : « *les maisons des gens sont pénibles : si elles ne font pas mourir, elles vous tuent à petit feu* ».

C'est dans cette perspective un peu pessimiste que les filles sont éduquées, dans la peur de ce qui les attend dans la maison conjugale et surtout de l'échec du mariage, ce qui pousse les mères à être très sévères et strictes avec leurs filles. Ces dernières doivent observer un code de politesse très ferme : manifester du respect et de la considération à tous les adultes ou aînés, connaître les formules de politesse convenant à chaque situation. Ne parler qu'après qu'on lui a adressé la parole. Ne pas se montrer bavarde, ni se mêler des affaires de la famille. Tenir secrètes les conversations et la vie des femmes de la maison ; à table, elle doit se montrer ni gourmande, ni difficile, manger peu, ne pas être la première à se servir ni la dernière à terminer. Quand elle sert, elle doit donner la bonne et grande part d'abord aux hommes quitte à ce qu'il n'en reste pas pour elle. Une fille bien éduquée est celle qui sait se priver de nourriture, ne pas

réclamer son dû, et qui se contente de ce qu'on lui donne. Toute expression d'une opinion ou d'une conduite sortant de la mesure conformiste est mal venue. Faire adopter à la fille un comportement fait de réserve, de retenue et de décence est l'objectif principal. Cette première éducation est un apprentissage quasi spontané qui aboutit à inculquer à la fille les règles de bienséance et de savoir-vivre qui constituent la base essentielle de son éducation.

Autre point dans son éducation différent de celle de son frère est la ségrégation. Dès l'âge de six ans, la fille ne doit pas jouer avec les garçons, ni demeurer en présence des hommes, elle doit se conduire pendant leur présence avec prudence et respect et surtout éviter de parler aux étrangers et de fréquenter tout milieu où se trouvent les hommes, que ce soit dans la maison, dans la rue ou ailleurs. Si le garçon grandit dans le monde des femmes, il ne sera obligé de respecter la ségrégation qu'après l'âge de sa préadolescence.

La fille apprend dès sa petite enfance à subir une double ségrégation : de l'âge et du sexe. Si elle a un frère aîné elle doit subir sa jalousie et endurer ses sévices, ses caprices, ses exigences et ses gâteries. Si elle a des frères plus jeunes, elle ne tardera pas à en être la gardienne si toutefois on ne lui en laisse pas la charge complète. Encouragée à accomplir un rôle maternel dès son jeune âge, elle doit être docile, patiente et endurante avec ses frères. Du coup, ils se montrent, comme le souligne Germaine Tillon, souvent comme des

petits despotes avec elle. Elle doit supporter leurs coups et trouver cela naturel. Pourquoi pas si les parents eux-mêmes acceptent ce genre d'attitude et vont même à encourager leur fils. Ce comportement des parents, dans la famille traditionnelle, envers les filles obéit à la crainte de la désobéissance qu'elles peuvent manifester lorsqu'elles seront adultes. Une fille doit à tout prix grandir dans la crainte révérencielle de l'homme quel que soit son statut et son âge.

Ainsi, la fille prend conscience de la supériorité de l'homme, y compris son propre père qui sera toujours absent, par pudeur ou par décence et qui freinera ses élans de tendresse envers elle, même s'il en éprouve le besoin. La ségrégation lui sera imposée avec fermeté. La fille doit être consciente de l'autorité et de la supériorité des hommes, de même qu'elle doit très tôt savoir que son monde à elle et celui des hommes, ne se rencontrent jamais. Même avec son père puisque toute communication avec lui est médiatisée par la mère.

Telles sont en général les qualités morales sur lesquelles repose l'éducation de la fille. Toutefois il reste deux autres éléments considérés aussi comme très importants : d'une part l'éducation ménagère et l'initiation à la vie de femme au foyer puisque l'idéal de la mère est de faire de sa fille une très bonne femme au foyer ; et d'autre part la préservation de sa virginité, incontournable preuve de sa bonne éducation, qui lui ouvre les portes du mariage et atteste qu'elle est une femme accomplie.

2-1 – L'éducation ménagère et les devoirs

On a vu que le statut idéal que la culture patriarcale offre à la fille est celui d'épouse et de mère. Ce statut est l'objectif de toute la famille avant d'être celui de la fille. Pour l'acquérir, la fille doit dès son jeune âge savoir maîtriser toutes les activités qu'une femme est censée faire. En plus des qualités citées dans la partie précédente, l'éducation de la fille sera dans une grande partie fondée sur l'apprentissage des tâches ménagères qui forme un des critères les plus marquants dans son éducation. Vers la sixième année et même plus tôt, son quotidien sera partagé entre le jeu et l'initiation aux travaux ménagers ce qui est affirmé par N. Zerdoumi⁽⁸⁾.

qui dit : « *vers l'âge de six ans, la petite algérienne est à la cuisine et au balai* ».

Le partage rigide des rôles dans le groupe familial, contraint la fillette à connaître très tôt tous les travaux qui concernent l'intérieur de la maison : balayer, faire la vaisselle, quérir l'eau, faire la lessive, le ménage etc... Et plus tard, l'âge avançant, elle apprendra à faire la cuisine, à coudre et à tisser. En dehors des tâches ménagères, elle doit aussi s'occuper et prendre soin de ses frères et sœurs cadets, les bercer, les garder, les faire manger et dans certains cas en prendre la responsabilité totale afin de ménager la mère, surtout si cette dernière est accablée par ses maternités successives.

L'initiation des filles aux travaux domestiques est une préoccupation constante dans la démarche éducative de toutes les mères. Elle est présente chez elles sous forme d'inquiétude et de culpabilité. Il n'est pas rare de les voir obliger leurs petites filles, vers l'âge de douze ans, à accomplir avec résignation les durs travaux ménagers auxquels elles sont astreintes, ou leur laisser la responsabilité de toute la maison lorsque -pour des raisons économiques- elles aident leurs maris dans les travaux des champs ou le tissage des tapis ou lorsqu'elles sont malades. La fille s'habitue à ce rôle et trouvera cela naturel, surtout si elle est l'aînée. Certes, si elle a d'autres sœurs plus jeunes, elles partageront le travail ; mais tout ce qui est pénible ou demande un savoir-faire, c'est elle qui doit l'accomplir remplaçant ainsi la mère malgré son jeune âge.

Pour ce coup de main exigé d'elle, elle ne sera pas complimentée ni remerciée, au contraire elle doit savoir gré à sa mère de lui avoir enseigné son métier de femme. Puisque, plus que pour aider sa mère, cet apprentissage a pour but de décrocher un brillant mariage. Destinée à peupler la maison des autres « *T'ammâr dâr en-nas* », celle qui saura accomplir ces tâches dans tous les détails sera la plus demandée en mariage. On entendra dire d'elle « *Fahla* » et « *Chatra* » sachant tous faire, débrouillarde. Sa maîtrise des tâches ménagères et son bon comportement seront complimentés dans les réunions féminines. On parlera d'elle et c'est de cette façon que s'ouvriront les portes des demandes au mariage, suprême

couronnement de tous les efforts de la mère et de sa fille dans la famille traditionnelle.

Les hommes n'intervient pas sur ce plan, ils passent la majorité de leur temps en dehors de la maison et généralement ce n'est pas à eux de juger les mérites de la fille. Ce sont les femmes qui terrorisent les femmes (les jeunes filles), ce sont elles qui leur imposent d'être compétentes dans ce genre d'apprentissage. C'est la future belle mère et les belles sœurs avec qui la fille vivra une fois mariée qui vont juger son assiduité et son savoir faire.

La fille entendra dire de sa mère pendant toute sa période d'apprentissage la même phrase : « *les femmes vont rire de toi* » et rien que cette phrase motive ou pousse les petites filles à rivaliser entre elles et à s'améliorer de jour en jour en montrant leur savoir-faire ou leur maîtrise aux plus âgées allant parfois jusqu'à supplanter leurs aînées. Cet apprentissage, contraignant pour une enfant, est dû principalement à la précocité de l'âge du mariage. Les étapes de la vie de la petite fille se succèdent très vite et elle peut se trouver bonne à marier dès qu'elle dépasse ses dix, douze ans. F. Fanon⁽⁹⁾.

disait que: « *la vie d'une femme algérienne ne se développe pas selon les trois temps connus en occident : enfance- puberté- mariage ; la jeune fille algérienne ne connaît que deux étapes : enfance- puberté, et mariage* ». Mariée souvent dès sa puberté la fillette n'aura pas d'autre temps pour apprendre les tâches ménagères que celui de son enfance. Si par hasard, elle se trouve un jour, sans

avoir eu cette chance d'apprendre son métier de femme, si elle se montre incompetente, depensiere, desordonnee ou frivole, le mari et surtout la belle-mere auront des occasions de comparaison et risqueront de s'en offusquer et le menage en subira les consequences, s'il ne finit pas par un divorce. Il n'est pas surprenant, ni rare d'entendre dire qu'une fille est repudiee par sa belle-mere ou son beau-pere parce qu'elle n'a pas su par exemple preparer tel plat, meme si elle a de tres bonnes affinites avec son mari.

D'ailleurs on teste son assiduite pour les taches menageres juste apres le jour de son mariage. Dans les Aures par exemple, il n'y a pas longtemps, la mariee se trouvait contrainte a querir l'eau de la fontaine sur son dos, a tisser un petit tapis, voire juste le commencer, pour montrer son savoir-faire, et a preparer un certain plat traditionnel de pates nomme (*Chekhchoukha*) qui n'est pas facile a faire. Celle qui n'a pas reussi son test sera le lendemain la risee de toute sa belle-famille.

Dans la famille traditionnelle, l'interiorisation de l'idee du mariage comme objectif pour la fille et la reputation qu'aura une mere qui reussit a marier sa fille apres avoir fait d'elle une bonne femme au foyer creent une grande complicité entre la mere et la fille par rapport a l'apprentissage des taches menageres. Cette complicité on la trouve aussi dans le souci de la mere de collecter tout ce qu'elle peut : des tapis, des parfums, des coupons de tissus, etc...pour sa fille et sa precipitation a lui inculquer le metier du tissage et de la

couture dans la perspective de bien préparer son trousseau. Un dicton populaire dit : « *dès que la petite commence à marcher regarde ce que sa mère a caché* ». Le trousseau (*Choura*) est dans sa plus grande part constitué de travaux manuels afin de montrer à la famille du futur époux les qualités, l'expérience, et le savoir-faire de la fille. La mère, en exhibant avec fierté le trousseau de sa fille dit que « *chaque doigt de ma fille est doté d'un métier* » vantant ainsi les différentes qualités de sa fille.

L'apprentissage des travaux domestiques est un grand pas vers la réalisation de l'objectif de la fille et de sa mère. Celle qui sous-estime cet apprentissage risque de voir sa fille rester toujours à ses cotés.

Dans ce domaine une très grande différence de traitement est appliquée aux filles et aux garçons. L'initiation aux tâches ménagères est une option exclusivement féminine. Le garçon passe toute sa tendre enfance sans subir les contraintes de ce genre d'apprentissage. Les tâches ménagères ne sont en aucun cas une affaire d'hommes ; sa moindre participation est considérée comme (Aib) tabou. Il n'est pas concevable qu'un homme s'abaisse aux travaux domestiques. Si par hasard il aide sa sœur ou sa mère dans certaines tâches ou même s'il les accomplit pour lui même, il risque d'être traité de (Mriya) femmelette et sévèrement remis à sa place et réprimandé. Par contre il apprend dès l'enfance à commander ses sœurs et à exiger qu'elles soient à son service.

2-2 - La préservation de la virginité

Dans la société traditionnelle, l'environnement social est harmonieux. L'initiation de la fille accomplie par la mère et les autres femmes de la maison, est approfondie par le biais de tout l'entourage. Les proches, les voisins, les gens de la rue et toute la société approuvent la même idéologie quant à l'éducation de la fille. Dans ce contexte la préservation de la virginité est un des critères les plus rigides de l'éducation ; elle représente un fait social institutionnel qui, est à la fois culturel, religieux et idéologique. Elle n'est pas propre uniquement à la famille algérienne puisqu'elle concerne toutes les communautés arabo-musulmanes, certaines zones de la Méditerranée et plusieurs communautés asiatiques. Le Coran (III.42, XXI.91) et la Bible (10).

(Mathieu 25,1-13) en parlent aussi. Quoi qu'il en soit, elle est pour la famille algérienne un indice très important de la bonne éducation, l'emblème de la chasteté morale et physique de la jeune fille et la pierre de touche de la morale de toute sa famille.

La jeune fille vierge est extrêmement valorisée dans le discours religieux qui contribue à faire d'elle le prototype de la beauté féminine. D'ailleurs c'est une des qualités des houris du paradis promis pour les bons musulmans. Par contre, une fille non vierge et qui s'aventure dans des relations hors mariage est identifiée à la *Fitna*. F. MERNISSI (11).

explique qu'elle est plus que la *Fitna*, et qu'elle est Satan lui-même. Cette ressemblance se trouve dans son invitation à faire le mal et à détruire l'ordre social. En Islam, la virginité est associée à la pureté. Pureté de l'âme, de la personne, de la famille, de la lignée et de toute la société. Ainsi, elle doit être l'objectif de tout musulman.

En outre, elle est dans la conception populaire une règle morale très importante qui représente une des bases sur lesquelles repose l'idéologie de la famille algérienne. Elle symbolise le côté pratique et le seul indice concret de l'honneur. De ce fait, la préservation de la virginité ouvre grand les portes du mariage à la jeune fille et signe rituellement son entrée dans le monde de « *la socialité sexuelle* » (12). C'est pour cela qu'elle représente un aspect principal de son éducation qui nécessite la mobilisation de toute la famille: femmes, hommes, jeunes, adultes tentent par tous les moyens de préserver intact un hymen qui une fois perdu ne pourra jamais être substitué du fait qu'il figure la dignité et l'honorabilité de tout le clan familial.

Avant le mariage, la sexualité et la virginité de la jeune fille sont aperçues comme un héritage collectif qu'il faut placer sous haut contrôle et qui ne sauraient en aucun cas être laissés à la gestion des individus, comme ils ne sauraient être liés à l'affectivité. C'est pourquoi une fois que la fillette dépasse l'âge de six ans, la sauvegarde de sa virginité devient une sorte d'obsession collective et un des rôles fondamentaux qui implique en plus d'elle et de sa mère

tous les hommes de la famille. Le père, les frères, les oncles et les cousins se trouvent contraints de contrôler et d'exercer une autorité absolue sur les femmes mais surtout sur les filles non mariées (vierges) de la famille.

Dans la culture patriarcale, le courage, l'endurance et l'estime des obligations des hommes ne sont valorisés que par la bonne conduite morale des femmes de la maison et surtout par la garantie de la virginité des filles. Un homme qui maîtrise, contrôle et surveille le comportement sexuel de sa sœur ou de sa fille peut tenir honorablement sa place dans son groupe familial, voire dans tout le village, c'est ce qui garantit sa virilité. Il existe comme une véritable hantise de perdre son honneur surtout dans une société où le droit de regard de l'extérieur sur les individus et les entités familiales est très courant.

Dans une société où rien n'est plus important que la conformité de la jeune fille à la normativité de son groupe, la simple violation nécessite l'intervention des hommes de la famille qui doivent défendre leur honneur, et ne jamais laisser rabaisser leur prestige (*En nif*). Le *Nif* ce qui en traduction littérale signifie le (nez), l'organe physique le plus apparent extérieurement, veut dire aussi pour les Algériens, le prestige et l'estime de soi. P. Bourdieu (13).

le définit *comme étant avant tout ce qui porte à défendre à n'importe quel prix une certaine image de soi destinée aux autres.*

Cette image est celle de tout le groupe, elle peut s'étendre même dans le temps. Perdre la virginité est une tare qui rejaillit sur toute la famille, et par foi sur plusieurs générations. Pour les membres de la famille traditionnelle l'honneur est indivis, il n'est pas un sentiment individuel. Il comprend aussi bien la défense de l'intimité (*Horma*) du groupe restreint que celle du groupe élargi.

En se défendant par le *Nif* c'est l'ensemble de tout le groupe familial qui est défendu. Mieux encore, respecter l'honneur et l'intimité d'autrui c'est travailler, dans un système d'échanges symboliques, au respect de la sienne propre. Toute transgression peut avoir des conséquences néfastes qui peuvent arriver jusqu'à la criminalité. Les histoires « d'épuration » ne sont pas rares, elles alimentent les instances des tribunaux même de nos jours.

A partir de là, la fille, dans la famille traditionnelle, est pour la famille celle qui cristallise tout le système honorifique. La préservation de sa virginité représente l'un des éléments fondamentaux de son éducation et un enjeu essentiel pour le capital symbolique familial qu'elle concrétise. La fille, qui dans le système patriarcal est perçue comme inférieure à l'homme, détient entre ses mains le destin de tous les hommes de la famille. L'honneur familial est dépendant d'elle et cela suffit pour qu'elle soit perçue comme un grand danger qui menace la famille. Ne l'assimile-t-on pas dans le langage quotidien à une bombe à retardement qui peut exploser à n'importe quel moment ?

Ainsi, la fille est perçue à la fois comme menacée et menaçante. Elle est à la fois un danger et un élément fragile qu'il faut savoir manier, mais avec beaucoup de contrôle, d'autorité, et de suspicion. La mère étant responsable aux yeux de tous de la conduite et de la réputation de sa fille, tient à lui assurer une protection particulière, une protection faite d'interdictions, de contrôle et de surveillance ; car elle éprouve malgré elle une grande inquiétude.

Il est souvent dit : *“ Comme est difficile la grossesse d'une fille et comme est difficile son éducation ”*. De là, la mère commence par inculquer à sa fille les principes prudents afin qu'elle soit ouverte aux dangers qui l'entourent. Elle tisse entre elle et les hommes un voile de la honte qui ne se déchire que le jour de ses noces. Elle lui présente l'homme comme un danger qu'il faut éviter et à qui ne jamais faire confiance, *“ faire confiance aux hommes c'est confier de l'eau à un tamis ”* ⁽¹⁴⁾.

Toutes ces précautions poussent la fille dès sa tendre enfance à s'écarter des garçons et à se mêler de moins en moins à eux, qu'ils soient de son âge ou plus âgés. En leur présence elle commence à se sentir confuse, elle doit les fuir et les traiter en ennemis ; pourquoi pas puisque tout ce qu'on lui a appris sur les hommes tend à lui donner le sentiment de vulnérabilité et de danger épouvantable si elle les fréquente, pour elle et pour toute sa famille. N. Zerdoumi ⁽¹⁵⁾.

rapporte un discours tenu par une mère à sa fille de neuf à dix ans en disant : « *Maintenant, il faut que tu fasses attention tu es grande et les garçons vont te regarder. Tu vas avoir "un peu de seins" et cela suffit, si tu vas avec les garçons, pour risquer de perdre la rougeur du visage. Tu auras du sang sur les cuisses. C'est terrible de ne plus être vierge ; tu ne pourras plus te marier car le soir de tes noces ton mari s'en apercevra et te mettra nue dans sac comme une robe sale. Il te fera ramener à la maison de ton père sur un âne. Tout le monde se moquera et l'honneur de la famille sera sali à jamais*».

La rougeur du visage (*Tahmirat el wajh*) signifie la fierté de garder l'honneur intact. La fille algérienne doit dans toutes les circonstances posséder cette fine membrane que l'on appelle hymen. C'est peut-être la partie la plus importante de son corps. Il ne lui suffit cependant pas de la posséder, encore faut-il qu'elle soit capable de saigner, maculant ainsi visiblement le drap de sa nuit de noces, pour attester la virginité (la bonne éducation) de la jeune fille. Beaucoup de jeunes filles, non sensibilisées au problème des règles mais endoctrinées par cette phobie de la préservation de la virginité, sont terrorisées le jour de leurs premières règles croyant avoir perdu leur virginité à cause du saignement.

La mère, dans la famille traditionnelle, poursuit son rôle contraignant auprès de sa fille et au fur et à mesure que celle ci grandit, elle augmente son contrôle, sa vigilance et multiplie les

interdits. Tous les moyens sont utilisés pour étouffer sa sexualité. Arrivant à la pré-puberté, vers les douze ans la jeune fille, surveillée continuellement, doit redoubler de discrétion dans tous ses mouvements, ses gestes et ses paroles. Elle développe aussi un étrange sentiment de honte vis-à-vis de son propre corps qu'elle ne maîtrise pas : elle essaye de cacher tout ce qui en est visible et qui signifie qu'elle est devenue femme. Franz Fanon ⁽¹⁶⁾.

rapportait que : « *La jeune fille algérienne a honte de son corps, de ses seins, de ses menstrues. Elle a honte d'être femme devant les siens. Elle a honte de parler devant son père, de regarder son père. et son père aussi a honte devant elle... L'interdiction est ici telle, les prohibitions sont à ce point inscrites au centre même de la personnalité que la coprésence elle-même devient insupportable* ».

La honte « *hachma* » peut amener la fille jusqu'à l'effacement total. Elle est idéalisée socialement tant qu'elle se manifeste par son absence de l'espace extérieur, moins elle est visible plus on la valorise. Cette absence de l'extérieur (*Hajba*) et toutes ces opérations d'éducation et de personnalisation aboutissent à faire naître en elle prématurément une angoisse. L'angoisse de garder intacte sa virginité, pilier sur lequel repose toute la structure de la famille, puisque cette dernière est l'élément clé le jour de sa mise à l'épreuve, le jour où les mérites éducatifs de la famille seront évalués.

L'angoisse du moment de vérité (nuit de noces) est portée par toute la famille, les pères intériorisent en eux une grande souffrance jusqu'au jour du mariage et de la délivrance. La séquence du rituel nuptial représente la phase terminale d'un long travail éducatif et dont le groupe social désormais élargi à la belle-famille, a besoin de connaître les résultats. On peut imaginer sans mal l'affolement qui saisit le groupe familial anxieux d'assister à l'écroulement de son capital symbolique en matière de morale et d'honorabilité sociale. F. Mrabet (17).

dit que : « *Chaque père a peur comme s'il avait un œuf entre les doigts, s'il le laisse tomber il est fichu* ». Laisser tomber c'est relâcher la vigilance concernant la surveillance et le contrôle de la fille, de même qu'un dicton algérien parle de la virginité de la fille en l'associant à un œuf dit que: « *La fille, il faut la manier avec beaucoup de précaution comme l'œuf, s'il se casse on ne le répare pas* ». C. Lacoste Dujardin (18).

commente ce dicton en disant que l'œuf paraît une image tout à fait adéquate à exprimer la virginité de la jeune fille, par sa fragilité certes, mais aussi par la promesse de fécondité qu'il représente.

L'angoisse de la virginité, dans la famille traditionnelle, est telle qu'en dehors de tous ces précautions et ces vertus éducatives, la mère recourt à la magie. Dans le souci de protéger la chasteté physique de sa fille et préserver sa dignité, elle n'hésite pas avant sa puberté à pratiquer certains rites qui sont communément utilisés et

qui font appel à une sorte de mélange entre la magie et les croyances qu'on appelle «*Sfah*» ou «*Tesfah*» (fermeture invisible du vagin) ou, dans d'autres régions d'Algérie «*R'bite*» (nouée), ou la ferrure comme le décrit P. Bourdieu en détail dans son livre '*Esquisse d'une théorie de la pratique*'. De cette façon, la fille sera protégée contre les risques de viol ainsi que contre ses propres emportements. Ainsi, nous pouvons dire que la thématique sexuelle et ses interdits constituent l'un des aspects essentiels de l'éducation traditionnelle de la fille.

Conclusion:

Telles sont en générale les caractéristiques de l'éducation de la fille au sein de la famille algérienne traditionnelle. Une éducation basée sur la conformité aux normes sociales, et qui porte souvent sur des aspects extérieurs, qui soumettent le comportement de la fille à son entourage, tels que l'obéissance, la politesse, la honte, le respect des autres, sans pour autant s'intéresser aux caractéristiques individuelles comme l'indépendance, l'épanouissement et l'autonomie de l'enfant.

Ce regard peut nous pousser à en déduire que les individus du groupe familial traditionnel sont emprisonnés dans un mode contraignant, qu'ils sont des êtres malheureux à qui sont imposées des normes et des valeurs, qu'ils vivent comme contraintes et sont obligés de respecter. Pourtant une norme sociale n'est une contrainte que pour ceux qui ne s'y reconnaissent pas. De même que pour les

valeurs, qui ne peuvent être contraignantes dans une société statique où il n'y a pas de changement dans les mentalités (contrairement à ce que nous vivons aujourd'hui). Les normes sociales à travers lesquelles se reproduit la famille traditionnelle ne sont pas vécues comme contraintes tant qu'elles correspondent aux représentations de la société. Ce modèle éducatif de la fille constitue un élément fondamental de leur personnalité de base et un moyen essentiel pour assurer l'identité sociale des sujets et garantir une meilleure adaptation à la société dans son ensemble.

❖ **Références:**

- (1) Garnero. S, *des relations précoces mères-enfant de la naissance à dix-huit mois en milieu culturel algérois*, Mémoire de spécialisation en psychiatrie, Paris-Val- de marne, p95.
- (2) Artificiel dans la famille traditionnelle veut dire le lait de vache ou de chèvre.
- (3) M'rabet. F, 1979, *Les femmes Algériennes*, Paris, Cahiers libres, p 174.
- (4) Lacoste Dujardin. C, , (1993), *Des mères contre les femmes : maternité et patriarcat au Maghreb*, Paris, L'harmattan, p 110.
- (5) Lacoste Dujardin. C, 1976, *Un village Algérien*, Alger, SNED, pp 49-53.
- (6) Zerdoumi. N, (1970), *Enfant d'hier l'éducation de l'enfant dans le milieu traditionnelle Algérien*, Paris, Maspéro, p 188..
- (7) Zerdoumi. N, op cit, p 186.
- (8) Fanon. F, (1972), *Sociologie d'une révolution*, Paris, Maspéro, p 92.
- (9) Ibid.
- (10) Dufour. X L (sous direction), 1966, *Vocabulaire de théologie biblique*, Paris, les éditions du CERF, pp 1116-1119.
- (11) Mernissi. F, 1983, *Sexe, idéologie et Islam*, Paris, édition Tiércé, p26.

- (12) Chebel. M, , (1993), *L'imaginaire arabo-musulman*, Paris, P.U.F, p322.
- (13) Bourdieu. P, (1985), *Sociologie de l'Algérie*, Paris, P.U.F.
- (14) Proverbe algérien.
- (15) Zerdoumi. N, op cit, p190.
- (16) Fanon. F, op cit, p 92.
- (17) M'rabet. F, op cit, p 66.
- (18) Lacoste Dujardin. C, (1993), op cit, p 87.

**Influence du discours : parole légitimée, engagée et persuasive.
Analyse des discours de la concorde civile du Président
Abdelaziz Bouteflika**

Ouahiba BENBAKKAR

Université Alger 2

Résumé :

Le discours politique fait partie intégrante des études en analyse du discours, notamment celles qui s'intéressent à l'examen des stratégies discursives visant à influencer autrui. L'auteure analyse la cohérence thématique des discours de la concorde civile du Président Bouteflika. Elle tente de développer une approche dynamique dans laquelle elle distingue différents types de progression thématique. En outre, elle soutient l'idée, inspirée de certaines études en linguistique textuelle, que le rôle des stratégies discursives est d'assurer l'influence de l'instance politique, à travers son discours, lui permettant ainsi d'exercer une action, un pouvoir sur l'instance citoyenne.

المخلص:

الخطاب السياسي هو جزء لا يتجزأ من الدراسات في تحليل الخطاب، وبخاصة تلك التي تدرس الاستراتيجيات الخطابية الهادفة للتأثير على الآخر. تحلل الكاتبة في هذا المقال التناسق الموضوعي للخطابات الخاصة بالوئام المدني للرئيس عبد العزيز بوتفليقة. وهي بذلك تحاول وضع نهج ديناميكي الذي يميز بين مختلف أنواع التقدم المواضيعي.

بالإضافة إلى ذلك، تدعم الكاتبة الفكرة، التي تستوحيها من بعض الدراسات في اللسانيات النصية، في أن دور الاستراتيجيات الخطابية هو ضمان نفوذ الهيئة السياسية والسماح لها بممارسة سلطتها على الهيئة الوطنية.

Introduction :

« *Toute parole est tentative d'influence d'autrui* ⁽¹⁾.

Les discours de la concorde civile du Président de la République algérienne instaurent une relation entre deux instances : l'orateur (le Président) et l'auditoire (le peuple algérien). Ces discours mettent en évidence différentes stratégies discursives qui visent à faire adhérer l'auditoire et à l'orienter de façon à construire un pathos déterminé convergeant avec l'intentionnalité argumentative de l'émetteur.

En fait, on ne saurait parler de l'argumentation sans évoquer nécessairement le concept d'influence qui serait sous-jacent à toute tentative d'exercice de pouvoir sur autrui. C'est pourquoi les recherches en analyse du discours ne cherchent en aucune façon à démontrer le degré de vérité des arguments mais leur degré d'influence, c'est-à-dire le faire croire, le faire faire par le biais du langage. Autrement dit, elles cherchent à mettre à jour la force du langage à faire adhérer l'autre au point de vue défendu par l'énonciateur.

A cet effet, il serait très important de signaler que l'influence ne se s'impose pas uniquement par la force des idées mais aussi et surtout par l'ensemble des valeurs sociales et culturelles perçues comme vraies par telle ou telle société et qui ne peuvent pas, par contre, être vérifiées. Cela nous conduit à penser que tout discours dépend du contrat de communication entre les instances énonciatives

qu'il lie. Dans cette contribution, nous allons tenter de mettre en évidence quelques aspects par lesquels s'affirme l'influence de la parole présidentielle en nous attachant plus particulièrement à montrer comment les stratégies discursives déployées sont manipulées en vue d'atteindre des finalités précises. Notre attention sera portée également, en nous adossant aux apports de la linguistique textuelle, aux différents types de progression thématique qui véhiculent exhibent et dramatisent l'engagement, la persuasion et la légitimité du discours présidentiel.

1. La progression thématique

« *Tout texte est pris dans une tension entre cohésion (liée à la structure thématique, à la connexion et à la concaténation des thèmes successifs) et progression* »⁽²⁾. La progression thématique des énoncés est aujourd'hui un point central dans les travaux d'analyse du discours car « *elle rend compte des enchaînements phrastiques d'un texte en explicitant sa cohésion et sa progression transphrastique* »⁽³⁾.

Cette progression est fondée sur la distinction entre les deux notions thème/rhème, elle est basée sur « *la vieille question de l'ordre des mots dans la phrase posée* »⁽⁴⁾. L'ordre des mots dans une phrase montre la différence entre les deux concepts : ainsi, « *une partie d'un groupe nominal ou verbal, ou d'une phrase, peut avoir de façon indépendante du découpage en constituants syntaxiques une valeur de thème ou de rhème, liée à sa place dans la dynamique*

de la phrase et à sa visée communicative : information présentée comme (thème) ou comme nouvelle (rhème) » ⁽⁵⁾. Les travaux qui ont été réalisés récemment sur la question de la progression thématique des énoncés mettent en évidence la fonction cohésive ⁽⁶⁾.

Des différentes reprises thématiques et le rôle du rhème dans la progression thématique.

Les deux concepts de thème et de rhème permettent d'apporter une fine description de la structure de la phrase mais aussi une étude permettant de vérifier « *les mouvements textuels de reprise et de progression de l'information* » ⁽⁷⁾.

C'est pourquoi il nous semble très important de montrer la différence entre thème et rhème avant de passer aux trois types de progression proposés par le linguiste Adam.

2.1. Thème / rhème

La distinction entre ces deux concepts est traitée dans le dictionnaire d'analyse du discours. Elle « *est en effet centrée d'une part, sur le degré d'informativité et de dynamique communicative à l'intérieur d'une phrase et, d'autre part sur la grammaire des enchainements phrastiques* » ⁽⁸⁾.

C'est grâce à la progression de l'information que nous arrivons à comprendre le fonctionnement de la phrase où chaque unité occupe une place ; ainsi, « *la place de début (thème) [...] et de fin de phrase (rhème) possèdent un degré différent de dynamisme*

communicatif du plus bas degré pour le Thème (ce dont on parle) au plus haut degré pour le Rhème (ce qu'on dit du thème) »⁽⁹⁾.

Le linguiste Ducrot, considère que l'organisation sémantique est examinée sur cinq points, dont le troisième traite la distinction entre les deux concepts thème et rhème appelés aussi thème et propos. Cette distinction est d'ordre psychologique ; pour lui⁽¹⁰⁾.

« le thème [...] d'un énoncé, c'est ce dont parle le locuteur » il ajoute⁽¹¹⁾. qu'il est « le sujet psychologique » de l'énoncé.

Le propos ou le rhème est défini comme « l'information qu'il entend apporter relativement à ce thème » qu'il appelle aussi « le prédicat psychologique logique »⁽¹²⁾.

Dans cette définition, le thème est considéré comme « un objet extérieur auquel l'énoncé fait allusion ». Cela veut dire que le thème n'est pas forcément explicite par un énoncé mais il peut le contenir implicitement. En revanche, le thème peut être parfois et dans un énoncé explicite de par l'énoncé lui-même et ceci se fait par des marques linguistiques permettant de distinguer entre le thème et le propos.

Adam (2005) traite la question de la distinction entre les deux concepts thème/rhème, la phrase s'organise pour lui sur deux plans, « le groupe le plus à gauche, le thème, est du point de vue de l'énonciateur, le point de départ de l'énoncé »⁽¹³⁾.

Il ajoute que le thème est « *moins informant, en raison de son inscription dans le co-texte d'une reprise [...] ou en raison de son inscription dans le contexte d'un repérage déictique lié à la situation d'énonciation* ». En effet, le thème est absent du texte, il se trouve dans le contexte de l'énonciateur et « *la partie thématique est donc co(n) textuellement déductible* »⁽¹⁴⁾.

Toujours dans la théorie du linguiste Adam, « *le groupe le plus à droite, le rhème, correspond à ce qui est dit du thème, c'est l'élément phrastique posé comme le plus informant, celui qui fait avancer la communication* ».

Récapitulons ce qui a été dit, le thème occupe la place à gauche de l'énoncé, le rhème occupe la place à droite. Parfois, le premier n'est pas forcément présent dans le texte, mais il peut être déduit du contexte, le second est présent dans le texte et il représente ce qui est dit du thème.

Ainsi dans l'énoncé suivant, le groupe de mots clivé opère une thématisation de la paix et une rhématisation de la réalisation de la réconciliation de l'Algérie avec elle-même.

(E₁) : « C'est cette paix qui réalise la réconciliation de l'Algérie avec elle-même, c'est cette paix pour laquelle je me suis engagé avec vous ».

Aussi dans l'énoncé (E₂), le groupe de mots clivé met l'accent sur les bases de la stratégie, et de cette façon opère une thématisation du thème « base » :

(E₂) : « C'est sur toutes ces bases que j'ai fondé une partie de la stratégie de sortie de crise, dont le rétablissement de la paix est la condition nécessaire première ».

Mais « *en assignant à ce concept une place dans la dynamique textuelle on dépasse la division de la phrase en thème (Th) et rhème (Rh) pour insister sur le point de départ (Th) de chaque nouvel énoncé* », cela veut dire qu' « *une phrase en amène une autre, elle la déclenche ; et le point d'aboutissement d'une phrase est très souvent la notion initiale de la phrase suivante* »⁽¹⁵⁾.

Dans l'énoncé suivant (E₃), le thème « la paix » a eu pour rhème « la croissance économique » devenu à son tour le thème de la proposition qui la succède :

(E₃) : « Par ailleurs, la paix conditionne la croissance économique. Sans croissance économique, la paix restera fragile et menacée par d'autres formes d'expression de la violence sociale ».

2.1. Les types de progression thématique

Dans sa théorie basée sur la linguistique textuelle, Adam distingue trois grands types de progression thématique. Ces progressions sont « *la plupart du temps mêlées à l'intérieur d'un même texte, et peuvent être partagées* »⁽¹⁶⁾.

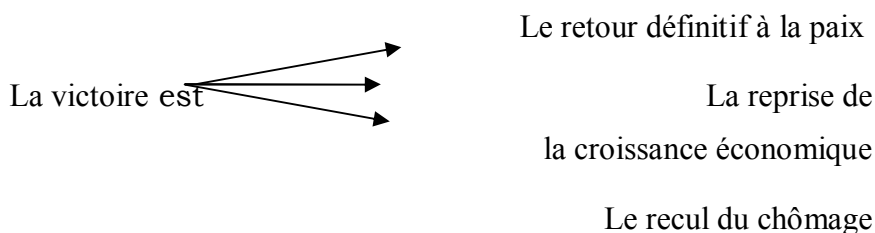
2.1.1. La progression à thème constant

Dans ce premier type de progression thématique « *un même thème est repris à l'autre et associé à des rhèmes différents* »⁽¹⁷⁾.

Cette reprise du rhème est souvent présente dans les séquences narratives, où elle apparaît sous forme pronominale tout en ayant une relation avec d'autres rhèmes successifs.

La victoire peut être définie ainsi :

Schéma 1 :

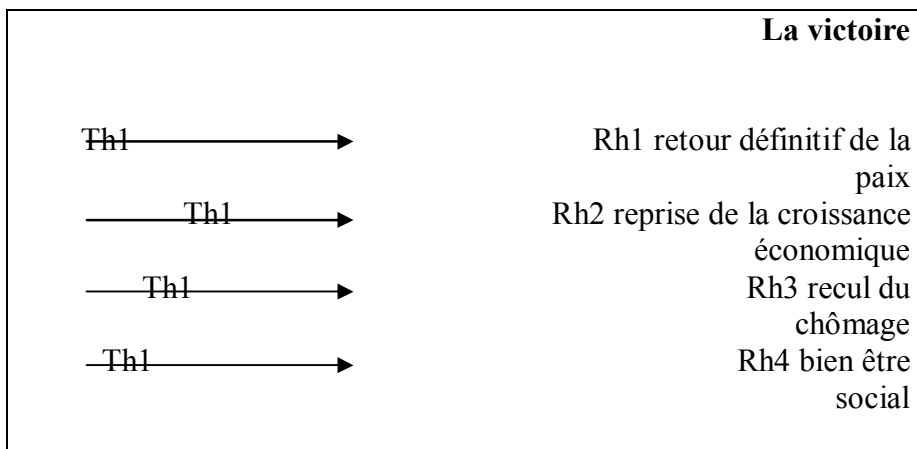


La progression thématique dans l'énoncé suivant peut se résumer dans le schéma 02.

(E₄) : « Car la victoire finale signifie le retour définitif de la paix dans notre pays, elle signifie la reprise de la croissance économique, le recul du chômage et le bien être social »

Schéma 02:

Cette relation ternaire entre le thème « *victoire* » et les trois rhèmes attire l'attention de l'auditoire qui voit en cette victoire le retour à la vie en paix.



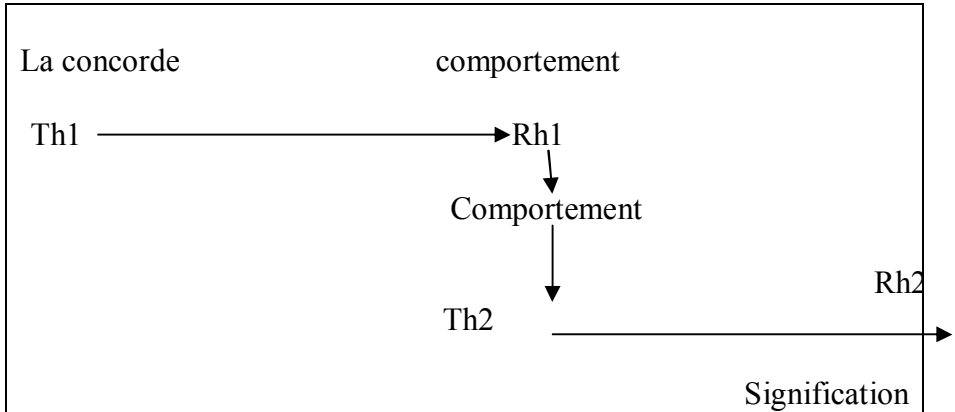
2.1.1. La progression par thématization linéaire :

Adam définit ce type de progression thématique ainsi : « *le Rh d'une première phrase devient le Th de la seconde dont le Rh fournit à son tour le Th de la suivante* »⁽¹⁸⁾.

Dans l'énoncé suivant, « la concorde » est le thème de la proposition [P1], ce thème est explicité par le rhème « comportement », ce dernier à son tour est devenu par la suite le thème de la proposition [P2] et a eu pour rhème « signification ».

(E₅) : « Que tout le monde sache que la concorde est un comportement [P1], un comportement dont la signification n'est connue que de ceux qui en ont été privés [P2] » .

Schématisons cette analyse :

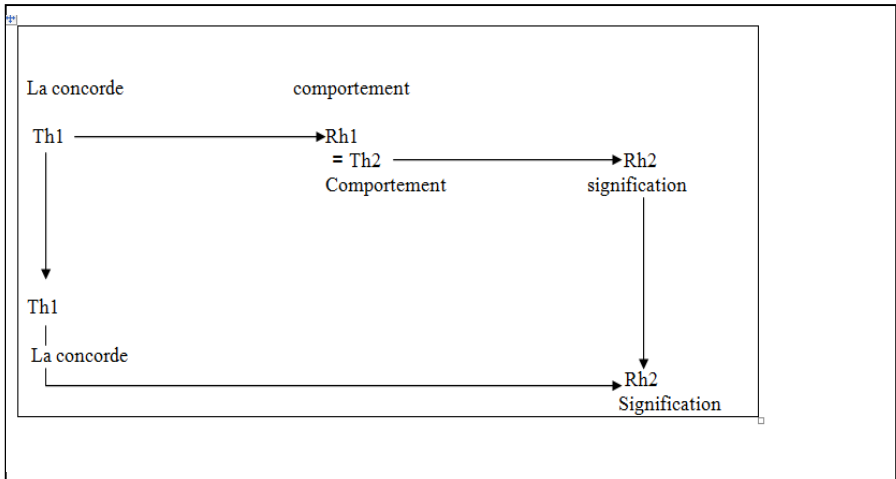


2.1.1. La progression thématique combinée

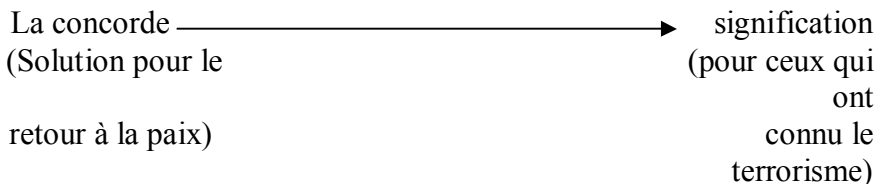
C'est une sorte de combinaison entre les deux modèles précédents. Cette progression est « *une version avec redondance du thème initial Th1 et reprise du rhème Rh2 par deux fois* »⁽¹⁹⁾.

Dans le même énoncé traité dans le paragraphe précédent, le thème de « la concorde civile » a eu un rhème « comportement », pour enfin arriver au rhème « signification » qui est l'aboutissement.

Schématisons :



Ou encore :



3. Cohérence thématique

« Quand on parle, on fait allusion à un monde (« réel » ou « fictif » [...]), on construit une représentation : c'est la fonction descriptive de la langue. Mais on parle souvent en cherchant à faire partager à un interlocuteur des opinions ou des représentations relatives à un thème donné »⁽²⁰⁾.

A partir de ce postulat, nous procéderons à l'analyse des thèmes traités dans les discours de la concorde civile. Il est évident que tout discours dépend du contrat de communication entre les instances énonciatives qu'il lie. Mais il faut, pour la production d'un discours argumentatif, que ses instances soient pourvues d'un code commun, et qu'elles soient informées sur le contexte du discours en question.

Le discours de la concorde du Président de la République algérienne instaure une relation entre deux instances : l'orateur (le Président Bouteflika) et l'auditoire (le peuple algérien). Pour qu'il y ait une compréhension du message lancé par l'orateur, les deux instances doivent partager le même code et les mêmes connaissances du monde, ce qui est le cas pour nous.

Pour faire adhérer son auditoire à son discours, le Président doit construire son discours de façon qui lui permet d'aboutir à cela (agir sur l'opinion publique).

Pour analyser cette logique, nous allons examiner les différents thèmes présents dans le discours.

3.1. La parole légitimée

Le politique est un domaine où se jouent des rapports de force symboliques pour la conquête et la gestion d'un pouvoir qui ne peut s'exercer que dès lors qu'il se fonde sur une légitimité acquise et attribuée. Mais cela ne suffit pas, car le sujet politique qui est en

quête de légitimité doit aussi se montrer crédible et persuader le plus grand nombre d'individus qu'ils doivent partager certaines valeurs.

Caractériser le discours de la concorde civile du point de vue de l'analyse du discours, c'est en premier lieu décrire le contrat de communication politique ainsi que l'identité de l'acteur de la scène politique le Président Bouteflika et en particulier les différentes formes de légitimité qui peuvent être attribuées à cette instance politique.

Dans le sens courant, la notion de légitimité est « *un état de droit qui caractérise une personne au regard de sa situation (légitimité d'une union), d'une filiation (légitimité monarchique), d'un pouvoir conféré (légitimité démocratique)* »⁽²¹⁾.

En analyse du discours, « *la notion de légitimation peut être utilisée pour signifier que le sujet parlant entre dans un processus de discours qui doit aboutir à ce qu'on lui reconnaisse un droit à la parole et une légitimité pour dire ce qu'il dit* »⁽²²⁾.

Cela veut dire que la légitimation est un processus par lequel l'orateur se fait un droit à la parole pour dire son discours.

La légitimation accordée à un locuteur « *peut lui venir soit d'une situation de fait [...] soit de la place qui lui est accordée par une institution quelconque comme lorsqu' [...] une personnalité politique fait une déclaration à la télévision* »⁽²³⁾.

La place accordée à un Président lui donne le droit ou la légitimité de prendre la parole en public, de se construire une position de légitimité.

(E₆) : « Chers compatriotes »

Cette séquence du discours du 02 août 1999 a une valeur inaugurale parce qu'elle ouvre le discours. L'orateur l'a commencé d'abord par l'adjectif « chers » introduisant cette formule de politesse et ayant un sens d'amitié et de familiarité du Président avec son peuple, ensuite le nom « compatriotes » lancé par l'orateur dans le but de créer une certaine relation avec son auditoire, une relation solide déjà existante justifiée par le fait que les deux instances énonciatives appartiennent au même pays qui est l'Algérie.

M. le Président Bouteflika, en commençant son discours par cette expression, se donne le droit, voire la légitimité, de prendre la parole devant un public cherchant des solutions à un problème qui a duré toute une décennie.

L'homme politique doit chercher quel peut être le plus grand dénominateur commun des idées du groupe auquel il s'adresse, tout en s'interrogeant sur la façon de les présenter. Il doit se soucier de la façon dont il présente ses arguments. Mais avant cela, il doit s'occuper d'abord de la façon de sa prise de parole.

(E₇) : « Chères sœurs chères frères ».

En commençant le discours du 02 août 1999, avec ce fragment l'orateur souligne le type de relation qu'il veut établir avec son auditoire. D'abord, en employant les adjectifs « chères » et « chers » s'adressant aux Algériennes et aux Algériens, dans le but de créer cette intimité avec son public qui est créée ensuite par les deux noms « sœurs » et « frères » qui dépassent même l'amitié pour aller jusqu'à la familiarité.

3.2. La parole engagée

Dans le dictionnaire Larousse, le verbe pronominal « s'engager » a pris pour sens celui d' « *exprimer publiquement par ses actes ou ses paroles une prise de position sur les problèmes sociaux, politiques* ».

L'examen de la stratégie discursive de l'engagement, dans fragment suivant, est assuré par l'emploi du verbe « s'engager », traduit un certain état psychologique, et, employé à la première personne ce qui constitue le cas présent, a pour fonction de donner l'appréciation du locuteur sur la valeur de vérité de la proposition subordonnée.

(E₈) : « C'est cette paix qui réalise la réconciliation de l'Algérie avec elle-même, c'est cette paix pour laquelle je me suis engagé avec vous ».

Nous soulignons dans le fragment précédant l'engagement du Président pour instaurer la paix au sein de la société. Ce thème forme la cohérence thématique entre les deux discours mis en question. Le Président vise les thèmes suivants :

- (i) Mettre fin aux actes des terroristes et par conséquent instaurer la paix.
- (ii) Mettre en relation la question de la paix sociale et celle du développement économique de l'Algérie.

Le verbe lui-même « s'engager » conjugué au passé composé met l'accent sur l'engagement du chef de l'Etat pour une réconciliation du peuple algérien avec les auteurs des actes terroristes. Ici, le Président parle expressément de la « paix » et surtout avec une forte implication de sa personne et celle de son auditoire.

Cette implication de l'orateur se fait à travers l'utilisation du pronom personnel « je », c'est par ce « je » que le Président montre son engagement pour le projet de la concorde civile.

(E₁₀) : « L'engagement du peuple pour la concorde civile oblige tous les agents de l'Etat à faire preuve de diligence dans le règlement des dossiers et d'un comportement responsable dans leurs relations avec les uns et les autres... ».

Aussi dans l'énoncé (E₁₁), lançant explicitement et expressément son « engagement » pour le projet en question, l'orateur vise à faire engager l'auditoire à son tour pour la loi de la paix.

(E₁₁) : « Je me suis complètement investi dans cette entreprise nationale. J'ai pris, avec une rapidité déconcertante la responsabilité sur moi de donner une assise juridique à cette dynamique de paix et d'espoir pour tous ».

L'orateur montre avec plus d'expressivité son engagement pour ce projet, et ce, avec un « je », à travers lequel il met l'accent sur son investissement pour la loi de la paix.

Aussi, en lançant le lexème « responsabilité », qui est lourd de par son sens et de par sa présence dans cet environnement linguistique, l'orateur se porte responsable du projet de la concorde civile en lui donnant une assise juridique et surtout en la considérant comme allant de soi grâce aux marqueurs de personne « je » et « moi » représentant le point de vue « *je suis responsable du projet de la concorde civile* » comme assumé par l'orateur qui est le locuteur-origine de l'énoncé et comme préexistant à l'énonciation, ce qui nous fait considérer ce point de vue comme « allant de soi »⁽²⁴⁾.

(E₁₂) : « Tels sont les fronts sur lesquels je me bats et que j'essaye de maintenir en parfaite synergie ».

L'orateur dans l'énoncé (E₁₂) montre son total engagement pour les fronts pour lesquels il se bat, il le prouve par le déictique de personne « je ». L'emploi de ce « je » souligne l'engagement du Chef de l'Etat pour la maintenance des différentes bases de son projet concourant a un effet unique et avec une économie de moyen, ce que l'orateur résume en employant le lexème de « synergie ».

A travers ces discours, M. le Président annonce son engagement pour le projet et la loi de la concorde civile, mais comment va-t-il faire adhérer son auditoire à ce projet ?

Comment et avec quels procédés linguistiques réussira-t-il a persuader son public à dire « oui » à cette loi ?

2.1. La parole persuasive

La persuasion est vue par Chabrol comme « *le produit des processus généraux d'influence* »⁽²⁵⁾.

En vue d'influencer et de persuader, l'orateur utilise un processus par lequel il provoque « *l'adhésion des esprits aux thèses qu' [il] présente à leur assentiment* »⁽²⁶⁾.écrit ce que confirme Perlman, il est possible « *d'appeler persuasive, une argumentation qui ne prétend valoir que pour un auditoire particulier et d'appeler convaincante celle qui est censée obtenir l'adhésion de tout être de raison* »⁽²⁷⁾.

3.2.1. La dramatisation

(E₁₃) : « J'avais perçu, lors de la campagne électorale votre appel pour que cesse à jamais la tragédie fratricide qui endeuille le peuple algérien, depuis près d'une décennie »

Dans cette séquence, l'autorité suprême cherche à rendre plus dramatique l'état de paix dans la société algérienne, et ce, par des moyens linguistiques : « tragédie fratricide ».

Le lexème « tragédie » est lui-même significatif et a le même sens que celui de « drame ».

L'orateur vise à rendre les citoyens plus sensibles à la question de la paix en Algérie, en faisant de cette situation un événement funeste, tragique, bref dramatique.

Aussi par l'adjectif « fratricide », le Président cherche à créer une certaine réaction humaine de la part de son auditoire. En ajoutant le mot « fratricide » à « tragédie », le Chef de l'Etat met l'accent sur cette situation sociale opposant des personnes qui doivent être solidaires, solidaires au sein d'une société à laquelle ils appartiennent.

Dans la suite de cet énoncé, le verbe « endeuille » qui englobe dans son sens la mort provoque un sentiment de tristesse dans les esprits de ceux qui l'écoutent et les plonge dans un sentiment de « deuil ».

En créant ce sentiment de tristesse, de deuil, de déchirement, l'orateur rend son auditoire plus sensible à la question de la paix, et par conséquent il arrive à saisir le pathos .

Il réussit donc intelligemment à faire adhérer son public à son message, et ce, en se montrant comme le sauveur, celui qui apporte la solution au problème, un problème qui concerne des vies humaines et qui a dure « *près d'une décennie* » de mort de viole, etc.

L'orateur par l'image qu'il se donne arrive à affecter son autorité et à créer une réaction positive par rapport à ce qu'il propose, « le projet de la concorde civile » qui est pour lui la solution à deux problèmes : le rétablissement de la situation sécuritaire en Algérie et la sortie de la crise économique.

(E₁₄) : « Le processus que j'ai enclenché est parti d'une situation de fait tout à fait aléatoire pour déboucher sur une cessation définitive de la violence, mettre un terme à la « Fitna » et éteindre l'incendie qui a ravagé le pays et les hommes »

La question de la paix dans cette séquence est thématifiée différemment. Ciblant son public, le Président utilise d'abord la notion de « Fitna », ce terme appartient à la langue arabe mais aussi à la religion musulmane ⁽²⁸⁾, un terme qui signifie « le chantage social » causé par les groupes armés.

Ensuite, à travers l'emploi le mot « incendie », l'énonciateur fait appel à la stratégie de la dramatisation de la situation sécuritaire en vue de persuader son public.

M. le Président utilise toutes ces appellations dans le but de changer l'opinion de son public en rendant la situation encore plus dramatique qu'elle ne l'est. Ce qui lui permet de sensibiliser le peuple vis-à-vis du devenir sécuritaire.

Le verbe « ravager », met l'accent sur les dommages considérables causés par la violence des groupes armés. Ainsi, l'orateur se représente comme celui qui tire le pays et les hommes de ce grave problème. A travers l'ethos, l'énonciateur crée une réaction humaine chez son auditoire. En créant ce pathos, il est arrivé à persuader son public.

2.1.1. La manipulation

(E₁₅) : « Chacun a pu constater que depuis le 15 avril 1999, l'image de l'Algérie à l'extérieur, a été positivement et significativement modifiée. Notre pays reprend de la considération, son audience se rétablit graduellement, il est devenu un partenaire politique dont l'avis est recherché par les uns et les autres ».

En faisant appel à la date de son élection comme Président de la République algérienne, M. Bouteflika met l'accent sur les changements depuis le début de son règne. Depuis le 15 avril 1999

(une date qui est antérieure par rapport au jour du lancement du discours), l'Algérie a remis en cause son image à l'extérieur. S'intéressant à l'image de son pays, le Chef de l'Etat fait appel à cette réussite qui est « considérable » pour lui tout comme pour le peuple algérien, un peuple qui a perdu la confiance et les relations qu'il entretenait avec l'extérieur, et ce depuis le déclenchement de la guerre civile à l'intérieur de la patrie.

L'orateur tente d'influencer son public en lui parlant de sa réussite, une réussite qui rappelle une autre, celle du rétablissement de la situation sécuritaire en Algérie.

Aussi dans l'énoncé suivant, la manipulation est flagrante. L'orateur vise à persuader son auditoire pour ce qu'il appelle « la paix des hommes » et a le manipuler contre ce qu'il appelle « la paix des armes », celle-ci est pour lui destructive puisqu'elle conduit à « plus de morts et plus de misère », celle-là est constructive comme elle conduit à « moins de misère ».

(E₁₆) : « il y a certes la paix des armes dont la logique conduit à plus de destruction, plus de morts, plus de misère. Son avènement restera toujours aléatoire. Il y a la paix des hommes, la paix des cœurs, la paix des esprits qui, dans tous les cas, conduit immédiatement à plus de fraternité, plus de solidarité, plus de construction, et moins de misère »

Pour notre Président, il est donc plus raisonnable d'aller chercher la paix par la paix et non par les armes à l'intérieur de la patrie « l'Algérie ».

2.1.2. La compassion

La compassion est l'une des stratégies sur lesquelles s'appuie la persuasion dans le discours de la concorde civile. Elle est définie dans le dictionnaire « Larousse » comme « *le sentiment qui pousse à partager les souffrances d'autrui* ».

(E₁₇) : « Chaque Algérienne et chaque Algérien, qui adhère à cette démarche, a le devoir de répandre autour de lui, les graines de la solidarité et du respect vis-à-vis de tous les Algériens, mais plus particulièrement vis-à-vis des plus vulnérables, dans ce processus de paix, qui sont les victimes du terrorismes ou ceux qui, par les moments d'errements, ont répondu enfin, à l'appel de leur peuple et réintégré les rangs de la société. A ceux-ci, ne leur rappeler pas les conditions d'hier, aidez les à regarder vers l'avenir qu'ils ont choisi de bâtir avec vous. A ceux-là, compensez l'absence de l'être cher par votre présence solidaire ».

Dans cette séquence, l'orateur lance un appel compassionnel, à travers son discours. Cet appel répond a une intention de faire

partager la partie des Algériens(*).qui ne sont pas des terroristes, et qui n'ont pas été touchés par des actes du terrorisme. Le Chef de l'Etat demande à cette majorité du peuple algérien d'accepter, et avec un grand cœur, la réintégration des terroristes dans la société, et en même temps de consoler ceux qui ont perdu un « être cher » dit-il. S'adressant au peuple algérien, à l'impératif, l'orateur à travers les verbes « aider » et « compenser » fait appel à cette stratégie de compassion dans le but de provoquer un sentiment de partage et de consolation chez l'auditoire.

Aussi par les lexèmes « solidarité » et « respect », M Bouteflika vise à instaurer certains comportements au sein du pays qu'il préside, un respect mutuel entre les citoyens, et une solidarité partagée entre les membres de la société algérienne.

C'est pourquoi nous pensons que l'orateur, à travers cette consolation, arrive à persuader bel et bien son auditoire à adhérer au projet de la concorde civile.

2.1.1. La séduction

La persuasion est fondée sur la dramatisation, la manipulation, la compassion mais aussi la séduction.

(E₁₈) : « J'ai initié une loi dans ce cadre ; elle a été votée par le parlement, dans son écrasante majorité sans qu'aucune voix contre ne soit exprimée. Cela est déjà en soi un soutien politique

(*) Cette partie des Algériens est une majorité et a massivement adhéré à la loi de la concorde civile lors du référendum.

d'une grande importance. Ma foi en la générosité, la mansuétude, le bon sens et la grandeur du peuple algérien s'en est trouvée plus que jamais renforcée ».

En utilisant la stratégie de la flatterie, le Président Bouteflika vante les qualités du peuple algérien. Un peuple généreux, qui est pour lui indulgent, ayant du bon sens et de la grandeur, toutes ces qualités sont vantées dans le but de satisfaire l'orgueil de l'auditoire.

Aussi dans l'énoncé (E₁₄), l'orateur à travers le verbe « décider », montre que la décision finale est celle du peuple et qu'elle lui revient « souverainement », cet adverbe souligne la liberté et la démocratie en Algérie. Le peuple est donc libre de donner sa voix qu'elle soit négative ou positive pour le projet propose. Les Algériens sont invités à voter pour ou contre la loi de la concorde civile.

(E₁₉) : « Ce n'est pas à une consultation ordinaire que le peuple algérien est convié aujourd'hui. Les solutions à la crise qui frappe notre pays existent et les conditions peuvent en être remplies, s'il le décide souverainement ».

Le peuple algérien est donc souverain, il a le libre choix pour le projet de la concorde civile. En utilisant la stratégie de la flatterie analysée dans les deux énoncés précédents, le Chef de l'Etat vise à travailler sur le pathos, dans la mesure où il a l'intention de séduire voire de persuader son auditoire, un auditoire qui est censé prendre la bonne décision pour le projet de la paix.

2.1.2. La répétition

La répétition dans la langue est considérée par certains linguistes comme une stratégie de persuasion. Elle est définie par Breton ⁽²⁹⁾.

comme « *le phénomène d'abandon de la conscience critique, qui finit par se persuader* ». Cela veut dire que l'auditoire finit par se persuader car « *en quelque sorte, puisqu'il est répété, le message a déjà été justifié* » ⁽³⁰⁾.

Le politicien fait appel à cet stratégie dans le but de fatiguer la conscience du public, pour qu'i adhère au projet de la concorde civile.

Le groupe de mot « assise juridique » a été répété maintes fois :

(E₂₀) : « C'est aussi sur toutes ces bases que j'ai initié un processus de rétablissement de la concorde civile, en donnant une assise juridique à une situation de fait existante depuis 1997 ».

(E₂₁) : « Je me suis complètement investi dans cette entreprise nationale, j'ai pris avec une rapidité déconcertante la responsabilité sur moi de donner une assise juridique à cette dynamique de paix et d'espoir pour tous ».

(E₂₂) : « L'assise juridique signifie clairement que l'autorité politique prend sur elle de conférer un cadre légal fixant clairement les conditions de prise en charge des rapports de fait, nés de l'attitude de certains groupes armés ...».

« L'assise juridique » signifie les fondements et les bases juridiques sur lesquels s'appuie le projet de la concorde civile. Insistant sur cette assise, l'orateur fait appel à la loi de la concorde civile. Dans les trois énoncés (E₁₅), (E₁₆), (E₁₇), cités plus haut, la répétition accentuant les bases juridiques du projet de la concorde civile, crée comme le dit Breton ⁽³¹⁾.

« *un sentiment d'évidence* » chez l'auditoire. Ce dernier prend le message comme déjà justifié, et par conséquent il y adhère sans aucune hésitation. Une adhésion due à une fatigue mentale puisque à force de lui répéter le message, l'auditoire finit par dire « oui » à ce que l'on présente. Aussi dans les énoncés suivants, le lexème « engagement » est répété par l'orateur dans son discours de la concorde civile :

(E₂₃) : « J'ai donné ma parole pour l'Aman, et si cet engagement express est un des fondements de ma démarche, par votre vote massif, il devient aussi le vôtre ».

(E₂₄) : « L'engagement du peuple pour la concorde civile oblige tous les agents de l'Etat à faire preuve de diligence dans le règlement des dossiers et d'un comportement responsable dans leurs relations avec les uns et les autres... ».

(E₂₅) « L'engagement du peuple est, enfin, une source d'émulation supplémentaire pour ceux qui sont encore dans la voie de la violence, pour se ressaisir... ».

En répétant le mot « engagement », l'orateur met l'accent sur l'engagement pris par sa personne et par le peuple algérien lors du referendum pour la loi et le projet de la concorde civile. Cette répétition vise à instaurer un sentiment de responsabilité des Algériens vis-a-vis du projet et de sa continuité. Mais l'engagement n'est pas seulement de la part du peuple mais aussi de la part des agents de l'Etat et du Président lui-même.

Cette répétition bien faite par l'orateur nous conduit à dire que l'orateur réussit à faire adhérer l'auditoire au projet de la concorde civile.

2.1.1. Les mots à forte connotation

La connotation d'un mot apparait comme une valeur « ajoutée », qui « *relève moins de la linguistique à proprement parler que de la stylistique, de la psycholinguistique ou de la sociolinguistique* »⁽³²⁾.

Pour C. Kerbrat-Orecchioni⁽³³⁾.

« *la connotation d'un terme, c'est une partie seulement de sa signification [...] à savoir l'ensemble des valeurs qui viennent se surajouter aux traits dénotatifs, lesquels sont directement liés aux propriétés du référent discursif* ». Cela veut dire que c'est le référent discursif qui donne ce sens dénotatif à un terme ayant déjà un sens dit « dénotatif »⁽³⁴⁾.

Ce sens connotatif vient des représentations sociales partagées entre l'orateur et son public. L'orateur fait appel à ce genre de stratégie dans le but de rendre son auditoire apte à accréditer les thèses qu'il présente et qu'il défend.

Dans l'énoncé suivant, le lexème « paix » autour duquel s'articule tout le discours, présente une signification particulière et pour l'orateur et pour le peuple algérien :

(E₂₆) : « c'est cette paix qui réalise la réconciliation de l'Algérie avec elle-même, c'est cette paix pour laquelle je me suis engagé avec vous ».

4. Conclusion

Il faut reconnaître que le discours politique met davantage en œuvre une visée d'incitation à penser et à faire qu'une visée de démonstration. Il s'agit moins d'établir une vérité en raison, indépendamment des opinions, que de chercher à transformer (ou renforcer) des opinions empreintes d'émotion. La mise en scène du discours politique oscille entre l'ordre de la raison et l'ordre de la passion, mélangeant logos, ethos et pathos pour tenter de répondre à la question qu'est censé se poser le citoyen : « Qu'est-ce qui fait que je devrais adhérer à telle ou telle valeur ? » Pour l'homme politique, c'est une affaire de stratégie dans le choix et le mode de présentation des valeurs.

Tout se mêle donc dans cette subjectivité ; il est cependant possible de distinguer dans la mise en scène du discours politique, les traits qui sont destinés à présenter une certaine image de soi (ethos) et ceux qui sont destinés à toucher le public par une mise en scène dramatisante (pathos).

Dans ses discours de la concorde civile, le Président Bouteflika met en place une image de soi, une image qui existe par son statut de Président. Ainsi, l'orateur se donne la légitimité de prendre la parole en public.

A travers des stratégies d'engagement et de persuasion, le Chef de l'Etat travaille sur le pathos dans le but d'influencer son public pour:

- (i) Le projet et la loi de la concorde civile, visant à instaurer la paix au sein de la société, et à mettre fin à des actes de terrorisme qui ont duré une décennie en Algérie.
- (ii) Montrer l'importance de la paix dans le développement économique du pays qui en est une condition nécessaire.
- (iii) Inciter les citoyens à prendre en charge les terroristes et les victimes des actes de ceux qui ont levé leurs armes contre l'Etat.

❖ **Références bibliographiques :**

- (1) Mucchielli, A. (2009), **L'art d'influencer. Analyse des techniques de manipulation**, Paris, Armand colin, p. 7.
- (2) Adam, J-M. (2005), *La linguistique textuelle. Introduction à l'analyse textuelle des discours*, Paris, Armand Colin, p.47.
- (3) Charaudeau, P., et, Maingueneau, D. (2002), *Dictionnaire d'analyse du discours*, Paris, Seuil, p. 573.
- (4) Ibid., p. 47.
- (5) Ibid., p. 45
- (6) La fonction cohésive est prouvée à travers l'analyse des thèmes et des rhèmes.
- (7) Ibid., p. 46.
- (8) Charaudeau, P., et, Maingueneau, D. (2002), *Dictionnaire d'analyse du discours*, Paris, Seuil, p. 572.
- (9) Ibid.
- (10) Ducrot, O., et, Schaeffer, J-M. (1995), *Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage*, Paris, Seuil, p, 541.
- (11) Ibid. P, 542.
- (12) Ibid.
- (13) Adam, J-M. (2005), *La linguistique textuelle. Introduction à l'analyse textuelle des discours*, Paris, Armand Colin, p.45.

- (14) Adam, J-M. (1999), *Linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes*, Paris, Hachette, p. 135.
- (15) Adam, J-M. (2005), *La linguistique textuelle. Introduction à l'analyse textuelle des discours*, Paris, Armand Colin, p.47.
- (16) Adam, J-M. (1992), *Les textes types et prototypes*, Paris, Nathan, p. 17.
- (17) Charaudeau, P., et, Maingueneau, D. (2002), *Dictionnaire d'analyse du discours*, Paris, Seuil, p. 573.
- (18) Adam, J-M. (2005), *La linguistique textuelle. Introduction à l'analyse textuelle des discours*, Paris, Armand Colin, p.45.
- (19) Ibid.
- (20) Adam, J-M. (1999), *Linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes*, Paris, Hachette, p. 135.
- (21) Charaudeau, P., et, Maingueneau, D. (2002), *Dictionnaire d'analyse du discours*, Paris, Seuil, p. 340.
- (22) Ibid.
- (23) Ibid.
- (24) Le fait de considérer un énoncé comme « *allant de soi* » est introduit en analyse du discours par le linguiste Haillet, P, P, dans son ouvrage « pour une linguistique des représentations discursives » (2005, P. 63). Qui à son tour s'est inspiré de la théorie de Ducrot, O.

- (25) Charaudeau, P., et, Maingueneau, D. (2002), *Dictionnaire d'analyse du discours*, Paris, Seuil, p. 428.
- (26) Ibid.
- (27) Ibid.
- (28) Le peuple algérien a pour langue maternelle « la langue arabe » et pour religion « l'Islam »
- (29) Breton, P. (2000), *La parole manipulée*, Paris, La découverte, p. 95.
- (30) Breton, P. (2000), *La parole manipulée*, Paris, La découverte, p. 95.
- (31) Ibid.
- (32) Kerbrat-Orecchioni, C. (2002), *L'Énonciation, de la subjectivité dans le langage*, Paris, Armand Colin, p. 131.
- (33) Ibid.
- (34) Dénotatif ici est employé par opposition à connotatif.

